

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة
مجلس الدراسات العليا الشرعية

قام الطالب بما طلب
فيه من تصحيح وتعديل

سيد هلال
براحه البارسي

لرسالة

انذار الفكر العربي

في انحراف المجتمع المسلم بسبب الطفرة الرشدية

الرسالة

مقدمة ليدور حركته التنويرية في العقيدة الإسلامية

إعداد

خادم حسين الهني مخش

إشراف

للأستاذ محمد قطب

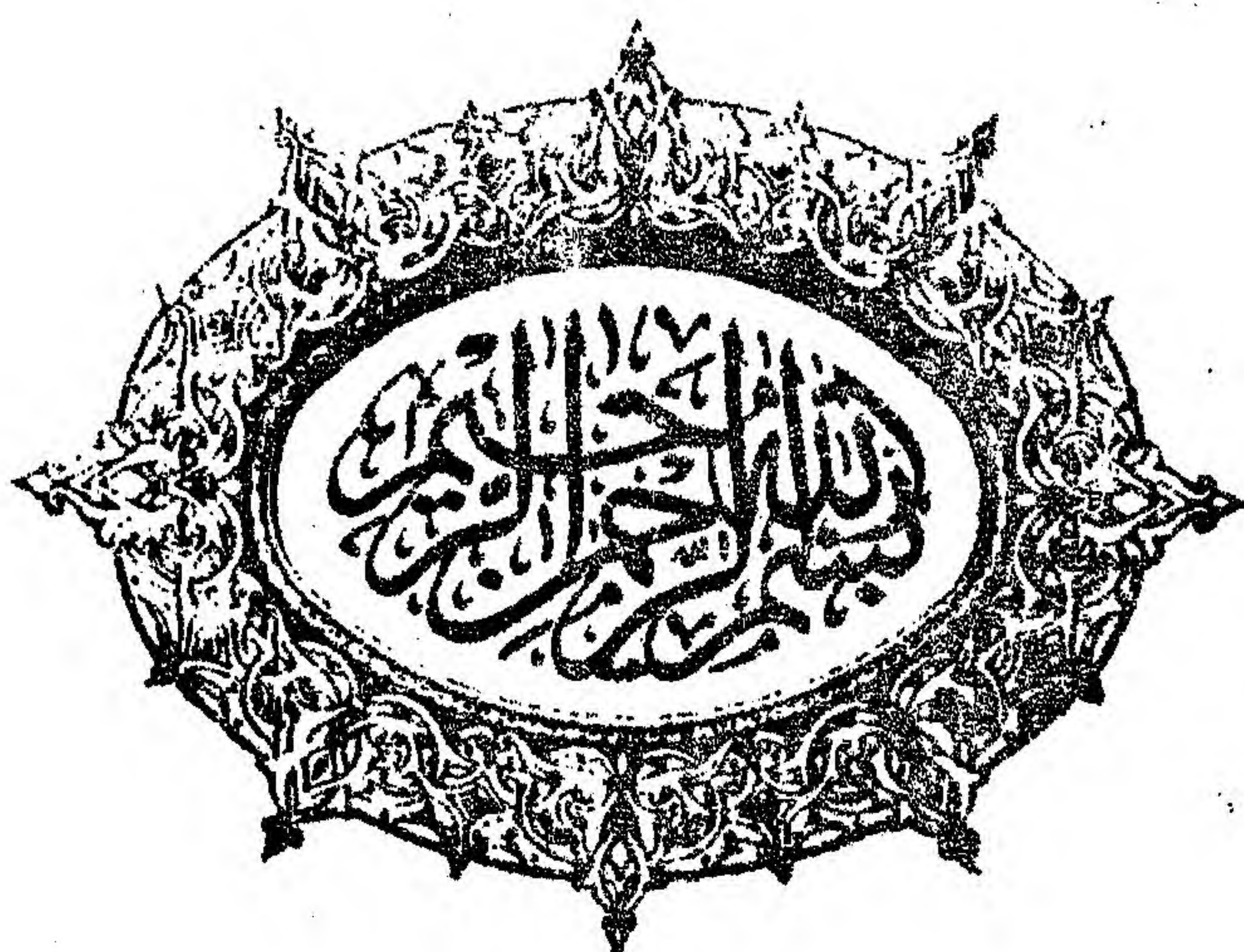
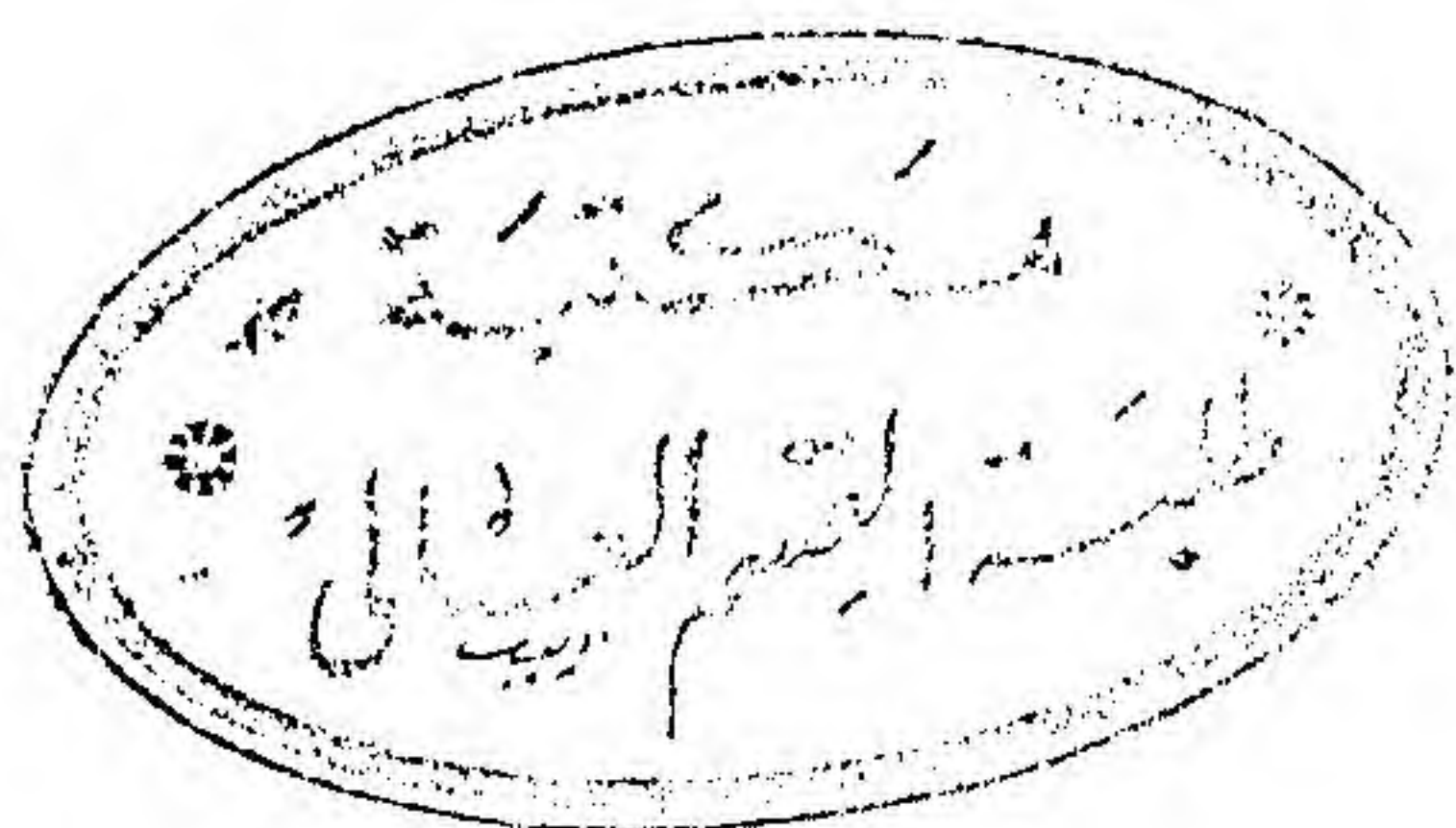
٩٥٥

لعام ١٤٠٤-١٤٠٥ هـ



عمر

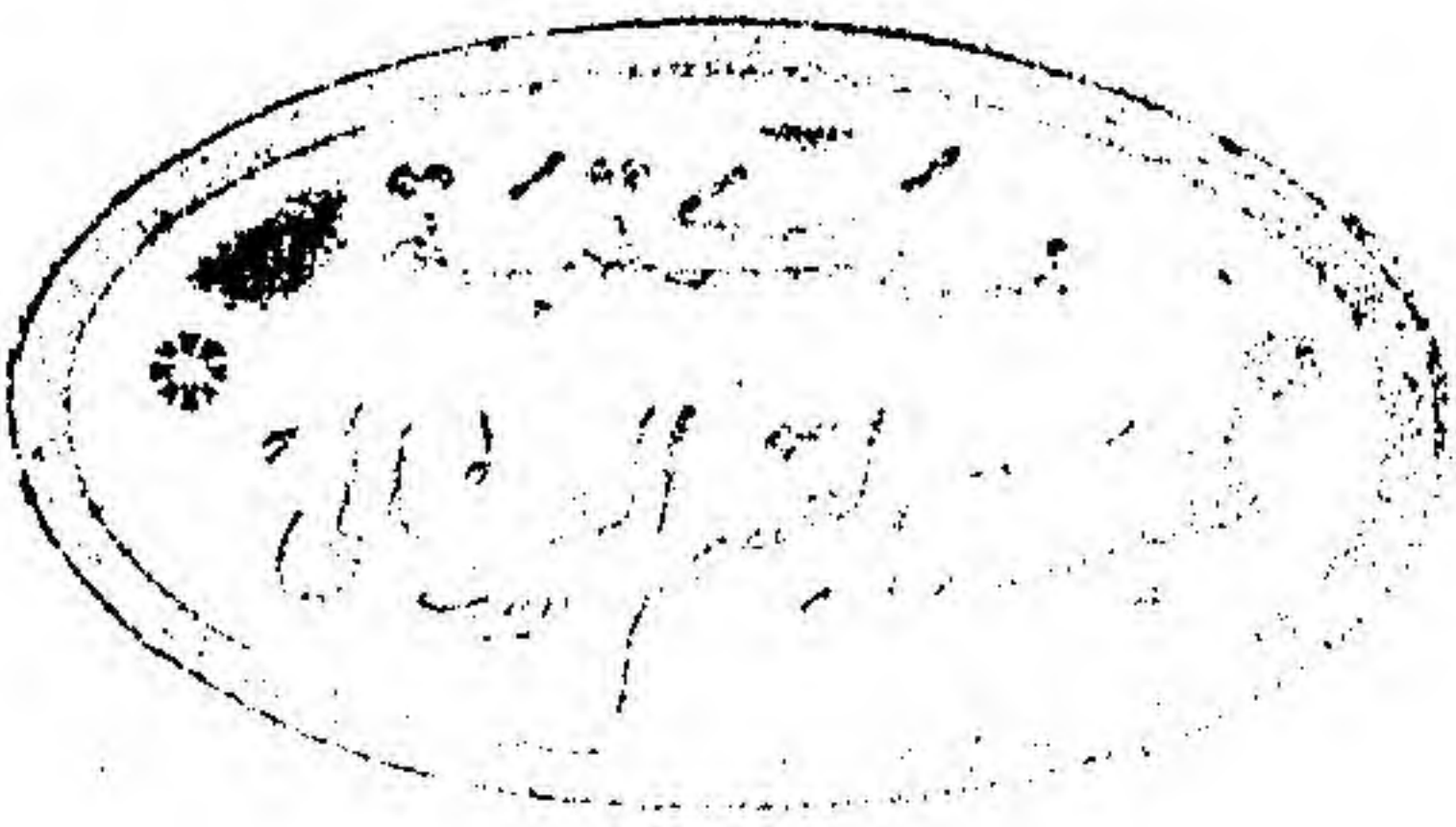
١٦٣



((كلمة شكر وتقدير))

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على رسوله الأمين وبعد : اعترافا بالفضل
وعرفانا بالجميل أتقدم بالشكر والتقدير لكل من مد اليّ يد العون والمساعدة ،
أو النصح والارشاد والتوجيه أثناء البحث وجمع المعلومات .

واسجل شكري للاستاذ محمد قطب المشرف على هذه الرسالة ، على الرعاية
والعناية التي شملني بها ، والتوجيهات النيرة التي أرشد اليها أثناء البحث ،
كما اسجل شكري لمستولي جامعة أم القرى حفظهم الله ، الذين هيئوا لي فرصة
اكمال الدراسات العليا في بلد الله الحرام ، جزى الله الجميع خيرا الجزاء ، ووفقهم
لما يحبه ويرضاه .



((المقدمة))

=====

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا
ونبينا محمد وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم
ونهج مناهجهم الى يوم الدين .

أما بعد : فإن تتابع الرسالات الالهية يدل على أن الأمم تتحرف عن جادة الحق
كلما تباعد الزمن ، وطالت الأحقاب بين صاحب الدعوة واتباعه ، ولم يكن المسلمون بدعا
في هذا الباب ، إذ أخذ الانحراف يفرزهم منذ قيام الدولة الأموية ، فبدأ بأمور
لا تلفت النظر ، ولا تهز كيان الاسلام ، واستمر خط الانحراف يتسع كلما انحدر وسفل .
وساعد في ايجاد هذا الجو وجود العداء المستحكم بين الحق والباطل ، الذي
لا يخلو منه عصر من العصور ، فما أن جهر محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته حتى حاربه
قريش ، واضطرته الى ترك مكة أحب بلاد الله اليه ، وفي المدينة تظاهر المنافقون بالاسلام
للنيل منه ومن دعوته الحق ، ثم اتخذ العداء أشكالا مختلفة عبر مسيرة المسلمين التاريخية
فمن حروب وقاتل لسد الدعوة الاسلامية ، وأفكار ومعتقدات منتحلة على دين الله عز وجل .
هذا وقد نالت الهند حظها من دعوة منقذ البشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ فتحها
المسلمون بالجهاد حيناً ، وبالذعة أحياناً أخرى ، وحاربهم المعادون لهم ولدعوتهم فسى
العلن مرة ، ومن وراء الستار باسم الاسلام لهدمه مرة أخرى ، وظهرت الصورة المدائية
المكتملة في استيلاء المسيحيين الغربيين على الهند المسلمة ، وذلك حين فرضوا الانحراف
عن دين الله على المسلمين فرضاً ، وحاولوا اقامة التثليث مكان التوحيد ، ونشر المسيحية
بين الهنود .

ولدعم هذا الاتجاه وجهوا التعليم وجهة تخدم المسيحية ، أو تعادي الاسلام ومبادئه
الخالدة ، ولتعميم الانحراف عن الاسلام صبغوا الحياة الاجتماعية الاسلامية بصبغة حياتهم
المنحلة ، ولجعل الانحراف مصيراً محتماً لا مفر منه نحو شرع الله وقضائه العادل عن جميع
شعب الحياة الا ما كان متصلاً بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق ، ولبقاء الدين
الحق بعيداً عن حياة المسلمين وللمحافظة على مخططهم الاقصائي أبرزوا فرقاً تفسر
الاسلام بما يتناسب مع فكر الغرب وحضارته المادية ، وتدافع عنه في كل معترك .

وظهرت نتيجة كل ذلك فى انحراف المسلمين عما رسمه لهم الاسلام ، فغاب عنهم هديه فى أغلب نواحي الحياة ، فتأثروا بالايحاءات الغربية وحضارة الماديين الملحدين وقلدوا الغرب تقليد المغلوب للغالب ، وتطلعوا الى منهجه فى الحياة كتطلع الجائع الى الطعام ، ومن هنا أثرت ان يكون موضوع الدكتوراة بعنوان : " أثر الفكر الغربى فى انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية "

والذى دفعنى الى الخوض فى الموضوع أمور أهمها : ^١ نصر الحديث

أ - ظهر لى أثناء رسالة الماجستير أن فكرة انكار حجية السنة^١ ، والتشكيك فى متونها ورواتها ما هى الا جزء من فكر غربى استهدف سلخ المسلمين من دينهم ، والانحراف بهم عن شرع الله ، فاستشرفت نفسى للبحث عن الأصول التى نفذها الانجليز المستعمرون وأعوانهم لتوجيه المجتمع المسلم الى غير الاسلام .

ب - انفصلت باكستان بشطريها - باكستان وبنجلاديش - عن الهند عند نيل الاستقلال على أساس العقيدة ، وأن المسلمين أمة متميزة ، يختلفون عن الشعوب الوثنية فى التوحيد والتشريع والخضوع للواحد الأحد ، ويريدون التخلص من كل فكر دخيل على حياتهم الاسلامية ، غير أن ذلك لم يتحقق حتى الآن لقلة من يعنى المشكلة فى اطارها المحكم ، وأرجو أن أكون بهذه الدراسة قد شرحت المشكلة وأبعادها ، وعينت وضعنا الحالى من الاسلام .

ج - تنبيه الغافلين الى ما هم فيه من الولا لغير الاسلام ، والتبعية لغير المسلمين واعادة الثقة الى النفوس المتأرجحة التى تظن أن الاسلام فقد صلاحيته ، وأنه محتاج الى اطار جديد ، وشرح يتلائم مع حضارة العصر المادية .

د - اعلام العالم الاسلامى أن مشكلته واحدة ، تختلف فى الفروع والشكليات وتتفق فى الأسس والأصول فالتنصير هو التنصير سواء كان فى باكستان أو اندونيسيا أو مصر أو الأردن ، والقانون الوضعى هو القانون سواء كان فى نيجيريا أو العراق أو بنجلاديش ، ومشكلة التعليم وتغذية الطلاب بالعلم والمعرفة واحدة فى كل البلدان الاسلامية ، والتغريب فى القضايا

الاجتماعية قلما يختلف من بلد الى آخر ، فما دامت المشكلة واحدة فلتتضم الجهود الاسلامية
الخيرة بعضها الى بعض في البحث عن الحلول للمشاكل المتماثلة .

ولاخراج هذه الدراسة في هذا الاطار الجامع واجهتني عقبات كثيرة تتلخص أهمها فيما

يلي :

- ١ - سعة الموضوع وكثرة تشعباته ، ان عنوان كل فصل من فصول الرسالة يستحق كتابة رسالة مستقلة ، غير أن تسابق الزمن والشعور بالمسئولية " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... (١) حملني على مواصلة العمل ليل نهار حتى استخلصت هذه الحصيلة ، وحاولت أن تكون مركزة في كل فصل من فصول الرسالة ، تأخذ بامهات المسائل ، وتتحاشى الفروع وما يتصل بالأطراف .
- ٢ - كثرة الترجمة وتعريب النصوص غير العربية الى العربية ، ولا يقدر هذه العقبة حق قدرها الا من مارس الترجمة ، ناهيك اذا كانت الترجمة في موضوعات متنوعة ، ومن مؤلفات مختلفة الأهواء والنوازع .

- ٣ - شح المصادر ولا سيما في باب الفرق ، وقد استعنت لتذليل هذه العقبة بالسفر الى كل دولة كانت مظنة لحصول المقصود ، وقد نجحت في ذلك بحمد الله ، وازدادت غبطة حين درست تلك المجتمعات دراسة ميدانية في مواطنها وأمهاات مراكزها في المدن والأرياف ، في كل من آسيا وأفريقيا وأوروبا .

ومنهجى في البحث مبنى على أمور أذكر منها :

- أ - الاكتفاء بسنى الأحداث عن التراجم ، لأن سنة الحادثة أو التحديد بالعدد (بعد كذا سنة) يشعر بالمتحدث عنه ، وعن أعماله والعصر الذى عاش فيه ، لذا لم أرداعيا لذكر التراجم وتحديد عام الولادة والوفاة ، وما شذ عن ذلك ذكرت له ترجمة مختصرة .

- ب - طبيعة الترجمة الحرفية لا تنفى بالمقصود ، ومن هنا التزمت بترجمة المفهوم بدقة وامانة علمية ، دون ترجمة الحروف والكلمات ، ووضعت تلك الترجمة بين قوسين ، واعتبرتها نصا من نصوص المؤلف ، ونسبته الى المصدر الذى ورد فيه ، وان كانت الترجمة بتصرف لتوضيح

(١) الحديث رواه البخارى في صحيحه ج ١/٢١٥ - كتاب الجمعة باب الجمعة فى

القرى والمدن .

المفهوم ، وأردت الإشارة الى أن المعلومة المذكورة أو الحادث المنوه عنه ورد في المصدر أو المرجع الفلاني عزوت كل ذلك بلفظة " انظر "

ج - ترجمت عنوان المصدر والمرجع غير العربي عند العزو أول مرة ، واذ تكرر العزو نسبته الى اسمه الأعجمي ، ومن استشكل عليه شئ من ذلك فليرجع الى قائمة المراجع ، حيث يجد أمام عنوان كل مصدر ومرجع ترجمته العربية .

د - اذا اختلفت طبعات المصادر أو المراجع عند الاستخدام نبهت على ذلك في محله وما لم أنبه عليه فالمعتمد طبعة قائمة المراجع ، وهذا الاستخدام نادر في الرسالة .

هـ - في تخريج الأحاديث حاولت الالتزام بعزوه الى مصدر من مصادر السنة ، وذلك بذكر المجلد والصفحة والكتاب والباب .

و - الأرقام التي وردت عند ذكر المصادر والحواشي يشير الأول منها الى رقم المجلد والثاني الى الصفحة (ج ٦١/١٠) المجلد العاشر الصفحة الحادية والستون ، وما شذ عن ذلك بينته في محله .

هذا وقد تضمنت الرسالة مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة فقد اشتملت على بيان الموضوع ، وأهميته لواقعنا المعاصر ، والأسباب الداعية لاختياره ، وذكر العقبات التي اعترضت طريق البحث ، ومنهجى فيه .

وأما الباب الأول فقد خصصته لدراسة المجتمع المسلم في الهند ، قبل تحول السلطة عنه الى الانجليز عام ١٢٧٣ هـ ، ١٨٥٧ م وجعلته في ثلاثة فصول : تضمن الأول منها

دراسة المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية ، وضم ضمن ابحائه كيفية دخول الاسلام الى الهند ابان حكم الخلفاء الراشدين والفرنويين والغوريين ، ثم عرجت بالبحث الى

ذكر مظاهر المسلمين المميزة حتى نهاية الدولة الفرتونية فالمظاهر المميزة لعهد الغوريين ، والماليك ، ثم اتبعت ذلك بذكر مميزات عهد الخلجيين ونى تغلق ، ثم أفردت الملك

فيروز تغلق وعهد الميمون ، وأخيرا مميزات عهد الامارات المستقلة .

وجاء الفصل الثاني مبينا للمجتمع المسلم في عهد سلاطين المغول ، وشملت أبحاثه

سياسة المغول في الحكم ، والملك أكبر ونتائج انحرافه ، ومرسوم العصمة وآثاره ، والتنصير وموقف الملك أكبر منه ، ومقاومة انحراف أكبر ونتائجها ، ومميزات المجتمع المسلم في عهد جهانكير وشاهجهان ، والملك الصالح اورنگ زيب ومميزات عهده العيمون ، وأخيرا اورنگ زيب في نظر أعدائه .

وجاء ختام فصول هذا الباب موضحا لحالة المجتمع في عهد شركة الهند الشرقية ، وجاءت نقاطه الرئيسية موضحة لمميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنگ زيب ، وبيان موقف المسلمين من مطامع شركة الهند الشرقية ، واقتضى ذلك تعيين الموقف الرسمي ، ثم تحديد الموقف الشعبي وما قام به المسلمون من الأعمال الجهادية لطرد الدخلاء ، وجاءت خاتمة الفصل في ذكر المحور والاتجاهات التي سلكها الحكم البريطانيون في حكم الهند .

أما الباب الثاني فقد جعلته خاصا بدراسة أثر الفكر الغربي في حياة المسلمين ، وقسمته الى أربعة فصول : تضمن الأول منها أثر النشاط التنصيري في الأفكار والعقائد ، وشملت مباحثه الاساسية التنصير في عهد المغول ، فالتنصير أثناء الحكم الانجليزي المباشر ، واتبعت ذلك بذكر طرق نشر المسيحية قبل الاستقلال ، فالسبل الحديثه لبث الانجيل ، ثم الطرق المعاصرة لنشر المسيحية اليوم ، وختمت الفصل بذكر أسباب نجاح التنصير في المنطقة . وأوردت في الفصل الثاني أثر الفكر الغربي في مجال التربية والتعليم ، وتضمنت نقاطه الرئيسية موقف الدول الاسلامية في الهند من التعليم ، والدرس النظامي ، وطرق القضاء عليه ، ودار العلوم ديونند ، ومنهجها التربوي والتعليمي ، ودار العلوم ندوة العلماء ومنهجها التعليمي ، وبداية التعليم المصري ، وتوصية اللورد ميكالى التعليمية ، وموقف السيد أحمد خان من التعليم ، وأهداف التعليم عند الانجليز ، ومحاولات اصلاحية في التربية والتعليم ، ودور المعاهد التنصيرية في العملية التربوية والتعليمية ، والتعليم بعد الاستقلال ، ونظرة فحوص في المنهجين التعليميين المصري والديني ، وختمت الفصل بذكر بعض المميزات للتعليم الاسلامي .

وجاء الفصل الثالث مبينا لأثر الفكر الغربي في مجال القضايا الاجتماعية واحتوت مباحثه قضية تعليم المرأة ، وعملها ، والحجاب ، والزواج ، والقوامة ، ودية الانثى ، وارثها

وسفرها بدون محرم ، وشرب المسكرات والاقتصاد ووسائل الاعلام .

وكان آخر فصول هذا الباب موضحا أثر الفكر الغربى فى مجال النظم التشريعية ،
وشملت نقاطه الرئيسية قضاء المسلمين فى الهند قبل الحكم الانجليزى ، واتفاقية بكسرسر
وخيانة شركة الهند الشرقية فى تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء ومداية التحريف فى التشريع
وآثاره الوخيمة ، وفتوى السيد رشيد رضا المصرى حول القوانين الوضعية ، ومناقشة
الفتوى فى ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام .

وتبع ذلك ذكر جهود العلماء فى وضع دستور اسلامى لدولة باكستان المسلمة وقانون
المقومات الباكستانى ومحتوياته ، ومادة خير فى اصلاح القانون ، والجوانب التشريعية
الحديثة فى القانونوضى وموقف الشريعة منها ، ونماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات
بين القانون والشريعة ، وقانون الاثبات ومعض محتوياته ، وعدد الشهود بين القانون
والشريعة فى اثبات قضية من القضايا ، وشهادة المرأة وشاهد الملك فيهما .

واتبعت ذلك بذكر الاصلاحات المطلوبة فى القضاء كالغاء المحاماة الحرفية ، والغاء
الرسوم القضائية ، وتكوين مجمع علمى قضائى ، واصلاح التعليم التشريعى فى كليات الحقوق
والمدارس الدينية .

وأخرا أبواب الرسالة أتى موضحا لأثر الفكر الغربى فى الفرق المنحرفة عن الاسلام ،
وانتظم عقده فى خمسة فصول ، كان الأول منها فى الشيعة - الاثنى عشرية والبهرة والأغاخانيق
وأثر الفكر الغربى فيها ، وتضمنت مباحثه ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة ، ومعنى
التشيع ، والشيعة الاثنى عشرية وأثر الفكر الغربى فيها ، والبهرة وظاهرة اخفاء ما يدينون
به ، والبهرة والاستعمار ومنايذة البهرة لأهل السنة ، والبهرة والربا ، وتقويم البهرة وأثره
فى صوم رمضان والحج ، والبهرة والتعليم .

وتلا ذلك ذكر المرتكزات الاغاخانية المعاصرة ، والتعاون العسكرية بين جيش
أغا خان وشركة الهند الشرقية ، ودور الانجليز فى دعم امامة أغا خان وموقف أغا خان
من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى ، وولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف

الغربيين في الحرب العظمى الثانية ومعض الأسس للديانة الأغاخانية ، وأخيرا نشاطات الأغاخانية المعاصرة في باكستان .

وجاء الفصل الثاني في الصوفية وأثر الفكر الغربي فيها ، وشملت نقاطه الرئيسية طريقة صوفية الهند في الدعوة الى الاسلام ، والصوفية وعدم تصادمها بالسلطة وعلوم الصوفية وصلتها بالشرع ، وحال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى ، والنظرة السلبية للصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربي .

وكان أوسط فصول هذا الباب في البريلوية وأثر الفكر الغربي فيها ، واحتوت مباحثه التعريف بمؤسس البريلوية أحمد رضا خان ، وتعاون البريلوية مع الاستعمار ، وتكفيرهم المسلمين ، وأهم الأسس للفرقة البريلوية ، وتأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربي فى الأمة .

ورابع الفصل جاء في القرآنيين وتأثرهم بالفكر الغربي ، وكانت نقاطه الرئيسية هى : السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين ، والقرآنيون وصلة فكرهم بالغرب وأبرز زعماء القرآنيين ، ونماذج من التشريب في أفكارهم .

وأتى الفصل الختامى للرسالة في القاديانية واخلاصها للفكر الغربي وشملت مباحثه فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام ، وغلام أحمد القاديانى ودعاواه ، والهدف الرئيسى من دعاوى الغلام ، وموقف القاديانية من الجهاد بعد موت غلامها ، والغلام وادعاء النبوة ، وتفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين " ونماذج من وحى الغلام ، وختمت الفصل بذكر ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام .

وقبل الخاتمة ذكرت الكلمة الأخيرة ، وبينت فيها الوضع الحالى المبشر لصالح الاسلام ، وجاءت الخاتمة متضمنة بين طياتها نتائج البحث ، وسها انهيته الرسالة التى أتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، لنيل درجة الدكتوراة في فرع العقيدة الاسلامية ، وأرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفيت الموضوع ما يستحقه من العناية والاهتمام ، وعلى الله قصد السبيل وبه نستعين .

١١ جمادى الأولى عام ١٤٠٥ هـ

الموافق لـ ١ فبراير ١٩٨٥ م .

الباب الأول

المجتمع المسلم في الهند قبل الفكر الغربي

الفصل الأول : المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية :

- ١ - دخول الاسلام الى الهند .
- ٢ - الهند في الخلافة الراشدة .
- ٣ - فتح السند في العهد الأموي .
- ٤ - جهاد الفرتونيين في فتح الهند .
- ٥ - مظاهر المسلمين المميّزة حتى نهاية الدولة الفرتونية .
- ٦ - المظاهر المميّزة لعهد الفوريين والماليك .
- ٧ - مميزات عهد الخليجين وبنى تغلق .
- ٨ - فيروز تغلق وعهد الميمون .
- ٩ - مميزات عهد الامارات المستقلة .

دخول الاسلام الى الهند :

أشرق نور الاسلام على الهند عن طريق المسلمين من التجار العرب ، الذين استوطنوا ساحل مليبار قبل دخول المسلمين اليها من جهة الغرب في اواخر القرن الأول من الهجرة ، والامة النائرة الهندية هي أول الامم ايماناً برسالة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام . (١)

غير أن أشعة ذلك النور الوهاج ظلت مغطاة بؤمية الهند ، المهاجرة من الشمال الى الجنوب حتى القرن الثاني عشر من الهجرة ، حين قامت دويلات اسلامية في كل من ولايتي ميسور ومدراس ، فرحسب الجنوب عندئذ بديانة التوحيد والمساواة بين البشر . (٢)

الهند في الخلافة الراشدة :

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة خمس عشرة من الهجرة احتك المسلمون بالهنود الوثنيين على شواطئ تانه ^{بجانب مينا} (بومباي) وروص (بروج) (٣) ، وخور الديبل (٤) (كراتشي) ، وبعد مضي ثمان سنوات

(١) انظر عبد الحليم السندوي ، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية ، والدينية في الهند ص ١ ، ومسعود عالم السندوي مجلة الفتح القاهرة ص ١٠ / ٦١ .

(٢) انظر الدكتور محمد اسماعيل افندي الهند القديمة حضارتها - وديانتها ص ٢٦٢ .

(٣) مدينة من مدن الهند على خليج كمبربايت .

(٤) انظر ابا الحسن البلاذري فتوح البلدان ص ٤٢٠ والمستشرق - ل

١ - سيد يو تاريخ العرب العام ، امبراطورية العرب حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية ص ١٧١ . ودرهم ^{الملك} لورن فرباب

يطلق عليه اسم بهنصور على بعد ٧٠ كم من مدينة كراتشي

من هذا الاحتكاك نرى مبشر فتح مكران يصف السند المجاورة لأصير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائلا " أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وثمرها دقل . (١) وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير فيها قليل ، والقليل فيها ضائع ، وما وراءها شرمها ، فقال عمر أسجاع أنت أم مخبر ؟ لا والله لا يفرزوها جيش لي أبدا ، وكتب الى سهل والحكم بن عمرو الا يجوزن مكران احد من جنودكما " . (٢)

وهذا أول فتوربته المخبر في عهد الجهاد ، لفتح السند ، فخوف الخليفة وجنوده المجاهدين من امة لم تكن تتمتع بتلك القوة آنذاك ، فحدث تأخرا في وصول رسالة الحق الى تلك الديار قرابة بضع وسبعين عاما ، ولعل الحدود الطبيعية حالت دون رؤية الحقيقة ، وسترت المداخل الضيقة المنبعة ضعف السند عن انظار المخبرين وصرفت الجبال الشامخة المستدة على مساحات واسعة هم المجاهدين الى غير السند مدة من الزمن .

وتكررت الحادثة ذاتها أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، حين طلب من نائبه بالعراق أن يوجه الى ثغر الهند من يملكه احواله ، ينصرف اليه بخيره ، فكان الرسول كرسول عمر وحديثه كحديثه (٣)

(١) الوشل : الماء القليل ، والدقل أردأ التمر ، والمراد قلة المياه ورداءة الثمار .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٢ / ٢٣٠ .

(٣) انظر فتوح البلدان ص ٤٢٠ ، وعبد الحى الحسنى ، الهند فى العهد الاسلامى ص ١٣٠ .

فتح السند في العهد الأموي :

وفي خلافة معاوية رضي الله عنه عام ثلاث وأربعين من الهجرة حصل المسلمون على الهند مرة أخرى ، ففوزوا السيقان وسيند ، والاهور (١) واصابوا مغلنا ، واهدوا للخليفة خيلاقانية ، غير أن السنود قضوا على تلك الفئة المجاهدة قضاء مبرما ، (٢) ثم استمرت الحرب تباعا بين المسلمين والهنود يغلبون ويغلبون ، دون أن يتمكن المسلمون من تخطي تلك الحدود الطبيعية حتى ولي الحجاج بن يوسف أمر العراق . وقبل فتح محمد بن القاسم جرت محاولتان لفتح الهند على يد عبيد الله ابن ابي بكرة امير سجستان عام ٧٨ هـ ، وعبد الرحمن بن الاشعث ، وكادت الاخيرة أن تكمل بالنجاح ، لولا كتب الحجاج التي أخذت تروح الى الجيش وتنسب اليه الجبن والوهن ، لتروقه عن التوغل مدة من الزمن ثم عودته الى قتال الحجاج بدير الجماجم (٣) فلو تسهل الحجاج ومالحو الامور بحكمة ، لكان حديث الاسلام اليوم في السند كحديثه في الدول العربية الافريقية ولكن قدر الله وما شاء فعل .

وفي أواخر التسعينات من القرن الأول الهجري تعدى بعض أهل السند على بعض العزل من المسلمين ، مما أثار حفيظة الحجاج ، فجهز

(١) اسم مكان في منطقة بلوچستان بباكستان ، لا تبعد عن مدينة قلات الباكستانية كثيرا ومنه هي مدينة بنون المعروفة اليوم الواقعة جنوب مدينة بشار في منطقة سرحد بباكستان ، والاهور قرية عتيق مريضة بنون على نهر اندل في باكستان . انظر عبد المجيد مالك ، سلم ثقافت هندیستان میں (الثقافة الاسلامية في الهند) ص ٧٨

(٢) انظر الكامل ج ٢١٨/٣ و ج ٢١١/٣ ، وفتح البلدان ص ٤٢١ .

(٣) انظر الكامل ج ٣٦/٤ ، ٧٢ - ٧٨ . وشريف الدين بيرزاد ، نشأة

وله ابن عمه محمد بن القاسم بستم ألف مقاتل بكل ما يحتاجون اليه حتى الأبر والخيوط لفتح المنطقة ، فبدأ محمد منذ عام تسع وثمانين من الهجرة يفتح السند مدينة تلو أخرى ، حتى وصل الى الملتان ، وأتم فتحها عام ثلاث وتسعين من الهجرة (١) ، يقول الحافظ بن كثير " ثم سار محمد ابن القاسم فافتتح مدينة الكيچ وبرها ٠٠٠ وغير ذلك ، فكانت سوق الجهاد قائمة في بني امية ، ليس لهم شغل الا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها " . (٢)

ولم تجر اية محاولة بعد فتح محمد بن القاسم لتوسيع هذه الرقعة ، ولا تحد ثنا مصادر التاريخ عن اضافة العباسيين جديدا من خضراء الهند الى الدولة الاسلامية . رغم جهادهم في بعض الفترات .

يقول صاحب البداية والنهاية : " قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ٠٠٠ ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن واوائل بلاد الترك ، ودخلوا الى ما وراء النهر ، واوائل بلاد المغرب ، واوائل بلاد الهند ، فكان سوق الجهاد قائما في القرن الأول من بعد الهجرة ، الى انقضاء دولة بني امية وفي أثناء خلافة بني العباس ، مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده في بلاد الروم والترك والهند " (٣)

(١) انظر الكامل ج ١١١/٤ ، وتاريخ العرب العام ٠٠٠ ص ١٧١ ، وستانلي لين بول الدول الاسلامية مع اضافات بارتولد وخلييل ادهم التركي ج ٨١٦/٢ . وفتوح البلدان ص ٤٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨٧/٩ .

(٣) ابن كثير ج ٨٧/٩ .

جہاد الفزنیین فی فتح الہند :

ثم أخذت السند وحد ومن الدولة العباسية تتبع ولاية سجستان -
سجستان (۱) قوة ضعفا ، والظاهرة التي تلفت النظر في هذا
العهد أن الخوارج (۲) أخذوا يتجمعون - بعد التشييت الذي أصابهم
على أيدي الدولة الصفارية - في مدينة قمدار (قصدار) (۳) ، لضمف
السامانيين وانفراط عقدهم بعد قوة ، فما كان من سبكتكين والد محمود
الفزنى إلا أن قضى على السامانيين وعلى الخوارج ، الذين يتاخمون حدوده
قبل ضرب الہند ، وقيام الدولة الفزنية القوية .

ولما توفي سبكتكين عام ۳۸۷ھ خلفه على الملك ابنه محمود الفزنى
وسلك الابن مسلك أبيه في الجهاد وفتح البلاد ، فحمل على الہند
سبع عشرة حملة لنشر راية الاسلام ، واحلال التوحيد محل البرهمية في
المعابد الوثنية .

وصف صاحب الكامل بداية جهاد محمود تجاه آله الہنود ، وما يدور
في خلف عن الوثنية فيقول : " عام ۳۹۲ھ أوقع يمين الدولة محمود
ابن سبكتكين بجييال ، ملك الہند وقعة عظيمة ، وسبب ذلك أنه

(۱) منطقه تقع بين جنوب افغانستان وشرق ايران .

(۲) الخوارج فرقة من الفرق الاسلامية ، لها آرائها المعينة في الامامة
والامام واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وكان ظهورهم في
عهد على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(۳) وتذكر هذه المدينة باسم الملتان في فتوحات الفزنیين ، وهي غير
الملتان الشهيرة اذا كانت على مسافة عشرين منزلا منها انظر السيد
سليمان السندوى عرب اور ہند کے تعلقات " ص ۳۹۳

لما اشتغل بامر خراسان (١) وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد (٢) وخلا وجهه من ذلك ، أحب أن يفتزو الهند تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين ، فثنى عنانه نحو تلك البلاد ، فنزل على مدينة برشور ، - بشاور - فأتاه عدو الله جيبال ٠٠٠ فالتقوا في محرم ٠٠٠ ، واسر جيبال وجماعة كثيرة من أهله وعشيرته . (٣)

ويميز بعض مؤرخي الافرنج بين فتوحات محمود وفتوحات اسكندر المقدوني فيقول :

" ان محمودا كان اسكندر الاسلام ، فإنه فتح الهند كما فتحها اسكندر ، الا أن فتوحات اسكندر ذهبت بذهابه ، واما فتوحات ابن سبكتكين فبقيت الى اليوم ، وكان همه من فتح الهند نشر كلمة التوحيد فيه وقلع عباده الاصنام منه . (٤)

ويقدم لنا كارل بروكلمان خلاصة أعمال محمود الجهادية ومفازيه في قوله " كانت حياة محمود حافلة بالمفازي ، ولقد سار بجيوشه الى الهند مرة بعد اخرى ، ففي سنة ١٠٠١ م تم له فتح كابلستان ، وبعد ذلك بقليل فتح ملتان وقشмир ، - كشمير - وسعى الى أن ينشر لواء الاسلام ويحله محل البرهمية في كل مكان ٠٠٠ ، ومهما يكن فقد اندفع محمود في فتوحاته بعيدا الى ما وراء نهر الكنج ، ليختم فتوحاته في الهند عام ١٠٢٥ م باحتلال كجرات (٥) فلع الهلال من ثلوج هملايا

(١) للقضاء على الثورة المناوئة لحكمه في تلك البلاد .

(٢) أمير سجستان .

(٣) ابن الأثير ج ٢ / ٢١٣ .

(٤) الامير شبيب ارسلان حاضر العالم الاسلامي ج ٤ / ٢٨٨ وانظر حسن

ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

ج ٣ / ٩٤ .

(٥) تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٦٨ .

الى أقصى الجنوب الشرقى من الهند .

ويمكننا أن نعد محمود أول مسلم فاتح دخل الهند عن طريق الجبال الشمالية الغربية ، وفتح من الهند ما امتنع على غيره ، وعبد طريقاً سلكه كثيرون بعده ، امثال محمد بن سام الفورى وخلفائه ، الذين تولوا حكم (دلهى) ونشروا العقيدة الاسلامية فى المناطق النائية من شمال الهند . (١)

مظاهر المسلمين المميّزة حتى نهاية الدولة الفزنوية
=====

(١) ظل الاسلام محور كل مظهر من مظاهر حياة المسلمين الاجتماعية والقضائية والسياسية . . . لا يحرفون مرجعاً سواء ، فهو الصمد فى العقيدة والتشريع وفصل النزاعات بين الافراد والدول - فحققوا العدل بين المحكومين ، وسووا بين البشر فى الحقوق والواجبات ، وازالوا الامتيازات الطبقية الهندوسية من الأرض التى حكموها باسم الاسلام .

(٢) شاركت السند غيرها من الولايات الاسلامية فى خدمة الكتاب والسنة ولم تترك فرصة الا استغللتها لذلك الهدف النبيل ، فحين طلب ملك السند الوثنى من ولاية منصور المسلمة مترجماً يقوم بترجمة القرآن الى لغة الهند والسند ، لُبي الطلب بأسرع ما يمكن تلبيته ، وأعطى كل اهتمام الدولة وعنايتها . (٢) كما شارك علماء السند غيرهم فى خدمة السنة جمعا وترتيباً وتدويناً ، يقول الاستاذ محمد اسحاق " فى هذه الآونة - بعد انفصال

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ / ٩٤ ومحمد بن احمد البيرونى ، فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مردولة ص ١٦ .
(٢) انظر عرب اورهند كى تعلقات ص ٢٤١ .

السند عن الخلافة العباسية سنة ٢٢٨ هـ - دخل علم السنة الى السند غير أنه لم يأخذ مكانه المرموق الا عند قيام امارتى منصوره وملتان - المستقلتين ، فى اواخر القرن الثالث من الهجرة ، واستمرت السند تخدم السنة كبقية الولايات المسلمة ٠٠٠ ، غير أن المسلمين السنود لم يوفقوا فى ذلك على ما يرام مدة طويلة ، لأن الاسماعيليه ^(١) استولت على الامارتين ، وسددت سهامها المسمومة الى السنة وعلومها دون هواة ^(٢)

(٣) امتاز الجهاد الاسلامى الى نهاية الدولة الفرتوية بتخليف الفاتحين علماء فى البلاد المفتوحة بعد الفتح ، يقومون بالدعوة الى الاسلام وتعليم من يسلم من أهلها امور الدين ، وما يجب عليه عمله فى حياته الاسلامية . (٣)

(٤) انصب جهاد الفرتويين على محاربة أهل البدع والنحل الدخيلة على الاسلام ، فانفقوا حياتهم فى مقاومة تلك الطوائف التى تحمل بين افكارها الكثير من الافكار الشرقية الوثنية المتوارثة ، وتحلها مكان بعض المعتقدات الاسلامية . (٤)

(١) سيأتى الحديث عنهم فى الباب الأخير .

(٢) علم حديث مين باك وهندكا حصة " مساهمة الهند وباكستان فى خدمة السنة ص ١٠ - ١١ .

(٣) انظر عمر رضا كحالة ، العالم الاسلامى ج ١ / ١٨٢ ، وعبد الحى الحسنى الثقافة الاسلامية فى الهند ص ٩١ ، والكامل ج ٢ / ٢٢٦ .
وابن خلدون تاريخ ابن خلدون ج ٤ / ٧٨٤ .

(٤) انظر آدم مستزاد الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ص ١١٩ ، وتاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٦٩ .

المظاهر المميزه لعهد الغوريين والماليك :-

=====

وبعد فقد الفرتويين السلطة على أفغانستان عام ٥٥٠ هـ ، وعلى الهند عام ٥٧٩ هـ ، خلفهم الغوريون الافغان فى حمل الراية الاسلاميه ، وأول فاتح غورى حاول أن يضم شتات الهند فى دولة واحدة هو محمد بن سام شهاب الدين الغورى .

وباعتقال الشهاب فى مستهل القرن السابع الهجرى طوى بساط الغورية ، وأعلن كل ملوك استقلاله بما تحت يده ، وظلت الهند على هذه الحال بضعاً وثمانين عاماً . ومميزات هذا العهد كثيرة أهمها :

(١) ظل الاسلام هو المظلة الوحيدة التى يستظل بظلها المسلمون ، وساسهم الحكام بهذا المنطلق الفريد ، ويتلأأ أبرز نواحيه فى باب القضاء وانصاف المظلومين ، وارجاع الحقوق الى أهلها الشرعيين ، والضرب على يد العابث دون استثناء ، وذلك بنصب القضاة فى الأقاليم النائية ، ومراقبة تصرفات الناس العسلىة فى كل صغيرة وكبيرة (١) ومن الحكام من بنى دور اسماها " دار الأمن " من دخلها خائفاً أمن ، ومن دخلها وقد ارتكب جناية ارضى عنه أولياء المجنى عليه ، حتى سار الناس فى اطراف الدولة بأمان ، لا يخافون على أنفسهم أو ممتلكاتهم الا الوحوش الضواري أو الكوارث الكونية . (٢)

(١) انظر الكامل ٠٠٠ ج ٢٧٣ / ٩ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٤ / ٨٧٥ .

(٢) انظر ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٤ ، وعهد الحى الحسينى

نزهه الخواطر وسهجه المسامع والنواظر ج ١ / ٢٢٨ ، ١٩٢ ،

والسهند فى العهد الاسلامى ص ١٨٣ .

(٢) استمرت راية الجهاد محقودة في أغلب الاحيان ، فمرة لقتال
الخارجيين على الاسلام ، ومرة لرفع الظلم عن الهندوس المضطهدين
فالغوريون استعملوا جهادهم بمحاولة تطهير الهند من الاسما عيلية
الذين استغلوا ضعف الدولة الفرتوية السابقة ، فتغلبوا على
السند بواسطة اسرة " ومرة
الاسما عيلية ، التي قد تكون جل أفرادها من اختلاط العرب
بالسنود ، وكانت الدعوة الاسما عيلية قد غزتهم منذ ٤٤٥٢ هـ ،
فظلت السند سومية الى ما بعد منتصف القرن الثامن من
الهجرة ، ويصف القاضي طاهر المهاركهورى
الوضع الدينى للمنطقة فيقول : " وكان مذهبهم مختلطاً
من القرامطة والاسما عيلية ، فاعلنوا فى الهند أن علياً
مظهر لوشنو ، محبوب الوثنيين وكان يرد اليهم الدعاء ،
والبلفون من قلعة الموت ، مركز الاسما عيلية " . (١)

(٣) وظاهرة أخرى لم يغفل من عاصرها هذا العهد عن ذكرها وتلك هى
الاعتناء بالمدارس ، وتكثيرها فى طول البلاد وعرضها لتفطية
حاجة الدولة من القضاة والوزاريين والدعاة ... وشاركت
الامة القيادة فى هذا الغرض النبيل ، فاحتضن أثرياءها
المديد من معاهد المعرفة ومزارع العرفان ، ولا ينبئ ذلك
الا عن حب العلم ونشر الوعى الدينى بين عامة المسلمين (٢)

(١) رجال السند والهند الى القرن السابع ص ٢٦٤ .

(٢) انظر تاريخ ابن خلدون ج ٤ / ٨٦٩ ، والكامل ج ٩ / ٢٥٩ ، ٢٧٣ .

أضف الى ذلك أن الماليك ملأوا أرض الهند بفن معمارى بديع ،
ما يزال بعضه قائما يرد على المفترين ، وينوه بعظمة الماليك ، وصلتهم
الوثيقة بالاسلام . (١)

ولكن على الرغم من البساط الاسلامى العريض ، الذى احاط
بالمسلمين من كل جانب ، فهناك بعض المظاهر الفريية عن الاسلام
نوجزها فيما يلى :-

(أ) بروز ظاهرة البناء على قبور العائلة المالكة ، كبناء شهاب الدين
على ضريح زوجته ، ابنة ملك " آجره " وقد نوه ابن الأثير السى
ذلك فقال : " فلما تسلمه - البلد - أخذ الصبية فاسلمت
وتزوجها وحملها الى غزنة ، وأجرى عليها الجرايات الوافرة ،
وكل بها من علمها القرآن ، وتشاغل عنها فتوفيت والدتها
ثم توفيت هى بعد عشر سنين ٠٠٠ ، فبنى لها مشهدا ودفنها
فيه ، وأهل غزنة يزورون قبرها " . (٢)

وهذه الظاهرة رغم أنها وجدت قبل الفوريين ، غير أن بناء من
قبلهم كان يختص بالرجال المالحين ، ولا سيما من كان من أهل
البيت رحمه الله ، فابتدع الفوريون البناء على قبور الملوك
ومن ينتسب الى بيت الملك ، ولم تزل هذه الظاهرة تعدو بخطى وطيدة
حتى العصر الحديث (٣)

(١) انظر علم حديث مسين ٠٠٠ ص ١٢٠ . ونزهة الخواطر ج ١ / ١٣٨ ترجمة حسن
الماغانى .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٩ / ٣٦٠ . وانظر تاريخ ابن خلدون ج ٤ / ٨٥٤

(٣) كستجد يد محمود الفزنوى البناء على مشهد على بن موسى الرضا
بطوس ، وكان أبوه قد خربه انظر الكامل ج ٧ / ٣٤٧ . وكبناء القبة
على قبر الملكة المخلوعة رضية بنت التمشى .

انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٤ والهند فى العهد الاسلامى ص
١٨١ ، وكالبناء على مدافن ملوك المغول وغيرهم .

(ب) وثاني الظواهر التي أحدثها الفوريون في الهند إبان حكمهم واقتدى بهم من جاء بعدهم من الملوك هي ظاهرة الاقطاع، واعطاء الأرض منحة للمالك شريطة أن يدفعوا مالا معيناً كل سنة وأن يمدوا الجيش المسلم المحارب بجند وسلاح محدودين، فاجبر الممالك المباد على الكد لصالحهم، دون النظر إلى المصلحة العامة، وحاجة الكاديين، مما أدى إلى انهيار رباط الولد بين الحاكم والمحكوم. (١)

(ج) وفي عهد التتشي ظهر أبو الرضا رتن بن كربال الهندي، الذي ادعى صحبة النبي وطول العمر بدعائه عليه الصلاة والسلام، ولف الرسالة الرتنية "فادج" فيها الأحاديث التي ادعى سماعها من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة، فصدقه أناس وانكر عليه آخرون، وكان وجوده وظهوره شار جدل بين العلماء، وفتنه لعامة المسلمين. (٢)

(١) انظر الكامل ٣٦ / ٩ و ٢٢٣ والهند في العهد الاسلامي ص ١٧٦.

(٢) انظر نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ١٤٧ / ١ ومن قبيل رتن هذا عبد العزيز علمبر دار المكى الذي يقال عنه أنه أدرك زمن الخليل وعيسى بن مريم ومحمد عليه الصلاة والسلام، وحمل راية من راياته الجهادية، وكان من أهل الصفة، وأنه غلبته عيناه عدة مرات وكان ينام كل مرة أربعين سنة، وكان ظهوره أخيراً في القرن السابع، واليه تنسب القلندرية من الصوفية.

انظر لمزيد من التفصيل عنه نزهة الخواطر ١٧٢ / ١ ج

• اجتمع اiban حكم ^{الشمس} صفوة الصوفية الهنود والمهاجرين ، الذين قاموا
بخدمة الاسلام عن طريق الدعوة السلمية ، فالشيخ معين الدين حسن
ابن الحسن الجشتي الأجميري السجستاني اتى الى الهند بعد أن ساح
في منطقة ما وراء النهر والعراق ، وقدم الشيخ قطب الدين الكمكي من
تركستان ، بعد أن اجتمع برؤساء المتصوف آنذاك في بغداد ، كما
اشتهر الشيخ بهاء الدين زكريا بن محمد الملتاني ، واصبح مزار الناس
في الولاية وكسب " الانوار الروحية " ، واصطبغ المتصوف منذ عصر
هؤلاء الشيوخ بصبغة تصوف الهندوس ، ومجاهداتهم الصعبة الصماء .
فاجتهد هؤلاء الصوفية وغيرهم من تأثر بهم واقتدى بنهجهم في جلب
الناس الى الاسلام ، وتقديم المعتقدات الاسلامية الى جميع طبقات الشعب
الهندوسي دون تمييز ، فالتصق بهم الهندوس كالتصاقهم بقس دينهم ،
لعدم الفارق بين دعاة الاسلام ودعاة الهندوسية في طرق التقديم وسبل
الدعاية كابتداع بعض رجال الصوفية المسلمين الرقص والوجد والغناء
عند العبادة والذكر ، مشابهة بقس الهندوس زاعمين أن الفاية تسبر
الوسيلة ، ويصف الشيخ عبدالحى الحسنى هذا الوضع عند الشيخ الكمكي
فيقول : " وكان من الأولياء السالكين المرتاضين ، يقوم الليل ويصوم
النهار ، ويشغل بالذكر والفكر على الدوام ، فارغا قلبه عن هواجس الخطرات
زاهدا متورعا عزبا ، يستمع الغناء ويتواجد ويستغرق في بحار المعارف ،
حتى انه توفي في تلك الحالة " (١) .

ولم تكن تلك الصفة تخص الصوفية وحدهم ، بل هي خاصة ذلك العصر
استغل بنظلمها اعلام المسلمين آنذاك ، يشترك فيها الفقيه والمحدث ،
رغم عرفانه أن السماع معصية يسأل عنها يوم القيامة ، ولا يستثنى من ذلك

الا من رحمه الله ، فهذا محمود بن ابي الخير البلخي الامام العالم
المحدث الفقيه الذي تلقى علم السنة من أعلم أهل زمانه - حسن
ابن محمد بن الحيدر الصاغاتي اللاهوري - وأخذ الفقه عن صاحب الهداية
برهان الدين المرغيناني ، يفتح صباحه بالاستماع الى الفناء ، ويسرى
عنه صاحب نزهة الخواطر قوله : " ولا أسأل يوم القيامة عن كبيرة الا
استماع الفناء بصبح " (١) .

وكانت بغداد وما جاورها من البلاد حصن التصوف وعاصمته ، وكثيرا
ما كان المتصوفة يرحلون اليها ، للكسب الاشعاع الروحي ، وكان ذلك
يرتكز في لبس خرقة الخلافة ، - كما رواج العلماء - ولا يمنح ذلك
الاشعار الا لمن يفقد الحس في ذكر الخالق ، ويتواجد ويذوب -
بالعبادة والتفكير ، كما تذوب الشمعة بالنار .

والخرقة اشبه ما تكون بمترجم ينبي عن افتراق السلطة الدينية من
السلطة الدنيوية ، واختصاص أحدهما بعالم الروح والآخر بعالم البدن ،
لذا ترى أن قطب الدين بعد أن فرغ من تلقى العلم والتلفذ على
المشائخ رحل الى بغداد لأخذ الخلافة الروحية . ويصف مؤرخ الهند ^{عبد الحسن}
ذلك الحفل والتنصيب بقوله : " ثم رحل الى بغداد ، وسمي
بملازمة الشيخ معين الدين حسن السنجرى الاجميرى في مسجد الفقيه
أبي الليث السمرقندى ، فلبس منه الخرقة ، وكان المجلس مخفوا
بالشيخ ، كالشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى ، والشيخ
اوحده الدين الكرمانى ، والشيخ برهان ^{الدين} الجشتى ... " (٢)

(١) عهد الناصر الحسنى ٢٣٠ / ١

(٢) نزهة الخواطر ج ١ / ١٩٧ .

كما خلق المتصوفة ظاهرة الاعتكاف على القبور ، وقضاء العديد من السنين عندها ، للتمرن على التقشف والزهد ، وكسب الولاية والأنوار الروحانية من تلك البقاع ، ويصف عبد الحى الحسنى هذه الملازمة عند الصوفى الاجميرى فيقول : " ودخل هارون قرية من أعمال نيسابور ، وأدرك بها الشيخ عثمان الهارونى ، فلزمه واخذ عنه الطريقة وصحبته عشرين سنة ، ثم قدم الهند وأقام بمدينة لأهور ، واعتكف على قبر الهجويرى والزنجانى ، ثم قدم دهلى ثم سار الى اجير وسكن بها ، وكانت تحت سلطة الهنود فى ذلك الزمان ، فاسلم على يده خلق كثير " (١)

(هـ) دخل الى الاسلام التصوير والتشيل المنحوتان بصورة غفوية ، وذلك شئ لم يكن لسلطى الهند عهد به ، ويصف الرحالة ابن بطوطة الوضع القضائى والتصوير المنحوت فيقول : " ومن مآثره - الشمس - أنه اشتد فى رد المظالم وانصاف المظلومين ، وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا ، وأهل الهند جميعا يلبسون البياض ، ثم إنه أعيا فى ذلك ، فقال ان بعض الناس تجرى عليهم المظالم بالليل ، وأريد تمجيل انصافهم ، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام ، وفى اعناقهما سلسلتان من الحديد ، فيهما جرس كبير ، فكان المظلوم يأتى ليلا فيحرك الجرس فيسمعه السلطان ، وينظر فى أمره وينصفه " (٢)

(١) نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ١/١٣٦ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٢ وانظر الهند فى العهد الاسلامى

مميزات عهد الخليجين وبنى تغلق :-

ثم خاف الخليجيون الماليك في الحكم مدة ثلاثين سنة ، وفي عهدهم
 حطم سيل التتار الجارف سور الهند الطبيعي ، غير أن الخليجين تمكنوا
 من رد عدوانهم ، ودحرهم الى خارج الهند (١) ويعتبر عهدهم عهد
 الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، التي جمعت تحت رايتها اغلب اطراف
 الهند ، وقد اعترف بهذه الحقيقة الكتاب الاوربيون . يقول هامرتن
 " وفي نهاية القرن الثالث عشر غزا علاء الدين
 الخلجي الدكن ، وتم له فتح الاقليم كله ابان حكمه ، حتى بلغت
 جيوشه اقصى جنوب شبه الجزيرة الهندية ، كما اخضع الكجرات " .
 ويمتاز هذا العهد بامور بينه منها :-

- (١) ظلت راية الدعوة الى الاسلام تسير سيرها الطبيعي في فتح
 الهند بالسيف حيناً ، وبالموعظة أحياناً اخرى ، ولا سيما في
 منطقة " ورنكل " و " تالناك " وولايات جبال همالايا وحدود
 الصين ، (٣) ولم يكن قتل آخر ملوك الخليجين عام ٧٢١ هـ
 الا شاهداً من تلك الشواهد ، فما أن ابدى " خسروخان " -
 أكبر امراء قطب الدين رغبة نفر من الهندوس اعتناق الاسلام
 حتى رجب بهم السلطان ، الا ان الأمير تعالى باستحياء الهندوس
 نهراً فسمح له بالاتيان بهم ليلاً ، ليكسوهم كسوة الاسلام ،

-
- (١) انظر نزهة الخواطر ج ٢ / ١٥٠ - ١٥٢ .
 - (٢) تاريخ العالم ج ٥ / ٦٢١ . وانظر الأمير شبيب ارسلان حاضر العالم
 الاسلامي ج ٤ / ٢٩٣ والدول الاسلامية ج ٢ / ٦٣٥ .
 - (٣) انظر احمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة
 الهندية وحضارتهم ج ١ / ١٧٧ .

اذ كانت المادة كما حكها ابن بطوطة " أن الهندي اذا أراد الاسلام
ادخل الى السلطان فيكسوة كسوة حسنة ، ويحطيه قلادة واساور من ذهب
على قدره " (١) غير ان الامير غدر به فقتل غيلة على ايدى الهندوس .

(٢) عادت امور الدين والتمسك بها أكثر من بعض اليهود
السابقة لا سيما في عهد التفلقيين ، كاهتمامهم باقامة
الصلوات بالجماعة وتعريف الناس اركانها وواجباتها ، ورفع
المكوس غير الشرعية عن العباد ، ومد الفلاحين بالبذور
والأموال ليستعينوا بها على حفر الآبار وتنمية الزراعة . (٢)

(٣) الاهتمام بشئون العباد المعيشية ، وذلك بوضع حلول يمكن
العمل بها حتى اليوم ، كتحزين الدولة قوت الناس -
وحاجياتها في أماكن تعدها لهذا الغرض ، لا تفتحها الا حين
تخشى ارتفاع الاسعار ، اضع الى ذلك وضعها التسميرة
القدنية المعينة ، لتكون امور المعيشة في متناول الجميع ،
وبالتالى تفسد على المحتكرين خططهم الاستغلالية ، فيعودون
الى السوق وتسفيرة الدولة اودونها . (٣)

(٤) استطاع القرامطة تجميع افرادهم المشتتين في اطراف البلاد ،
وتمكنوا من نشر ما يدينون به سراً بين الناس في العاصمة دهل

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٤٣٤ .

(٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٦٩ و ٥٠٢ .

(٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٣٠ . والهند في العهد الاسلامي

... كإباحة الفحشاء وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ومساندة الهندوسية في بعض معتقداتها - ففضى عليهم علاء الدين الخلجي وطهر المجتمع المسلم من هذه المنظمة. (١)

غير أن هذا المجتمع المسلم بهذه الصفحة الإسلامية البيضاء لم يخل من مظاهر لا تتماشى مع شرع الله ، أهمها :-

(١) تجاوز بعض الحكام في العقوبة الشرعية لبعض الجرائم ، بحجة أن الناس يستخفونها ، فحبس شارب الخمر وبائعها في الآبار ، وعاقب الزناة بقطع أعضائهم أو أعدامهم دون تفريق بين المحصن وغيره. (٢)

(٢) واغرب ظاهرة يمكن لمسها في هذه الحقبة هي تقبيل الأرض بين يدي السلطان ، كإظهار للاتباع وتجديد الولاء ، وتكيفت هذه الظاهرة مع مرور الزمن ، وبرزت أخيراً في صورة السجود أو ما يقاربها بين يدي السلطان ، ونتج عن ذلك ترفع الملك عن الناس وعد نفسه وأسرته وعائلته أفراداً مختارين ومفضلين ، يجب على الرعية تعظيمهم وتبجيلهم ، واستحدثت لهذه الظاهرة اصطلاح " الخدمة " ولم يستثن من أدائها أحد ، وقد امدنا الرحالة ابن بطوطة ببيان غير واف لها حين قال :

(١) انظر خلسيق أحمد نظامي سلاطين دہلی کے مذہبی رجحانات "المیول الدینیة عند سلاطین دہلی" ص ٢٤٦ .

(٢) انظر نزہة الخواطر ج ٢ / ١٦٦ .

" ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير ... ،
 وبه يجلس السلطان الجلوس العام ، فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب
 رأسه من الأرض ، وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا اصابعنا الى الأرض ،
 وخدمنا لناحية سرير السلطان ، وخدم جميع من معنا " (١)

ولم تقتصر " الخدمة " على الملك وحده ، بل تجاوزت الى
 جميع أفراد الاسرة الهالكة ، فأوجبت لام السلطان واخته ... على
 من أراد التشرف برؤيتهم ، حتى ولو كان التشرف زوجا وملا (٢) ،
 بل اتخذت الخدمة مفاهيم أوسع واشمل ففرضت لسير السلطان الذى
 خلا من صاحبه ، وظلته التى طويت لعدم الحاجة اليها ، وأخيرا
 لجهة السلطان . (٣)

(٣) وفى هذا العهد نلص كثرة ارتياد الناس لقبور الصالحين
 شعبا وحكاما ، لالتماس البركة والدعاء ، ورحلة السلطان محمد تغلق
 لزيارة قبر الشيخ الصالح " البطل سالار " التى اشترك فيها
 ابن بطوطة نفسه مثال من تلك الاشلة . (٤)

(٤) حدث فى الصوفية فكرة الانقطاع عن الناس ، والاتجاه الى الكهوف
 والغابات ، والتخلّى عن جميع مستلزمات الحياة ، حتى وصل
 الأمر ببعضهم الى التعمى ونهد اللباس ، بحجة التجرد التام
 عن هذه الحياة . (٥)

-
- (١) رحلة ابن بطوطة ص ٥٠٢ .
 (٢) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٦٥ .
 (٣) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٩٨ .
 (٤) انظر رحلة ابن بطوطة ص ٤٩٤ .
 (٥) انظر نزّه الخواطر ج ٢ / ٩ .

فيروز تغلق وعهد الميمون

ويعتبر فيروز متفردا بين ملوك الهند ، فقد بذل الجهود المضنية في ابطال كل ما وجد ، مخالفا للشرع الخفيف ، فلم يرقى دما حراما ، ولا عاقب مجرما الا من احدى على شئ من محارم الله ، وأصدر مرسوما سلطانيا أوقف به العمل بجميع المقومات التي كان الملوك السابقون يحاقبون بها ، وقد دون ذلك ببثانه فقال : " ان الله عز وجل قد أنعم على هذا المبدبان اخذ الرجاء موضع الخوف ، والأمن انتشر ظله على البلاد . . . ، فلم تبق حاجة الى التعذيب والقتل والضرب والايام . . . ، فلا عقاب اليوم بمثل ما جرى به العمل في سالف الزمان ، انما يعاقب اليوم من احدى على شئ من حدود الله ، حسب ما يقتضيه الشرع ، فيجرى القضاء بحيث لا يحيد عن حدود الشريعة ولا قيد شعرة " (١)

وأمر أن لا يجمع في بيت المال الا ما أخذ بطريق مشروع ، كالخراج والعشر والزكاة والجزية وخمس الغنائم . . . ، وأبطل ستا وعشرين نوعا من انواع الضرائب ، كانت تجبيها السدول السابقة مما لا يسمح به الشرع ، ولم يكن له أصل في الكتاب والسنة .

وفي عهد ظهر الالحاد والزندقة بصور مختلفة ، من اسماعيلية اباحية ، ورافضة اطلقت لسان القدح في الخلفاء الراشدين ، وفي ام المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، وفي اعيان الاسلام وكانوا يجتمعون رجالا ونساء لتعاطي الخمر والفحشاء في ليال معينة ، ومن متكبر يدعى الالوهية في بهار ، فيتبعه عدد غير قليل ، وصوفى يزعم (انا الحق) فيجيبه أهل كجرات (انت انت) ، ومدع للنبوة في دلهي ، يحترف بالاثم غير هياب ، فقضى فيروز تغلق على جميع هؤلاء ، واتباعهم بالقتل والحبس والجلاء ، وظهر المجتمع المسلم من درن المتطفلين ولو الى حين . (٢)

ومن البدع التي حاول السلطان التخفيف من ارتكابها زيارة المسلمات لمشاهد الأولياء ، ومراقدهم أيام الأعياد والمواسم ، فأصدر أمرا بمنعهم من الزيارة ، وتمنيز كل من تتجاسر منهم على ركوب هذا المسلك الوعر ، وتحقيقا لمطلب الشرع ، وسد الباب الفتنة والقضاء

(١) نقلا عن مسعود عالم الندوى تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٣١ .

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٣٤ - ٣٥ . وسلاطين دلهي ص ٤٢٨ .

على ما يخالف شرع الله . (١)

كما طهر رحمه الله حياته الشخصية السلطانية مما يخالف الشرع ، فمنع استعمال أواني الذهب والفضة وملابس الحرير وما نهى الشرع عن ارتدائه ، ومنع تصوير ذوات الروح على الاثاث والستور . . . ، وقوفاً عند أوامر الله عز وجل ، فلانرى بنا ن النقد ترتفع اليه الا في انفاق الاموال الطائلة لتجديد ما اندرس او تهدم من مشاهد أهل الله ومراقدة الملوك . (٢)

ولعل فيروز أول سلطان هندي وقف الموقف الصحيح حول فرض الجزية ، وصنف الناس طبقات وفق أوامر الشرع ، وأعلن اسقاطها عن مسلم من أهل الذمة (٣) كما حدد موقف الشرع من معابد الوثنيين ، فأمر بحفظ التليد وهدم الحديث ، وما أقيم بعد قيام الدولة الاسلامية ، وقوفاً عند امر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤) ومن هنا لم تكن راية الجهاد نشيطة في عهده اذ أكثر تطبيق الاسلام على التوسع في الفتوح اسوة بحمر ابن عبد العزيز رحمه الله .

مميزات عهد الامارات المستقلة :
=====

ما أن لحق فيروز تغلق بخالقه حتى نجم قرن الفتن ، وانفرد عقد الدولة الاسلامية ذات الولايات الثلاث والعشرين ، وباتت الفرصة مهيأة لتدخل المفلول عام ٧٩٩ هـ وتم لتيمور لسنك فتح دهلي عام ٨٠١ هـ ، بعد أن عاش جيشه فسادا في منطقة البنجاب سنتين كاملتين .

وعهد الامارات هذا تميز بامور منها :

(١) ظل الاسلام محط الانظار يسعى اليه كل الامارات المسلمة ، حسب فهمها للاسلام لدخول التشيع وغيره من الافكار المنحرفة الى بعض هذه الامارات ، وكان اشرف مساعيها يتمثل في تحقيق العدل في مجتمعاتها على الأسس الاسلامية ، فسعى القضاء الى تطبيق الشرع في فصل النزاعات واقامة الحدود دون تمييز بين الحاكم والرعية . (٥)

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٣٦ .

(٢) انظر ضياء الدين برني تاريخ فيروز شاهي ص ٧٥٦ ، ٧٦٤ .

(٣) انظر تاريخ العالم ج ٥ / ٦٢٥ .

(٤) " تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٣٧ .

(٥) " نزهة الخواطر . . . ج ٤ / ١٣٩ ، ٣٥٦ .

(٢) بذل الكثير من القضاة والتجار وأصحاب المناصب العليا في هذه الامارات جهوداً مشكورة لخدمة العلم ، من اقامة المكتبات ، وجلب العلماء الاكفاء ، وبناء المدارس لنشر الوعي بين الأمة ، ومنهم من ألزم نفسه بدفع نفقات الطلاب والمعلمين العلمية والمعيشية ، لتعم المعرفة كل طبقات الشعب ، ومنهم من تخلص عن جميع ممتلكاته لخدمة هذا الجانب من الاسلام . (١)

(٣) تقدم أفراد من الأمة فعقدوا الالوية الطوعية للجهاد ورد العدوان ، دون الانضمام الى الجيوش النظامية ، التي أصبحت لا تتحرك الا لمصالح سياسية ، فخدم المتطوعون العقيدة في احلك الظروف ، وضحوا في سبيلها بكل غال ورخيص ، حتى الأهل والامارة ، ومدوا يد العون الى كل منطقة مسلمة أصيبت بمكروه من اغلبية عداة الأوثان . (٢)

(٤) كثر التنديد على البدع ، فكف من منكر على تجصيص القبور وسرع بالتبذير فيما انفق عليها من اموال بيت مال المسلمين ، وكف من مندد بالفناء والثواجد الصوفيين ، مرجعهم في ذلك الكتاب والسنة وسلف الأمة رحمهم الله ، (٣)

غير أن هذه الاتجاهات الطيبة الكثيرة صاحبت القليل من المظاهر التي لا يرتاح اليها الاسلام منها :-

(١) وجد التصوف منفصلاً جديداً في الحياة ، لا يثار سلسل الشمال حياة التعبد والهدوء على النزال والحركة من جهة ، ولعدم ساس تيمور حياة المتصوفة بسوء يذكر من جهة أخرى ، فنشأت الرغبة الملحة في الانقطاع والتجرد ، نتيجة الفراغ الذي أعقب الغزو ، فساد التصوف حياة سلس الشمال ملكاً وشعباً وامراً بالجملة ، يقول أحمد محمود السعيد اتسنى عن آخر سلاطين السادات نواب تيمور وقصد التأمرون من بعد ذلك الى السلطان علاء الدين بمقامه في بيانه (٤) يعلنون

(١) انظر نزاهة الخواطر ج ٣ / ٧١ ، ٩٩ و ج ٤ / ٢٩٩ .

(٢) انظر نزاهة الخواطر ج ٣ / ١١٤ - ١١٦ و ١٤٩ .

(٣) انظر نزاهة الخواطر ج ٣ / ٤٥ و ج ٤ / ٨٦ .

(٤) لعل الصواب مدينة بدايون انظر نزاهة الخواطر ج ٣ / ٤٣ .

ولا هم له ولكنه كان من الزاهدين» (١)

ويقول صاحب نزهة الخواطر ٠٠٠ عن الامير الصوفي سارنك اللهنوي "احد كبار المشايخ الجشتية" كان من امراء السلطان فيروز شاه دهلوي ملك الهند ٠٠٠ ثم أخذته الجذبة الربانية ، فترك الامارة وصحب الشيخ قوام الدين بن ظهير الدين الكروي ، وتلقى الذكر منه» (٢)

(٢) اتخذ التصوف شكلاً جديداً في حياة المسلمين ، فبدأ يحول دون اكتساب العلم والمعرفة ، وينحصر في الذكر واعادة ما لا يفقه كثيراً ، وقد حكى صاحب نزهة الخواطر عن الامام الصوفي أحمد بن عرانة سافر الى دهلوي لتلقى العلم من أخيه تقي الدين " فأقسام عنده مدة ولم يبلغ درجة العلم ، لئلا يلهي الزهد والمجاهدة» (٣)

بل تقدم التصوف خطوه أخرى حين لم يلق النجاح المطلوب من الناس عن العلم ، فزحف الى ينابيعه لتجفيفها ، حيث ترى نفرا من أهل العلم يترك منصة التدريس وافادة الامة ، وينقطع الى الذكر والمجاهدة ، وكأنه في الآخرة قبل الآخرة ومنهم من لَوْن مياه الأنهر بكتبه التي كان يملكها ، لئلا تحول دون الاستغراق وتصور الملا الأعلى . (٤)

ومن لم يصل الى الوجد والطرب " كنه الحقيقة " اباح له دين بعض الصوفية السكر وشرب ما يذهب بعقله ، للوصول الى الهدف المطلوب ، وقد طعن هذا المحذور الشرعي عند شيخ الصوفية الصدارية ، فأتى اصحاب هذا المسلك كل ما يأتيه فاقد العقل من كشف العوره والهديان ٠٠٠ ، فادعى بديع الدين المدار الحلبي أنه أحد الأقطاب الذين عليهم مدار العالم ، وأن تصرفات الكون لا تعدوه ، وأنه يحيى الموتى ، ولا يحتاج الى طعام ، ويقول عنه اصحابه " إن على وجهه أنوار الله ، فمن يراه يرى في وجهه جمال الله ، ولذلك يضطر الى السجدة له» (٥).

(١) تاريخ المسلمين في ج ٣٣٨/١

(٢) عبد الحى الحسن ٧٦/٣ ، وانظر أيضا ج ٣٢/٣ .

(٣) عبد الحى الحسن ج ٨/١ و ج ٣٠٧/٤ ، ٢٣ .

(٤) انظر نزهة الخواطر ج ٤٥/٣ ، ٨٧ ، ١٦٩ ، ١١٢ .

(٥) انظر نزهة الخواطر ج ٣٧/٣ و ٨٥ .

وانى لاستشف من الصفات التى وصف بها الشيخ المدار أنه أحد أقطاب الاسماعيليه الهاخانيه الذين اضطروا للهجرة الى الهند حفاظاً على حياتهم امام ضربات اسماعيل بن حيدر الصفوى الفارسى .

(٣) وأهم خطر داهم جنوب الهند وسواحلها الغربية فى عهد الامارات السلطنة هو التشيع وحمل الناس قهراً على اعتناق المعتقدات الامامية الاثنى عشرية ، كما وقع فى اماره بيجابور الدكنية ، ابان حكم عادل شاه ، وعلى عادل شاه ، رغم أنهم ينتسبان الى الاثراك الدعاة الامامية دون نزاع . (١)

وشمال هذه الامارة وشرق بومباى تقع اماره أحمد نكر ، التى حملت لواء نصر التشيع الاسماعيلى الهاخانى ، حين أوت امام الاغاخانيه طاهر بن رضى القزوينى المهدى الفارسى قسوة اسماعيل الصفوى ، فأمن بدعوتهم "برهان نظام امير أحمد نكر" وثلاثة آلاف من خدمه وأهل بيته ومضاقت الأرض بما رحبت على أهل السنة ، ويصف مؤرخ الهند ذلك الوضع فيقول : "تشيع وبالحق فى ذلك حتى أنه امر الناس أن يسبوا الخلفاء الثلاثة فى المساجد ، والخوانق والاسواق والشوارع ، وجعل الارزاق السنوية للسايين من خزائنه ، وقتل وأسر خلقاً كثيراً من أهل السنة والجماعة" (٢) وفى ولاية كجرات وما والاها شمالاً وجنوباً وجد دعاة الاسماعيليه البهرة أرضاً خصبة لبث أفكارهم فنقل يوسف بن سليمان السده بورى الدعوة الطيبة من اليمن الى الهند . (٣)

(٤) وفى هذا التشتيت غير الواعى حظ البرتغاليون رحالهم فى مرفأ جواه ، كتجار سافرين ، ليس لهم هدف سوى التجارة ، بيد أنهم تشبثوا بذلك البناء لمسالمة أهله (٤) . وازدادوا تمكيناً لدهم يد الحون للشخصيات الشيعية البارزة ، التى قصدتهم فراراً من سيف اسماعيل الصفوى ، فاوصى السواردون بدورهم اتباعهم بمسالمة أصحاب المرفأ ، وعدم مس مصالحهم بسوء ، شكراً لصنيعهم وتقديراً ، وتلك هى بداية استقرار الاوربيين فى

(١) انظر مسعود عالم الندوى مجله الفتح ٣٩١/١٠ ونزهة الخواطر ٣٩٧/٤ و ٢٣٢ .

(٢) عبد الحى الحسنى نزهة الخواطر ٥٣/٤ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ٣٩٥/٤ و ٦٩ و ١٠٧ .

(٤) انظر مانوراموداك ، الهند شعبها وأرضها ص ١٢٠ .

الهند . (١)

(٥) وإذا اتجهنا الى أقصى الشرق نجد من حكام البنغال عند أوائل القرن العاشر من الهجرة حسين شاه ، الذي اختلق مذهبا جديدا بمنح المعتقدات الوثنية وحقائق التوحيد ، كل ذلك لتوطيد السلطة ، وارضاء الهندوس على حساب الاسلام . (٢)

وعانت كشمير قبل البنغال بقليل من مثل هذا الاجحاف ، حين تودد زين العابدين أمير كشمير الى الهندوس بمنع ذبح البقر ، والسماح لنسائهم باحراق أنفسهن حسب ديانتهم الوثنية ، واجازة الكفار الذين اسلموا هربا من الجزية في عهد أبيه أن يرتدوا عن الاسلام ، ويهودوا الى ماكانوا عليه قبل التوحيد . (٣)

(٦) وانتج هذا التساهل أن وجد مؤسس الفرقة النوربخشية الشيعية ارضا خصبة لبث أفكاره في كشمير ، وما جاورها شرقا وغربا وشمالا من المناطق الجبلية النيعه ، ابان عهد السلطان زين العابدين ، فادعى المهدية واحقيه الخلافة ، وتوسط بين أهل السنة والشيعه الامامية الاثنى عشرية في فروع الفقه المختلفه . ويؤمن مؤرخ الاغاخانية على محمد جناراً أن محمد نور بخش هو احد دعاة الاسماعيليه ، اشترك معه كمال الدين الثاني في وضع الاسس المذهبيه النوربخشية ، وهذا ينتسب هؤلاء الى الاسماعيليه إن صح الخبر . (٤)

(٧) قد استغل هذا الوضع المصاب بالتمزق والوهن في وسط الهند السيد محمد ابن يوسف الجونبوري ، فادعى المهدية عند انسلاخ القرن التاسع من الهجرة ، وشطر الامة المسلمة بعلمائها وقضاتها وامرائها الى شطرين ، مصدق ينصر دعوته ويمد حركته بالرجال والعتاد ، ومكذب يفتى بأرهاق روحه وينسب اليه الزندقة والالحاد .

(١) انظر ارنولد تونبي مختصر دراسة التاريخ ٢٩٥/٣ ، والقسيس بركة الله مغلبيه سلطنت اورمسيحييت (التنصير والدولة المغلبيه) ص ٦٦. ونزهة الخواطر ١٦٣/٤ ، وذلك برسو الرحالة فاسكودي جاما البرتغالي عام ١٤٩٨م - ٩٠٥ هـ بجوا أولا ثم كالى كوت ثانيا .

(٢) انظر تاريخ المسلمين ٢١٨/١ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ٧٢/٣ .

(٤) انظر محمد بن ملا طبقات نورية لمر احوال نوربخشية ص ١٢٥ - ٢٨ اوفى محمد جنارا نور مبین . جبل الله المتين ص ٥١٥. ونزهة الخواطر ١٤٢/٤ .

وكانت أشد المناطق افتئانا بهذه الحركة هي مناطق جنوب الهند وغربها - اماكن التشيع والرفض المذمومين - ويصف عبد الحى الحسنى موقف الأمة من هذه الدعوة فيقول : " وادعى - محمد بن يوسف .. فيها - في مدينة فتن بكجرات مرة رابعة أنه مهدي من الكره فقد كفره ، فتعقبه العلماء وباحثوه ونفوه من ذلك المقام أيضا ، فرحل الى بلاد السند ودخل الناس في دينه أفواجا ، فأمر بقتله صاحب السند ، فشفع له ندماؤه . وأمر باخراجه من أرض السند ، فرحل الى خراسان ومعه ثمانمائة رجل من أصحابه " (١)

ولم يزل أعقاب هؤلاء في دكن وكجرات وجى بور وكراتشى يؤمنون بمهدية السيد حتى اليوم ، ويقوم مذهبهم على ترك الحياة العاجلة ، والعزلة عن الخلق ، والهجرة عن الوطن ، وصحبة الصديقين ، ودوام الذكر ، وإعطاء العشر ، وطلب مشاهدة البارئ عز وجل . (٢)

(٨) وأهم انحراف وضعت لبنة بنائه في هذا العهد المنحل ان سمح بعض ذوى العقول من العلماء لاتباعهم بالسجود لهم تعظيما وتكريما ، ولم تجد هذه الظاهرة اليد الحديدية التي توقفها عن الزحف ، وتطهر البلاد من امثال هؤلاء المتلاعبين ، وتوقفهم عند حدودهم في شريعة الله . (٣)

(٩) شارك بعض ملوك هذه الامارات في اللطرب والغناء ، حتى ضرب بسهم ملموسا ليفا واختراعا ، ومن العلماء من شارك في الكتابة عن اباحة الغناء (٤) ، وكان الأمر من قبل لا يعد والمشافهة والمناقشة ، اللتين كثيرا ما أفضتا الى تغليب جانب الحرية على غيره .

(١٠) وآخر ما نلمسه من المظاهر غير المتمشية مع الاسلام ابان حكم هذه الامارات هو بدعة دفن المشائخ والعلماء في ركن من أركان المسجد أو المدرسة ، أو غرفة من غرف الدار المسكونة ، عوضا عن المقابر وأماكن الدفن البعيدة عن العمران . (٥)

(١) نزهة الخواطر ج ٤ / ٣٢٣ .

(٢) انظر الدكتور شيخ محمد اكرام رود كوثر (نهر كوثر) ص ٢٧ - ٣٠) وبعد الشكور سيواتى احسن البيان في تنبيه الفرق والاديان ص ١٦ ونزهة الخواطر ج ٤ / ٣٢٥ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٦٩ .

(٤) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٦٣ و ج ٤ / ٤٩٧ .

(٥) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٢١١ ، ٥٠ ، ١٤٩ ، ١٧٣ و ج ٤ / ١٢٠ .

الفصل الثانى

* المجتمع المسلم فى عهد المغول *

ويشتمل

(على النقاط الرئيسية التالية)
=====

- (١) سياسة المغول فى الحكم .
- (٢) الملك أكبر ونتائج انحرافه .
- (٣) مرسوم العصمة وآثاره .
- (٤) التنصير وموقف أكبر منه .
- (٥) مقاومة انحراف أكبر ونتائجها .
- (٦) مميزات عهد جهانكير وشاهجهان .
- (٧) اورنگ زيب ومميزات عهده اليمون .
- (٨) " " فى نظر أعدائه .

الفصل الثانى

سياسة المغول فى الحكم :

منذ اكتسب بابر مؤسس الدولة المغولية معركة "بانى بت" من اللودهيين عام ٩٣٢ هـ سهل عليه اخضاع الولايات المستقلة ، ولم يمت حتى ضمت دولته أغلب تلك الولايات . وأهم ما يوقف الدارس من أعمال هذا الفاتح هو وصيته ، التى غللت محور الحكم وسياسة الدولة تجاه المحكومين قرابة قرن من الزمان ، فقد أوصى بابر أبناء الملوك عند الموت فقال : " ابنائى إن من نعم الله عليكم أن منحكم سلطة الهند ، وملككم على أهلها المختلفين فى الديانة والمذهب فراعوا الأمور التالية :-

(١) سلوا التعصب المذهبى من سويداء قلوبكم ، واعدلوا بين الناس مع مراعاة مذاهبيهم ووجدانهم .

(٢) اياكم وذبح البقر ، وسيجد ترفعكم عنه مكانا محترما فى قلوب الناس ، فيشكروكم بالامثال والطاعة .

(٣) اياكم والتعرض لمعابد القوم بسوء ، واعدلوا بين من تحكمونهم لتبقى صلة الصفاء بينكم فيعم الأمن اطراف البلاد .

(٤) إن نشر الاسلام بسيف الرأفة والاحسان أفضل من سيف الظلم والتعدى .

(٥) غضوا طرفكم عن اختلاف الشيعة والسنة ، ففى اثارته قتل للاسلام .

(٦) وليكن ما تختص به امة من امم رعاياكم ، كفصول السنة حتى تسلم الدولة من العلة والوهن " (١)

وانك لتشعر بالاجحاف المكشوف فى الوصية تجاة الاسلام . لذا مدح ريتان الفرنسى بابر فى ضوء كتابه بابرنامه " فقال : " فتجد فى تلك الأسطر كلاما معقولا مع اصالة الراى

(١) انظر نص الوصية محمد ميان ، علماء حق اوران كى مجاهد انه كارنا فى العلماء الربانيون وأعمالهم البطولية ص ١٣ . ورود كوثر ص ٢٣ . ومسلم ثقافت ص ٤٧٩ .

ورقة الطبع وشدة الجلد ، بدون تعصب ديني ومع عدم اهتمام زائد بالاسلام ، الا في احايين يظهر عليه فيها اثر الدين (١)

الملك أكبر ونتائج انحرافه : =====

تولى أكبر سدة الحكم بعد موت والده همايون بن بابر عام ٩٦٤ هـ ، وهو حدث لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، فتاب عنه وزيره الشيعي بيرم خان ، فطفق يحابي أبناء مذهبه ويخصهم بالمناصب الرفيعة في الدولة ، ويمعن في اضطهاد السنيين ، أصحاب الغالبية بين مسلمي الهند (٢)

وفي عام ٩٦٩ هـ تسلم أكبر زمام الحكم في يده ، وكان اميا صرفاً نشأ على حب الاستطلاع والتطلع الى المعرفة لجبر النقص الذي أصابه من عدم التعليم في صباه ، فحشد جملة من المشائخ في بلاطه ، وأخذ يسألهم ويناقشهم في مسائل الدين ، حتى جنح الى أن الأديان كلها حق وأن الاسلام لا يمتاز على غيره بشئ ، فسعى الى ايجاد ثقافة موحدة بين الهندوس والمسلمين لازالة ما بينهما من عوامل التمييز والتفرقة .

والذي بلغ باكير الى ما وصل اليه من اختلاق مذهب يجمع بين المعتقدات المتضاربة والنحل المختلفة أموراً همها :

(١) جمع العلماء في النادي عبادتخانه " على أساس التنافس ، وابرار العضلات العلمية ففتح عنه تنقيص بعضهم لبعض ، وشتم بعضهم بعضاً ، دون وازع من الدين أو الضمير أو الانسانية ، ما ازال هيبة الاسلام ، ووقاره من عقل الملك وزهده . (٤)

(٢) نشوء أكبر في بيئة شيعية اذ ولد من أب سني وأم شيعية ، واحكم الحلقة وزيره بيرم خان ، اذ عين له عبد اللطيف الشيعي مربيا ومعلما .

(٣) كثرة لجوء علماء الشيعة البارعين في المنطق والفلسفة الى أرض الهند ، محتمين بحص

-
- (١) لوثرروب حاضر العالم الاسلامي ج ٢٩٨/٤
(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٦٠ وتاريخ المسلمين ج ١٠٣/٢ .
(٣) انظر رودكوثر ص ١٢٦
(٤) انظر هـ ج ولز معالم تاريخ الانسانية ج ٩٥٩/٣

أكبر ، أمام ضربات اسماعيل الثاني الصفوى ، الذى أعلن تَسَنُّهَ امام الملاء ، وظهر كراهيته للمذهب الشيعى والشيعة دون وجل . (١)

(٢) زواج أكبر باميرات هندوسيات ، ظللن متمسكات بعبادة الأوثان داخل القصر الملكى ، وهؤلاء لم يدخرن جهدا فى تهنيده وصرفه عن وجه الحق ، ومنهج الصواب .

(٣) حركة الترجمة الضخمة للكتب غير الاسلامية من البرهمية والبوذية والنصرانية الى اللغة الفارسية ، فقد أمر بنقل " آتَهَرِيْن وَيْد " - رابع كتب الهندوس المقدسة - " وَمَهَابَهَارْت " ، " رومائن " - فى تاريخ الهند - كما أمر بترجمة الانجيل وكليلة ودمنة والناجك فى التنجيم - " وَمَهَاكوت كِيْتَا " وِرَاك سَاكِرْ فى الموسيقى . (٤)

(٥) مضافا الى ذلك اميته وجهله ، وعدم معرفته الكتابة والقراءة ، اذ أدى اضطراب حياة ابيه الى حرمانه من التعليم ، فتولى الملك صبيا ، فمنعه غرور السلطان وابهة البلاط من أن يذعن لأحد من العلماء ، ويأخذ عنه امور الدين .

(٦) أخيرا لحوق الدهاة من دارسى الفلسفة والحكمة بأكبر عن طريق " عبادتخانه " كمبارك ابن خضر الناكورى ، وابنيه ابى الفضل وفيضى الشيعيين ، والحكيم ابى الفتح ، والملاحم محمد اليزدى ، وتاج الدهلوى ، ومير محمد شريف الآملى الوجودى ، وكان أكبر قبل لحوق هؤلاء به لا يشغل نفسه الا بالمعروف من الشرع ، ومعد لحوقهم به شغلوه بعلوم الفلسفة والأسرار الصوفية الحلولية الوجودية ، زاعمين الوصول الى الحق المجرد وكس الحقيقة .

مرسوم العصمة وآثاره :

ولهذه الأسباب وغيرها جرت السنن الالهية الكونية ، فحدثت زعزعة فى كيان أكبر الداخلى ، فاستغل الشيخ مبارك الفرصة فوجهه وجهة معينة - أثر تنفيذ حكم الاعداء فى البرهمنى الذى سبب صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ، رغم عدم استحسان أكبر لذلك الحكم - بتقديم مرسوم

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٠١ .

(٢) انظر معالم تاريخ الانسانية ٩٥٩/٣ ونزهة الخواطر ج ٥ / ٧٨ و ٢٣٨ .

العصمة اليه عام ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م مذيلا بامضاءات أشهر العلماء ، وتضمن " ان الهند أضحت بسياسة عدل السلطان بلاد الدعة والأمن ، فقصدتها رجال العلم من العرب والعجم... " والآن يعلن جمهور العلماء الذين تضلعوا في العلوم النقلية ، وفاقوا اقرانهم في الفنون العقلية ٠٠٠٠ ، بعد ما تدبروا معاني الآية الكريمة " اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولسى الأمر منكم " وامنوا في مفزى الأحاديث الشريفة " ان أحب الناس الى الله يوم القيامة إمام عادل " ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني " وتغبطوا الى غيرها من الشواهد العقلية والدلائل النقلية .

" ان السلطان العادل أرفع درجة عند الله من العالم المجتهد ، ويصرحون بأن سلطان الاسلام أمير المؤمنين ظل الله في الأرض الملك الغازي ابا الفتح جلال الدين محمد أكبر - خلد الله ملكه - أعدل الملوك وأعقلهم وأعلمهم .

" فاذا عرضت مسألة من المسائل التي تضاربت فيها أقوال الأئمة المجتهدين ، وأراد الملك أن يعزز جانباً ، ويرجح رأياً مستنداً الى ثقب ذهنه ٠٠٠٠ ، تسهيلاً للأمة وتحسيناً لإدارة السلطة ، وجب على الجميع الخضوع لأمره والعمل به .

" واذا أصدر الملك أمراً لا يعارض النص ويحتوى على ما فيه ترفيه الشعب وجب العمل بمقتضاه ، وان من يخالف أمره من رعيته يستحق العذاب في الآخرة ، والخسران في الدين والدنيا جميعاً " (١)

ولو نظرت الى الرسوم يتمعن فلن يصعب عليك الحكم بأنه صيغ ليكون الملك محور التشريع ينقض من أحكام الشريعة السمحاء ما يشاء ، ويضيف اليها تحت ستار الاجتهاد والمصلحة ما تملى عليه نفسه وهواه ، وانك لتشتتم من كلمات الرسوم " امام " "المجتهد " " ظل الله في الأرض " " الترفيه " انها تومئ الى الفكر الشيعي بنوعيه ، الاسماعيلي والامامي - كما أنها تشير الى الفكر الحلولي .

(١) انظر ، تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٨٣ الى ٨٥ بتصرف بسيط بعد مراجعة النص الفارسي في رود كوثر ص ١٠٣ وتعريبه في نزهة الخواطر ج ٥ / ٧٥ ، وملخصه في قصة الحضارة ص ١٤٢ .

وسرعان ما أخذ المحضر طريقه الى العمل ، فاباحت متعة النساء ، ونكاح المسلم بالوثنية (١) والغيت الجزية عن المشركين ، وحرم على الناس أكل لحوم الحيوانات الأليفة من البقر والشيء ... ، وأباح أكبر البغاء والخمر والربا والقمار ، وأسقط العقوبات الجسدية الاسلامية جميعا ، وحرم على المسلمين التزوج ببنات العم والعمة والخال والخالة وأسقط الاغتسال من الجنابة ، بـل أمر بالاغتسال قبلها ، وزعم أنها أوفق للصحة ، وأنشط للسجود ، كما حرم صيام رمضان بحجة نقصان الانتاج ... (٢)

والقول الفصل ان الامثال لاحكام الاسلام مع مراعاة تشريعات أكبر اصبح محالا وضربا من العبث ، فما من تشريع الهى الا مسته يد التحريف ، وازاحته عن ميدان العمل وساحة الدين الحنيف ، وتدرج صاحب المراسيم فى الاجتهاد من الفروع الى الأصول فقال بخلق القرآن ، والتشكيك فى النبوات باستحالة الوحي ، وانكر الحشر والنشر والمعجزات والملائكة والجن وسائر المفنيات ، وجوز التناسخ على الطريقة الهندوسية . (٣)

وأخطر هذه التشريعات هو تشريع السجود للملك ، كالسجود لرب العالمين ، واستبدال " كلمة لا اله الا الله أكبر خليفة الله " بكلمة الشهادة ، والسماح للناس بالارتداد عن الاسلام ، وانهم مخيرون فى اختيار الديانة بين الاسلام وغيره .

النتيجه وموقف أكبر منه :

ولأول مرة فتح باب التنصير ، وأصبح قسر المسيحية يحرمون الهند ، ويقومون بتبليغ التثليث ، ويتهمون على الاسلام وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بمساندة الدولة ، وقد ذكر القس بركة الله نتائج البعثة المسيحية الثالثة فقال : " عندما وفد على أكبر الوفد المسيحى الثالث بلاهور عاصمة ملكه رحب بهم ، وسمح لهم بتبليغ مذهبهم الى الناس ، وأمر ألا يضايق ولا يمانع من يقبل المسيحية ، كما سمح لهم ببناء كنيسة عند قصره " . (٤)

(١) انظر الأمير شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامى ج ٤ / ٣٠٢ .

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٧١ الى ص ٨١ .

(٣) انظر حاضر العالم الاسلامى ج ٤ / ٣٠٢ . ونزهة الخواطر ج ٥ / ٧٧ .

(٤) مغلبة سلطنت اوسمحييت ص ٢٠٠ وانظر العمل التنصيرى بالتفصيل ابان عهد أكبر فى رود كوثر ص ١٣٨ - ١٥٦ وتاريخ المسلمين ج ٢ / ١٣٤ ، ١٣٦ .

هذا وقد تعمقت تشريعات أكبر في أبراز ظاهرتين خطيرتين : ظاهرة القول بوحدة الوجود ، وظاهرة التشيع ، وتعنى الأولى أن للوجود ظاهراً وباطناً ، وأن الباطن هو النور ، وأنه بمنزلة الروح لجميع العالم ، وأن ظل ذلك النور هو الوجود الظاهر الذى يشاهد فى صور الممكنات ، وأن الاسماء والصفات والأفعال الظاهرية بمنزلة الأمواج من البحر والجملة فإن أفراد الكائنات هى صور متجلية للحق تبارك وتعالى ، سبحانه الذى خلق الأشياء وهو عينها ، وأن الكثرة الاعتبارية هى الوحدة والتوحيد فى الحقيقة والواقع ، وأن وجود الممكنات هو عين وجود الواجب تعالى وتقدس جل وعز . (١)

وقد يكون لعقيدة التناسخ الوثنية الهندوسية دخل فى شد أنور هذه النظرية ، إذ التناسخ الهندوسى يصل بالارواح الطاهرة فى المقامات العليا الى الاتحاد بالرب عز وجل ، كما تعود بالنجسة لتشكل حلقة الحياة فى صور الحيوانات الكريهة .

وترأس هذا الاتجاه الخطير الشيخ محب الله لاله آبادى ، وأمان الله البانى بتى ، فقاما بنشره بين الأمة ، معتقدين بالوحدة المطلقة من أن العبد عين الرب ، وأن الرب عين العبد ، وتوسع بعضهم فسمى كل ما وقع تحت بصره الهأ ، فتبعهم العديد من المشائخ والصوفية ، وأصبح النكير عليها ضرباً من العبث ، وصنفت العديد من الرسائل والكتب لاثبات هذا التوحيد المزعوم . (٢)

أما ظاهرة التشيع الاثنى عشرى فقد ورثها أكبر من تركه أبويه ، إذ لم يمد طمها سب شاه الصفوى - شاه ايران يد العون الى همايون لاسترداد الهند - الا بعد أن أخذ عليه العهد بمؤازرة التشيع ، وسواء اعتنق همايون التشيع أو لم يعتنقه فقد أذن بنشره بين السنيين الهندود ، وذلك بفتح باب الهند أمام علماء الشيعة المهاجرين ، ليثروا نزعاتهم تحت حماية الدولة فى عهده وعهد ابنه وحفيده . (٣)

(١) انظر نزهة الخواطر ج ٣ / ٣١١ ، ونزهة الخواطر ج ٤ / ١٧٤ و ٢٣ و ٣٢ و ٤٩ و ٢١٦ .

(٢) انظر للتفصيل نزهة الخواطر ٠٠٠ ج ٥ / ٣٢ ، ٦٩ ، ١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٣ .

(٣) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٥٦ . ونزهة الخواطر ج ٥ / ٤٢ و ٧٣ .

نور الخواطر ج ٥ / ١٧٤ و ٢٣ و ٣٢ و ٤٩ و ٢١٦ .

نور الخواطر ج ٥ / ٣٢ ، ٦٩ ، ١٦٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٣ .

مقاومة الأمة لانحراف أكبر ونتائجها :

وكان من الطبيعي اثر هذه التشريعات والسماحات من حاكم أتى الى منصة الحكم عن طريق انتسابه الى الاسلام — أن هبت رياح المعارضة والمقاومة في العديد من أجزاء الهند المسلمة ، وعلى جميع المستويات شعبا وعلماء وامراء ، كل في دائرته حيث وقف الكثير من الأمراء موقف المقاوم المعاند لأفكار أكبر وتشريعاته ، فترى ميرشهباز خان كبوينزع يده من يد أكبر خشية فوات فريضة المغرب ، رغم الحاح أكبر بأدائها قضاء ، والأمير مرزا عزيز الدين — رئيس الوزراء وأخو أكبر من الرضاع — كان يغلظ عليه القول فيما يخالف الشرع فعزله السلطان لذلك ، فقبل تلك التتحية باستبشار صيانة للدين والشرع الحنيف ، ولم تكن ثورة الأمير جلال الدين المسلحة في " سَوَات " و " بَا جُور " الا من هذا القبيل . (١)

وكان العلماء أشد جرأة من هؤلاء جميعا ، فترى القاضي يعقوب المانكجورى يفتى بتحريم المتعة خلافا لاباحة أكبر اياها ، ويفتى قاضي القضاة محمد اليزدى الشيعى على الملا بكفر أكبر عام ٩٨٠ هـ ، ويوجب شهر السيف في وجهه ، ويتصدى المحدث ابراهيم الأكبر آبادى والشيخ حسن الأجميرى للملك في تحيته السجودية . (٢)

وتكاتف علماء الجنوب جميعا تجاه هذا الطغيان فحدثت ثورة شملت البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وقد تداركها أكبر بالمكر والخديعة ، والدهاء والوقية ، فنفى رؤساء العلماء كشيخ الاسلام مخدوم الملك عبدالله السلطانجورى ، وصدر الصدور الشيخ عبدالنبي ، وكثيرا غيرهم الى الحجاز ، بعد أن هيا لهم الزاد والراحلة بحجة وجوب الفريضة ، وأمرهم ألا يعودوا الا بأذنه ، ودفن الآخرين في كهوف وهم أحياء ، وسجن من تبقى منهم كالقاضي يعقوب والشيخ حسين الأجميرى في القلاع النائية . (٣)

(١) انظر للتفصيل رود كوثر ص ١٤٢ ونزهة الخواطر ج ١٧٠/٥ و ٢٧٢ و ١١٥ .

(٢) انظر رود كوثر ص ١٠٥ ونزهة الخواطر ج ١٣٥ ، ٤/٥ .

(٣) انظر نزهة الخواطر ج ١٣٥/٥ . رود كوثر ص ١٠٥ .

وقد أنتج هذا الاضطهاد حدثا تفتخر به الهند حتى اليوم ، اذ دخل علم السنة بصورة منتظمة اليها ، وذلك بعد تأمين الطريق البحرى لاداء فريضة الحج ، فحمل العديد من العلماء علم الحجاز بالحديث الى الهند ، واجدر هؤلاء بالتتويه تلامذة المحدث أحمد بن حجر الهيتمي المكي وعزيز الدين عبدالعزیز الزمزمي ، اللذين كانا موظفين من قبل السلطان محمود الكجراتى بمدرسته فى مكة حرسها الله - والمحدث عبدالحق الذى خدم السنة - فى كتيبه المتعددة خمسين عاما بعد أن تحملها من الحجاز . (١)

ولم يفارق أكبر الحياة حتى شاهد انهيار دعوته ، وفشل تشريعاته بام عينيه ، وقد ندبه ول ديورانت بقوله " وهكذا قضى الملك أكبر دون أن يجد من يصل على روحه ، بسين انصاراية عقيدة أو مذهب ، ولم يشيع جنازته عدد كبير من الناس ٠٠٠٠ ، مع أنه أعدل وأحكم حاكم شهدته آسيا فى كل عصورها " . (٢)

مميزات عهد جهانكير وشاهجهان :

لم يرض أعيان الأمة المسلمة بمبايعة جهانكير بن أكبر عام ١٠١٤ هـ الا بعد أن أخذوا عليه العهد بالعودة الى الاسلام ونبذ كل ما يخالفه من التشريعات الأكبرية ، وتميز مجتمع هذا العهد بأمور أهمها :-

(١) ركز العلماء جهودهم على اصلاح التصوف ، ورد ما فقه الحلول والتشيع وعظمة الملك ، فوقف الشيخ أحمد السرهندى - مجدد الألف الثانية - والشيخ أحمد محمد البجوارى ومن على شاكتهما موقف العزيمة من سجدة التحية ، وأبوا أن يأخذوا بالتأويل والرخصة ، وفضلوا الفريضة والسجن على السلامة والامان . (٣)

(١) انظر للتفصيل علم حديث مين باك وهند كاحصة ص ١٢ ، ونزهة الخواطر ج ٢٠ ، و ٢٨٧ و ٣٥١ .

(٢) قصة الحضارة ٣ / ١٤٤ وانظر حاضرم العالم الاسلامى ٣٠٦ / ٤ .

(٣) انظر بدر الدين سرهندي حضرات القدس ص ٨٩ - ٩٠ وزود كوثر ص ٢٦٩ ، ونزهة الخواطر ٤٣ / ٥ ، ٦٨ .

وشاركهم الشيخ آدم بن اسماعيل البنورى والشيخ عبد الباقي السهارنبورى ، والمحدث عبد الحق الدهلوى فى ارجاع التصوف الحلولى الى ديانة التوحيد ، بانشاء الطرق الصوفية الحديثة ، وانما القديمة الوثيقة الصلة بالاسلام ، تلبية للاعتقاد السائد آنذاك أن اسلام المرء لا يقبل عند الله مالم يكن على صلة بطريقة من طرق التصوف (١)

(٢) رغم عدم اعتناء الدولة بالدين ، ولا سيما فى باب بعض الحدود ، نجد أن بوادر العودة الى الشرع وضعت بذورها فى أوائل هذا العهد ، اذ بذل العلماء ورجال الاصلاح العديد من المحاولات للعودة الى الاسلام ، وما يخدم أهدافه السامية ، فما ترجمة القرآن الى الفارسية واعانة الايامى على الزواج وتحمل نفقات النكاح الاجزء من تلك النهضة الشاملة ، التى أعادت الاسلام بجميع فروعها الى حياة المسلمين ايام حفيد جهانكير . (٢)

(٣) ادرك المجتمع المسلم عن طريق العلماء ، خطر التنصير والتشيع ، اللذين كانا ينفران عقيدة التوحيد ، فحاول الحد منها بالجهاد حيناً والنصح والارشاد أحياناً اخرى ، فما معارك شاهجهان فى " هوكلى " ضد البرتغاليين ومعاركه فى "غو" لكدة " وسىجابور " ضد الشيعة الاجزء من ذلك الحد ، ومنع للانحراف من الانتشار . (٣)

غير أن الحاد أكبر هياً فرصاً لأمر مبتدعة ، لم يكن للمجتمع المسلم عهد بها نوجزها فيما يلى :

(١) تبذير الأموال على بناء المشاهد والقبور ، وانفاق ما ينفق الدولقعدة سنوات على مقبرة من المقابر ، وكأن بساطة الاسلام وهديه لم يعد لهما وجود فى وسط هذا البذخ والاسراف ، رغم أن مثل هذه البناءات كانت موضع ترحيب واعتزاز عند الفنانين والمشتغلين بفن العمارة الاسلامية .

(١) انظر نزهة الخواطر ١/٥ ، ١٩٩ - ٢٠٦ .

(٢) انظر تاريخ المسلمين ١٧٩/٢ ونزهة الخواطر ١٣٤/٥ ، ١٢١ ، ٣٠٩ .

(٣) انظر Ishwari Prasad. "A Short History of Muslim Rule in India"

ايشورى براساد مختصر تاريخ الهند فى العهد الاسلامى ص ٣٨٨ ، وخافى خان منتخب الباب ص ٢١٢ وتاريخ المسلمين ١٩٥/٢ ونزهة الخواطر ١٧٢ ، ٧٣/٥ ، ٣٨٥ ، ٣٤٩ .

(٢) عمت ظاهرة نقل الاجساد بعد الوفاة من موضع لاخر بين المسلمين ، قد يصل الى مسافة بضعة الاف من الكيلومترات ، وقد ينقل الجثمان بعد الدفن بستة أشهر وما شابه ذلك . وكأنه خفى على الامة دفن الصحابة وسلف الامة رضى الله عنهم فى اطراف الدولة الاسلامية المتراصة (١)

اورنك زيب ومميزات عهده اليمون :
=====

معنى النظر فى شخصية اورنك زيب - من مخالف ومؤيد - لا يسعه الا الاقرار باسلامه وأمانته وعدله وتقواه ، يقول عنه دل يورانت " لقد كان فى السياسة باردا ، (هادئا) - يقدر عواقب الأمور تقديرا دقيقا ٠٠٠ ، امتنع عن كل ما يحرمه دينه من الوان الطمام والشراب وأسباب الترف استناعا كان يرقبه فيه ضميره ، والظاهر أنه نفذ ما صمم عليه وهو الا ينفق على نفسه الا ما كسبت يداه بالعمل " . (٢)

ويقول الساداتى احمد محمود : وقف اورنك زيب عالمكير حياته كلها على اعلاء شأن السنة ، ونشر لواء الاسلام خفاقا عاليا ، ومجاهدة عبادة الأوثان ، والخارجين على اجماع أهل السنة من أصحاب المذاهب الشيعى وغيرهم ، وقضى ايامه على خير ما يقضيها مسلم تقى ، يحفظ القرآن ، ويصوم أغلب ايامه .
وما ان تسلم عالمكير زمام السلطة عام ١٠٦٨ هـ حتى أمر بالفناء ثمانين نوعا من المكوس المفروضة على المسلمين والهنداكة ، وأمر ألا يؤخذ من أموال الناس الا الزكاة والجزية وفرض على المسيحيين جزية ثلاث روبيات فى السنة ، كما أصدر أمره بمنع زراعة الأفيون وشرب أى مسكر ٠٠٠ ، وتقدم خطوة فمنع الفحشاء ، وأصدر مرسومه لمرتكبات هذا الجريمة

(١) انظر نزهة الخواطر ج ٦ / ٨٤ و ٨٦ و ٩٩ و ١٠٣ و ١٠٥ و ١١٧ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٧ و ١٣٧ .

(٢) قصة الحضارة ٣ / ١٤٩ وانظر مغلية سلطنة اورمسيحيات ص ٣٢١ ونشأة باكستان ص ٢٥ .

(٣) تاريخ المسلمين ج ٢ / ٢٤٤ وانظر رودكوثر ص ٤٥٥ .

ب - انتفضى البهرة الاسماعيلية بعد أن شرب شاه جى الكجراتى - أمامهم المستور -
 سألقتل نفسه ، إثر استدعاء اورنك زيب اياه عام ١١١٤ هـ ، بسبب ماظهر منه من الأعمال غير
 الشرعية ، كالستر وراء الحجاب وابرارز رجله عند الالاح للتقبيل والقاء النذور ...
 فامتطى الاسماعيلية الحسام لموته ، وقاتلوا الدولة حتى غلبوا ، فلم يكن من الملك الصالح
 الا أن أمر " أن يبعث أهل العلم الى أحمدأباد ونواحيها ، ليعلموا ذرايرهم - أى -
 ذراى المقتولين - العقائد الصحيحة " . (١)

ج - سعى عالمكير الى الحصول على الحدود الطبيعية للهند المسلمة ، وذلك بمدراسة
 الاسلام الى أقصى الجنوب ، والقضاء على الجيوب الهندوسية المحتمية بامارتى غو كنده ،
 ومجاور الشيعيتين ، وقد استغرق تحقيق هذا الهدف النبيل أكثر من ربع قرن ، يزعم
 بعض الناس ان " قضاء اورنك زيب على امارات دكن الشيعية كان بمثابة هدم سور حصين
 أمام قوة مراهته - الهندوس - المتصاعدة (٢) وقد خفى عليهم ان عالمكير قد اكسح الجنوب
 كله ، بما فيه امارة مراهته ، فقد سقطت راجكمر ، عاصمتهم عام ١١٠١ هـ فى أيدي المسلمين
 وبلغ الجيش الاسلامى تنجورة اقصى المدن الجنوبية الساحلية ، انما يكمن سر انهيار الدولة
 المغولية بعداونك زيب فى حروب الوراثة التى اتت على اليابس والأخضر ، ومن خلفه
 من الابناء غير الكفاء ...

أورنك زيب نظر اعدائه :
 =====

ولشدة وطأة عالمكير الاسلامية حاول اعداؤه النيل منه ، والفض من منجزاته ، وقد تكفل
 ول ديورانت بتوجيه الاتهامات الهندوسية اليه قائلا : وظل خلال نصف القرن الذى حكم
 البلاد فيه يحارب فى سبيل محو الديانات كلها من الهند الا ديانتته ، وأمر عماله فى الأقاليم
 وغيرهم من اتباعه أن يقوضوا كل المعابد التى تتبع الهندوس أوالمسيحيين ، وأن يحطموا
 الأصنام جميعا ، وأن يخلقوا مدارس الهندوس بغير استثناء ... وأقام مسجدا اسلاميا

(١) نزهة الخواطر ج ١٠٢/٦

(٢) شمس بريلوى اورنك زيب خطوط ك آئين مين (اورنك زيب فى ضوء مذكراته) ص ٦١ .
 وانظر أحمد ابراهيم البشيشى الهند خلال العصور ص ٩٩ .

في مكان معبد كان قائما في بنارس ، وكان موضع قدسية خاصة عند الهندوس بغية الاساءة المتعمدة اليهم ” . (١)

وبالعودة الى مرسوم عالمكير الذي نشره المستشرق فلت عام ١٩١١ في الصحف الأوربية لتتضح حقيقة التهمة ، وهذا المرسوم خير سبيل للكشف عن موقفه تجاه هذه المعابد ، وجاء فيه ” بناء على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية لا يجوز بناء معابد جديدة للهندوس ، وقد بلغني ان بعض العمال تعدى على البراهمة والهندوس وعلى معابدهم في بنارس وضواحيها ويودون اخراجهم منها ، مما سيجعلهم يتيهون في الأرض حائرين ، فيا أبا الحسن حاكم بنارس أرك بضبط الأمور ، حتى لا يتعدى احد على البراهمة والهندوس ولا على معابدهم وتظل طائفة البراهمة في مكانها من القيادة لبنى ملتهم ” . (٢)

واما ما يتصل بتحطيم الأصنام فلم يقدم أعداء اورنك زيب حادثة معينة هدمت فيها الأصنام من غير نزال أو حرب ، وانما جل الحوادث التي ساقوها لاثبات هذه التهمة يعود تاريخها الى الحرب أو نتيجة الحرب ، اذ كانت المعابد مركز القيادة ونقطة انطلاق المقاومة الهندوسية ، وقد تصدى شيلى نعمانى لبيان واقع هذه الوقائع فقال : ” واشنع لوم يوجه الى اورنك زيب هو أن الرجل كان شديد التعصب لدينه ، هدم معابد الهندوس ، مما أجبرهم على الثورة ، وسل سيف المقاومة في وجهه ، بيد ان الحقيقة عكس ذلك اذ كانت السياسة والدين أمرين لا ينفك أحدهما عن الآخر ، وكان المسجد والمعبد محطا انظار الشعوب وعقر دار الثواب ، فحينما ثار الهندوس من خلال أماكن العبادة اصطدمت المعابد بالجيش فكسرت الأصنام ، وازيلت المعابد ” . (٣)

ويعود أمر قفل المدارس الهندوسية والمسيحية الى ما كانت تنتهجه هذه المدارس ففى سياستها التعليمية منذ عهد أكبر ، الذي أنشأ مثل هذه المعاهد لانتزاع أبناء المسلمين

(١) قصة الحضارة ٣ / ١٤٩ .

(٢) مسلم ثقافت ص ٤٨٣ . واورنك زيب خطوط ص ٦٠ .

(٣) اورنك زيب عالمكير برايك نظر (نشرة في اورنك زيب) ص ٧١ وانظر فقهاء هند

من الدين الحنيف ، فلم تؤسس " آب بات شال " الا لهذا الغرض ٥٠٠٠ ، اذن لم يكن غلق هذه الدور الا من باب الحفاظ على العقيدة الاسلامية . غير أن المؤرخين الشيعة المباد دولتهم اطلقوا عنان اقلامهم في الكتابة عن موضوع القفل فعمموا المعين المحدود والخاص المعدود ، لتحويل الصفحة السنينة الناصعة وحماية الشرع الى الخلق وظلم العباد . (١)

وثاني التهم التي سود بها بياض هذا المسلم أنه حبر على الهندوس أبواب التوظيف لدى الدولة " وأمر عام ١٠٨٢ هـ جميع حكام المقاطعات بالا يعين لخدمة الحكومة الاسلام والعودة الى الأمر الملكي ينجلي أن المنع لم يأت الا لوظيفة جمع أموال الدولة (الخراج) ، وذلك للحد من الرشا التي كان يتقاضاها الهندوس المعينون على هذه الوظيفة ، وسعد مضى بضع سنوات نرى الأمر قد عدل فوظف هندوس جوار كل مسلم ، فلو كان الهدف هو حرمان الهندوس فما معنى جعلهم شركاء فيما بعد مع المسلمين في هذه المهنة الوظيفية ، وما معنى جعلهم امراء وأصحاب المناصب العليا في الدولة . والمقارنة والاحصاء نجد أن عدد امراء الهندوس ايان حكم عالمكير بلغ واحدا وستين ، بينما لم يتسلم الامارة في عهد أكبر الا اثنان وخمسون اميرا هندوسيا ، بل لم تكن امارة كاهل المسلمة الا تحت تصرف أمير من امراء الهندوس . (٢)

وملصق التهم من المسلمين يدور كلامه بين قتل عالمكير اخوته ، ووضع ابيه تحت الإقامة الجبرية بعد تسلّم الحكم وتحويل من سلم عليه بالمسنون - السلام عليكم - الى الشرطة ، وقراءة الكتاب المجيد لا يصال ثوابها للموتى ونكاحه بالمغنية زين آبادي (هيرا باي) وتكميله بناء الاضرحة (٣) وغيرها من الامور التي يمكن تبريرها في ضوء الملك والسلطة وظروف المجتمع المسلم المحاط بسياج التعصوف آنذاك ، والقول الفصل : ان اورنگ زيب رغم سعيه الحثيث في نشر الاسلام واقامة الشرع الحنيف كان بشرا ، يخطئ ويصيب غير معصوم في تصرفاته .

-
- (١) انظر شيلو نعمان اورتسك زيب براييك نظر ص ٦١ و ٦٦ وما بعدها .
 (٢) انظر فقهاء هند ٣٤/٦٨ . اورنگ زيب براييك نظر ص ٦٢ واورنگ زيب خطوط ٦١ .
 (٣) انظر الامير شكيب ارسلان حاضر العالم الاسلامي ٣١٠/٤ وفقهاء هند ٧٨/٢٨ وتاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٧ ، واورنگ زيب خطوط ج ١ ص ٢٦٤ و٢٦٥ ورود كوثرس ٤٢٧ .

ظل رحمه الله يجاهد لاعلاء كلمة الله في جنوب الهند وشمالها طوال خمسين عاما
قضاها في السلطة والحكم ، فاختص المراهته وشده الخلق على البريطانيين حين ناهضوا
الدولة في فرض الجزية ، فدحرتهم قواته في كل مراكزهم ، فضاعت منهم مصانعهم في "هوكلي"
"سوليياتام" غير أن دهاة الانجليز بتمسكهم تمكنوا من أخذ اذن السماح باقامة حي لهم
عند قرية كلكتة وظلت القرية تتسع في تدرج سريع حتى أصبحت عاصمة المستعمرة البريطانية
في عهد خلفائه قبل انتقال كرسى الحكم الى العاصمة دهللى . (١)

(١) انظر تاريخ المسلمين ٢٤٩/٢ .

الفصل الثالث

— { المجتمع المسلم في عهد شركة الهند الشرقية } —

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية:

- (١) مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنگ زيب .
- (٢) موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية .
 - (أ) الموقف الرسمي .
 - (ب) الموقف الشعبي (حركة السيد بين الجهادية) انتفاضة ١٨٥٧م وآثارها في المسلمين .
- (٣) محور اتجاهات النواب البريطانيين في حكم الهند .

الفصل الثالث

مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنگ زيب :

ررفت راية التوحيد في عهد عالمكير من جبال هماليا شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ، ومن آسام ببورما شرقا الى كابل غربا ، وتعتبر دولته أوسع دولة مسلمة حكمت الهند على الاطلاق ولكن دخول هذه المناطق لم يأت الا بعد ان وُخط الشيب عالمكير ، ومَلَّ من الحروب أكثر القادة والجند . (١)

وتتميز فترة خلفاء اورنگ زيب المعاصرة لعهد شركة الهند الشرقية ، وقبل انتقال السلطة الى الحكم البريطاني المباشر بأمور منها :-

(١) ظل الاسلام مطلقا لدولة الرسمية في تسيير شئون البلاد ، كما ظل القضاة وأصحاب الافتاء يعينون لفصل المنازعات والاجابة على ما يستفتون فيه من أمور الحياة المستجدة .

(٢) فقد الحكام والأمراء تلاحم الشعب وساندته ، حين نفذ بعضهم فرض التشيع الاثنى عشرى بقوة السلاح ، فجرت بين الطرفين مصادمات دموية حيناً وكلامية أحياناً أخرى . (٢)

(٣) وجد التشيع أثمن فرصة لاقامة دولته في الهند ، اذ كان أغلب امراء الدولة من الشيعة وإزدادوا رسوخا فيها بعد غزورنادر شاه الفارسي الشيعي للهند ، وبالتالي اعاد سلاطين الهند دور الخلفاء العباسيين مع بنى بويه ، أو فاقوهم في الولاية والعزل . (٣)

(٤) يمكنك تصور مدى التدنى والانحطاط الذي وصل اليه المجتمع المسلم ، من الخطابين اللذين أرسلهما الشاه ولي الله - عالم الهند ومؤسس دراسة السنة الحديثة فيها الى أحمد شاه ابدالي سلطان أفغانستان وإلى السيد أحمد على زعيم الروهيلافغانيين في الهند ، بعد أن راقب الوضع الخطير بمعاصرته عشرة من ملوك هذا العهد ، فسعى الى استعادة الاسلام

(١) انظر فقهاء هند ٣١/١ وتاريخ المسلمين ٢٥٢/٢ .

(٢) انظر رود كوثر ص ٦١٧ ونزهة الخواطر ج ٤٦٩/٦ .

(٣) انظر مناظر حسن كيلائي . هند وستان مين مسلمانان كا نظام تعليم وترتيت " نظام التربية والتعليم عند مسلمي الهند . ٢٧٨/١ والهند في العهد الاسلامي ص ٢١٤ وتاريخ المسلمين ج ٢٦١/٢ رود كوثر ص ٦١٨ ونزهة الخواطر ٢٨٥/٦ و ١٩٧/٧ .

وتشكيل مجتمع اسلامي من واقع قيادة اسلامية واعية .

وكتب الى الأول يقول : " قد بلغ السيل الزبى اذا تساهل الامراء في جمع الخراج ، كما تمادى الفلاحون في عدم الدفع ، فضاع بذلك دخل الدولة ، وخلت الخزانة من المال ، وتفرق الجند شذر مذر ، وليس وضع العامة من العمال والصناع والتجار افضل من عمال الدولة وان الأمر يتطلب من الناحية الشرعية وجود سلطان مسلم يعيد الى الاسلام شوكتهم ، ومجده ، ويهزم المشركين بخطه البعيدة ، ولم يبق من رجال هذا الميدان سواك ، وانى لعلى ثقة أنك ستقوم باداء هذا الواجب ، وتقصد الهند لهذا الهدف النبيل ، وتزيل عين المسلمين الظلم والاستبداد ، وتقطع المراهته اربا اربا بسيفك السلول ، وتأتوب الى الله من عمل نادر شاه الذى مزق المسلمين شرمزق ، وترك المراهتموالجات — الهندوس — قواهم دون أن يطالبوا بسوء ، وان الكفار لم يقو ساعدتهم الا بعد نادر شاه ولم تضعف دولة الاسلام الا بعده ، وان دهلاليوم كلعبة أطفال يتقاذفها الصبيان انى يشاؤون " (١) وكتب الى الثانى يقول : " وانى لاشكرك على جهودك المضنية فى مد الجيش الاسلامى بالروهيلا وانك بهذا العمل حفظت على المسلمين دماءهم وأموالهم ٠٠٠ ، وان تلك الفئة الشقيسة (الحكام والمراهته) جمعت جميع خصال الشر ، من قطع الطرق والغدر والامشعانة بغير المسلمين وتفریطهم فى الحفاظ على بلاد الاسلام وان استهزأهم بعبادى الاسلام بلغ مدى لا يمكن التسامح فيه ، وكان من الطبيعى ان تهغضهم فى الله ، وتسعى فى ادالة دولتهم بكل الوسائل المتاحة " . (٢)

(٥) وفى الأمور الاجتماعية نجد الاسراف والتبذير فى الزواج والوفاة ، والكره والشؤم فى نكاح الأرامل والرغبة الملحة فى تسقيب القبور وقراءة القرآن على الأموات . والاستشفاء بالتائم والمعلقات . والتواكل فى الأخذ بسنن الله الكونية فى الحياة ، والبعد عن حقيقة التوحيد فى قضاء الحاجات ، كل ذلك ظاهرة هذا العصر المشتركة بين أغلب المسلمين .

(١) شاه ولي الله كى سياسى مكتمات (رسائل الشاه ولي الله السياسية)

ج ٩٠/١ جمع وترتيب خليف أحمد نظامى .

(٢) شاه ولي الله كى سياسى مكتمات ج ١٣٨/١

موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية : =====

(١) الموقف الرسمي ، وفي هذه الفترة الاسلامية دخل البريطانيون الساحة بعد دراسة دقيقة ، فخرجوا من حيهم بكلكة يزحفون على البنغال حتى ابتلموها فجرت أولى - المعارك الحاسمة بينهم وبين ملك الهند ، شاه عالم (على جوهر بن عالمكير الثاني في ساحة بلاسى عام ١١٢٠ هـ ، ولم يضمن الانجليز النصر الا بعد أن استمال كلايف مدير شركة الهند الشرقية قائد ^{شاه عالم} ~~مرجع~~ خان برشوة قدرها ثلاثة ملايين روبية . (١) وتلت بلاسى معركة بكسر بسنوات سبع وكانت القاضية على قوة الدولة ، إذ تنازل شاه عالم للبريطانيين بموجب معاهدة الصلح المنعقدة في مدينة اله آباد ، باطلاق أيديهم في جمع خراج البنغال وسهاروا ريسه ، مقابل ضمان الانجليز له معاشا سنويا قدره ٢٠٦ مليون روبية (٢) واعادته الى دهلى أثر تفويض أحمد شاه ^{البر} الى اله نيابة حكم الهند . ووقفت ميسور آخر الولايات المسلمة بعزم وصمود تعاند النوايا الانجليزية التوسعية وظلت تنشئ المراقيل امام زحف البريطانيين الى الجنوب بضعا وثلاثين سنة ، وقضى ^{الامير} حيدر على نجه في محاولة طرد هولاء الدخلاء ، فخلفه ابنه تيمو سلطان الذي ظل يجالدهم بسيفه وسنانه طوال ثلاثة عشر عاما ، ولم يتقدم الانجليز الى الشمال حتى خضبت دملؤه أرض المعركة عام ١٧٩٩ م فسقط شهيدا في الدفاع عن عاصمته سرنجبا تم المحاصرة (٣) ولم يمض على وفاة هذا المفوار ست سنوات حتى دخلت القوات البريطانية دهلى متخطية جميع العقبات ، ووجدت " شاه عالم " على حافة القبر فتركته يلفظ انفاسه الأخيرة لسنة من الزمن ، فمات سنة ١٨٠٦ م بعد أن ظل سلطانا صوريا خمسا وأربعين سنة . ولحده لحد الحكم الاسلامي في الهند إذ لم يكن ابنه أكبر شاه الثاني وحفيده بهادر شاه ابو ظفر الاغلو ^{علي امره} من شركة الهند الشرقية ، يتقاضيان مرتباً معيناً . (٣)

Dumbar, G.H. History of India from the Earlist Time to the Present Day.
P. 341.

(١) دنبرج - هـ - تاريخ الهند بين الماضي والحاضر ص ٣٤١

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٥٤

(٣) انظر الأمير شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامي ج ٣١٨/٤ وأبا الحسن الندوى

مجلة النار ج ٣١ / ٦٣٥ .

الموقف الشعبي :

أ - حركة السیدین الجهادیة : ورث الشاه عبدالعزیز أكبر أبناء الشاه ولی الله جمیع أفكار والده تجاه الدولة الاسلامیة . وما أن ایس رحمه الله من رفع لواء الجهاد بین الأمراء المستقلین حتی أخذ یعمل لکبح الروح الجهادیة فی المستمعین لحلقته العملیة ، وكان لفتواه أثر فعال اذ أعلن فیها " إن الاجزاء التي احتلها غیر المسلمین من الهند هی دار حرب ، یجب السعی لاستردادها ، وإن الوضع الحربی قائم بینها و بین بقیة الهند ، حتی تعود الی حکم الاسلام " . (١)

ویمترف هنتر - الذی کلف بالتحقیق حول الحركة الجهادیة - بمكانة بیت الشاه ولی الله القیادیة فی هذه الحركة فیقول " حین استفتی الناس اعلم علماء الهند السید عبد العزیز وابن أخیه (٢) عبدالحی اقیا أن الهند دار حرب " (٣) فلم یضیع السید فرصة لاشغال الروح الجهادیة فی الشعب الا اغتتمها ، وسأقت القدرة الالهیة السید أحمد بن عرفان زعیم حركة الجهاد الیه عام ١٢٢٢ هـ ، فلم یتوان الشیخ فی تربیته ، بل خص أخاه - عبدالقادر لهذا الغرض ، واعد الزعیم بعد فراغه من التعلیم بعالمین نابھین من أسرته ، هما ابن أخیه عبدالغنی وخته عبدالحی ، فجال الشیخ أحمد أطراف الهند یمتار للحركة من اشتاتها . (٤)

ویلخص هنتر أهداف الحركة وما كان یقصدہ السید أحمد بن عرفان من أعماله الجهادیة فیقول " یجب أن یعلم کل طالب صراط الله المستقیم . . . أن معنی البیعة علی ید شیخ من المشائخ هو طلب رضا الله عزوجل وذلك منحصر فی اتباع المصطفی علیه الصلاة والسلام ، وینبئ أتباعه علی أصلین : هما الا یعبید مع الله أحد و الا یتخذ دستور أو منهج لم

(١) شاه عبدالعزیز المحدث فتاوی عزیز ص ٤٢٢ وانظر مسلم ثقافت ص ٦٢٤ .

(٢) الصواب ختنه وهو زوج ابنة الشاه عبد العزیز ، ولا یوجد فی احفاد الشاه ولی الله

من تسمى بهذا الاسم .

(٣) ہمارے ہندوستانی مسلمان ص ٢٠٨

(٤) انظر نزہۃ الخواطر ٢٩/٧ .

يكن في زمنه أو زمن خلفائه ، ويعنى الأول الا يطلب ازالة مكروه ٠٠٠ من ملك أو شيخ أو استاذ أو ولى من الأولياء أو نبي من الأنبياء ، ويعنى الأخير أن الطريق الأمثل للمسلم أن ينظم حياته المعيشية و العبادية وفق ما كان في زمن النبوة وأن يجنبها جميع تلك البدع ، التى استحدثت في الزواج والوفاة وتعظيم المشاهد وتقبيب القبور والتبذير في قراءة القرآن للموتى عند نهاية كل سنة . (١)

وتلاقت أفكار السيد مع أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية على أرض الحجاز ، بعد وفاته^{بعدة} لا تعد وربع قرن ، ومن غير المستبعد أن يكون السيد أحمد قد التقى ببعض أفراد حركة الشيخ ، وتأثر بهم في استعجال العودة الى الحياة الاسلامية الأولى ، اذ لم يمض على ايامه من الحجاز ثلاث سنوات حتى أعلن الجهاد بالسيف عام ١٨٢٦ لطرده الحكام غير المسلمين من أراضى الاسلام ، فبدأ بالبنجاب واتخذ منطقة سرحد الباكستانية مركزا لجيشه الباسل .

وتحدد أغراض السيد أحمد بن عرفان القتالية في اعلانه الذى نشره بين المسلمين فقال : " وصل ظلم الشيخ الى نقطة لا يسع المسلم تحمله فقد استولوا على لاهور وما جاورها ٠٠٠ ، وقتلوا الألوف من المسلمين دون ذنب ، واذلوا الآخرين دون جريرة ، منعوا الاذان من المساجد ، وحرموا ذبح البقر البتة ولما تجاوز ظلمهم الحدود البشرية وأصبح لا يطاق ، أخذ السيد أحمد ايده الله بنصره في ايقاظ المسلمين من سبات النوم في بشاور وكابل وما جاورها من البلاد ، ونفخ فيهم روح التضحية والفداء ، فلبى نداء بضعة آلاف من المسلمين مستعدين لبذل مهجهم في سبيل الله " (٢)

ويصف هنتراسهامات عامة المسلمين تجاه الجهاد بالمال والنفس بقوله : " أخبرني أحد تجارنا الاثرياء من المنطقة الشمالية الغربية ، الذى يدير مصنعا للإصباغ ، أن عماله المسلمين كانوا ينحون جزءا من مرتباتهم لمخيم ستهانة (عاصمة المجاهدين) بين عامى ١٨٣٠ —

(١) همار هندوستانى ص ٨٤ وانظر الشيخ محمد اكرام موج كوثر ص ٢٠ .

(٢) موج كوثر ص ٢٤ وهمار هندوستانى مسلمان ص ٢٥ .

— ١٨٤٦ م ، وان التحسين منهم يذهبون لخدمة الامام (الجهاد) لمدة شهر أو شهرين باجازة اعتذارية ، كالتى تمنحها للهندوس لاقامة الحفل السنوى لابائهم الاموات (١)

وهذه الروح رفعت راية الجهاد ، وتأسست دولة الاسلام المبسطة بعد فتح مدينة بشار عام ١٨٣٠ م فاقفلت حوانيت الخمر ابوابها وعدمت مصانع الخمر من يعمل فيها ، وغاب البغاء عن الانظار ، وعين من يجمع العشر من المناطق الزراعية ، والقضاة لفصل الخصام ، وأهم من ذلك كله القضاء على ما يشبه بيع البنات عند الامة الباتانية ان كان الأولياء يجحفون فى طلب العوض من الزوج عند العقد على العولية ، وكثيرا ما كانت الزوجة تشيب أو تتوفى قبل أن يضمها عش الزوجية لعدم استطاعة الزوج أداء المبلغ المحدد فاصدر الشيخ أحكاما صارمة لوأد هذه العادة وصرف الزوجات الى أزواجهن الشرعيين (٢)

وأقام اتباع السيد تحت قيادة تتومير (الفرائضيون) دولة أخرى عند فيروز آباد ، شمال شرق كلكته عام فتح بشار ، فحمل عليهم البريطانيون ثلاث حملات مكثقة ، منوا فى الأوليين بالفشل ، وتغلبوا فى الثالثة واستشهد تتومير ، وشنق نائبه وحكم على اتباعهما بمعقوبات سجن مختلفة مع تأميم ممتلكاتهم جميعا . (٣)

وتبعت بشار مسير اختها نتيجة الغدر الذى دبره رؤساء القبائل ، فضاعت بارقة الأمل بعد أن رويت منطقة بشار بدماء الشهداء ، ولم تطل الحياة بالبقية المهاجرة ان لاقت ربها دفاعا عن عقيدتها فى ساحة بالاكوت ، فاستشهد السيد أحمد ، والسيد الشيخ اسماعيل وأكثر من ثلاثمائة مجاهد من أصحابهم فى ١٢٤٦/١٢/٢٤ هـ — ١٨٣١ م ، نتيجة احداق الجيش السيخى بهم تحت قيادة ونثور Vantoral أحد قواد نابليون الشهير . (٤)

؟

(١) همار سے ہندوستانی مسلمان ص ٢٥ .

(٢) انظر غلام رسول مہسّر جماعت مجاہدین (جماعة المجاہدین) ص ٤٥ وموج کوثر ص ٢٩ .

(٣) ہمار سے ہندوستانی مسلمان ص ٦٩ .

(٤) انظر أبا الحسن الندوى : اذا هبت ريح الايمان ص ٢٣٨ .

فخدمت حركة الجهاد بضعاً وعشرين سنة ، تستعيد فيها أنفاسها وتجمع شملها من جديد ،
فما ان انتزع الانجليز منطقة بنجاب عام ١٨٤٩م من السيخ حتى اشتبكوا مع المجاهدين ،
وأرسلوا عشرين حملة عسكرية الى نهاية عام ١٨٦٣م ، وبلغ عدد الجنود المشاركين في هذه
الحملات ستين ألفاً حسب التقديرات الرسمية^(١) ، وظل الجهاد قائماً حتى نهاية عام
١٨٦٩م ، وتمكن التجسس الانجليزى من كشف خطوط التموين ، ومراكز التدريب فى
المناطق التى يحكمها الانجليز ، فزج بالالوف من المسلمين فى السجون ، وصودرت أملاك
كل من حامت حوله الشبهة ، وحكم على العديد المباشرين للجهاد بالشنق والسجن المؤبد
بجزر اندمان ، رحم الله المجاهدين وأدخلهم فسيح جناته .

وكان التشهير والدعاية أفكك سلاح استعمله الانجليز لفصل التلاحم العقدى بين
المجاهدين وبين سائر المسلمين ، ولم يأت العفو العام عنهم وعن ينتمى الى الجهاد
فكرياً عام ١٨٧٧م الا مشروطاً بعدم اختلاط المجاهدين بغيرهم من سائر المسلمين فى أماكن
العبادة^(٢) مضافاً الى ذلك وسّمهم امام اخوانهم المسلمين ، وفى وثائق الدولة الرسمية
"بالوهابية" اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفيين الذين هدموا قباب الحجاز
فى أوائل القرن التاسع عشر - مسبة وعارا ، فانزعج لذلك الشيخ محمد حسين البتالىوى
وطلب من الدولة استبدال "أهل الحديث" بالوهابية^(٣) ومازال أثر تلك الدعاية سارى
المفعول فى كثير من مناطق شبه القارة حتى اليوم .

ب - انتفاضة ١٨٥٧م وآثارها فى المسلمين :

وأخر انتفاضة شارك الجنود المسلمون الجنود الهندوس التابعين لشركة الهند الشرقية
لطرده المستعمرين اتت عام ١٨٥٧ - ١٢٧٣ هـ ، حين ثار الجنود على اسيادهم ، وایموا
آخر ملوك المغول الاجير لى الشركة ابا ظفرىها دُرْشاه ، وتحمل المسلمون تبعه قيادة

(١) انظرهما ر - هندوستانى مسلمان ص ٤٠ .

(٢) انظر كارسان وتاسى الفرنسى مقالات كارسان ٣٨٣/٢ .

(٣) انظر مجلة اشاعة السنة المجلد ١٩ ، العدد ٩ ص ٢ ، لعام ١٩٠٢ و صديق حسن خان
ترجمان وهابية ص ١٩ و ١٢٠ ، ومحمد أيوب قادرى كالابانى (الماء الأسود) ص ٢٥ .

حرب التحرير هذه ، فاضطهدوا في جميع ميادين الحياة فسلبت منهم أراضيهم ، واقتلست الدوائر الحكومية أبو ابها عن التوظيف في وجههم ، حتى أضحت النسبة عام ١٨٧١ م في الوظائف فردا من المسلمين يقابله سبعة هندوس وأربعة عشر أوربيا ، بل إن من الإدارات ما خلا من المسلمين كالساحرة والشرطة والهندسة والتعليم والبحرية بشهادة من وكل اليه التحقيق الرسمي عن مظالم المسلمين (١)

محور اتجاهات النواب البريطانيين في حكم الهند :

ومعد فشل المعارك نتيجة عدم التكافؤ في الأسلحة وآلات الحرب في سلطان المسلمين الشيخ المعمربها درشاه " مع أفراد أسرته إلى خارج الهند (٢) وثولت الحكومة البريطانية الحكم المباشر على الهند ، وتشكلت سياسة الحكام الجدد في ضوء تصريحات مغري هملتن وحاكم الهند بعد الانتفاضة اللورد النبرو فيما يلي :

يقول الأول " لقد قدمت أن الهناك لم يكونوا أصحاب الفكرة في ثورة ١٨٥٧ م ، ولم يكونوا مصدرها ، سألنت بهذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة اسلامية ٠٠٠ وأن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفيه لحكومة تدبر بشيخ الاسلام ، لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن " ، وصرح الأخير " أن العنصر الاسلامي هو عدو بريطانيا الاصيل ، وأن السياسة الانجليزية في الهند يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية اليها ، لتستعين بهم في القضاء على الخطر الذي يهدد بريطانيا في هذه البلاد . (٣)

ومعد سلب السلطة من المسلمين بذل الانجليز جميع ما يملكون من طرق الاغراء والتحذير لقطع صلات الامة الموحدة عن الاسلام ، واحلال التثليث مكان التوحيد ، ونشر المسيحية بين المسلمين ، ولبنترالنا شئة عن الماضي الميمون بثوا المدارس اللادينية في القرى والار ياف ، فضلا عن المدن

(١) انظر همارس هندوستانى مسلمان ص ٢٢٦ و ٢٤٥ - ٤٦ محمد فضل حق باغى هندوستان

(الهند الآبقية) ص ٢٥٥ .

(٢) انظر نزهة الخواطر ١٧/٧ والهند في العهد الاسلامي ص ٢٩٣ .

(٣) نقلا عن أبي الحسن على الحسنى الندوى ، المسلمون في الهند ص ١٧٥ - ١٧٦ وعلماء حق ص ٣٨ .

والامصار حاشين الآباء على ارسال أفلاند كهدم الى تلك المدارس ، لكسب العلوم الأوربية الحديثة وامعانا في الفصم بين الماضي والحاضر ، وربط المنزل بالمدرسة غير الاسلاميـة هدموا الاسرة وسلبوا المسلمة حنوا الامومة ورعايتها المنزلية ، باخراجها من البيت لتشترك الرجال في أعمال لم تخلق من أجلها ، ولتحقيق هذه الغايات ومساندتها احلّوا القوائسين الوضعية مكان التشريع الاسلامي ، واستبدلوا القضاة القانونيين بالقضاة الشرعيين . وجميع هذه التطورات موضع الحديث في الباب التالي .

الباب الثانى

مسد } أثر الفكر الغربى فى حياة المسلمين مسد

الفصل الأول : أثر النشاط التنصيرى فى الأفكار والمقائد .

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ - التنصير فى عهد المفلول .
- ٢ - التنصير أثناء الحكم الإنجليزى المباشر .
- ٣ - طرق نشر المسيحية قبل الإستقلال (الجامعات ، دور الأيتام ، الكتاب ، التعليم ، المناظرة ، التطبيب ، الإعانات المالية ٠٠٠)
- ٤ - السهل الحديث لىث الانجيل (التوظيف ، المشافى ، دور الأيتام معاهد التعليم ، الصحافة ٠٠٠)
- ٥ - الطرق المعاصرة لنشر المسيحية .
- ٦ - أسباب نجاح التنصير فى المنطقة .

الفصل الأول

التنصير في عهد المغول :

ارتبط نشر المسيحية وتحويل ديانة شعب الهند الاسلامية والهندية بالجبر والاكراه ، منذ وطئت أول قدم أوربية أرض الهند ، فما أن خضعت منطقة جوا الساحلية للبرتغاليين عام ١٥١٠م حتى اكرهوا زوجات الجنود المقتولين وبناتهم على الزواج بالجنود البرتغاليين بعد اجبارهن على اعتناق ديانة التثليث ، ويوجد ألوف النصارى من نسلهن على ساحل الهند الغربى حتى اليوم . (١)

وفتح الباب على مصراعية للنشاط التنصيرى عن طريق أعمال التطبيب والإستشفاء ، فقد وضع السلطان اورنگ زيب الجزية عن المسيحيين عام ١٦٨٦م ، جزاء لهم لنجاح الطبيب الأوربى فى علاج امرأتين من أسرته (٢) ، كما أن فرخ سير لم يؤكد هذه المنحة فحسب بل وهب لمعالجه هاميليين الانجليزى ثمانيا وثلاثين قرية ، بجوار كلكته ، واعفى البضائع الانجليزية من الضرائب كمجازاة لخدماته الطبية . (٣) وأول مبشر انجليزى وصل الى أرض الهند لهدف التنصير هو الأب توماس ستيفرز (Thomas Stevers) عام ١٥٧٩م (٤) غير أن حركة الارتداد ظلت منحصرة فى

الجنوب الغربى من الهند حتى وهنت الدولة الاسلامية ، فخرج الانجليز من عزلتهم بكلكته ، وأخذ دعاة التنصير يرتادون الهند أثر استنهاض القسيس كارى Cary لهم ، بعد أن فتح باب الاكتتاب لهذا الغرض ، ويلخص ادوين بلس أعمال كارى بقوله " المستر كارى هو الذى فاق أسلافه فى مهنة التبشير ، فدرس لغة اللاتين واليونان ٥٠٠٠ ، ولما نشر كتبه فى التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ، ففتح له باب الاكتتاب ، وذهب الى الهند لهذا الغرض ، وصارت الأموال ترسل اليه ، ثم طلب أن يرسل له اناس يؤازرونه فى التبشير ، فتأسست سنة ١٧٩٥م جمعية لندن التبشيرية (لوندرة) (٥) وما عمت أن تأسست جمعيات على شاكلتها فى اسكوتلندة ونيويورك ، وانتشرت هذه الفكرة فى المانيا والدانمارك وهولنده والسويد ونرويج وسويسرا وغيرها " . (٦)

- ولا شك أنه ذلّل خفا منه رحمه الله
- (١) انظر الهند شعبها وأرضها ص ١٢٠ . (٢) انظر مغلية سلطنة اورمسيحييت ص ٤٢٩ .
 - (٣) انظر نشأة باكستان ص ٣٠ . (٤) انظر نشأة باكستان ص ٣٠ .
 - (٥) انظر مجلة المنار المصرية ٢٦٥/١٥ حيث سميت المجلة هذه الجمعية بجمعية لوندرة .
 - (٦) ١٠١ شاتليه الفارة على العالم الاسلامى ص ١٣ ومجلة الفتح المصرية ٦٣٠/٥ .

وفي الثاني والعشرين من يونيو عام ۱۸۱۳م منحت الدولة الانجليزية الاذن العام لنشر المسيحية في الهند ، و جدد هذا الاذن في كل من عام ۱۸۳۳م و ۱۸۵۳ و يعتبر عهد جارس كرائنت والقائد جانشور أكثر من مألّبقاع الهند بدعاة التنصير ^(۱) ويذكر م . هوري نتائج هذا الاذن في قوله " ابدأ — التبشير — منذ مائة سنة عندما نال جيروم كزافيه اليسوعي اذنا بالتبشير في لا هور ، ففتح باب الجدل في مسائل التوحيد والتثليث والوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة " ^(۲) وتلاجيروم المبشر هنري مارتن ، الذي ترجم الانجيل الى الفارسية والأردية ثم جاء بمعه المناظر فذر صاحب " ميزان الحق " الذي هاجم القرآن من جهة محتوياته ، وزعم أن معلوماته مقتبسة من الانجيل بدون وحى من السماء كما بذل جهودا مضنية للتقليل من قيمة تشريعات الاسلام الخلقية ، والقول بأنها عادية لا امتياز فيها وأن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم اكتسبها من يهود المدينة بحكم الجوار ، ^(۳)

التنصير في الحكم الانجليزي المباشر :

ولم يستهل عام ۱۸۴۹م عقب سقوط البنجاب حتى انتهت حركات التنصير ، كافواه الغرب على الهند ، فغزيت باثنتين وثلاثين حركة تنصيرية ، يحمل جميع أفرادها الشهادة الجامعية " بكالوريوس " B . A وازداد فكا الكماشة تضيقا حين استصدر المبشر " ايدمند " مرسوما ملكيا ، ثم نشره في صورة خطابات مغلقة بين عمال الدولة وموظفيها جاء فيه " ستكون الهند موحدة في جميع الأحكام والقوانين والمنافع والبرق وطرق المواصلات ، لذا يجب أن تكونوا مسيحيين جميعا " ^(۴)

وخطب مني كلس أحد أعضاء الحكومة في صالة البرلمان العامة عام ۱۸۵۷م مستبشرا بسيادة الانجليز على الهند حاثا بني جلدته على نشر الانجيل في تلك الأرجاء فقال : —
" لقد أرانا الله ذلك اليوم الذي أصبحت فيه الهند تحت السيادة الانجليزية

-
- (۱) انظر المبشر خورشيد عالم تاريخ بشارت الهند وباكستان (تاريخ التبشير في الهند وباكستان) ص ۱۵۰ وميجردى باسو تاريخ التعليم ايسر انديا كينى عهدين " تاريخ التعليم في عهد شركة الهند الشرقية " ص ۲۸۴ ، والهند في العهد الاسلامي ص ۲۸۶ .
(۲) الفارة على العالم الاسلامي ص ۳۱ .
(۳) انظر فندر ميزان الحق ۲۵۵ و ۲۶۳ .
(۴) علماء حق اورن كى مجاهدانه كارنامے ص ۲۵ .

وليرفرف علم المسيح من أقصى الهند الى أقصاها ، ويجب على كل شخص منا أن يضحى بجميع قواه لنشر المسيحية في الهند ، وصرف الهنود أجمعين الى الانجيل المبارك ولا ينبغى التساهل في هذا العمل الميمون طرفة عين . " (١)

وما أن فشلت انتفاضة (حرب) التحرير بعد الخطبة بيضعة اشهر حتى أدين المسلمون بجرمة قيادة تلك الحرب ، وبلغ حقد وشهوة الابادة الجماعية بالانجليز ان أخذوا يقتلون كل من أطلق عليهم لفظ " نصارى " كتابة أو نطقا من المسلمين ، ولم تتوقف تلك المذبحة حتى نشر زعيم الحضارة الغربية السيد أحمد خان رحمه الله " تحقيق لفظ نصارى " باللغتين الانجليزية والأردية ، فبين أن اطلاق المسلمين لفظ " نصارى " على المسيحيين لا يعنى الامتهان والاحتقار ، وأنه ليس من قبيل اطلاق اليهود " ناصرى " نسبة الى قرية ناصرة - على عيسى ابن مريم عليه السلام ، بل أنه من باب النصر والاعانة حسب استعمال القرآن . (٢)

طريق نشر المسيحية قبل الاستقلال :

وبعد دخول الهند في الحكم الانجليزى أثر حرب التحرير أخذت الحكومة الانجليزية على عاتقها مهمة تنصير المسلمين ، فأنشئت فروع خاصة لتنشئة دعاة النصرانية بالمساجد والجامعات الأوربية ، وأخذ مجلس اللوردات يترأس الجلسات السنوية للمنظمات التى كانت تتولى نشر المسيحية في الهند (٣) ، وأهم طرقهم فى ذلك ما يلى :

(١) انشأت الجامعات والكليات الأوربية فروعاً خاصة لدراسة اللاهوت ، ولم تهدف هذه الفروع الا الى ايجاد منصرين وبلغين للمسيحية ، وارسالهم الى العالم الاسلامى (٤) وأسهمت الكنائس فى ذلك اسهاماً مباشراً ، فأبست كليات منفصلة لبلاغ رسالة الانجيل الى ما وراء البحار ،

(١) علماء حق ص ٢٥ .

(٢) انظر سر سيد أحمد خان مقالات سر سيد ج ١٥ / ١٨٨ .

(٣) انظر مقالات كارسان وتاسى ج ٢ / ٢٠٨ و ٣٠٨ .

(٤) انظر مجلة المنار ج ١٥ / ٦١٨ .

ثم مدت تلك الكليات نشاطها الى الهند ذاتها ، فأنشأت لها فروعاً هناك ، ويعتبر مدلتون Middleton أول مشرف فتح فرعاً في كلية بشب الهكليه لدراسة التنصير في الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وامتاز متخرجوا الكليات الهندية بالجمع بين التعليم النظري والعمل في ميدان التنصير .

(٢) - لم يأت عام ١٨٧٥م حتى كانت ستعانة وست بعثات ارسالية تجوب أطراف الهند لاحتلال - التثليث محل التوحيد ^(١) ووقع كل هؤلاء في بداية الأمر في الحيرة ، لأنهم لم يعلموا بمن يبدأون وهل يسهل بث النصرانية في البرهمي أو المسلم المتنور أو الهندي العامي ، وأخيراً اهتموا الى التقاط الأطفال والبالغين الذين انضم لهم ناب الفاقة والعوز ، فأخذوا يحسنون اليهم ويستجلبونهم الى الحظيرة المسيحية . ^(٢)

وزاد نشاطهم تخلى كثير من الناس عن أولادهم أثر الجفاف في كل من عام ١٨٧٧م - و ١٨٨٧م حتى ترى رجل التفريب السيد أحمد خان يشكو من وضع الأطفال ويبدى أسفه على التقاط المسيحيين لهم . وتنصيرهم ، لصفرهم . ويتمهم وعدم قدرتهم على المقاومة بقوله : " لو تنصير بالغ عاقل أو أسلم لا حرج عليه " واقترح لحل تلك المعضلة بإنشاء ملجأ لآيتام الهندوس وملجأ لآيتام المسلمين تحت رعاية اسلامية هندوسية ، تشارك فيه جميع الأمة حسب طاقتها ، ويسهم فيه أغنياء الهند وفقراءها على السواء . ^(٣)

وفي الجفاف الثاني وكلت الدولة عملية توزيع الأطعمة الى دعاة المسيحية ومن يثون التنصير في شعب الهند ، فاستغل هؤلاء هذه الفرصة فاشتروا على المستفيد منها أن يتنصر ويعتق المسيحية عوضاً عن ديانتهم السابقة ، وتصف مجلة "منشور محمدى" الوضع فتقول : " في العام الماضى اصيبت الهند بجفاف معدم ، واشترط موزعوا الأطعمة التنصير على من يأخذها ، فتنصر كثير من الناس خشية الفاقة وخوف الموت " ^(٤)

٣ - جلب الأوروبيون المطبعة من بلادهم واحتكروا اعمالها لنشر المسيحية بين أبناء الهند ،

(١) انظر مقالات كارسان دتاسى ج ١٨٥/٢ ش

(٢) انظر " مختصر دراسة التاريخ ج ٣٠٦/٣ ومجلة المنار ج ٢٦٨/١٥

(٣) انظر مقالات سرسيد ١٤٠/٥ ، والطايف حسين حالى سرسيد كى كهانى انكى ابني زانسى " حكاية السيد الشفيع لحياته " ص ١٠٠ .

(٤) مجلد ١٤ الجزء ٢٦ ص ٣٠١ بتاريخ ٢٩/٦/١٨٨٨م .

فاستنسخوا العديد من الكتب لمحاربة الاسلام ، ولم يحل عام ١٨٧٣م حتى تم نشر ١٩٥ كتابا ،
يهاجم فيها أصحابها شرع الله في شتى نواحيه بلفات مختلفة . (١) بلغ ^{العدد} عام ١٨٨٢م بموجب
تقرير الدولة الرسمي الى ٢٨٥ كتابا ، ولم يكتف رجال التنصير بالكتاب بل اتخذوا الصحافة
غرضا لخدمة الانجيل ، فصدرت المشرات من المجلات نصف الأسبوعية والأسبوعية ، ونصف الشهرية
والشهرية والتي تصدر ثلاث مرات في الشهر في جميع أطراف الهند أهمها : " وكيل هندوستان "
الامرتسرية و " نورافشان " — النور المنتشر — اللودهيانية الأسبوعية ، التي كان يشرف عليها
مبلغ المسيحية وهري " Wherry " وخير خواه أطفال " (مرشد الاطفال) بلفاتها المتعددة ،
وهندي ميكسزين " للبعثة اللندنية التي كان يرأسها داعية التنصير ديودن (Dudden) .
وشمس الأخبار " للبعثة الأمريكية اللكهنوية ومخزن مسيحي " الاله آبادية . (٢)

كل هذه المطبوعات وغيرها كانت معنية أساسا بهدم الاسلام ونقص أسسه ، ومنظرة سريعة الى
فصول " ميزان الحق " الذي يدعى المنصرون أنه زلزل ايمان كثير من المسلمين ترى أن مؤلفه
قد در عقد الفصل الثاني من الباب الثالث لتحقيق " هل في القرآن ما يدل على أنه من الله " ،
ووصل ببحثه الى تكذيب تحدى القرآن (وان كنتم في ريب مما (٣)) وادعى أن البشر قادرون
على أن يأتوا بمثل القرآن وعضد رأيه بقول المزدارية المعتزلة الذين زعموا أن في وسع الناس أن
يأتوا بمثله . (٤)

ثم اتجه الى موضوعات القرآن فنفي أن تكون أخبارا عن أمور لا يعرفها البشر ، بل اتهم النبي
صلى الله عليه وسلم بأخذها من اليهود والمسيحيين ، فقال : " والحاصل أننا قد أثبتنا أن القرآن
هو مجموع ما يرشد اليه العهد القديم والجديد ، وأن كان مشاعا بين اليهود والمسيحيين والمجوس
والعرب من الأحاديث والتقاليد والمعادات جمعها محمد ، فتكون منه القرآن تحقيقا لرغبة الجمع
بين الأديان الثلاثة — اليهودى والمسيحي ووثنية العرب والرئاسة المرتقبة على جميع البشر . (٥)
والمعتمد بعد أن هدم الحقيقة القائلة أن القرآن كتاب الله على النيل من خصائص

(١) انظر مقالات كارسان دتاسي ج ١ / ٣٨٨ .
(٢) انظر مقالات كارسان ج ١ / ٤٤١ و ٢٢٤ .
(٣) البقرة آية ٢٣ .
(٤) انظر فنذر ميزان الحق ص ٢٥٥ .
(٥) ميزان الحق ص ٢٢٢ .

المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فنفى عنه النبوة ووصفه بأنه غير نزيه النفس ، يحمل الحقد والحسد على أعدائه ، وأن العهد القديم والجديد لا يدلان على رسالته البتة ، وختم فصول الكتاب يصل بالقارئ الى أن انتشار الاسلام رهين بتقديم محمد الى الناس ما كانوا يرغبون فيه .

ويصل المبشر سكندره أرفنج في كتابه " دين حق كي تحقيق " البحث عن الدين الحق الى تأييد النتائج التي توصل اليها فنذر ، فيؤكد ان دين محمد ليس من عند الله ، لخلوه من علامات دين الحق ، وان القرآن ليس كلاما لله عز وجل ، ولكنه لا يخلو من أمور حسنة ^(١) ويؤمن كارسان دتاسى الفرنسى في مقالاته ان الاسلام هو الصورة المشوهة للمسيحية ، ويتألم ممن يسلم من بنى جلدته لنبذهم الاصل الوطيد والتوجه الى الفرع غير الثابت . ^(٢)

بل لم يتورع دعاة التنصير من طبع ترجمة للقرآن تخدم أغراضهم الدنيئة ، ولو بحذف كلمات منه ، فترى وهري منصر منطقة لودهيانة يطبع ترجمة محرفة يعمد فيها لاثبات نبوة المسيح من القرآن ، الى حذف كلمة " قالوا " من الآيتين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) ^(٣) وقالوا اتخذ الله ولدا . . . " ووضع داعية هوؤ مقدمة لتلك الترجمة ، أشار فيها الى نقاط الاعتراض على الشريعة السمحاء ، ومواضع النقاش مع علماء الاسلام . ^(٤)

هذا وتسربت سموم المنصرين الى المسلمين عن طريقين محاولة اثبات صحة الكتب المقدسة وعدم التحريف فيها ، وأن التثليث هو الواقع في الفطرة ، كالشجرة اذ لها جذع وفروع وأوراق ، والأعداد الكتابية لها طول وعرض وعمق ، والانسان عبارة عن الروح والجسد والقوة الخيالية ^(٥) فلا يدرك كنه التوحيد عندهم الا من تجرع التثليث .

وكانت الطريق الأخرى أشد وقعا وأبعد مرمى ، اذ زرعوا الشك بين المسلمين في العديد من جزئيات الاسلام ، كالرق وتعدد الزوجات والحجاب وحجية السنة في التشريع ، وعدم ابدية أحكام

(١) انظر سكندره أرفنج دين حق كي تحقيق (البحث عن الدين الحق) ص ٦٢ .

(٢) انظر مقالات كارسان ج ١ / ٧٥ .

(٣) البقرة آية : ١١٦ .

(٤) يونس آية : ٦٨ .

(٥) انظر مجلة منشور المحمدى المجلد ١٦ العدد الرابع ص ٣٤ ٥ صفر عام ١٣٠٤ هـ .

(٥) انظر محمد قاسم نانوتوى ميله خدا شناسى (حفل معرفة الاله) ص ٤٠ .

القرآن وعصمة الأنبياء ، وختم الرسالات الالهية بالرسالة المحمدية ، وانكار الجن والملائكة والجنة والنار ، وانكار كل ما غاب عن أنظار البشر ٠٠٠ ، وقد أفلحوا في خلق جيل يتبنى هذه النظريات ويدافع عنها مع انتسابه الى الاسلام .

٤- وكلت الدولة أمور التعليم الى المبلغين المسيحيين في المنطقة ، ففتحوا المكاتب والمدارس والكليات ، وما فتح من قبل الدولة لم يكن يخلو من دراسه الانجيل الاختيارية على الورق والاجبارية في الواقع والعمل ، ولم يحل عام ١٨٧٦م حتى تم افتتاح ٣٥٠٠ معهد ، لتلقى العلم والمعرفة تتصرف فيها الهيئات التنصيرية كما تشاء^(١) ، وقد انتج هذا النوع ما خطط له المستعمرون ، وأثبت فعاليته ، وعقد " ويتبرشت " في مؤتمرات القاهرة التنصيرية عام ١٩٠٦م أما لا على الطلاب المسلمين الوافدين الى أوروبا ، للاعتراف من معين المعرفة وخدمة المسيحية في بلادهم عند الاياب فقال : " ان تعاليم أوروبا تقرب المسلمين من النصرانية ، ويجب علينا أن ننشئ جسرا فوق الهاوية التي تفصل بين العناصر ، وللتوصل الى ذلك يجب أن ننتفع من وجود الطلبة المسلمين في انكلترا " .^(٢)

وتسربت مع اللغات الأوربية : الانجليزية والألمانية والفرنسية والهولندية ٠٠٠ الأفكار المسيحية فشرّبها الاحداث دون ادراك ، واستساغها الآباء بحجة الاطلاع على علوم الأعداء ، وقام تعلم تلك اللغات مقام جسر العبور الى التنصير دون وعي ، وأدرك هذه الحقيقة كثير من الأوربيين ويشير الدكتور كروفرود الى ذلك فيقول " إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدينة النصرانية ، ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعي ، وما دامت الشعوب الاسلامية تتدرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالأنجيل ، فان الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها " ^(٣) ولخص القسيس ولسون في تقريره بمؤتمر لکهنو ١٩١١م أثر التريسة والتعليم الغربيين في مناهضة الاسلام فقال : " إن التربية الغربية هي من قبيل قوة تنحل

(١) انظر مقالات كارسان ج ٢/٣٠٢ .

(٢) الفارة على العالم ص ٣٣ .

(٣) الفارة على العالم ص ٦٥ .

بها عرى الروابط الاسلامية " (١)

لذا غلق مؤتمر لکهنو نجاح التنصير بين المسلمين على نجاح حركات الاصلاح الاسلامية ، وطلب التريث من دعاة حتى تنضج ثمار تلك الحركات . يقول القسيس ولسون " ان الحركة التي تتمخض بها الأرجاء الهندية لم تأت بثمرة الآن ، ولم تظهر الا بشكل أفكار وأعيال ونزعات ، ولكي يتسنى لنا الوقوف على ما يكون من تأثير هذه الحركة في أعمال التنصير يجدر بنا الانتظار ، ريثما تحقق مآرب حاملي لواء الاصلاح في الهند " (٢) وحلل زويمر أعمال حركات الاصلاح فوسم أعضائها بأنهم مبشرو الاسلام الجديد في مصر والهند وجاوة وفارس ، وأنهم يبنون أسسهم على رسم الطرق المعقولة ، وان شيعة الاسلام هؤلاء يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الفرق . (٣)

ونظرة سريعة الى المنهاج الجديد للمدارس المسيحية الابتدائية الذي نفع بعد شكواى اسلامية ، وحل مكان المنهج القديم عام ١٩٣٠م ترى الطالب يبدأ كتابه التعليمي بعنوان " محاربة الأعداء " فيدرس انجيل متى الباب الثالث عشر وتلخص المؤلفه الهدف المنشود بقولها " الغرض هو تهيئة الطالب لتحمل المشاق دهنيا ، حتى يتهيأ لحملها في المستقبل ، والبحث عن طرق الخلاص منها " (٤) وفي الدرس الأخير الثاني والخمسين يلقي الطالب بداية انجيل لوقا حتى الفقرة الثامنة عشرة وتحصر المؤلفه الغاية من الدرس فتقول : " وظل يوحنا وفيما لصاحبه " فالتعليم التنصيري لم يهدف سوى ايجاد متعلمين يوالون المستعمرين ، ويحاولون الحفاظ على الثقافة التنصيرية .

٥- لم يقتصر رجال المسيحية على هذا القدر من افساد التعليم ولكن تقدموا خطوة الى الامام ، ففتحوا العديد من المكتبات العامة وخصصوا الكثير منها لبيع الكتب بأسعار زهيدة ، وهدايا لا تقدر بثمن ، وقدموا المطبوعات الى جميع طبقات الشعب ، الى الفلاح بلغة الفلاحة ، والى الصانع

(١) الفارة على العالم ص ٧١ .

(٢) مجلة المنار ج ١٥ / ٦٧٥ .

(٣) انظر مجلة المنار ج ١٥ / ٦١٢ .

(٤) السيدة أي - اے - اينت انديا سند سے سکول يونين (اتحاد مدارس التنصير الهندية)

ص ١٩ .
(٥) انديا سند سے سکول يونين ص ١٣٣ .

بلغة الصناعة ، والى المتعلم بلغة التعليم ، والى رجال التجارة بلغة التجارة الى كل حسب مهنته (١) والمتتبع لمؤلفات المسيحيين يدرك بيسر أنها دأبت على الشتم وتكذيب المصطفى وانكار معجزاته ، ورفع مكانة عيسى ابن مريم والثالث المقدس ، وتبرير كل ما يمت بصلة الى المسيحية وخلق موافقة بينها وبين العقل ، وقراءة أسماء المؤلفات تشف عما تحتها من الخش بآسم الثمين ، فمن " اعجاز القرآن " الى تكذيبه ، ومن " تعليم محمد " الى هدم أسس الاسلام ، ومن " تاريخ محمد " الى تشويه خلقه ، ومن " تحقيق الايمان " الى التعميد والتثليث ومن " مكاشفات يوحنا " الى اثبات معجزاته ، ومن آثار القيامة الى صلب المسيح ، كفارة عن ذنوب البشر . (٢)

والمقوم لأعمال المنصرين لا يسهه الا أن يقول إن عماد الدين هو الركن الركين للأعمال المسيحية في الهند ، إذ خدم الانجيل قرابة بضع وثلاثين سنة وقدم الى مكتبته ما يقارب نيفا وثمانين كتابا ، فمحتة احدى جامعات إنجلترا درجة الدكتوراة في اللاهوت ، فمن هنا كان موضع اشادة عند الدكتور ويتبرخت الالمانى وعلق أمانى وآمالاً على ما سودت به يدا العماد فقال " واهمية هذه المؤلفات كبيرة ، لأن الذين يكتبونها هم مسلموا الهند المتصرون مثل عماد الدين " (٣) ويلى عماد الدين في المرتبة وارث على الذى تسمى بوارث الدين ، ثم داعية التنصير محمد بخش الذى تسمى بطالب الدين ، وأشهر كتبه " معجزات المسيح " وأتخم هؤلاء الثلاثة المكتبة المسيحية تأليفا وترجمة نظما ونثرا . (٤)

٦ - ومن الطرق التى تبناها المسيحيون لنشر الانجيل فى العهد الذى حاولت فيه الدولة فرض المسيحية على الشعب أن يخلو غلاف الكتاب من اسم المؤلف أو المترجم ، وإن وجد شئ من ذلك فأنك تجد معه لقب " مولوى " الشيخ لا يهام القراء أن الكتاب يتحدث عن الاسلام ، وانه لأحد الغيورين على الدين ، أضف الى ذلك أن العديد من المؤلفات المسيحية وضعت بأسماء علماء الاسلام لتتخطى الحواجز المفروضة على كتب للتنصير ، وتنفذ الى قلوب الامة للنيل من الاسلام

-
- (١) انظر محمد أيوب قادري ، تبليغى جكاكت كاتارىخى جائزة (استمرارى تاريخى لجماعة التبليغ) ص ٦٤ ، وانظر النداء الذى وجهته جمعية حماية الاسلام فى مجلة منشور محمدى مجلد ٢٤ جزء ٢٥ صفحة ٢٧٤ فى ٢٥ شعبان ١٣٠٣ .
- (٢) انظر مقالات كارسان ج ٨٧/١ و ج ٢١٨/٢ .
- (٣) مجلة المنار ج ٦٥/١٥ وانظر مقالات كارسان ج ٣٨٥/١ (٤) انظر تبليغى جماعت ص ٦٧ .

باسم أحد حماته .

٧ - فتح دعاة ^{التنصير} باب الترجمة لكتب قدامى النصارى ولا سيما الذين كان لهم نفوذ فى بلاط ملوك المسلمين ، وقد موا الجوائز المغرية لترجمة كتب الطبي الكندى - ^{هبريل} الذى ظل على مسيحيته فى قصر هارون الرشيد - للتأثير فى عقلية من يقوم بالترجمة وتشويه صورة الدولة الاسلامية من ناحية وتكثيف الأدب المسيحى الاردى من ناحية اخرى ، ولم يكن أمام المسلم المثقف سبيل الى كسب عيش الكفاف سوى خدمة المسيحية . (١)

١ - بنى رجال الانجيل على ^{التنصير} المجادلة والمناظرة ، وأعلنوا للملأ صحة التثليث والوهية المسيح وعدم تحريف الكتب المقدسة ، وحشروا الأدلة الجدلية لاثبات دعواهم وطلان ما ينافيها ، وظلت الجدليات تسير التنصير منذ الاذن العام لنشر المسيحية فى الهند ، واشتد ساعدها حين دخل الساحة المناظرون ذوو اللجاجة كفندر ، ونولس ، وجورج الفرد ليفرى ، وأهم مناظرات الأول هى ما وقعت بينه وبين الشيخ رحمة الله صاحب "اظهار الحق" عام ١٨٥٤م ، وأهم مناظرات الأوسط هى ما وقعت بينه وبين الشيخ محمد قاسم نانوتوى عام ١٨٧٦م ، وأهم مناظرات الأخير ما عقدت بجوار دهللى العاصمة عام ١٨٩٠م بينه وبين الشيخ اشرف الحق (٢) واستمرت المناظرات مع علماء الاسلام يهزم فيها ^{التنصير} تلوا الآخر حتى عقد مؤتمر القاهرة ، اذ غير القسيس هاريك خطط السير بقوله " لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل التى وضعها الدكتور بفندرالمبشر ، ولم يكن من نتائجها غير وقوف الحكومة العثمانية فى وجه المبشرين ، أو الذين ينتمون اليهم " (٣)

وقبيل الاستقلال ترى القبضة الحديدية المسيحية قد شددت الخناق على الاسلام ، حتى بدت واضحة تلفت نظر الزائر الغريب ، وهذا ما حمل وكيل رئاسة قضاء الحجاز الشيخ محمود شويل حين زار الهند على الاستفسار من أحد أئمة المساجد فى عدم استعجال التلقين كلمة التوحيد لمن يريد اعتناق الاسلام ، ووضع العديد من الأسئلة التى لم يأمر بها الشارع الحكيم أمامه ، فأجاب الامام بقوله " هناك أوامر حكومية توجب عليهم القاء كل ما سمعته اذناى على مريدى الاسلام ، فلا بد من فعلها وتقييدها فى ورقة خاصة ، تقدم الى الحكومة عند الطلب " . (٤)

(١) انظر مجلة منشور محمدى المجلد ١٦ العدد الثالث ص ٢١ للعام ١٣٠٤هـ

(٢) انظر تبليغى جماعت كا ٠٠٠ ص ٦٦ . (٣) الفارة ص ٢٨ ، وانظر مجلة المنارج ٣٧٨/١٥

(٤) مجلة الفتح ج ٦٠٢/٨ .

٩ — بعد تحطيم المسلمين سياسيا واقتصاديا أغرت ارساليات التنصير العديد من —
 الشخصيات الاسلامية المتعلمة ، التي دلت بعد عز وافقرت بعد غنى ، بفتح أبواب
 التوظيف الكنسى امامهم ، بعد أن أغلقت الدولة فى وجههم أبواب الرزق الشريف ،
 فتنصر من كتب عليه الشقاء وخدم الانجيل بعد خدمته القرآن ، ومن أبرز هؤلاء المنصرين
 عماد الدين لاهز وجانى على ، اللذان ضحيا بالاجلة الباقية من أجل العاجلة الفانية ، وقبل
 الأول توظيف الكنيسة عام ١٨٦٨م ، والآخر عام ١٨٧٧م من الميلاد أثر انسداد سبل
 المعيشة المشروعة امامهما (١)

١٠ — كثفت كثير من الجمعيات أعمال التنصير أثر نداء زويمر فى مؤتمر لكهنؤو، واتخذوا
 خدمة الانسانية ، وأعمال التطبيب مهنة لزرع المسيحية بين مرضى المسلمين ، وقضوا الساعات
 الطوال بجوارهم ، رجاء التنصير والدخول فى الحظيرة المسيحية ، ويوجز الدكتور اهاراس
 طبيب الارسالية بالشام وطرابلس مهمة الطبيب المنصرف يقول : " يجب على طبيب ارساليات
 التبشير ان لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك . " (٢)
 وأدرك رجال النصرانية ما للمنصرة والطبية المسيحية من تأثير فعال فى الأسر الاسلامية
 لزيارتهم للمسلمات فى البيوت وتردد الأمهات اليهن لعلاج الأطفال ، وعدم اهتمام المسلمين
 من الرجال بأعمال النساء المنصرات أو اساءة الظن بهن ، ففطوا المنطقة بالتصوير
 النسائى تحت ستار العلاج ، وتصف الأنسة ولسن أعمال البهلات فتقول : " إن النساء
 المبشرات يستعن فى الهند بالمدارس ، والعيادات الطبية ، وزيارة قرى الفلاحين ، لينشرن
 النصرانية بين طبقات الناس " (٣)

بل من الجمعيات ما حصرت أعمالهن فى التطبيب " كجمعية التوراة الطبية " وجاء فى تقريرها
 السنوى أنها تقوم بتبليغ المسيحية بين المسلمين والهندوسيات على السواء ، ويقوم مبلغوها
 ومبلغاتها بأكثر من ٦٠٠٠ زيارة منزلية ، وتعتنى بتعليم ٦٠٠٠ شخص ، وتعالج ٣٢٠٠٠ امرأة (٤)

(١) انظر المبشر خورشيد عالم تاريخ بشارت الهند وباكستان ص ١٥٩ وهمارى هندوستانى

مسلمان ص ٢٢٠.

(٢) مجلة المنار ج ٣٧٥/١٥ (٣) مجلة المنار ج ٣٧٦/١٥ وانظر ج ٦٧٣/١٥

(٤) انظر مرزا مهدي على خان كزيتر ممالك محروسة ص ٤٧ والغارة ص ٨٥ .

١١ - منحت الدولة الحاكمة الاعانات السخية لرجال الانجيل ~~وخدتهم~~ بالجاه وسلطة الشرف ، حتى اكتسب دعاة التنصير ثوب الراحة والأمن على يديها . يقولون ما يشاؤون ويشتمون من يريدون ويكذبون ما يحلو لهم تكذيبه ، ولا يجسر أحد أن ينبس بنبت شفه تجاههم ، وقد اعترف بهذا التأييد والأيدى البيضاء التي قدمت لهؤلاء الدعاة الاستاذ شلاتار في مؤتمر ادنبره المنعقد عام ١٩١٠م فصرح : " أما في الهند فالمشرون متمتعون بالراحة ، لأن الحكومة تساعدكم وتعضدكم بالاعانات ، وتشرف على المكان الذي تصرف فيه هذه الاعانات " . (١)

١٢ - خرجت على اثر الكوارث الطبيعية فكرة انشاء دور الأيتام لتربية الأطفال وتنشئتهم على الديانة المسيحية ، واستولت الارساليات على أبناء المسلمين والهندوس الأيتام على السواء ، ولم تجد الاحتجاجات وأصوات المعارضة نفعا تجاه أعمال المنصرين التربوية ، كما أنه لم تجد أنفة السيد أحمد خان وصيحاته المدوية اذنا صاغية ، بل وقع منزله أول ضحايا الاحتجاج ، اذ سلب من بيته ما يربو على أربعة أطفال ، لتتولى البعثات المسيحية تربيتهم لحساب المسيحية والتثليث . (٢)

١٣ - ولقطع صلة المسلمين بالماضي شجع دعاة التنصير اللهجات المحلية المهجورة باسم الادب الشعبي ، لخلو تلك اللهجات من الكتابات الاسلامية ، فترجموا الكتاب المقدس وقصصه الشعبية والفرامية الى اللهجات التي لم تعرف التدوين طوال حياتها ، ولخص الاستاذ حميد الله الغاية المنشودة من وراء هذا الأدب فقال : " إن كارسان دتاسى كان عالما بالمخططات الانجليزية ، وما تهدف اليه من الغاء الفارسية ٠٠٠ ، ونشر اللغات المحلية وتشجيعها اذ لا وجود لأدب ديني في تلك اللغات ، ومن وراء ستار الأدب ينبغي تشجيع القصص والفكاهيات والشعر ، حتى نزول العقبات أمام نشر المسيحية بين أبناء تلك البلاد " . (٣)

(١) الفارة ص ٤٧ .

(٢) انظر سرسيد كى كهانى ص ١٠٠

(٣) مقالات كارسان دتاسى ج ٤٠٦/١

وأقدم نسخة اطلعت عليها باللهجة المحلية البنجابية هي صحف الزبور صحت في قالب شعري شعبي نشرته " بنجاب ريلجئس بك سوسائتي " عام ١٩١٦م غير أن ترجمة التوراة تمت الى اللغات الحية الهندية عام ١٨٢٢م ، ثم تلتها ببضع سنوات ترجمة الكتاب المقدس كله ، وقامت جيوش التنصير بإبلاغه الى الناس بالقاء الخطب في الشوارع الرئيسية بالمدن وتقاطع الطرق وعقد المحاضرات وتوزيع المنشورات ، والدعوة الى المناظرات العلمية في الارياف وعواصم المقاطعات ، ولم يكن يلبذ التجوال في الأسواق الهندية الا لجيش الاخضاع والسياح الانجليز ورجال التنصير . (١)

١٤ - جبلت النفس الهندية على حب الالحان وسماع النغم ، وقد شغل حل السماع وحرمة الحيز الأكبر من حياة العلماء الصوفية ، وأدرك منظمو التنصير ما للموسيقى من تأثير على النفس الهندية ، فدرّبوا الدعاة عليها وأمروهم بالعزف لجمع الناس ، وإيصال صوت الانجيل الى الخلق بسهولة وأضافوا لتيسير المهمة عرض مناظر الفافوس السحري - السينما في صورتها البدائية - مثلاً في صورة عيسى المسيح وامه التمول وأعمالهما الخيرية دون مقابل ، وحاولوا جمع أكبر حشد ممكن بالطريقتين للتأثير فيهم بالصوت والصورة . (٢)

١٥ - استباح رجال ^{المسيحية} كل وسيلة لتنصير المسلمين ، ولما اعترض بعض السلاطين طريقهم أزاحوه عن المنصة وخلصوه كما يخلص الثوب ، لذا لم يعض على قرارات مؤتمر القاهرة زمن طويل ، حتى حدث الانقلاب الفارسي والعثماني وعزل السلطان عبدالحميد وانهدم الصرح الذي ظل يهدد أعداء الدين بإعلان الجهاد لطردهم من بلاد الاسلام ، وهذا ما جعل مخططو التنصير يعيدون تقويم أعمالهم وتنفيذ خططهم في مؤتمر لكهنو ، وصرح رئيسه القسيس زويمر أن - السنوات الخمس التي اعقبت مؤتمر القاهرة أتت بتغييرات خطيرة في العالم الاسلامي ، منها الانقلابان ومدسكة حديد الحجاز ، وانشاء عدة مجالس ادارة واستشارة في الهند ، وان هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد في أمر التنصير . (٣)

(١) انظر حاضر العالم الاسلامي ج ٢٨/١ والفارة ص ٨٤ .

(٢) انظر مجلة المنار ج ٣٧٢/١٥ .

(٣) انظر مجلة المنار ج ٦٧١/١٥ .

١٦ — نشأت فكرة عقد المؤتمرات التنصيرية — أثر تقويم أعمال التنصير في الهند خلال قرن من الزمان — للبحث عن ازالة المشاكل التي حالت دون تعميم التنصير بين المسلمين والهندوس ^١ ، ووقع أول اجتماع للمهتمين بنشر الأنجيل بين المسلمين في لمبث عام ١٨٨٨م وخاض المجتمعون في العديد من جزئيات الاسلام كخوضهم فيما لو تنصر الزوج هل يفرق الاسلام بينه وبين زوجته المسلمة ، ثم تلاه اجتماع كلفلند وبحث المؤتمر في أوضاع العالم الاسلامي كله وأوصوا باتخاذ الاجراءات الكفيلة لتنصير المسلمين جميعا . (١)

وعقد بعد كلفلند مؤتمر الأديان بشيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٣م ومثله من الهند المبشر عماد الدين وقرأ على المؤتمرين صحيفة أعماله التنصيرية بذكر خمسين اسما مسلما ارتد أصحابها عن الاسلام ، وأخلصوا للنصرانية ، وتلا شيكاغو مؤتمر تاشفيل في فبراير عام ١٩٠٦م وخرج بنداء يستنهض هم الأمة الأوربية ، ويطلب منها التطوع لايجاد فئة يوقفون حياتهم لخدمة الأنجيل ، ويضحون بدمائهم وراحتهم لابلاغ المسيحية الى العالم الاسلامي كله وجاء عقد مؤتمر القاهرة لتأكيد نداء تاشفيل بمدة لاتعدو ستين يوما ، وكان انعقاده تلبية لطلب زويمر — رئيس ارسالية التنصير البحرينية الذي حث في طلبه على عقد مؤتمر عام يجمع البعثات التنصيرية البروتستانتية كلها ، فوضعت فكرته على بساط البحث في ميسور ، — ولاية تيبو سلطان المسلم — ثم عرض الاقتراح على مؤتمر مد راس الذي كان يعقد كل عشر سنوات ، فأجازه . وافتتح مؤتمر القاهرة التنصيري أعماله في منزل غرابي باشا ، يوم ٤/٤/١٩٠٦م ، وبلغ عدد المندوبين ٦٢ بين رجال ونساء ، وترأسهم زويمر وشمل برنامجهم : الاسلام في أفريقيا وفي الدولة العثمانية ، وفي الهند وفارس وملايو والصين والارتداد عن الاسلام ووسائل انقاذ المتنصرين المضطهدين ، وشئون نسائية اسلامية ، وموضوعات تتعلق بتربية المنصرين وعلاقة بعضهم ببعض ، وتعيين النشرات التي ينبغي نشرها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين من عامة الناس . (٢)

وفي عام ١٩١٠م عقد المؤتمر العالي — مؤتمر أدنبره — بانجلترا لجميع المنظمات التنصيرية وحضره ألف ومائتا مندوب منهم ٥٠٢ من الانجليز والأمريكيين ، وواقفهم بين فرنسي وهولندي وألماني واعتذر الرئيس روزفلت الأمريكي عن الحضور واشترك المستر براين الذي رشح نفسه أكثر

(١) انظر مجلة المنار ج ٣٧٨/١٥ و ٣٨٠ . (٢) انظر مجلة المنار ج ٣٦٩/١٥ .

من مرة لرئاسة الجمهورية ، وكان أهم المباحث وأعقدها حلاً أمام المؤتمرين هي كيف تقاوم الاسلام الذي يقف سدا منيعاً في وجه التنصير ، ^(١) وامتدح رئيس الشرف لمؤتمر أدنبره اللورد بلغور أعمال المنصرين ، وعين مكانتهم في كل دولة فقال : " ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات ، وعلى هذا فنحن في حاجة الى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل بما فيه مصلحة المبشرين . ^(٢) وخرج مؤتمر أدنبره بتشكيل لجان دائمة العمل ، منها لجنة الاحصائيات ، ولجنة النشر والتوزيع ولجنة التربية والتعليم ، ولجنة دراسة العقبات التي تحول دون نشر الانجيل بين المسلمين ، ولمتابعة أعمال أدنبره انعقد مؤتمر المانيا الاستعماري ظاهراً ، والتنصيري غاية وهدفاً بعد بضعة شهور ، وحضر شكل رئيس غرفة التجارة الألمانية بها مهوج غرض المؤتمر في قوله " ان نمو ثروة الاستعمار تتوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون الى المستعمرات ، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمانة ادخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة ، لأن هذا هو الشرط الجوهرى للحصول على الامنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية " ^(٣)

وكان آخر المؤتمرات التنصيرية العلنية هو مؤتمر لكهنوبالهند ، وبدأت جلساته في مدرسة " ايزابلا ثوربون " للبنات البروتستانتية ، واستمرت مناقشاته الى ١٩١١/١/٢٩ م على امتداد تسعة أيام متتالية ، واشترك فيه ١٦٨ مندوباً عن أربع وخمسين جمعية تنصيرية وترأس مناقشاته ومداولاته زويمر ، واشترك فيه العديد من الأساتذة المستشرقين والدعاة المنصرين كالدكتور وتبربرخت الألماني ، والدكتور وهري .

هذا ومنع الصحفيون بما فيهم الانجليز والأمريكيون من حضور جلسات المؤتمر ، ولم ترسل اليهم مذكراته الا بعد تنقيح وتطهير ، وشعار المؤتمر الذي وزع على المشتركين ينبتك على داربين جدار تلك المدرسة ، ان كتب على جهة منه تذكركم مؤتمر لكهنوبالهند ١٩١١ م ، وعلى الجهة الأخرى عبارة " اللهم يامن يسجد لك العالم الاسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع ، انظر بشفقة الى الشعوب الاسلامية ، والههمها الخلاص بيسوع المسيح " ^(٤) وخرج المؤتمر بتوصيات تحث على نشر المسيحية في أفريقيا وجلب أكبر عدد

(١) انظر رئيس أحمد جعفرى على برادران (الاخوان العليان محمد على وشوكت على) ص ٢١٣ .

(٢) انظر مجلة المنار ج ٥٢٠/١٥ (٣) مجلة المنار ج ٥٢١/١٥ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

ممكن من النساء لهذا الغرض .

ولأول وهلة يرى المتتبع لأعمال المؤتمرات أنها استهدفت جمع المعلومات عن العالم الاسلامى واقتناص الثغرات التى يمكن بواسطتها هدم التوحيد ، والحث على اجتناب كل طريق تبعد المسلمين عن المسيحية ، فمن قائل بوجوب ارتداء داعية التنصير زيا غير زى رجل الدولة (١) ومن ناصح أن المبلغ الذى يعد نفسه لمجادلة المسلمين يجب أن تتفوق فيه الصفات الخلقية ، والاستقامة التامة على المزايا العقلية ، وأن يكون مقتنعا بصحة البراهين التى يستدل بها ، وأن يضع الفوز على خصمه نصب عينيه (٢) ويجمل زهير أوصاف رجل الأنجيل الناجح فيوصى بوجوب جلوسه أثناء الخطبة ، ليكون تأثيره أقوى وأنفذ فى قلوب السامعين ، والا تتخلل خطبته كلمات أجنبية عنهم ، وأن يبدل العناية فى اختيار الموضوعات وأن يكون مستحضرا لآيات القرآن والأنجيل ، عالما بمحل المناقشة ، وأن يلقى الخطبة بصوت رخيم ولفصاحة تفهم عنه كل كلمة (٣) تلك هى الطرق التقليدية القديمة ، التى أنتهجتها المنظمات المسيحية حتى الاستقلال ، وتقسيم شبه الجزيرة الهندية الى جمهوريتين - باكستان والهند - عام ١٩٤٧م ، وبعد - بروزهما على خارطة العالم اختلف طرق التنصير ، وتغيرت خطط المسيحيين لاستقلال الدولتين على أسس دينية ، فلم يعد يؤثر اليوم ما كان ذا تأثير عام الى مس القريب من ناحية ، ومن ناحية أخرى تطورت الطرق التقنية الدعائية وسهل الوصول الى كل بيت ، ومن هنا اقتضى الحديث الفصل بين الجديد والقديم من طرق التنصير .

السبل الحديثه لبث الانجيل :

ما تزال جل الطرق القديمة سارية المفعول ولو على نطاق ضيق ، ولا زال أمر البعثات وتوزيع المطبوعات وفتح المكتبات العامة واقامة دور الضيافة (Hostels) للأيتام ٠٠٠ قائما على ما كان ، ولم يختلف من الطرق القديمة الا الفروع التى اختصت فى الكليات لتخريج دعاة المسيحية ، واعانة الدولة المالحة لاغراض التنصير .

(٢) انظر الفارة ص ٢٧ .

(١) انظر مقالات كارسان ج ١ ص ٢٢٠ .

(٣) انظر الفارة ص ٢٠ .

١ - من السهل ما تغيرت جهاتها كاستبدال التوظيف لدى الادارات الحكومية بالتوظيف الكسبي ، ويعتني دعاة التنصير ندو النفوذ بالمتخرجين في الكليات غير المسيحية ، رجاء جلبهم الى الانجيل ، فيتوسطون لدى الحكام حيناً ، ويوظفونهم في اداراتهم المسيحية أحياناً أخرى ، ويصبح الموظف المسلم أسيراً ^{بذلك} احسانهم ، يتألم من الحرمان الذي اصابه من اخوانه المسلمين وتزداد الحركة المسيحية به حفاوة وتكريماً ، حتى يقع في شباكهم فيضمر بالمال ، فيعين لكل فرد من أفراد أسرته منحة مالية يتسلمها عند نهاية كل شهر ، ويعفى أبناءه من ضرائب التعليم ، وكثيراً ما يُساح به في الدول الأوروبية على حساب المسيحية (١) . ولو أردت حصر من تنصر عن هذا الطريق لتجاوز الآلاف منذ الاستقلال حتى اليوم .

٢ - تعنى العيادات والمستوصفات والمشافى المسيحية بالمرضى المسلمين ذكورا وإناثاً ، ويحاول العاملون في تلك الدور كسب ثقتهم بكل وسيلة ، غير أن جرعات العلاج لا تخلو من جرعات التنصير (٢) وإذا اقتضى الأمر ادخال مريضة مسلمة في إحدى تلك المستشفيات فإن العناية الطبية تحيط بها من كل جانب ، وما ان تحس المصابة بتحسن حتى تحوم الاستفسارات عن أسرتها ، وصلة الوفاق أو الخلاف بينها وبين الأسرة ، فإن وجد أن المريضة على خلاف مع أسرتها وإن المودة لا تغمر المنزل ، فإن العاملين من الأطباء والمرضات . . . يبذلون كل ما في وسعهم تأجيج نار الشقاق ، وترغب المريضة في الالتجاء اليهم عند الخصام ، وكم من أسرة تهدمت وطفل فقد حنان الأم وولى هربت منه موليته لحماية تلك الدور العلاجية إياهن ، وتهربن الى الجهات المسيحية المأمونة ، ليأخذن طريقهن الى التنصير والتعميد . (٢)

اضف الى ذلك اثارة الشبهات في اذهان المرضى المقبلين على العمليات الجراحية والولادة في اللحظات الحرجة ، فترى الأطباء ومعاونينهم يرددون كلمة " انا نطلب من الاله المسيح نجاح هذه العملية ، ونستجلب عونه " في السويكات التي تسبق العملية ، وكثيراً ما ترسخ تلك

(١) انظر الدكتور نادر رضا . باكستان مين مسيحيت (التنصير في باكستان) ص ٣٣٥ .

(٢) انظر ابا الاعلى المردودي مكاتيب ترتيب عاصم نعماني ج ١ / ٢٢٠ .

(٣) انظر مجلة اردود أنجست الشهرية اللاهورية ص ١٦٨ عدد أبريل ١٩٦٧ م .

الكلمات فى العقول غير المدركة معنى كلمة التوحيد ، فتجرى على ألسنتها كلمات المستشفى عن غير قصد عند كل اصابة .

ويرى الدكتور نادر أن دور العلاج الانجيلية كلها تعطى الجرعات الأولى للمريض خالية من العناصر العلاجية ، وتقدمها الممرضة المسيحية قائلة " تناولها باسم الله وباسم رسوله " وتستمر العملية الخداعية عدة أيام حتى يضجر المريض ويزداد ألعلى ألم ، فيسعف عندئذ بالدواء ، ويقال له " اشربه باسم الاله يسوع المسيح " فيبدأ باذن الله لاصابة الدواء الداء ، ويظل أثر تلك الكلمات مرتسxa فى مخيلة المريض ^(١) يعيد ها عند كل حدث ونازلة .
والأمر الملفت للنظر أن هذه الدور الشفائية لا تمثل للأوامر الرئاسية الا اذا رافقتها مصلحة التصير ، لذا لم تدمج جمعية " سنت جان ايبولنس " الطبية فى الهلال الأحمر الباكستانى حتى اليوم رغم صدور الأمر الرئاسى بذلك عام ١٩٧٩ من المبلاد . ^(٢)

٣ - صاحب اقامة دور الأيتام دخول دعاة المسيحية الى الهند ، غير أن فترة ما بعد الاستقلال بدت كفرصة ذهبية لذلك العمل اذ فقد العديد من الأبناء آباءهم ابان الهجرة من الهند الى باكستان ، أو العكس نتيجة التصادم بين المسلمين والهندوس ، واستمر التشاحن بضع سنين حتى تمت عملية نقل السكان ، ولو حاولت أن تقارن بلغة الاعداد بين الفترتين فى جزء من أجزاء باكستان ، لا تضح لك أن الكاثوليك لم يكن لهم قبل الاستقلال سوى دار واحدة فى كراتشى ^(٣) ، وبلغ العدد فى المقاطعات الباكستانية الأربعة ٦٢ دارا لهذه الطائفة فى الثمانينات من هذا القرن ، ثلاثون منها للبنات ، وسائرهما للولاد ، وبلغ عدد القاطنين بها أكثر من ٣٤٠٠ بين طالب وطالبة متنصرين أو ينتظرون التنصير . ^(٤)

اذا كان هذا ما يملكه الكاثوليك الذين لا تعد ونسبتهم ٣٩% بين الفئات العاملة للانجيل فماذا عسى أن يملك ٦١% من المسيحيين العاملين للتنصير فى باكستان ؟

(١) انظر باكستان مین مسیحیت ص ٣٣٨ .

(٢) انظر صحيفة جارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩ الملحق الخاص عن التنصير فى

باكستان ص ١ . Alcuin Van Miltenburg, Rt. Rev. MGR In the Land of Sindh and Balochi . P 26.

(٣) انظر : الكوين ون فى أرض السندى والبلوشى ص ٢٦

(٤) انظر باكستان مین مسیحیت ص ٤٧٣ الى ٤٧٦ .

ولتموين هذه الدور بالبشر طرق عديدة أهمها :-

أ - ما يولد من الأطفال غير الشرعيين في المستشفيات المسيحية يوهبون لهذه الدور ، سترًا على الزانية وحفظًا لكرامة الأسرة ، وما يولد من هؤلاء في مستشفيات الدولة تسمى الممرضات المسيحيات لتسلمه من الأسرة ، أو إدارة المستشفى بكل السبل الممكنة .

ب - ما يلتقط من الأطفال في الأزقة والشوارع العامة نتيجة اللقاء الجنسي المحرم ، يأخذ طريقه لملء فراغ تلك الدور ، وكثيرا ما يجول رجال الانجيل في مناطق مظان الفساد ، والأماكن المظلمة ليلا لهذا الغرض ، بينما دور الأيتام الحكومية لا تقبل الا ما يأتيها عن طريق الشرطة أو القضاء .

ج - يهرول دعاة التنصير الى الأماكن المصابة بالكوارث تحت ستار تقديم الاسعاف والمعونة العاجلة للمصابين ، فيستغلون تلك الظروف الحرجة ويحوزون الأيتام الاحداث دون معاناة ، وحرب انفصال بنجلاديش كانت أعظم فوز أفلحت فيه الحركات المسيحية في تسلم الأطفال .

د - يشير التقرير الهندي لولاية مد هيه برديش أن المسيحيين كثيرا ما يرتكبون حوادث الاختطاف للأطفال والنساء ، لتعميم المسيحية وتكثير عدد نفوسها في الهند ،^(١) وهناك حادثة مشهورة في منطقة كراتشي اذ اختطف المسيحيون عام ١٩٥٥م فتاة تسمى قمر الضياء ، وغيروا اسمها بعد تنصيرها بالقوة - الى ايستهر ، ثم قتلوها في مدينة جيحة وطني عام ١٩٠٩م حين سمعوا منها ما ينبئ عن رغبتها في زيارة أسرتها المسلمة . وأمثال هذا الحادث كثيرا ما يتكرر لحساب التثليث^(٢) .

٤ - ظل التعليم بعد الاستقلال بضع عشرة سنة موافقا لما كان عليه قبل ذلك في الباكستان ، وفي أوائل السبعينات حاولت الدولة إلزام المدارس والكليات تدريس مادة " إسلاميات " الثقافية الاسلامية ، غير أن جميع الكليات المسيحية احتجت على فرض هذه المادة عليها ، وأعلنت ان كل ما يلزم لتدريس تلك المادة يجب أن تتحمل الدولة نفقته ، من دفع ايجار المكان وجلب الأثاث

(١) انظر : Govt. of Madhia Perdes. Report Enquiry Committee on Christain Missionary Activities. P. 1.

حكومة مد هيه برديش الهندية ، تقرير لجنة التحقيق عن نشاطات المسيحيين ص ١ .

(٢) انظر باكستان ميمن ص ٣٨٦ .

والكتاب المقرر ودفع رواتب المدرسين الذين سيتولون التدريس ٠٠٠ وقد صرح بهذه الحقيقة المرة وزير التعليم الباكستاني ، مشيراً إلى أن الدولة قدمت اعانة تقدر بـ ٦٧٨٩٤٠٩ روبية إلى المدارس المسيحية ، لتدريس الاسلاميات للفترة ما بين ١٩٦٢ - ١٩٦٦ م^(١) بينما لا تزال العديد من المعاهد تدرس الانجيل لأبناء المسلمين حتى اليوم ، وتقوم العديد من البعثات بفتح مدارس جديدة لها متحدة مشاعر جميع الأمة المسلمة .

وتقوم حالياً جل المدارس المسيحية بطبع دراسات مستقلة (Course) عن المسيحية ذات مراحل متعددة ، ويعلنون عنها في الصحافة ومواسطة مبلغهم بين الحين والآخر، وترسلها المدارس مجاناً إلى كل من أبدى الرغبة في الحصول عليها ، ويحتوى كتاب المنهج البدائى " السلسلة الأولى " على خمسة وعشرين درساً ، ففى اسئلة سهلة عامة —————
يتمتحان الدارس عند نهايتها بالمراسلة ، ويعطى شهادة مزخرفة ذات ألوان جذابة وتنسب كـ
المصحح عند وضع الدرجات لادخال الفرحة إلى صاحبها ، وكسبه للمسيحية ، ويعقب نهاية المرحلة الأولى السلسلة الثانية التى عنوان لها " سيرة المسيح وظروفه المعيشية " وتأتى الثالثة تحت اشعار " طريق النجاة " مطبعة الدارس فى ارسال نسخة من الكتاب المقدس كهدية تذكارية عند اجتياز الامتحان لهذه الدراسات ، وتأتى الحلقة الرابعة من هذه الدراسات تحت عنوان " حياتك اليومية " وتصل الحلقة المكملة لهذه الدراسة إلى الدارس باسم " الأسس المسيحية " وبذلك يتم المقصود ، ويصيب السهم مرماه .

٤ - تحول عرض الأفلام ، ومناظر الفانوس السحرى من الساحات العامة إلى الكنائس ، ومراكز العمل الكنسية ، ويرغب فى رؤيتها بالاعلان عنها فى الصحف المسيحية ، وارسال البطاقات الخاصة لمن يتوهم فيهم السكوت على العرض المشاهد ، ويقوم المنصر المسيحي عقب انتهاء الشريط السينمائى بالقاء محاضرة عن أحد دروس الانجيل ، لغرس المسيحية فى المستمعين ، ولتهيئة التربة لالقاء البذر ثم التعميد فى القريب العاجل .

٥ - اتقنت العديد من المسيحيات الضرب على آلات العزف والموسيقى ، واختصن بتنظيم

(١) انظر صحيفة جنك اليومية عدد ١١/٦/١٩٦٦ م وسيأتى تفصيل هذه المدارس فى فصل

أناشيد الكتاب المقدس ، وأخذن في الآونة الأخيرة في جوب قرى الفلاحين على شكل فرق وجماعات ، تضمن رجالهن في كل قرية اسبوعاً أو أكثر ، ويعتبر هذا المنهج أمضى سلاح وقع في الأيدي المسيحية لخدمة مسيحياتهم بين الأرياف والقرى في شبه القارة .

٦ — تطورت طرق ابلاغ الكلمة الانجيلية من الخطبة وتوزيع الكتاب والقاء المحاضرات العامة الى ارسال الصحف المسيحية دون مقابل ، وكم من متحير لا يدري عن الكيفية التي تمكنت بموجبه تلك المجلات من أخذ عنوانه ، وكثيراً ما تُخدَم هذه الجهة من قبل المكتبات الأميركية والبريطانية وأدلة الهاتف وإدارته المحلية .

الطرق المعاصرة لنشر المسيحية : =====

تلك هي أهم السبل التي اختلف وضعها بعد عهد الاستقلال ، ولكن هناك طرقاً استحدثت في المنطقة بعد التقسيم ، لم يكن للهند بها عهد من قبل ، وهذا ما سيربك في الأسطر التالية :

١ — التحمت شبه القارة بعد الاستقلال بالدول الأوربية والولايات المتحدة أكثر من ذي قبل ، وأخذ الهنود يجهون تلك البلاد سياحاً وتجاراً مصدرين ومستوردين وتمت الحلقة حين أقدم العديد من المتعلمين ورجال الدولة الأغنياء على الزواج بالمسيحيات في تلك البلاد ، إن شئت الإرادة الإلهية اسلام هؤلاء الزوجات ، ونطقن بكلمة التوحيد فان عاداتهن وتقاليدهن الاجتماعية تظل على حالها ، لا تختلف بالاسلام عما كانت عليه قبله ، بل تبقى على صلة بالرهبان والراهبات وأبناء بلادها المسيحيين ، يزورونها بين الحين والآخر ، وفي الأعم الأغلب تبقى على عقيدتها لاشتراط القسيس عليها بذلك عند الاذن بالعقد ، ويصل الضغط الكسبي أحياناً الى أن يقبل المسلم تربية أولاده على عقيدة أمهم المسيحية . (١)

وفي السبعينات من هذا القرن ازداد الوضع سوءاً حين أقدم الموظفون العاملون في السفارات الأجنبية بباكستان من ذوي الدخل المحدود على البناء بالمسيحيات الأوربيات بصورة تلفت النظر ، مما حمل الدولة على تشريع قانون يمنع ذلك الزواج ويضع العديد من الشروط في طريقه ، قلما تتوفر في المقدم عليه . (٢)

(١) انظر باكستان ميم مسيحية ص ٣٥٥ . (٢) انظر صحيفة جنك عدد ٤ / أغسطس / ١٩٦٥ م .

ولاقتناص عامة الشعب اغرت الكنيسة الكثير من الشباب بالعقد على المسيحية المحلية المتعلمة ، اذا اعتنق التثليث ، ويعترف تقرير الهند ضمن طرق نشر المسيحية بعرض نبات الصليب على الشباب ، اذا رضى بتحويل عقيدته الى عقيدة من سيبنى بها ^(١) وقائمة الاستاذ نادر لمثل هذا العرض أو من تنصر عن هذا الطريق غرفة من حوض ، وغيض من فيض ^(٢) لذا يحصر البروفيسور ج - بوليو - فيوك تعليم البنت الأوربية في أن تهبأ عن طريق التدريس وتلقى العلوم ، حتى تستطيع اقتناص أحد المسلمين البارزين ، بواسطة النكاح ^(٣) .

٢ - والمصدر الآخر الذى ينفذ منه التنصير ويحاول التأثير على مسلمي شبه القارة هم أساتذة الكليات والجامعات والاختصاصيون في مختلف الميادين ، المستقدمون لأهداف التعليم والزراعة والبت الاذاعى والتعمير ومختلف الميادين التقنية ، وأينما حل امثال هؤلاء بذلوا كل ما فى وسعهم في محاولات التغريب ، وتمثيل بلدانهم المسيحية في كل مركز من مراكز العمل ، وأغلبية هؤلاء يأتون كمستشارين ومخططين فتعم البلوى جميع طبقات الشعب ، لسير الدولة على وفق ما يرسم لها أولئك المسيحيون ، وتلك حقيقة يدرك مرماها كل مسلم ينعم النظر في بعد المسلمين عن الاسلام وقربهم من المسيحية ان لم ~~تعتنقوها~~ .

٣ - يزور السياح الغربيون معاقل التعليم والمدارس والكليات في شبه القارة بطرق شتى ، ويتطرقون الى طرح سؤال أو أكثر على الصفوف الدراسية ، وتشجيعا للطالب المجد فى الظاهر ، وخدمة للمسيحية فى الباطن على المدى الطويل ، يعلن الزائر عند نهاية الزيارة صرف مكافأة شهرية للطلاب المجدين طوال مدة الدراسة ، فيقع الاحداث رجال القيادة فى المستقبل أسرى للنمن الغربية ، ولو تتبعتم تلك المنح لوجدت أنها مقدمة من الحركات التى تدير دفعة التنصير فى العالم ، ونسبة المهتمين لتلقى الدراسات العليا من هؤلاء الأسرى أكثر من غيرهم فيما تحتاج اليه دول المنطقة ، ونقاش هؤلاء فى استسلامهم للمسيحية أو عودتهم متنصرين أمر لا يجدى كثيرا ، اذ أنهم وقعوا فى الشباك منذ حداثة سنهم ، ونعومة أظفارهم بأخذ تلك المكافآت منذ بداية حياتهم الدراسية .

(١) انظر Report Enquiry : P. 1 (٢) انظر باكستان ميين مسيحيت ص ٤٠٩ و ٤١٠

(٣) انظر قمر الدين أحمد نبات الصليب ص ٢٤ .

٤ - تقيم حركات التنصير بين الحين والآخر مباريات للألعاب المثلوعة المحببة الى الشعب ، وامتلكوا لهذا الغرض الملاعب الرياضية في أغلب المدن الكبيرة ، ويحشد الجم الفقير لرفع صوت التشجيع بما يثبت صلة الملعب بالانجيل ، ويقوم المبلغ الرياضى بالقاء موعظة عند نهاية كل مباراة ويتقرب الى السامعين بشتى طرق الاغراء ، من توزيع الجوائز والصحف الرياضية عند نهاية الكلمة ، بل لم تتورع هذه الحركات من عقد دورات للقفار لبث المسيحية فى المقاميرىن ، فضلا عن الألعاب الباحة ، وشهدت مدينة كراتشى هذه الدورات الأسبوعية العلنية فى منتصف الستينات ، ولا أظنها تخلو منها خلف الكواليس اليوم .

٥ - استغلت المنظمات المسيحية عوز المنطقة وفقرها ، فانشأوا الكثير من المراكز لخدمة الفقراء ، ولتلبية حاجاتهم المعيشية ، من تقديم الملابس الصيفية والشتوية ، والحنطة والحليب المجفف والمناظر الطبية والأحذية ٥٠٠٠ ، كل ذلك فى مناسبات مسيحية معينة ، وتخرج المبلغات العاملات فى هذا الميدان لزيارة البيوت عند خروج الرجال الى العمل ، فتختار كل منها منزلا متواضعا فتعين صاحبة البيت فى أعمالها المنزلية ، من الكس والطبخ وغسل الأطفال الملطخين بالطين ، والباسهم الثياب المهداة منها ، وتسعى العاملة الى نيل حب أطفال البيت جميعا غير مبالية بما يصيب ثيابها النقية من أوساخ لتترك أثرا نفسيا على ربة البيت ، فتصفى الى سماع نصيحتها فى كل شأن من الشئون ، وتمثل لحلولها ثقة بتعليمها فى كل معضلة من معضلات الحياة المنزلية .

٦ - يفوض المسيحيون افتتاح العديد من مشاريعهم الاجتماعية ، ومراكزهم العاملة فى مختلف الميادين الى الحكام لكسب الثقة ، وتبرئة أعمالهم التى ينفذونها لغرض التنصير ، وإعلان نزاهتها أمام عامة المسلمين ، ويهدى الكتاب المقدس فى هذه المناسبات الى رؤساء الشرف والوفود المشاركة ، فيعد الكثير منهم بقراءة الهدية ومنهم من يقطع العهد بوضع نسخها فى جميع مكبات الجيش (١)

(١) انظر باكستان ميسن مسيحية ص ٣٣٤ .

٧ - يؤخذ تعهد خطي على كل مسيحي سنويا في باكستان ومنجلاديش على النهوض بششرح المسيحية ، وعرض معتقداتها على غير المسيحيين مرة كل اسبوع ، وصيغة اليمين التعهدية التي يجبر كل انجيلي على توقيعها هي كالتالي " اتعهد لمدة سنة بتفسير اسس الاله المسيح ، وتوضيحها أمام غير المسيحيين مرة كل اسبوع على أقل تقدير " (١)

٨ - وأوسع الطرق وأسهلها لا يصل صوت الانجيل الى كل بيت في شبه القارة يأتي عن استخدام البث الاذاعي ، لقد غزا المنصرون بالمذيع كل مدينة وقرية ، وأرسلوا نشراتهم على الموجات المتوسطة الى جميع العالم ، وترسل محطة F.E.B.A. فيا " بثها المكثف الى المتكلمين بالاردية والسندية والبنجابية والبنغالية ولغة الباتان ، على فترتين لا تقل مدة كل منها عن ساعة ، كاتعين منظمة " اليونسيف " البث المرئي في اعداد البرامج لتعليم الكبار في باكستان ويتولى التدريس مسيحي يلحن في لأردية بصورة مخزية ، ولم تجد احتجاجات جامعة العلامة محمد اقبال المفتوحة وادارة البث المرئي وصراخ العامة في تغيير الوضع شيئا . (٢)

وان اردت المعلومات الاحصائية فان عدد من تنصر خلال خمس سنوات (١٩٦٠م - ١٩٦٥م) في بنجلاديش كان ١٢٤٧٩ شخصا ، وفي باكستان ١٩٦٣ شخصا ، حسب اعتراف الدولة ، وقد صرح وزير الداخلية أثناء جلسة البرلمان يوم ١٩٦٥/٦/٢٥م بعدم وجود هيئة تكافح التنصير ، وترصد حركات دعائه في باكستان . (٣)

وبلغ التساهل حدا يتحير فيه اللبيب حين يصرح وزير السياحة والاقلية الباكستاني عام ١٩٧٣م بعدم وجود سجل لدى الحكومة المركزية أو الاقليمية ينبئ عن عدد المرتدين ، فضلا عن انتمائهم العرقي ، (٤) ويشير احصاء ١٩٨٢م الى أن ٤٩٠ مبلغا بروتستانتيا وقرابة ١٤٠٠ مبلغا كاثوليكي من غير الباكستانيين يعملون لصالح التنصير على الأرض الطاهرة (باكستان) (٥)

(١) انظر : باكستان مهن مسيحية ص ٣٣٠ .

(٢) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩ الملحق الخاص عن التنصير في باكستان ص ١

(٣) انظر باكستان مهن مسيحية ص ٣٧٩ .

(٤) انظر شيخ الحديث مولانا عبد الحق قومي اسمبلي مين اسلام كامعركة (المعركة الاسلامية في البرلمان) ص ٣٢٤ .

(٥) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ١٩٨٢/١/٢٩ الملحق الخاص عن التنصير في باكستان ص ١ .

هذا ويكون المسيحيون ١٤٪ من مجموع سكان باكستان ، ويقدر أن بحوالى مليون نسمة بينما لم يكونوا يعدون ٨٤٨٣٨٨٤ نسمة حسب إحصاء الدولة لعام ١٩٦١م وهذه الزيادة المذهلة يكمن سرها فى كثرة الانجاب عند المسيحيين ، وجلب غير المسيحيين إلى الحظيرة المسيحية ، ومن هنا كانت نسبة الزيادة عند المسلمين فى عدد نفوسهم ٢٢٪ فى السنوات الأحد عشر (١٩٦١-١٩٧٢) بينما النسبة للفترة ذاتها ٥٥٪ عند المسيحيين ^(١) وللحركة التنصيرية بضع وثلاثون صحيفة ما بين يومية وأسبوعية وشهرية ٥٠٠٠ ، تصدر فى أشهر ثمان مدن باكستانية ، وتتصدر القائمة مدينة لاهور ، إذ يحمل صوتها بضع عشرة صحيفة ، لأطفال النصارى وشبابه وشاباته وشيوخه ونسائه .

ويعمل فى بنجلاديش أكثر من ١٥٠٠ قسيس لايفطى المحليون الا ثلث هذا العدد ، وجلبت المنظمات الكاثوليكية العاملة للتنصير تحت ستار المساعدات فى بنجلاديش ما يربو على ١٤ مليوناً من الدولارات فى عام ١٩٧٣م ، وخصت فى ميزانيتها السنوية لعام ١٩٧٨م ٠٠٠ر٦٠٠ ١٣ تكـ بنجلاديشية لخدمة الفقراء والمموزين ، و ٠٠٠ر٤٠٠ ١٨ تكـ لمشروعات التطوير ، وتعمل عدا هذه المنظمة أكثر من ٣٥ منظمة بروتستانتية لصالح الانجيل ، وجميع هذه المنظمات كانت تنفذ أكثر من ١٤٠ مشروعا لتطوير بنجلاديش وأكثر من ١٨٠ مشروعا لرفاهية شعبه ، ومن هنا ندرك مكن الخطر الانجيلي على بنجلاديش المسلمة التى يخنفها الجوع والجوائح الطبيعية ، ولا تجد من يقدم لها يد المساعدة الا رجال الانجيل . ^(٢)

ويبدو أن الهند قد نجت من الضغط الصليبي منذ الثمانينات ، إثر ظهور تقرير مدهيه برديش ، فحرمت العديد من الولايات العمل التنصيرى فى أراضيها وأصبحت جواً المسيحية ود من ديواللاشى تبلغ نسبة المسيحيين فيها ٣٧٪ - مورد حتف دعاة التنصير ، ويوجز الوضع القائم فى الهند الشيخ كوثر نيازى فيقول : " لا تجيز الهند تعمد هندوسى البتة ، من قبل أى منصر أو قسيس ، حتى أضحي مسيحيو جوا يبحثون عن طرق الحصانة والصيانة ، لما وجوههم وجلودهم وأموالهم فلا يصح منهم بلاغ رسالة المسيح فى جوا ود من ديو فضلا عن بقية الهند " . ^(٣)

-
- (١) انظر ريبورت وردم شمارى لعام ١٩٦١ و ١٩٧٢م (إحصاء الدولة لعام ١٩٦١م و ١٩٧٢م) .
 (٢) انظر صحيفة جسارت اليومية عدد ٥/٢/١٩٨٢م الملحق الخاص عن التنصير فى بنجلاديش ص ١
 (٣) " آئينة تثليث (مرآة التثليث) ص ١٣٠ .

أسباب نجاح التنصير في المنطقة :

=====

ومن تلمس الأسباب التي هيأت فرص النجاح لحركة التنصير ، وقلبت الميزان لصالحهما منذ الاستقلال الى اليوم ، يجد أنها تعود الى النقاط الرئيسية التالية .

أ — أغلب موظفي المنطقة وحكامها تلقوا علومهم الدراسية في الكليات المسيحية ، أو اكتسبوا المعرفة عن طريق الكليات الحكومية التي كانت تديرها الدولة المستعمرة قبل الاستقلال ، ووضعت خططها بما يخدم مصلحة المستعمرين ^(١) ، وبعد رحيل الانجليز توفرت الفرص أكثر من ذي قبل ، إذ أصبح التلاميذ ولاية يحكمون قوسهم ، فلم يجسروا على المعارضة في منهج المعلمين ، ولا وضعوا العراقيل للخدم من مسيحياتهم — إن لم يمدوا يد العون لتذليل العقبات التي تعترض طريق التنصير — فهب المعلمون المسيحيون يطالبون بما تعذر عليهم حصوله قبل الاستقلال ، كالإذن لهم بالتبليغ وفتح المدارس في الولايات المسلمة التي لم ترتضى وجودهم أبان عهد الاستعمار ^(٢) .

ب — توقفت برهة من الزمن مساعي التنصير بعد استقلال باكستان انتظاراً لما تكشف عنه الأحداث في الدولة المسلمة ولكن الغبطة عمت رجال الانجيل حين ضمن الدستور الباكستاني حرية التبليغ لجميع المذاهب ، وعدم الحد من انتشار معتقد على آخر أو تفضيل مذهب على مذهب ، وقد أبان الخطوط العريضة لهذه الحرية لياقت على خان أول رئيس وزراء باكستان في أول خطابه عن دستور الدولة حين قال : " إنا نعتقد بأن الآراء يجب أن يفسح عنها دون قيد أو شرط ، عولنا على ألا نمنع أحداً من التصريح بما يريد أن يعبر عنه من مكنون صدره ، كما عولنا ألا نقف حجر عثرة بين أي فرد كان وبين استعماله حقه في تأليف الجماعات والهيئات ، ما دامت في حدود القانون لا تهدف الا لأغراض نبيلة مشروعة " ^(٣) فضمن هذا الدستور الحرية بمفهومها الشامل واتاح للنصرين ما لم يتح لهم بنو جلدتهم قبل الاستقلال .

ج — أخذ جهاد العلماء تجاه المسيحية ورجالها يخدم منذ الاستقلال ، لتوهم العلماء أن البناء

(١) انظر أبا الاعلى المودودي رسائل ومسائل ج ١٠٥/٤ .

(٢) كولاية بنها ولبنور وخيبر نور الباكستانيتين ، انظر باكستان مبن مسيحيات ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) محمد حسن الأعظمي حقائق عن باكستان ص ١٠٩ .

قد اكتمل ، وأن مسئوليتهم قد انتقلت الى الحكام في المحافظة على الاسلام ، واقامة معالمة وتطبيق قوانينه في كل صغيرة وكبيرة في الحياة ، فحولوا قواهم الى اقامة المدارس الدينية وتشبيد الدور لها لتنشيط الدراسات الاسلامية حتى تغطي بمشروعاتها ما تحتاج اليه الدولة في القريب العاجل ، فانحصروا في زوايا المدارس والمساجد وتركوا قيادة الشعب فخلا الميدان للمسيحية تعمل فيه ما تشاء .

ولكن على الرغم من السلطة والاغراء والتحذير ظل الشعب المسلم أثناء الحكم الأجنبي وفي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتأثر بالقدر الذي كانت ترجىه الارشاليات ، وظل يتبع العلماء ويسترشد بأقوالهم طوال حكم المستعمرين ، فاكسب مناعة من سمومهم ولكن هذه المناعة ظلت تضعف يوما بعد يوم بعد اقامة دولته المستقلة ، غير أن المقاومة ما زالت قائمة بطرق شتى رغم تغريب التعليم وفساد منهجه وخلو معلميه من الأخلاق الاسلامية ، ووجود فصل تام بين العلوم الشرعية والعلوم المدنية ، لتخريب متعلمين سلبت من سويداء قلوبهم الحمية الدينية ونزعت من عقولهم الغيرة الخلقية وهذا ما ستراه في فصل التعليم .

*

*

*

الفصل الثانى

مسألة أثر الفكر الغربى فى مجال التربية والتعليم))

ومشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ - موقف الدول الاسلامية فى الهند من التعليم .
- ٢ - الدرس النظامى .
- ٣ - طرق القضاء على الدرس النظامى .
- ٤ - دار العلوم ديونند ومنهجها التربوى والتعليمى .
- ٥ - دار العلوم ندوة العلماء .
- ٦ - بداية التعليم العصرى .
- ٧ - توصية اللورد ميكالى التعليمية .
- ٨ - موقف السيد أحمد خان من التعليم .
- ٩ - أهداف التعليم عند الانجليز .
- ١٠ - محاولات اصلاحية فى التربية والتعليم .
- ١١ - دور المعاهد التنصيرية فى العملية التربوية والتعليمية .
- ١٢ - التعليم بعد الاستقلال .
- ١٣ - نظرة فحص فى المنهجين (الدينى والعصرى)
- ١٤ - بعض مميزات التعليم الاسلامى .

الفصل الثاني

موقف الدول الإسلامية في الهند من التعليم :

تحلى المسلم بالعلم يعود الى أول آية نزلت من القرآن الكريم ، " اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . . . " (١) تحض على المعرفة والعلم ، وتشكلت حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام لتجسيد أحكام القرآن كواقع مشاهد ، فلم يكن امره صلى الله عليه وسلم فى فداء أسرى بدر المعصرين بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة الا حلقة من حلقات بسطة التعليم بين المسلمين .

وحمل الصحابة هذا المشغل معهم الى كل جهة اتجهوا اليها ، فقليلين للسنّة قولاً وعملاً ، مفسرين لآيات الكتاب حسبما سمعوها من نزلت عليه ، وتحمل عنهم هذا العبث التابعون فمن جاء بعدهم رحمهم الله ، وكان المجاهدون الذين فتحوا الهند من حملة هذه المنحة لربانية ، وعلى أيديهم استنضات الهند بنور الاسلام ، وتعلمت العديد من العلوم التى لم يكن لاهلها عهد بها من قبل . ولم يحفظ لنا التاريخ الكثير من الأعلام الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم فى السند منذ فتح محمد ابن القاسم الى نزوح المسلمين عنها ، وانكماش دولة الاسلام فى الهند أثناء الخلافة العباسية ، بل اكتفى المؤرخون بذكر بعض من عمر المساجد من الأمراء ورجال الثراء من المسلمين ، اذ المسجد كان محور كل شئ آنذاك فى الاسلام ، فهو منبع العلم ، ومسكن رجاله ، ومنطلق الدعوة وألوية الجهاد وبيت الفقراء والمساكين ولم يكن المعلم المسلم يهدف من وراء التعليم سوى ارضاء ربه ، وتبرئة ساحته أمام الخالق يوم القيامة ، لا يأخذ أجراً ولا يلتبس شهرة ، يكسب قوته من غير طريق التدريس وفى الدولة الفزنوية صاحب التعليم الفتح والجهاد ، فما من مدينة اكتسبت للاسلام حتى خلف فيها الفاتحون ورثة الأنبياء ، للقيام بشرح أحكام الدين واقامة الحياة الاسلامية ، ولإزحام المتعلمين فى المساجد ، وكثرة اقبال الناس على تعلم أحكام الاسلام اضطر العديد من المعلمين الى فصل التعليم عن المسجد ، فخرجت المدارس الى حيز الوجود وأصبح المصلحون يلقون دروسهم فى حجر خاصة تم بناؤها لهذا الغرض ، فاستقلت المدرسة عن المسجد بل فاقتته فى نواحي التعليم ، وأهم مدارس الدولة الفزنوية على الاطلاق هى مدرسة غزنة المحمودية ، التى كانت بمثابة مجمع علمى لكبار العلماء والأدباء ، ضمت بين جدرانها أمثال العنصرى والمسجدى والفردوسى والبيرونى ، ولم تظفر آسيا

كلها بمجمع بلغ درجة كمال هذا المجمع . (١)

وبناء المدرسة فى تلك الأزمنة يعنى بناء فصول دراسية وبناء وحدات سكنية للمعلمين وأخرى للمتعلمين ، وموارد دخل ثابتة ، توفر للمدرسة جميع ما تحتاج اليه من كتب وحبر وأوراق بيضاء ، وطعام وشراب وملابس حسب فصول السنة ، وجراية شهرية - راتب ومكافأة - حسب مكانة المعلم واجادته للعلوم ، ورغبة الطالب واجتهاده فى تلقى المعرفة ، فكلما انتهى فنا ارتفعت مكافأته ، فتسابق الملوك والأمراء والوزراء والأثرياء الى رعاية العلم لكسب الثواب فى الأجلة والمنزلية الرفيعة فى العاجلة بين المجتمع المسلم خدمة للعقيدة الاسلامية واخراجا للبشرية من ظلمة الوثنية الى نور الاسلام .

وأهم ما يميز المعلم المسلم فى هذه الفترة هو الجمع بين العلوم المختلفة فتبحر الشيخ فى التفسير والحديث ، لا يمنعه من تعلم الطب والهندسة والهيئة والفلك ، وتلقى آخر ما وصلت اليه هذه العلوم ، ومن هنا اكتسب المعلم المكان المرموق فى المجتمع ، وتسنى له أن يرتقى الى أعلى المناصب فى الدولة ، وشاركه فى هذه الفضيلة الصوفى بزاولته فى أداء المهام التعليمية ، بل فاق المعلم فى نواحى الدعوة الى الله والى دينه حسب فهمه ، ولعل أولى لزوايا المشهورة بأرض الهند لهذه الخدمة هى زاوية الشيخ الفقيه الزاهد على بن عثمان الهجویری اللاهورى ، صاحب كشف المحجوب المتوفى عام ٤٦٥ من الهجرة .

ويعتبر عهد الغوريين ومطليهم عهد تكثير المدارس وتنظيمها ، وربطها فى سلك معين لتخريج عينات معينة ، بعد أن حولوا الجرايات من الشهرية الى السنوية ، وأهم مدارس هذا العهد هى المدرسة المعزية التى أسسها قطب الدين ايبك ، وشيدت مبانيها السلطنة رضية بنت التمش ، ويبدو ممن زواياها وعدد المقتولين بها أساتذة وطلابا أثر غارة القرامطة عليها أنها أشبه ما تكون باحدى الجامعات

العصرية ، ينتقل الطالب فيها من صنف الى آخر وينال اجازة عامة فى النهاية . (٢)

وأصبحت دهللى ومدينة اوج السندية فى عهد الخليجين مركزين علميين هامين ، لتشر العلوم الاسلامية واهتمت المدارس التابعة للمركزين بدراسة التفسير والفقه والاصول واللغة العربية والحديث والتصوف ، فترى الطالب يدرس الكشاف فى التفسير والهداية فى الفقه ، وأصول البزدوى فى الأصول ،

(١) انظر الدول الاسلامية ج ٢ / ٦٢٤

(٢) انظر مسلم ثقافت ص ١٨٨ والهند فى العهد الاسلامى ص ٤٢٩

والكافية والشافية في اللغة ، ومشارك الأنوار في الحديث ، وعوارف المعارف في التصوف . (١)
وتتبعك ميزانية التعليم السنوية التي بلغت ٣٠٠.٠٠٠ ر ٣٠٠ شكة (٢) ذهبية ابان عهد فيروز تغلق
عن مدى اهتمام الدولة المسلمة بالمعلم فقد حجز السلطان لجمع هذه الميزانية الضخمة جميع ما يدخل
خزانة الدولة عن طريق ضريبة الري بالقنوات التي حفرتها الدولة لتطوير زراعة الهند ، ولم يتوان رحمه
الله في جلب أشهر المعلمين من منطقة ما وراء النهر ، (٣) وبلغ عدد المدارس التي تولت الدولة
انشائها ، وتكفلت بصرف مرتبات العاملين بها ، من المعلمين والطلاب والخدم بين الثلاثين
والخمسين ، أشهرها المدرسة الفيروزية ، ومدرسة فتح خان ووصل من حب هذا السلطان للمعرفة
أن أمر بترجمة ٣٠٠ كتاب من السنسكريتية الى الفارسية — لغة الدولة — عندما حازها كغنيمة
من غنائم محب "جولا مكهي" بمدينة لنكر كوت .

وسايرت العلوم والبهتكرات علوم الشريعة تجنبا الى جنب وعلى ايدى علماء الاسلام : نون نوادر —

ابتكار المحب الفيروزي ساعة زمنية ، كانت تحلم اوقات الليل والنهار والصوم والاطفار ، وزيادة
اليوم ونقصا . نه حسب فصول السنة ، وكانت منصوبة بساحة فيروز آباد العاصمة (٤)

وتضاعف المنهج المدرسي بعد تولي عز التغلقين فترى المنهج اضاف الى الهداية كلام من
القدوري " ومجمع البحرين في الفقه ، والى اصول البزدوي الحسامي (٥) في الاصول ، والى
الكشاف مدارك التنزيل في التفسير ، والى عوارف المعارف الرسالة المكية في التصوف ، والى
مشارك الأنوار مصابيح السنة في الحديث ، ودخل ساحة التعليم مواد جديدة لم يكن للمدارس
الهندية عهد بها من قبل ، غير أن الحياة اليومية المتبدلة وتسايق الزمن اقتضيا ادراجها في
المنهج الموسع ، فدخلت الرياضيات والعقيدة والبلاغة كمواد اجبارية مستقلة ، وقرر واضعو
المنهج لدراسة المادة الاولى شرح التذكرة " وتحرير الاقليدس " ودراسة الثانية " العقائد النسفية "
ولاجتياز الأخيرة مفتاح العلوم . (٦)

غير أن هذا التغيير لم يشمل جميع مناطق الهند ، حيث ترى على المتقى ودراسات الحدیثية محور

(١) انظر نزهة الخواطر ج ١٨/٢ و ٢٥ و ١١٣ . (٢) اسم عملة استعملت في عهد التغلقين

(٣) انظر مسلم ثقافت ج ١٩٥ و ٦٧٩ .

(٤) انظر الهند في العهد الاسلامي ص ١٩٩ . ونزهة الخواطر ج ١١١/٢ .

(٥) المنسوب الى حسام الدين الاخسيكني . (٦) انظر نزهة الخواطر ج ١٩٩/٣ و ١٨٣ .

المناهج في المناطق الساحلية من الهند ، وحمل رؤية هذه النهضة المباركة بعد هجرته الى مكة تلامذته ، كالمحدث محمد طاهر فتنى الكجراتي ، والمنتمين الى مدرسته والى مدرسة الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي ، ولكن سرعان ما انطفأ هذا المشعل من كجرات ، أثر مقتل المحدث محمد طاهر على أيدي الاسماعيليين وتخافت صوته نتيجة تعديل المناهج الدراسية على يد الشيخ عبد الله تهنى والشيخ عزيز الله بمنطقة دهللي أيام السلطان اسكندر اللودهي (١)

وأنت أولى الضربات القاصمة لظهر التعليم الاسلامي على يد السلطان أكبر المغولي ، حيث أصدر مرسوما ملكيا لتحقيق الوحدة القومية في التعليم ، جاء فيه " يجب على كل طالب أن يدرس الأخلاق والحساب والزراعة ، والهندسة والنجوم وتدير المنزل وسياسة المدن والطب والمنطق والتاريخ " (٢) فنزع من المنهج علوم الدين جميعا ، غير أن الفشل كان مصير هذا المرسوم إذ لم يمثل له الا بضع مدارس في دهللي ، دون آلاف المدارس المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، ويعزو هـ - ج ، ولز هذا الفشل الى أن عقيدة أكبر الفطرية التي جعلته " يعتقد اعتقادا بيئا أن ليس في الامكان ربط الهند في شعب واحد الا على فكرات عامة ٠٠٠ ، ولكن أنى له المعرفة التي يمكن بها خلق مثل هذا التماسك والابقاء عليه حيا ، بانشاء المدارس العامة والكتب الرخيصة ، واقامة نظام جامعي يجمع بين خلتي التنظيم وحرية الفكر " (٣) ولكن الحق أن فشل المنهج الأكبر يعود الى سيادة الاسلام ، الذي كان يحكم أغلب مناحي الحياة في الدولة الاسلامية ، أضف الى ذلك خلو الهند من أفكار غازية تناهض شرع الله وتبعد المسلمين عن الاسلام .

وتميزت المدارس الدينية في الدولة المغولية بتعليم ابن الهند وصى ما يرغب فيه كتعليم ابن المسلم سواء بسواء ، ومن هنا برزت شخصيات هندوسية في العلم والأدب ، نتيجة عدم التمييز في التعليم بين أبناء الديانتين ، واعترف بهذه الحقيقة أغلب الباحثين الهندوس ، يقول رتن لال : " لو حاولنا البحث عن من يماثل السلاطين المغول في نشر العلم والثقافة في الهند لما أمدنا التاريخ بشئ من ذلك ، إذ كان ابن الهند وصى يتلقى العلم كابن المسلم جنبا الى جنب حتى أثمر ذلك

(١) انظر المسامير لمون

(٢) انظر

(٣) معالم تاريخ الانسانية ج ٩٦٠/٣

في الهند ص ٩٥
مجلة اسلامي تعليم عدد سبتمبر و اكتوبر لعام ١٩٧٢

السعى فى مدجسم الهندوس بدم ثقافى جديد " . (١)

وقد تمتعت مدارس عهد المغول بدخل سنوى مضمون ، كوقف البانى عليها عقارا يفى بنفقات المدرسة وجميع متطلباتها ، أو بناء الدكاكين والدور تكرر لحسابها (٢) . فاشتغل رجال العلم براحة بال ، فاتخمو المكتبة الاسلامية التى تعتمد على العقل أكثر من النقل ، بحواشيهم على حواشى السابقين ، ولفتح الله الشيرازى — الذى دخل الهند واحتفى به السلطان أكبر ولقبه بعض الملك — دخل بيت فى توجيه المنهج على هذا المنوال ، ولكثرة من تلقى عنه العلم من الرجال البارعين شاع ترويج ما خطط له هذا الشيخ ، ولا زال منهجه أحد الرافدين اللذين تستقى منهما الأمة المسلمة العرفان حتى اليوم ، وقد اكتسب رافد الشيرازى الشهرة أخيرا باسم " الدرس النظامى " (٣)

الدرس النظامى :

نسق المنهاج الجديد للمدارس الدينية الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوى الذى تصل نسبته العلمية الى الشيرازى بواسطة تلميذ أبيه الحافظ امان الله عن قطب الدين ، عن عبدالسلام اللاهورى عن فتح اللها الشيرازى قتل قطب الدين والد صاحب الدرس النظامى قبل أن يبلغ الأبن الرابعة عشر من سنه ، أثر نزاع على قطعة أرض بقرية سها لى القرية من مدينة كهنو عام ١١٠٣ هـ ، فانتقلت الأسرة الى مدينة كهنو ، وبعد أن منحهم السلطان أورنگ زيب قصرا مهجورا لتاجر أفرنجى غادر الهند الى بلاده ، ومن هنا اطلق على من تعلم بحى ذلك القصر عالم " فرنكى محل " .

بعد استقرار الأسرة خرج الشيخ نظام الدين لاكمال علومه الدينية على تلامذة والده ، ولم يمض على خروجه عشر سنوات حتى أنهى جميع المقررات المدرسية ، وسرع فى الأصول والمنطق والكلام ، واشتهرت شروحه لمسلم الثبوت ، ومنار الأصول وتحرير الأصول وهداية الحكمة وشرح العضدية والشمس البازغة ، واستمر مزاولا للتدريس قرابة نصف قرن ، وتلقى العلم على يديه علماء الهند الذين يشار اليهم بالبنان ، كالسيد كمال الدين العظيم آبادى والعلامة

(١) محمد حفيظ الله سلاطين هندكى علم برورى (احتفاء سلاطين الهند بالتعليم) ص ١٧ .

(٢) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٣٢ . (٣) انظر رود كوثر ص ٦٠٦ .

كمال الدين الفتح بوري ، والشيخ وجيه الدين الدهلوى ٥٠٠ ، ولهملىق الشيخ نظام الدين ربه عام ١١٦١ هـ حتى شاهد ترأس تلامذته فى أغلب مدارس الهند . (١)

وَضَمَّ الدرس النظامى الذى نسب الى الشيخ نظام الدين تجاوزا — بين دفتى ^{منهج} كلاً من النحو والمنطق والحكمة (الفلسفة) والرياضيات ، والبلاغة والفقه والاصول ، والكلام والتفسير والحديث ، وكان يركز على الصرف فالمنطق فالرياضيات فالنحو فالكلام ، ولا يزيد الكتاب المقرر فى بقية المواد عن كتابين ونالت السنة أقل حظ من المنهج ، اذ اكتفى فيها بدراسة مشكاة المصابيح ، غير أن الله هياً لرفع هذا الاجحاف الشاه ولى الله الذى عاصر الشيخ نظام الدين وتوفى بعده بخمسة عشر عاماً ، فأقام لدراسة السنة مدرسة مستقلة فى دهلى ، يقصدها طلاب الحديث بعد الانتهاء من الدرس النظامى ، وخلفه أنجاله الميامين من بعده فى هذه الخدمة المباركة حتى عمت دراسة السنة الهند من أقصاها الى أقصاها ، فما من شارح للسنة أو ناقد لروايتها الا وهو مدين لهذا البيت ، تصل نسبة تتلمذه اليه من قريب أو بعيد .

ولغة الكتاب النظامى آنذاك بين العربية والفارسية ، ومن المرجح أن تكون لغة القاعة هى الأخيرة دون الاولى ، لأنها لغة الامة والدولة ، ولغة البيت والشارع والعمل والسوق ، وأغلب لغة الكتاب النظامى ، وظل الدرس النظامى يتقدم يوماً بعد يوم متغلها على جميع العقبات التى تعترض طريقة قرابة قرن من الزمن .

طرق القضاء على الدرس النظامى :

وما أن أسر الانجليز أكبر شاه الثانى بمرتب مقطوع عام ١٨٠٦م — ١٢٢١ هـ حتى أخذوا يكيدون لهذا المنهج فى الخفاء ، لعلمهم أن مبناه العقيدة وحصه القرآن ، والمتخرجون عليه لن يستسلموا لدخيل لا يدين بالاسلام فخططوا لابعاده عن الساحة ، ثم القضاء عليه بأمر أهمها :—

١ — أغت الدولة المسلمة جميع الأراضى الموقوفة على المدارس من دفع الخراج منذ انشائها حتى اتفاقية اله آباد عام ١١٨٥ هـ — ١٧٧١م التى استحققت شركة الهند الشرقية بموجبها جمع خراج منطقة بنغال وسها رواريسة على منوال جمع الدولة المغولية ، بيد أن الشركة لم يرق لها ذلك

الاعفاء ، الذى يتجاوز ربع خراج المنطقة ، ولا سيما انفاق المدارس له فى تنمية العداء تجاه البريطانيين ، واستحكامه فى عقول الدارسين ، وهذا ما حمل اللورد وارن هستينكر عام ١٧٧٢ م على اتخاذ اجراءات تعيد الى الشركة سيادتها الخراجية على تلك الاراضى غير أن مساعيه لم تفلح ، فأعقبه اللورد كارنوالس عام ١٧٩٣ م فى اتخاذ خطوات للحد من ظاهرة الوقف ، فصرح قائلاً : " أى أرض توقف دون اذن الدولة (الشركة) تعتبر ملكاً لها " واعيد التحذير ذاته عام ١٨١٥ م ، غير أن الشركة لم تستطع أن تحرك ساكناً تجاه الوقف ، (١)

ثم اتخذت مساعي مجلس التشريع والتنظيم الادارى عام ١٨٢٣ م لالغاء الأوقاف التعليمية فاستخدموا لتحقيق هذا الهدف جميع السبل المباحة وغير المباحة فى عرف البشر ، على حد قول من وسد اليه التحقيق فى مظالم المسلمين ، يقول هنتر " فأقمنا المحاكم الخاصة ، وأرسلنا الجواسيس وهياً لنا شهود الزور ٥٠٠٠ ، ونتج عن ذلك ارتفاع الخراج الى ثلاثمائة ألف جنيه استرليني ٥٠٠٠ ، وفقدان مئات العائلات موارد ها المالية ، وشهدم نظام تعليم المسلمين ، الذى كان عصب حياته هذه الاراضى المعفاة ، وقد استمر هذا الوضع فى محاكمتها ثمانية عشر عاماً ، حتى اقفرت تلك المدارس واحدة تلو الأخرى " (٢)

لم يقتصر الاستيلاء على الاراضى المعفاة فحسب بل تجاوز ذلك الى الهبات والعطايا المقدمة للمدارس فما أن وهب الوزير فضل على خان وزير بلاد اود ه عام ١٨٢٩ م منحة ١٧٠٠٠٠ روبية لمدرسة جده غازى الدين الواقعة خارج مدينة دهلى — حتى أسرع الانجليز للاستيلاء على هذه المنحة ، وتحويلها الى كلية انجليزية ، دون رضا المدرسة وصاحب العطية . (٣)

ب — عبرت الفارسية الى الهند بعبور حملة الاسلام ، وازدهرت بازدهار دولة المسلمين ، وتضاءلت عند اضمحلال دولتهم (٤) ، وسددت أول ضربة للقضاء عليها عام ١٨٣٧ م بعد توصية اللورد ميكالسى التعليمية (٥) فازيحت عن منصة الدولة فى الاراضى الواقعة تحت تصرف الشركة وازعمز بعدم استعمالها فى الولايات التى تشرف عليها الشركة ، وأعلن اللورد هاردنك عام ١٨٤٤ م أن أرجحية التوظيف

(١) انظر همارسى هندوستانى مسلمان ص ٢٦٧ . (٢) همارسى هندوستانى مسلمان ص ٢٦٧ .

(٣) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٣٣ وماغى هندوستان ص ١٥ .

(٤) انظر رجال السند والهند ص ٢٤٦ وتاريخ العالم ص ٦٢٨ .

(٥) ويرى صاحب موج كوثر أنها الغيت عام ١٨٣٤ م انظر موج كوثر ص ٢٨٨ .

د - الهند بلد زراعى أكثر سكانه فى القرى والأرياف . ودهى أن حاجة هؤلاء التعليمية لاتلبى الا عند مساكنهم ، ومن هنا كثر عدد المدارس الاسلامية فى الريف دون المدينة ، ومن الصعب على مثقف اليوم أن يصدق تقارير الانجليز التعليمية لمنطقة من مناطق الهند أبان عهد المسلمين غير أن ما ذكره هو الحقيقة قلما تدخله المبالغة فقد صرح المستر وارد (Rev. W. Ward) فى تقريره التعليمى عام ١٨٢١م أن منطقة كنديا ممتلئة بالمدارس ان لكل واحد وثلاثين تلميذا مدرسة مستقلة ^(١) ويقدر تقرير ميكس ميولر (MaM - Muler) وجود ثمانين ألف مدرسة بالبنغال ^(٢) بينما تقرير المستر آدم للمنطقة يصل بالرقم الى مائة ألف مدرسة اسلامية ^(٣) ولتجفيف هذه الينابيع الفى الانجليز فى مشروعهم التعليمى جميع مدارس الريف الا ما كان فى كثافة سكانية معينة فحرم أبناء الريف من العلم مما جعل منظمة " اعادة تثقيف الهند " تهيب بالدولة عام ١٨٥٣م باقامة البديل لتلك المدارس فكتبت تقول : " أقام الهنود أيام سلطانهم مدارس متنوعة لكل كثافة طلابية غير أنا قطعنا الصلة بين القرية والمدينة بهدم نظام البلدات الذى تسبب عنه حرمان أبناء تلك المناطق النائية من التعليم ولم نقم بدىلا لتلك المدارس القديمة " . ^(٤)

ه - امعانا فى التكىل بالثقافة الاسلامية والنيل من حاملها سمحت الدولة لمن ألح عليها بالتوظيف فى ادارتها من أبناء الأسر الكريمة ، فاستخدمتهم كقراشين وحراس ترغيبا عن التعليم فى تلك المدارس النظامية ^(٥) وانقلب الحال ظهر البطن بعد بركان الثورة عام ١٨٥٧م فنفس أشهر معلمى هذه المدارس والعلماء الذين تلقوا علومهم على الدرس النظامى الى جزر اندمان ومنهم من لقي ربه على جبل المشنقة ، وحول المتغلبون كثيرا من هذه المدارس الى مرابط الخيل وسكن الجنود ، وذكر شاهد العيان الشيخ عبدالحى الحسنى أن مدينة دهلئ وحدها شهدت طمس ما يربو على واحد وعشرين مدرسة مشهورة من الدرس النظامى أيام الثورة ، منها ما أزيل انقاضها ومنها ما حول لغير أغراض التعليم ^(٦)

ونتيجة لهذه الضربات المتتالية أخذ عدد المدارس النظامية

-
- (١) انظر سلاطين هند كى علم برورى ص ٢٩ . (٢) انظر مسلم ثقافت ص ٦٧٥ .
(٣) انظر سلاطين هند كى علم برورى ص ٢٨ . (٤) مسلمانون كاروشن مستقىل ص ١٦٢ .
(٥) انظر مسلمانون كاروشن مستقىل ص ١٨٣ . (٦) انظر الهند فى العهد الاسلامى ص ٤٢٩ .

ينقص كل سنة عن التي قبلها وتبع ذلك نقص المقيمين على قاعاتها حتى انتهى الوضع الى نقطة تنذر بالابادة التامة واقتلاع التعليم من صفوف المسلمين فهب المخلصون من أبناء الاسلام ينعمون النظر في مسيراتهم وما ستلاقيها من المستقبل المظلم في القريب العاجل ، فمنهم من اقترح الأخذ بيد الأمة الى ساحل النجاة بالاغتراف من الثقافة الغربية واستثمار ما تنوي الدولة بذره في الهند (١) . وتجراً آخرون فضحوا بأموالهم وجهودهم لانقاذ العقيدة الاسلامية وحيازة المفيد الصالح من منهج الشيخ نظام الدين وتطويره فوضعوا حجر الأساس " لدارالعلوم ديوبند " التي يتبعها في المنهج الاف المدارس العربية اليوم في كل من باكستان والهند وبنجلاديش .

(*)

دار العلوم ديوبند ومنهجها التربوي والتعليمي :

برزت فكرة اقامة مدرسة للعلوم الاسلامية نتيجة الهجمات المبيدة من الدولة المستعمرة تجاه الثقافة الاسلامية ، فلم ينض على فشل الثورة عشر سنوات حتى هب المخلصون من حملة الاسلام لدراسة فكرة " المدرسة العربية الفارسية الرياضية " حفظا للعلوم الدينية من الفناء وابقاء للتراث الاسلامي حيا ينض ويلبى حاجة المسلمين العاجلة والاجلة ففاثمت الجهود المباركة يوم ١٥/١/١٢٨٣ هـ (١٨٦٧م) حين اجتمع أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوى والسيد محمد عابد ومولانا ذوالفقار على والشيخ فضل الرحمان لوضع حجر الأساس لهذه المدرسة . (٢)

ولخص أهداف المدرسة تلميذها الأول الشيخ محمود الحسن شيخ الهند فقال : " اسست هذه الادارة - المدرسة - بعد فشل المجاهدين عام ١٨٥٧م لتقوم بتربية أفراد يتداركون الهزيمة الماضية " وأثبت تقرير رولت أن حركة " الرسائل الحريية " (٤) التي كانت تمنى

(*) انظر ريمورت مجموعى (الاحصائية السنوية للدولة) عن عام ١٨٦٠ - ١٨٦١م ص ٤٠ و ذكرت الاحصائية أثناء معرض مقارنتها بين العاملين التعليميين الحال والمنصرم فقالت : " ان عدد الطلاب نقص بمقدار خمسة الاف طالب وأن عدد المدارس نقص بمقدار ثمان عشرة مدرسة كل ذلك في منطقة البنجاب وقس على ذلك بقية المناطق .

(١) وعلى رأس هؤلاء السيد أحمد خان وحركة عليكره العلمية وسيأتى الحديث عن ذلك قريباً .

(٢) اسم قرية تقع شمال دهلى على مسافة ١٤٤ كم .

(٣) انظر سيد محبوب رضوى تاريخ ديوبند ص ٣٢٠ .

(٤) مجلة محور ص ٨١ العدد الخاص عن التعليم عام ١٩٧٧م .

(٤) وسميت بذلك اذ أن مراسلاتها كانت تكتب على الحرير الأصفر امعانا في الكتان على الدولة المستعمرة .

طرد الانجليز من الهند بالهجوم المباغت على الحدود الهندية الأفغانية بعد تكوين اتحاد
بين أفغانستان وتركيا واشغال ثورة عامة داخل الهند أتت كثرة لجهود علماء الاسلام في
دارالعلوم ديوبند . (١)

واقضى تخطيط الحركة عام ١٣٢٧ - ١٩٠٩م اقامة جمعية الأنصار ، ثم نظارة المعارف ،
فتشكيل الجيش باسم حزب الله " يقوده أحد ثلاثه شيخ الهند " ، وتمت الاتصالات بين
الحركة وألمانيا على أرض كابل واستحكمت الحلقة عند انشغال بريطانيا في الحرب العالمية الأولى
وكادت المياه تعود الى مجاريها الطبيعية لولا وقوع إحدى المراسلات المهمة السرية في أيدي
الانجليز عند اداء الشيخ محمود الحسن فريضة الحج فطلب المستعمرون من صديقهم الشريف
حسين حاكم مكة القاء القبض على الشيخ وأنصاره ، ودفعهم الى الحامية البريطانية فامثل الشريف
للأمر وألقى القبض على الشيخ في ٢٣ / ٢ / ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦م وأسلمه مع زملائه الى الحامية
في جدة ومن ثم نقلوا الى القاهرة فجزيرة مالطة . (٢)

وتلك آخر محاولة قيادية مسلحة من علماء الاسلام حاولوا من خلالها طرد الدخلاء بالقوة ،
فلما خاب أملهم اتجهوا صوب التعليم وتأسيس المدارس الدينية حفاظا على العقيدة الاسلامية
من جهة وصيانة لأفلاك كبد هم الدين أخذوا يتجهون الى تلقى العلوم الغربية بأنهم من جهة
أخرى فحاولوا تكيف المنهج حتى يتلائم مع الظروف الراهنة فجاء منهمج التعليم يؤمن ما
يحتاج اليه المسلم تحت حكومة غير مسلمة .

ومنعم النظر في منهج ديوبند في الأيام المبكرة لا يشك في أن واضعية لم يهدفوا السبي
صيانة العلوم الدينية فحسب بل هدفوا الى توسيع الأفق وتلقى كل مفيد حتى تعليم الحرف
المهنية فترى الطالب آنذاك يتعلم الخط وتجليد الكتب والخياطة وعمل النسيج وأسس علم
الطب . . . ليكسب قوته عن غير طريق التعليم ، بيد أن هذا النوع من التعليم ظل محدودا
ومحصورا لأوضاع المسلمين القاسية ، وخيل الى من خلف الواضعين رغم تبدل الأوضاع أن
هدف الدار ينحصر في التعليم الديني دون التعليم المميشي ، فلم يعملوا لتطويره بما يجعله
يسير ركب الحياة ويتفاعل مع متطلبات العصر . فأخذ أحد هرفي التعليم الديوبندي يضمحل شيئا

(١) انظر تاريخ ديوبند ص ٢٣٤ .

(٢) انظر سيد أصغر حسين حيات شيخ الهند ص ٨٠ وتاريخ ديوبند ص ٢٣٤ .

فشيئا حتى كاد أن يتلاشى ويختفى عن الأنظار .

وسارت ديوبند تشق طريقها ، في منهج تدريسها على طريقة المدارس القديمة حيث يبدأ الطالب بتلقى العلم في كتاب معين فإذا انتهى منه انتقل الى غيره حتى يختم الكتب المقررة في المنهج وكثيرا ما انتهت مدة الدراسة على هذا المنوال في تسع سنوات قمرية^x غير أن مجلس الشورى بديوبند قرر عام ١٣٩٠ هـ ايقاف التعليم على هذا المنوال وادخل نظام الجدول المدرسي ودراسة أكثر من مادة في اليوم الواحد ، كما قرر دراسة العديد من الكتب الحديثة لم تكن في المنهج من قبل ، مضافا الى ذلك فتح أربعة تخصصات في التفسير والدراسات الاسلامية والأدب العربي ، والعلوم العقلية من المنطق والفلسفة . (١)

ومنهج ديوبند الحديث يقسم التعليم الى أربع مراحل :- ابتدائية ومتوسطة وأعلى وتكميل " . وطالب المرحلة الابتدائية بسنواتها الأربع يتلقى دراسة القرآن الكريم بالنظر وشيئا من الفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ والحساب والجغرافيا باللغة الأردية ، ويعقب هذه المرحلة مرحلة اللغة الفارسية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات يتلقى الطالب خلالها اللغة الفارسية وآدابها ، وينتهي بدراسة مبادئ النحو والصرف والأدب العربي مضافا الى ذلك دراسة جميع مواد المنهج الابتدائي ، ماعدا العقيدة ، ومن ثم يعبر الى الهدف المنشود من دراسة ديوبند فيدرس في المرحلة العليا بسنواتها الثانية ثلاثا وعشرين فنا . وتنقسم هذه المواد الى قسمين عالية - أساسية - وآلية - موصلة ^{ومعينة} ومغنية لفهم تلك العلوم الأساسية - وتنحصر الأولى في التفسير وأصوله والحديث وأصوله والفقه وأصوله والمقائد والفرائض والتجويد وتضم الثانية الصرف والنحو والأدب والمنطق والتاريخ والجغرافيا والحضارة والعلوم ومعظم أبواب دستور الهند والفلسفة وعلم المعاني والبيان والخط وأصول

(١) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص عن دار العلوم ديوبند المجلد ٨ العدد ٤ ، ٥ لعام ١٤٠٠ هـ .

(٢) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص عن دار العلوم ص ٢٦٠ - ٢٦١ ومحمد تقي العثماني

نظرة عابرة حول التعليم الاسلامي في باكستان ص ٢ .

الصحة العامة ^(١) وتخصص السنة الأخيرة من هذه المرحلة للمرور على أشهر كتب السنة ويطلقون على ذلك اسم " دورة الحديث " وتشمل كلاً من صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجة وشرح معانى الآثار وشماثل الترمذى والموطأين للإمام مالك والامام محمد صاحب أبى حنيفة رحمه الله .

ويدرس الطالب فى التفسير وأصوله ترجمة القرآن وتفسير الجلالين والبيضاوى فيما يتصل بالنصف الأول من سورة البقرة والفوز الكبير وتلخيص الاتقان ، وفى الحديث وأصوله يدرس مشكاة الآثار والغية الحديث وشرح نخبة الفكر ، وفى العقيدة يدرس الطحاوية والنسفية وفى الفرائض السراجى ، وفى الفقه وأصوله يدرس نور الايضاح والقدرى وكنز الدقائق وشرح الوقاية والهداية وأصول الشاشى ونور الأنوار والحسامى .

ويدرس الطالب فى الصرف القاعدة العربية وميزان الصرف والمنشعب وينج كنج وعلم الصيغة والفصول الأكبيرة ، وفى النحو نحو مير وشرح مائة عامل وهداية النحو وابن عقيل ، وفى المنطق تيسير المنطق والمرقاة والتهديب وسلم العلوم ، وفى الأدب العربى روضة الأدب ومعلم العربية ونفحة الأدب والتمارين العربية ونفحة العرب ومقامات الحريري وديوان المتنبى ، وفى التاريخ تاريخ الهند وتاريخ الخلفاء ، وفى البيان والمعانى البلاغة الواضحة ، كما يدرس الطالب فى المواد المتبقية مذكرات وضعت من قبل هيئة التدريس . ^(٢)

ويبدو من التقارير التى أحصت المدارس العربية أنها فى ازدياد لا تخلو سنة من تأسيس عشرات المدارس فلم يكن على أرض باكستان قبل الاستقلال سوى ٤٢ مدرسة وبلغ الرقم عام ١٩٦٠م ٣٩٢ مدرسة ، استحدثت منها ٢٢٦ وهاجر إليها بعد الاستقلال ٢٤ مدرسة ^(٣) عربية ، ووصل الرقم عام ١٩٧١م إلى ٨٩٣ مدرسة ^(٤) وذلك حسب احصاء فرد من الأفراد ولكن الرقم فوق ذلك دون شك إذ لم أر أسماء ثلاث مدارس زرتها فى منطقة قد يره غازيخان فى ذلك ^{الاحصاء} .

ومن المرجح أن ما يقارب هذا الرقم من المدارس موجود على أرض بنجلاديش وما يقرب

(١) انظر تاريخ ديومند ص ٤٣٦ .

(٢) انظر مجلة الرشيد العدد الخاص ج ٢٦٠ و ٢٦١ .

(٣) انظر حافظ نذر أحمد جائزة مدارس عربية اسلامية (استعراض المدارس العربية الاسلامية) ص ٧٣٥ .

(٤) انظر حافظ نذر أحمد جائزة مدارس عربية ص ٦٨٩ .

من المجموعتين قائم على أرض الهند تؤدي وظيفتها التعليمية ، ومن المستطاع تقسيم تلك المدارس العربية الى مجموعتين شيعية وسنية حسب الفكر الدينى الذى يدرس بين قاعاتها المختلفة فالشيعية اما امامية واما اسماعيلية . (x) وتشعب السنية الى أربعة أقسام ديوبندية وندوية وبريلوية وأهل حديث . وتتفق كلا المجموعتين فى دراسة أغلب كتب النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفلسفة والطب والعروض والهيئة — علم الفلك — والهندسة وتختلف فيما عداها . وتركز المدارس الديوبندية على الفقه الحنفى فى موادها المقررة ، ويخلو منهجها ذو السنوات السبع من دراسة أى كتاب من كتب الصحاح الستة ، وما يدرس من كتب السنة فى دورة الحديث فى معظم تلك المدارس يشبه قراءة القرآن من غير العرب الذين لا يعرفون لغته وقد بلغ الرقم لمثل هذه المدارس ٢٣٣ (١) مدرسة تسلك طريق ديوبند مع تغيير يسير فى المسواد المدروسة أشهرها مظاهر العلوم بسمهارة بنور والجامعة العربية الاسلامية بدابهيل ودار العلوم الأشرفية والجامعة النظامية بحيدرآباد دكن فى الهند والجامعة الأشرفية بـلاهور والمدارس العربية ودار العلوم كورنكى الكراتشيتين فى باكستان .

وتفترق المدارس البريلوية عن بقية المدارس السنية فى دراسة كتب العقيدة والتفسير ، اذ لا تبيع مدارسها الا ما كان محييا لما دعا اليه السيد أحمد رضا خان (x) وأغلب المسلمين فى شبه القارة من اتباع هذه الطائفة بيد أن نشاط مدارسهم محدود فلا يعد وعددها نسبة الثلث الى المدارس الديوبندية (٢) كما أن فقرهم فى التصنيف والتأليف شئ مكشوف اذ كل ما يدرسه أبناء تلك المدارس من الشروح والحواشى على الكتب المقررة هى مما ألغته ايد ديوبندية ومن هنا ظلت مجلة " باسبان " البريلوية تحض اتباعها من العلماء بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦م على انشاء دار مستقلة للتصنيف ، تعمل فى وضع الحواشى والشروح على الكتب المقررة للخلاص من تفسيرات الديوبندية واعادة الثقة الى الطالب البريلوى قبل أن يغزوه سوء الظن وضالة العلم لمن ينتسب اليهم فى الفكر والعقيدة . (٣)

(x) واجلت الحديث عن تعليم الطائفتين الى الباب الأخير لجمع أطراف الكلام فى مكان واحد .

(١) انظر جائزه مدارس عربية ص ٨٠٥ .

(x) وهو غير السيد أحمد خان صاحب جامعة عليكره ، وسيأتى الحديث عنه فى الباب الأخير .

(٢) انظر جائزه مدارس عربية ص ٢٩٩ .

(٣) انظر ابا الأوصاف روى ديوبندى بريلوى تك (من ديوبند الى بريلوى) ص ١٠٨ .

وتتميز مدارس أهل الحديث بوفرة دراسة السنة جبرا للاجحاف الذي تتلقاه في المدارس الديوندية اذ الحظ الأوفر فيها للفقهاء دون الكتاب والسنة ، غير أن الذي لا يرضاه عاقل أن توضع دراسة السنة في المرحلة الابتدائية وتزداد الكآبة حين ترى اشتداد مدرس الحديث على مسائل الخلاف بين الحنفية وأهل الحديث كرفع اليدين في الصلاة والجهر بالتأمين والصلاة حاسر الرأس والطلاق بالثلاث . . . وبلغ عدد المدارس الحديثية هذه في احصائية الحافظ نذر أحمد الأخيرة خمسا وخمسين مدرسة بباكستان (١) وما يقرب من هذا العدد في بنجلاديش وبنبرو عليه قليلا في الهند أشهرها الجامعة السلفية بفصل آباد في باكستان ، والجامعة السلفية بهنارس ، والمدرسة الأحمدية بلهرايا سراي درهنگة في الهند (٢)

دار العلوم ندوة العلماء ومنهجها التعليمي :

=====

ونتيجة للنزاعات المحتدمة بين المدارس العربية من ديوندية وريلوية وأهل حديث وتقسيمها المسلمين الى نحل وطوائف مع عدم كفايتها في اشباع رغبة الطلاب العلمية وخلو منهجها من العلوم العصرية من ناحية ، ووجود كليات وجامعات عصرية لا تقيم للتعليم الديني وزنا ولا تلتفت الى رغبة المسلمين أي التفات ، نزع الدين من منهجها انتزاعا عن قصد أو من غير قصد . . . كل ذلك حفز علماء الاسلام الفيورين على التفكير في وضع حد لهذا النور وتضييق شقة الخلاف بين الكلية والمعهد فبرزت مساعي هؤلاء البررة عام ١٣١١ هـ في صورة ندوة العلماء التي ضمت جميع قادة النحل المسلمة وفتحوا باب المشاركة لجميع من ينتسب الى الاسلام لالتئام الشمل ورأب الصدع ، ووضعوا نصب أعينهم اصلاح مناهج التعليم في المعاهد الديوندية حتى تواكب الحياة فتجمع بين علوم الكتاب والسنة والعلوم الحديثية وبرزت الفكرة بعد عمل سنتين دائبتين في صورة تأسيس دار للعلوم عام ١٨٩٥ م ، كمعهد يتوسط بين الجامعات العصرية والمدارس الدينية العتيقة (٣)

(١) انظر جائزة مدارس عربية ص ٨٠٦ .

(٢) انظر المسلمون في الهند ص ١١٩ .

(٣) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٣٧ .

وتنقسم المراحل الدراسية بدار العلوم ندوة العلماء الى ثلاثة أقسام - بعد المرحلة الابتدائية -
أولها الثانوية تهدف الى تدريس جميع العلوم والفنون المقررة في المدارس الثانوية الهندية
مع العناية بالعلوم الاسلامية والعربية ، وتليها مرحلة الليسانس وتختص بالدراسات الاسلامية
والعلوم العربية مع شئ يسير من العلوم المدنية ، ومدة الدراسة لكل مرحلة من هاتين المرحلتين
أربعة أعوام وآخر هذه المراحل هي مرحلة التخصص ومدة الدراسة فيها سنتان يتخصص الطالب
خلالهما في الأدب العربي أو العلوم الشرعية .

وأشهر ما يتبع الندوة في المنهج المتطور بالهند مدرسة الاصلاح بسرائير التي أسسها
المغفور له المفسر حميد الدين الفراهي عام ١٩٠٩م ، والجامعة الرحمانية بمونجير ، وجامعة دار
السلام بمصر آباد ، والجامعة العلمية الاسلامية بدلهي قبل أن تتحول الى جامعة مدنية ، وفي
باكستان جامعة التعليمات بفيصل آباد والجامعة العباسية ببهاول بور قبل أن تتحول الى جامعة
عصرية وفي بنجلاديش المدرسة العالية بدهاكة وما يتبعها من المدارس قبل التمديد الأخير عام
١٩٨٠م .

هذا وقد أملت الأمة في الندوة أن تلبى حاجة المسلمين فتجمع بين الدين والدنيا لأن -
منهجها ظل يخوض معترك التجارب من حين لآخر فتخرج على منهاجها مؤلفون أعادوا كتابة السيرة
ونقحوها من الشوائب وما أثير حولها من الشبهات ، وتقدم هؤلاء خطوة الى الأمام فظهروا موضوعات
تاريخية لبت حاجة الأمة الآتية آنذاك . كما أن منهاجها ركز على الأدب العربي فغطى حاجة
شبه القارة وما تروا اليه من الترجمة من الأردية واليها ، ولكن ظل الهدف المنشود مفقوداً فأين
الشخصون في العلوم المدنية ، وأين الطالب الذي يمزج بين الثقافتين الدينية والدنيوية
الذي رمى الى تخريجه واضع المناهج الندوية ؟

وأخر المدارس المتطورة منهاجا الملبيه لما يحتاج اليه المسلمون من العلوم المدنية والدينية
هي مدارس الجماعة الاسلامية في الدول الثلاث غير أن تأخير الحكومة الباكستانية للمدارس الأهلية
في اكتوبر ١٩٧٢م جاء ضربة قاضية لبارقة الأمل تلك ، ومقاؤها في بنجلاديش والهند لا يضمن ولا
يغنى من جوع لأن الدولتين ترقبان نشاطها عن كثب وتضيقان عليها بكل السبل الممكنة .

وحاولت الدولتي بنجلاديش قبل الانفصال ومعه كسب المدارس الدينية عموما الى صفوفها
وتطوير مناهجها بين الحين الآخر فترى قبل سبتمبر من عام ١٩٨٠م أن الدولة كانت
تعادل شهادة العالم من المدارس العربية بالثانوية الدنيا ومرحلة الفاضل بالثانوية

العليا والكامل بشهادة الكلية (B.A.) ولم يأت كل هذا الاعتراف الا بعد أن تدخلت الدولة في مناهج تلك المدارس فادخلت فيها الرياضيات والحساب والتاريخ والجغرافيا واللغة الانجليزية والتمارين الرياضية ونتج عن ذلك تكون منظمة المدارس العربية (Madrasah Board) وآخر قرار أصدرته الدولة تشجيعا لهذه المنظمة جاء في أواخر عام ١٩٨٠م حين رفعت الدولة معادلة مرحلة العالم بالثانوية العليا (F.A.) والفاضل بشهادة الكلية والكامل بالماجستير (١) ولنظرت الى المنهج المعدل الذي تدير عليه منظمة المدارس اليوم لخلت أنه منهج احدى المدارس الحكومية وأن اطلاق اسم المدارس العربية عليها مخالف لما يدرس في قاعاتها ، اذ جل المقررات الحكومية دخلت الى ساحة هذه المدارس بشكل أو بآخر فزاحمت المواد الأساسية للمدارس واثقلت كاهل الطالب وضحت به على حساب مستقبله المنشود ، ومن هنا فضلت أغلبية المدارس العربية عدم الانضمام الى هذه المنظمة رغم تعديلها مناهجها وادراج المواد المفيدة في مقرراتها دون أن تطفى على الهدف من تعليم المدرسة ، ولكن أثناء حرب استقلال بنجلاديش ومعه استشهد الالوف من العلماء - ظلما عدوانا - الذين كانوا عصب حياة هذه المدارس - فاقفزت قاعاتها ونزع عنها طلابها فخلا الميدان للدولة تعمل في تعليم المسلمين .

وزاد الطين بلة حين اشتدت الكوارث الطبيعية على بنجلاديش وما انفكت تغير عليها من وقت لآخر من جذب وفيضانات ورياح مدمرة تهلك الحرث والنسل ، وانصب ضرر هذه الكوارث على المدارس العربية بصورة مباشرة اذ أن المدارس في الدول الثلاث تجمع ميزانيتها السنوية من تبرعات المسلمين وليس لها دخل ثابت منذ سلب الانجليز أوقاف المسلمين التعليمية وما زالت الأيدي المسلمة تفيض بالخير والعطاء بما يفى بنفقات هذه المدارس نظرا لما قدمته وما تقدمه من خدمات تجاه الاسلام . ولغت مشكلة التعليم الديني في الهند حد الاستمصاص حين أبى دستورها الاعتراف باللغة الأردية وقررت الولايات الشمالية اللغة الهندية بحر وفيها السنسكريتية

(١) انظر خطة ومنهج الدراسة للمدارس والكليات الاسلامية لعام ١٩٨٠م ص ١ .

كأداة للتعليم وكان الفاؤ لها يعنى قطع المسلمين عن الثقافة الاسلامية وماضيهم المجيد ، فهب المخلصون من أبناء التوحيد عام ١٩٥٩م فألفوا "مجلس التعليم الدينى" تحت اشراف الهيئات الاسلامية المتنوعة وهيئة التعليم الدينى تحت اشراف جمعية علماء الهند ولكل منهما مدارس ابتدائية تربو على ثمانية آلاف مدرسة تغذى أبناء المسلمين بما يحتاجون اليه من الركائز الاسلامية الأساسية . (١)

والجانب المشر للمدارس العربية الديوندية وأهل الحديث يتلأ فى خدمة السنة واستثمار ما جلبه الشاة ولى الله من علم الحجاز حتى شهد لها العالم المسلم بلسان الشكر والتقدير وعبر عن ذلك السيد رشيد رضا حين قال : " لولا عناية اخواننا علماء الهند بعلموم الحديث فى هذا العصر لقضى عليها بالزوال من أعمار الشرق فقد ضعفت فى مصر والشام والعراق والحجاز من القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف فى أوائل هذا القرن الرابع عشر . (٢)

واشترك فى أداء هذه الخدمة المشرفة كل من علماء المدارس الديوندية وأهل الحديث وان كان الأولون كثيرا ما لووا عنق السنة بالتأويل لتلائم المذهب الحنفى فى الجزئيات الفقهية ففتح الله لهم شرح صحيح مسلم وعون المعبود شرح أبى داود وتحفة الأحوذى شرح الترمذى وفيض البارى شرح صحيح البخارى " الا ثمرة دانية من ثمار ذلك البستان المشترك أضف الى ذلك أن الكتاب المجيد كان موضع عناية عند هذه المدارس فترجمه العلماء الى لغة الشعب ووضعوا له حواشى مفسرة وتفسير مسهبة . (٣)

ذلك وضع التعليم الدينى المصاب الذى ما زالت الأمة ترجو منه حمل راية المعرفة مرة أخرى

(١) انظر المسلمون فى الهند ص ١٢٩ ومراكز المسلمين التعليمية ص ١٠٠

(٢) مقدمة مفتاح كنوز السنة ص ق .

(٣) انظر للتفصيل فى خدمة أهل الحديث للسنة ابايحى امام خان النوشهوى تراجم علماء

حديث هند ص ٢٢ وعلم حديث مين باك هند كاحصة ص ٢٠٢ وفى خدمة الديوندية

للسنة مجلة الفتح ج ٢٠٥/١٣ .

لتفانى مدرسيه في تعليم ما يعلمون ، شعارهم في ذلك البساطة ولين الجانب والاكتفاء بمرتبات يسيرة تفي بحاجاتهم الضرورية ٠٠٠ ، ثم إن المتخرج على هذا النظام يكتسب التربية مع التعليم فتتم فيه المواهب الخيره وتختفى غيرها .

أضف الى ذلك أن هذا الرافد من التعليم مجاني في جميع مراحلہ وتقوم المدرسة بتوفير السكن والعلاج والغذاء والملابس طوال مدة الدراسة واعارة الكتاب المقرر في المنهج حيناً ، وهبه أحياناً ، واعداد الطلاب الذين يرغبون في أداء الامتحانات لمرحلة معينة من التعليم المدنى ، ذلك بعض ما تقدمه هذه المعاهد العلمية من الخدمات نحو المجتمع المسلم ، ولننظر الى الشق الآخر من التعليم وما يقدمه من المدنية والحضارة وما يتمتع به نظامه من صحة ومرض .

بداية التعليم المصري :

قدم الانجليز الى الهند تجاراً يبتغون الربح والنماء لثرواتهم المتنوعة واقتضى الحال من بعضهم أن يكثروا بالهند العديد من السنوات ومنهم من اتخذها موطناً لرغد العيش (١) وكانوا كثيراً ما يصطحبون عائلاتهم وأطفالهم خلال المكث والاستيطان ، ومن هنا نشأت الحاجة الى المدارس لتعليم الأولاد خشية فوات سن التعليم ، وأقدم مدرسة مستقلة انجليزية يعود تاريخها الى عام ١٧١٥م في ممبائ وهي أول مدرسة اتخذت اللغة الانجليزية اداة للتعليم دون البرتغالية التي كانت تسود التعليم آنذاك ثم تابعت المدارس في بومبائ وكلكته حتى عمت كل المناطق التي تحكمها شركة الهند الشرقية . (٢)

ولما تحولت الشركة الى قوة سياسية تسير دفة الأمور في بعض أجزاء الهند احتاجت الي افراد يكونون واسطة بين الحكام والمحكومين ففكرت لأول مرة في تعليم موظفيها الانجليز اللغات المحلية وتعليم بعض الهنود ما يؤهلهم للقيام ببعض مهام الشركة فخرجت الى حيز الوجود مدرسة كلكته وكلية سنسكرت وكلية فورت ولیم الكلكتية في العقدین الأخيرين من القرن الثامن عشر (٣) ولكن ظل التعليم محدوداً أو لغرض معين .

وفي العقد الثاني من القرن التاسع عشر رفع البرلمان الانجليز كل القيود المفروضة على الاساتذة

- (١) انظر هندوستان مين مسلمانون ٠٠٠ ص ١٦٣
- (٢) انظر الصيد نور اللوح - ب - نائك تاريخ تعليم هند (تاريخ التعليم في الهند) ص ٥٩
- (٣) انظر ممتاز منكلوري تاريخ ادبيات مسلمانون باكستان وهند (تاريخ أدب المسلمين في باكستان والهند) ج ٦٥/٨ - ومحمد حسين خان زيرى ، تاريخ تعليم وتربية اسلامية " تاريخ التعليم والتربية الاسلامية " ص ٦١ وتاريخ تعليم هند ص ٦١

التنصيرية فسمح لرجالها بالذهاب الى الهند والمكث فيها دون قيد أو شرط، بل فتح الباب لجميع الارساليات في العالم تعمل لصالح التنصير كما تشاء (١) وصادف دعاة التنصير النجاح في الطبقات السفلى من الشعب الفارقة في سيات الجهل فلم يكن لهم بد من تعليمهم وتهيتهم للمشاركة في وظائف الدولة وقراءة الانجيل ، ويوجز نور الله أسباب ايجاد هذه المدارس فيقول : " موجز القول ان الارساليات أدركت أن المدرسة وسيلة من وسائل تبليغ المسيحية ونتيجة من نتائجها وإن التعليم والتنصير يجب أن يسيرا متكاتفين جنباً الى جنب ، وفي ضوء هذا الاحساس أسست مدارس التنصير . (٢)

وغطت الارساليات المنطقة بالمدارس حين بدأ يجف النبع الهندي القديم وقبل أن تتحمل الشركة مسئولية التعليم (٣) ويبدو الوضع منطقياً اذا عرفنا أن التعليم في بريطانيا ظل في الأيدي الكنسية حتى عام ١٨٢٣ م (٤) كما أن اجحام المسلمين عن هذه المدارس كان أمراً طبيعياً اذ كان الوازع الديني قوياً ولم تزل أزمة التوجيه الشعبي في أيدي العلماء فكشفوا للشعب بمكن الخطير

المعقد في تلك المدارس ، وحثوهم على العمل لاعادة الهند الى أهلها الشرعيين . والسؤال الذي يفرض نفسه هو : هل كان الخير في تطوير النظام القديم أو وضع نظام جديد للتعليم لا يمت الى السابق بصلة ؟ ولعل تجربة بريطانيا ذاتها أفضل مجيب على هذا التساؤل اذ بنت نظامها التعليمي الجديد على النظام القديم بعد تطويره . (٥) وبعد تحمل الدولة في انجلترا أعباء التعليم شكلت لجنة خاصة استهدفت التحقيق الشامل

عن التعليم في الهند ، وقدمت اللجنة تحقيقها بتوصية تعيين التعليم وأحياء قديمه الى جوار الجديد ، فظهر

(٢) انظر ميجردى باسوتاريخ التعليم ص ٢٧٤ .

(٣) تاريخ تعليم هند ص ٦٤ .

(٤) انظر مسعود عالم مجلة الفتح ج ١١ / ٤٩٦ .

(٥) وتشير تقارير هذه الفترة أن عدد الطلاب في مدارس الدولة لم يعد ثلاثين ألفاً بينما

طلاب المدارس الارسالية قد تجاوز ثلاثمائة ألف طالب . انظر البروفيسور

خورشيد أحمد ، مجلة محور ص ٧٦ العدد الخاص عن التعليم للعام ١٩٧٧ م .

(٥) انظر تاريخ تعليم هند ص ١٢٨ .

(٦) انظر تاريخ تعليم هند ص ٥٢ .

على أثر ذلك كلية د هلى للمسلمين عام ١٨٢٩ م بيد أن الوضع ظل على محدوديته اذ لم يكن من صالح الشركة تفريغ الجيوب لصالح التعليم ، وساعدها فى ذلك الوضع الأمنى المتردى الذى هوت اليه الهند فشغل الشعب به عن المطالبة بالمعرفة والتثقيف .

وتخبرنا فتوى الشاه عبد العزيز رحمه الله عن قلق المسلمين تجاه المدارس الحكومية واعراضهم عنها لقوة دينهم من شبهة الولاء بالد وامة لغير المسلمين حين استفتوه عن تعلم الانجليزية فاجاب بما فيه فلاح المسلمين فقال : "يجوز تعلم الانجليزية والكتابة بها على أن ذلك أمر مباح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود والنصارى ، وان كان يقصد من وراء التعليم التقرب الى أهل اللغة أو أن يختلط بهم فالأمر لا يخلو من الحرمة أو الكراهة (١) .
وفصل رحمه الله أمر التوظيف لدى النصارى فقال " الخدمة لدى النصارى بل عند جميع الكفار على أقسام فإن كان المقصود من الخدمة اقامة الأمن وانصاف المظلوم واقامة الجسور . . . ونحو ذلك فلا شك فى جواز هذه الخدمة بل فى استحبابها لأن يوسف عليه الصلاة والسلام طلب من ملك مصر الكافر ذلك ، وإن كانت الخدمة تؤدى الى اعانة الظالم وارتكاب أمور مخالفة للشرع كالجنديّة والتحرير وتعظيم الكفار وتذليل نفسه فلا شك فى حرمتها وان كانت تؤدى الى قتل المسلمين أو القضاء على امارة مسلمة أو البحث عن مكمن الطعن فى الاسلام فلا جرم أن مثل هذه الوظيفة كبيرة من الكبائر تكاد تكون كفرا . " (٢)

توصية اللورد ميكالى التعليمية :

=====

وفى ضوء هذا الاستثناء سارت سياسة المسلمين فى التعليم والخدمة فاجحموا عن تعلم الانجليزية وتولى وظائف الدولة للواقع الذى كان يسود الدائرتين آنذاك ، (٣) وعملت توصية اللورد ميكالى التعليمية عام ١٨٣٥ م على مزيد من اجحام المسلمين عن ارتياد تلك المدارس ، حين

(١) فتاوى عزيزى ص ٥٧١ .

(٢) " " ص ٥٧٢ ، وراجع أيضا فتوى مؤسس جماعة التبليغ المشابهة بفتوى الشاه بهذا الصدد فى ملفوظات حضرت مولانا محمد الياس " اقوال محمد الياس " جمع محمد منظور نعمانى ص ١٧

(٣) انظر للتفصيل شاهد حسين رزاقى سرسيده اصلاح معاشره (سيد أحمد وجهود الاجتماعية)

برر ميكالى عدم انفاق المبلغ ١٠٠.٠٠٠ روبية المخصص لتنمية الأدب العربى والسنسكرتى بقوله " انى على استعداد لاهى جانب الدولة من جميع الجهات وأن أخدمها فيما يرغبها لدى الشعب غير أنى أرى بعين البصيرة أن ما وعدت به الدولة من التنمية للأدب هى تنمية للفاساد فاسدة ولا ترتبط بالحقيقة والواقع بأى رباط " (١)

من القرن العشرين حين أخذ الوضع يتحول الى صالح اللغات الهندية فى المرحلة الابتدائية والمتوسطة . (١)

ويعتبر تعهد الدولة بمزيد العون الى هذا المرفق من التعليم وتحويل الأموال المعلن انفاقها على احياء الآداب المحلية وسد جميع أبواب التوظيف إلا هذا الباب مع محاباة الدولة للهندوس على المسلمين ومنحهم الأولوية فى جميع شئون الدولة وعدم مراعاة الشعور الاسلامى من قبل منهج التعليم سببا أوليا لتخلف المسلمين فى التعليم الحديث (٢)

موقف السيد أحمد خان من التعليم :

وأنت حرب التحرير عام ١٨٥٧م لتكمل الحلقة فحملت الدولة مسئوليتها المسلمين وكادت أن تستأصل شأفتهم وتبيد هم من ظهر الأرض ، وتردى الوضع الى حد أنه لم يبق من يجرؤ على استنكار الاعداءات الجماعية فضلا عن أن يتكلم عن حقوق المسلمين ، غير أن قدر الله كان على غير ما أرادوا إذ برز فى هذا الجوارهيب السيد أحمد خان وأظهر للمسؤولين أن تبعه الحرب تقع على عاتق الدولة أكثر من الشعب حين حرمة لثمة الميث الشريف بل حملها جل مسئوليات الحرب فى كتابه " اسباب هفاوت هند " — أسباب الثورة فى الهند وقول الكتاب باستحسان بين الأوساط الانجليزية المسئولة نظرا لما تضمن من اقتراحات تحسم النزاع بين الحكام والمحكومين وتضع للمسائل الأساسية التى تجعل الدولة مقبولة لدى الشعب وتروض الهنود على الخضوع والطاعة .

وعمل كهذا فى جو ملتهب كان كفيلا باكتساب احترام المسلمين فتمكن حب السيد من قلب أغلب المسلمين فى تلك الفترة حتى اعترفوا له بالزعامة وازدادوا به تعلقا حين أخذ يتكلم عن شئون المسلمين التعليمية على حدة ، مقترحا ادماج بعض علوم الشرع مع العلوم المصرية الحديثة فى المراحل الدراسية حتى غر المهتمون بشئون المسلمين باقتراحاته ، ومن المستطاع تقسيم أعمال السيد العلمية

(١) انظر تاريخ تعليم هند ص ٣٢٥ .

(٢) انظر ارنولد تونبى مختصر دراسة التاريخ ج ٢٩٧/٣ — والهند خلال العصور

نحو ملته الى فترات ثلاث • تبدأ الأولى بكتاب " جام جم " — تاريخ سلاطين المغول ، واستفرت سبعة عشر عاما تراه خلالها مسلما مدافعا عن آراء العلماء يرد على ما ظهر من النظريات غير الموثوقة فضلا عن التمسك بأبسط أحكام الدين فما " قَوْلِ مَتِينِ دَرِ ابْطَالِ حَرَكَتِ زَمِينِ — القول الفصل فى إبطال حركة الأرض — الاجزء من تلك المجموعة التى حوت بضعة عشر مؤلفا تدور جميعها حول تأييد الآراء العلمية السالفة ورفض المستورد الحديث •

وتبدأ الثانية بفشل حرب التحرير وتمتد الى ما قبيل سفر السيد الى انجلترا عام ١٨٦٩م ، وتتميز مؤلفات هذه الفترة بمحاولة التأليف بين الأحكام وبين المسلمين بل بين الاسلام والمسيحية وأهم مؤلفاتها : " تبين الكلام فى تفسير التوراة والانجيل على ملة الاسلام • وأحكام طعام أهل الكتاب وتحقيق لفظ نصارى " فتراه خلال مؤلفات هذه الفترة محاميا عن الأحكام مدافعا عن كل ما يقولون ، يحاول ايجاد جسر تستطيع الأفكار الغربية عبوره ليصطبغ الاسلام بصبغتها • وأخذت الثالثة الجزء الأكبر من حياة السيد العلمية وقد امتدت الى الوفاة عام ١٨٩٨م ، وتميزت هذه الفترة بأمر أهمها : ١ — الكره الشديد للعلوم الشرقية والنقد اللاذع لمتعلميها فقد حصر السيد التعليم الشرقى فى تلقين السلام والجلوس بأدب ووقار وأن من تجاوز ذلك من المتعلمين واكتسب القراءة والكتابة عدد من النخبة الممتازة المثقفة ، وإن تمكن من دراسة بضعة كتب عتيقة وضع اسمه فى قائمة علماء العالم ، وإن صادف أن درس بعض كتب الفقه والحديث وخنقته بعض التعصبات المذهبية ولاح على جبهته أثر الصلاة عدت مرتبته فوق مرتبة التابعين — رحمهم الله — (١)

فحين أعلنت الدولة فى أوائل التسعينات عزمها على تحويل كلية لاهور الى جامعة عصرية تشمل خططها التعليمية تدريس بعض العلوم الشرقية نرى السيد يشمر عن ساق الجد لمحاربة الفكرة بواسطة مجلته " تهذيب الأخلاق " ويحمض على الالغاء قائلا " أى الثمرات جنينا من كلية لاهور حتى اليوم ؟ ولن تجنى منها ثمرة بعد التحويل وأحياء العلوم العفنة ، ولا شك أن الكلية ظلت سدا تحجزنا عن التقدم والرقى وستكون حجر عثرة فى طريق تقدم الأمة والوطن بعد أن تنضم الى قائمة الجامعات بل ستكون بشير الموت وهلاك الأمة جمعا • (٢)

ويصل حسب السيد لمسة الغرب حتى ليفضل المسيحية على المسلم فى كل شئ حتى اخراج الحروف من مخارجها فما أن مر بمصر فى رحلته الى لندن حتى

(١) انظر مقالات سرسيد ج ٢١ / ٨ (٢) مقالات ج ٣٧ / ٨ وانظر ج ٤١ / ٨

كتب مقارنا بين صوت المسلم والمسيحي المصريين فقال : " ولأول وهلة حين شاهدت المصريين يتحدثون فيما بينهم حسبت أنهم يتخاصمون ، وخيل إلى أن سقم ذلك التلفظ يعود الى كثرة الحروف الحلقية في اللغة العربية بيد أنى سرعان ما شاهدت المصرى القبطى يتحدث فاذا رقة ولطف واناقة ودقة أداء فى كل ما يقول فتقع حروفه على السمع كوقوع النسيم على العليل ، وأمانساؤهم فلم يك نطقهن بالحروف العربية الا كالألى تنضم بعضها الى بعض لتكون عقدا " . (١)

٢ - وكنتيجة منطقية لتمكن حب الغرب من قلب السيد أحمد خان طلب من أمة الاسلام أن تشاركه فى ذلك فمرة يبرر مكن صدره بقوله : " إن الرقى والمشاركة فى الحكم أخوان شقيقان فاذا فقدت أمة الحكم والسلطة لم يبق طريق لرقىها الا أن تتعلم علوم الفاتحين ولغتهم حتى تستطيع المشاركة فى تسيير دفة الأمور . . . ويلزمها أن تأخذ بعاداتهم وتقاليدهم وتعمل كعملهم وتفكر كتفكيرهم فتستطيع بذلك ايجاد حد من التناسب بينها وبين الحاكمين " (٢)

ومرة يبرر موقف الدولة أمام امته حين حرمت المسلمين من أئفه وظائفها لعدم اجادتهم الانجليزية فما أن شاع خبر حرمان أحد المسلمين من وظيفة مساح للأرض حتى كتب السيد يقول : " انا نحبذ اقتراح الدولة عدم اعطاء المناصب لمن لا يجيد الانجليزية وكلما شددت الدولة فى ذلك كان أصلح للوطن والأمة ، وانا نؤ من أن تلك أنفع وسيلة لرقى الأمة والتقدم بها " . (٣)

هنا وضع السيد لعلاج الأمة والنهوض بها مشروع الكلية المحمدية الانجليزية الشرقية أو مدرسة العلوم التى تعرف اليوم بجامعة عليكرة الاسلامية بعد أن حصر طريق رقى الأمة فى اتباع الغرب واكتساب علومهم ونبذ ما تركوه ، فضم مشروع الكلية معاهد ثلاثة : المعهد الانجليزى ، والمعهد الأردى ، والمعهد الفارسى ، ويبدو من المقارنة بين المواد التى أشار المشروع الى تدريسها فى المعهدين أنهما بمثابة سلم للالتحاق بالمعهد الانجليزى ، وكل ما فى الأمر أن لغة المعهدين هى غير الانجليزية وأن المواد تترجم من لغة الحكام الى لغة الشعب ولغة الدين فى المعهدين . (٤)

أما المعهد الانجليزى فقد فصل مشروع السيد المواد التى يتلقاها الطالب فى قائمتها فجمعها فى ثلاثة " لا حاجة لنا فى البحث عما سنقوم بتدريسه فى هذا المعهد لأن جامعة كبرى واكسفورد كليلتان بانارة مصرى " لذا يجب علينا اتباعهما والسير على خطتهما فى تعيين المقررات وأن ذلك سيفى بحاجة معهدنا الميمون

(١) مقالات ج ٨ / ١٦٧ - (٢) مقالات ج ٨ / ٣٧ - (٣) مقالات ج ٨ / ٤٦ - (٤) انظر للتفصيل مقالات ج ٨ / ٨٣ - ٩٠ - (٥) مقالات ج ٨ / ٨٩ -

ويضيف فيحث الآباء على إرسال أبنائهم الى الكليات الحكومية ومدارس الدولة موهما اياهم أن تلك الدور لا تدرس سوى اللغة الانجليزية وأنها معاهد لاكتساب لغة الحكم دون نقل الأفكار وغزو الناشئة بما لا يرتضيه الاسلام . (١)

ويعتذر السيد عن الدولة لعدم تدريسها علوم الدين في كلياتها ، ومعاهدها المتنوعة فيقول :
 " ومن العدل أن نقر من شفاف قلوبنا أن جانب الدولة برئ من جميع الاتهامات في باب التعليم لأن رعاياها يدنون باديان مختلفة ثم هي تدن بدن يختلف عن دين رعيته كل الاختلاف لذا لا يسعها ادراج تعليم الدين في معاهدها البتة . وان المنهج الذي اختارته في التعليم لا يضاهيه منهج ولا يصل الى مستواه طريقة من طرق التعليم في خارطة العالم " (٢)

وفي ضوء هذا التفكير أخطط السيد أحمد خان منهج تعليم المسلمين بعد عودته من أوروبا عام ١٨٢٠م على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم المصرية بحذافيرها وعلى علاقتها ، وتفسير أسس الاسلام تفسيراً يطابق ما وصلت اليه علوم أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر غير أنه بأصول العربية والتواتر والاجماع وما ثبت بالسند الصحيح من قول المصطفى عليه الصلاة والسلام بل أخذ يستهين بما لا تثبته التجربة والحس ولم تفره علوم الطبيعة بنظرتها المادية السطحية من الحقائق المغيبة وأمر ما بعد الموت . (٣)

ولم يكن السهل اقناع المسلمين بالاسلم في مشروع مدرسة العلوم وغزو الناشئة باسم الدين مع هذه الترهات ، والخضوع الكلي للغرب والتخريب ، فوقف العلماء وحماة الشرع في وجهه دفاعاً عن الدين وعقيدة الألوهية الموروثة من سنن المرسلين ، فاتهموا السيد بالزندقة والخروج من الدين ، ومنهم من جلب فتوى تكفيره من ارض الحرمين ، غير أن الانجليز وجدوا في المشروع خير معين للقضاء على الشخصية الاسلامية ودين التوحيد .

(١) انظر مقالات ج ٩٢/٨ .

(٢) انظر مقالات ج ١٠٤/٨ .

(٣) انظر للتفصيل فيما ذهب اليه السيد أحمد خان من النظريات الغربية عن الاسلام / السيد أحمد خان / تفسير الجن والجان على ما في القرآن ص ٥ ومقالات ج ١٢٨/١ و ١٦٩٦
 وج ١٥٨/٢ و ١٣٣/١٣ والاستاذ محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٢ ونزهة الخواطر ج ٣٨/٨

فأسرعوا في الاسهام فيه بالبذل والعطاء ، وتوظيف المتخرجين من قاعاتها ، ومنحهم المناصب القيادية لسوق الأمة المسلمة الى هوة التفريب .

ومن الصعب تصديق السيد وامثاله في تأخر المسلمين ابان حياته في ميدان التعليم ، لأن تقارير الدولة تعترف بأن التعليم ظل في أيدي المسلمين حتى عام ١٩٠٨ م ، ويتحسر تقرير البنجاب لعام ١٨٥٢ م على ذلك فيقول : " إن ميدان التعليم في الأيدي المسلمة ، حيث نرى جيل المدرسين من المسلمين ، والغريب حقا أن الطلاب الهندوس يدرسون الفارسية على المسلمين بشغف ٥٥٥٥ ، وينبغي وضع حد لهذا الظلم " (١)

ويصرح آخر التقارير عن عام ١٩٠٨ م أن نسبة المسلمين في الهند ١٠٪ غير أن ٨٣٪ من طلاب الكليات و ٤٥٪ من طلاب المدارس الثانوية و ٤٢٪ من طلاب المدارس الابتدائية من المسلمين . (٢) ويبدو أن الأمر يئس ليلا ، وأن ضجة التأخر لم تكن صادقة بل غطيت بالدعاية الواسعة ، حتى المسلمون أنها حقيقة فأخذوا يتقبلونها كواقع حزن ، وبدأوا ينخرطون في سلك التعليم الحديث ، الذي يمكن أيجاز اهدافه في النقاط التالية .

الاهداف التعليمية عند الانجليز

١ - أول هدف رمى اليه مخطوطو التعليم في الهند هو : أن يكون التعليم عاملا أساسيا لاختفاء الجذوة التي يخشى اشتعالها بين الحين والآخر لطرده الدخلاء والمغتصبين ، فوجه التعليم لازالة الجفلة وتحويل الأفكار من الكره والبغض الى الولاء والاذعان (٣) وقد اعترف بهذه الحقيقة هنتسلي فاقترح على الدولة قائلا : " في نظري لو أن الدولة أقامت خمسين مدرسة واستخدمت مدرسين مسلمين وتحملت نفقاتهم في شرقي البنغال لتحولت أفكار الناس من الكره والنفرة الى المحبة والولاء خلال جيل من البشر ولزالت جميع تلك الضغائن الموروثة لنظامنا الحاكم " (٤)

(١) مسلمانون كاروشن مستقبل ص ١٩٤ .

(٢) مهدي علي خان كريتير مالك محروسة " تقويم المستعمرة البريطانية " ص ١٣٧

(٣) انظر كأثلة واقعية لذلك نخبة من المفكرين ، محاضرات محمد بن ايجوكيشنل كانفرس (مؤتمر

التعليم المحمدي) ص ١٩١ المنعقد في ٣٠ / ١٢ / ١٨٩١ م والسيد مصطفى علي بريلوي

انكيريون كى لسانى باليسى (سياسة الانجليز اللغوية) ص ٦٥ .

(٤) همارس هندو ستانى مسلمان ص ٣٠٣ .

(ويقول في موضع آخر) "وانى لعل ثقة بسجى ذلك اليوم الذى ستثمر فيه طريقة تعليمنا الحديثة التى آتت الآثار العكسية الى الآن غير أنها ستكون أول لبنة فى ولاء المسلمين ونزع التعصب الدينى من قلوبهم". (١)

ب - لتمكين السلطة وصرف الأنظار عن الحكم آثار الانجليز بواسطة الموضوعات التعليمية عداً مستحكما بين المسلمين والهندوس متهمين حكام المسلمين الذين فتحوا الهند بالتعصب والجنون المذهبى ، واجبار الناس على اعتناق الاسلام مما نتج عنه الكره الشديد للحكام السابقين ، ومن ثم العراك بين الشعبين وعملت بذلك سياسة فرق تسد ، عملها فحكوا البلاد بعد زرع الفرقة بين أهلها (٢) يقول سرجان مينار أحد أعضاء برلمان البنجاب " لا يخفى على من أنعم النظر فى الهند أن العداء مستحكم الآن بين الهندوس والمسلمين ، ولولا وجود هذا العداء لما قامت لنا دولة ، وما لا غبار عليه أن الخصام لم يصل الى ما وصل اليه الا فى عهد دولتنا الرشيدة رغم أن سلاطين الاسلام اقاموا الشعب بسوط القهر من فرض الجزية وذبح البقر وعقاب المناوئين ٥٠٠٠ ، وإن الاحساس بالفرقة والشعور بالكره لم يبلغ حد هما الأقصى الا بنشر التعليم " (٣)

ج - احتاج المستعمرون لتيسير دفة الحكم فى الهند الى طبقة تقوم بدور الوساطة بينهم وبين الشعب وكان من الطبيعى أن تتعلم الأقلية لغة الأكثرية ، فبذلت شركة الهند جهوداً ما تزال آثارها تشاهد على رفوف المكتبات حتى اليوم من معاجم وقصص مترجمة ٥٠٠٠ ، لذلك دفعت العديد من عمالها الانجليز الى اكتساب اللغة الهندية ، بيد أن جهودها ذهبت ادراج الرياح لكثرة التكاليف المالية التى لم يكن من صالح الشركة تحملها - وترفع الانجليز ورغبتهم عن تعلم لغة شعب محكوم ، وهذا ما جعل الشركة تعيد النظر فى منهج التعليم لاعداد الطبقة المترجمة ، فوضعت خطة تكفلت باخراج هذه الطبقة ، وما زال ايجاد أمثال هؤلاء مطمح التعليم .

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ٣٠٥ .

(٢) انظر مسلم ثقافت ص ١٠٣ .

(٣) نقلا عن علماء حق اوران سے مجاهدانہ کارنامے ص ١٠ - ١١ .

يقول السيد أحمد خان ضمن الأسباب الداعية لفتح مدرسة العلوم : "لن يجد المسلمون المناصب العليا لدى الدولة ، ولن يكونوا ذوى مكانة مرموقة من الطبقة النبيلة حتى يتقنوا الانجليزية ٠٠٠٠ ، وليس أمام المسلمين طريق لاكتساب المناصب الا ذلك ^(١) " وما زال التعليم قائما على ما كان ، لا يهدف الا لشغل منصب من المناصب ، ومن ثم اتجهت الجامعات اتجاها أدبيا محضا ، وسيطرت عليها نزعة التوسع فى الآداب فخرجت عددا لا يستهان به من الإداريين ، ولم تخرج بطبيعة الحال رجالا مبتكرين فى علوم الهندسة والميكانيكا والكيمياء والصناعات المفيدة التى كان الشعب فى شبه القارة فى أمس الحاجة اليها . (٢)

د - استحكمت سلطة الانجليز على الهند فى أوائل القرن التاسع عشر حين كانت أوروبا فى أوج مدنيته ، وفى ريعان الصناعات ، والمكتشفات الحديثة ، أثر فوز العلم وانهمزام الكنيسة أبعد الخالق والمدبر الحكيم من جميع الابحاث العلمية كرد فعل للكبث الكسى وسلطة الرهبان على الناس فساة الألحاد جميع ميادين التعليم وخلا الجو للمكتشفين كي يثأروا لأنفسهم من المعابد التى سلبت حرياتهم باسم الدين والنيابة عن الرب ، فاعلنوا للناس بملء فيههم عدم وجود يد تدير شؤون العالم بل عدم وجود موجد للكون أصلا ومن هذا المنطلق تأسست العلوم الحديثة على التجربة والحس والادراك الملموس ونكران كل ما لا تثبته الاختبارات العملية من الأمور الغيبية وشئون بعد الطبيعة ، ونقلت المعاهد الغربية قوانين المادة وشمل المكتشفات الى العالم بهذه الروح فغيرت مجرى أحداثه بمعاملها المخبرية . (٣)

وعلى هذا الأساس بدأت العلوم الطبيعية تدرس فى العالم كله بروح الغرب الملحدة ، ومن هذا المنطلق الألحادى شقت " الجامعة الاسلاميه بعليكره " طريقها لتدريس العلوم ، ودفعت المسلمين دفعا لتلقيها كحل مؤقت لمشكلة التعليم ، ولم يكن منهجها يختلف عن منهج جامعات الدولة فى شئ ، الا فى تدريس بعض العلوم الدينية . رغم عدم توافقها مع الجو العام للدراسة

(١) مقالات سر سيد ٨ / ٨٣

(٢) انظر ملفوظات ص ١٧ ومناظر أحسن كيلانى مسلمانون ، كانشام تعليم وتربيه .

(٣) انظر الاستاذ محمد سليم ، مغربى فلسفة تعليم كاتنقيدى مطالعة نظرة فحصى فى فلسفة التعليم الغربية ص ٢٦ ومسلمانون كاروشن ٠٠٠ ص ٦٥ وحاضر العالم الاسلامى ج ٤ / ١٨١

في الجامعة التي أخذت الاتجاه المادي الالحادي من الغرب فالفلسفة الحديثة تقوم على القول بوجود الخلق من غير موجد والعلوم تخضع للحس دون الغيب والتاريخ والسياسة والاقتصاد والقانون ... كلها تختلف من الأصول الى الفروع عن أصول الاسلام ثم الجو الجامعي لَوْن بلون التفريب في اللباس والاكل والشرب والعادات الاجتماعية وميادين اللعب ومعاملة الطلاب بعضهم لبعض .. فهل يعقل تخرج من يحمل الروح الاسلامية مع هذا الانغماس أو يظهر على الملأ مسلماً يطبق أحكام الاسلام في شئون الحياة ؟

يصور الشيخ المودودي الوضع المؤلم لجامعة عليكره فيقول : " وفي نظري أن تعليم الجامعة بشقيها الديني وغير الديني يخرج شخصاً لا يؤمن بتعاليم الاسلام غير أن الجامعة تحمله بعض كتب الشرع خشية أن يقع عليها تهمة التكفير فإن صادف أن القى الحامل ذلك الثقل كان مورد اللوم والأخذ ، لا الجامعة التي شحنته بعبادة الدين وتمجيد التفريب طوال مدة الدراسة " (١)

ويجمل الشيخ محمد اكرام وضع عليكره وما تسودها من النزعات غير الاسلامية فيقول : " لَوْن نائح في طرف من أطراف العالم يدعو الى هدم الاسلام أو القضاء على المسلمين ... لوجد أول الملبين في قاعات عليكره ... وانك لتلمس في تلك الساحات ضعف الايمان وعدم القيام بالمهام الشرعية فلو غرقت العقول الممتازة من مدرسين وطلاب واستمعت الى أقوالهم لما خفى عليك كنه ما تريد تلك العقول ... ويجمعون كل ذلك في قولهم : إن عليكره جامعة وليست معبداً " (٢)

محاولات إصلاحية في التربية والتعليم :

وما ان شاهد المدرسون الأثر الضار لحركة عليكره حتى أخذوا يبحثون عن طرق توصلهم الى الساحل المأمون دون أن يصيب متخرجيهم ما أصاب متخرجي عليكره فمنهم من نفذ فكرة إقامة مهاجع خاصة للطلاب المسلمين يتلقون التعليم في الجامعات الحكومية وينفردون عن طالبها بالسكن حتى يسهل تربيتهم على أسس الاسلام (٣) ومنهم من وضع الحل في المطالبة بمقاعد خاصة للطلاب المسلمين في

(١) تعليمات ص ٢٧ *

(٢) موج كوثر ص ١٥٢ *

(٣) كإقامة الشيخ سميع الله الجامعة المسكونة في اله آباد بعد أن ترك عليكره نتيجة موافقه الأعضاء على ترشيح محمود ابن السيد أحمد خان وحله مكان أبيه بعد الوفاة رغم انحرافه الخلقى / انظر للتفصيل موج كوثر ص ٩٦ *

الكلية الحكومية حتى يتمكن التنافس مع طلاب الديانات الأخرى ومنهم من وضع الحل في إنشاء جامعة اسلامية حديثة خالية من جميع عيوب عليكره لا تقبل مساعدة مالية من الدولة وتكسر طوق التعليم المنحصر في الوظيفة الى تعليم الصناعات والحرف التي تكسب العيش الشريف لمخرجيها فخرجت الى حيز الوجود الجامعة الملوية الاسلامية عام ١٩٢٠م غير أن ضيق الموارد المالية أخذ يتلابسها منذ الانشاء ، ثم تكاثرت الكليات الخاصة في جميع أطراف البلاد .

وليس من السهل حصر تلك الكليات أو المدارس التي أقامها المسلمون لتعليم أبنائهم العلوم الحديثة مع العلوم الشرعية ، ونحن هنا ذكر بعضها ليقاس وضع الباقي عليها ، ففي شمال الهند أوجد المسلمون على نفقاتهم الخاصة جامعة عليكره ، والجامعة الملوية الاسلامية بدلهي وفيس الجنوب الجامعة العثمانية في حيدرآباد والكلية الجديدة وكلية البنات في مدراس ، والكلية الاسلامية في وايثم وكلية جمال محمد في ترشناي والكلية العثمانية في كرنول وكلية فاروق في ملابار (١) عدا الثانويات والمدارس المتوسطة والابتدائية المبعثرة في جميع أطراف الهند ، وظلت قيادة هذه المدارس في الأيدي المسلمة حتى الاستقلال ، ثم أخذت حكومة الهند تستولي على هذه الجامعات والكليات والمدارس الاسلامية واحدة تلو الأخرى حتى ابتلعتها جميعا ، ولم تبق مدرسة تختص بتدريس العلوم الحديثة للمسلمين فضلا عن الكليات والجامعات . فالجامعة الملوية الاسلامية التي لم تنشأ الا لتفادي أخطاء عليكره أصبح ضمن كلياتها كلية الفنون الجميلة التي تضم قسم الرسم والتصوير والغناء وصناعة التماثيل ، وكلية البنات في مدراس التي تم انشاؤها بتبرع المسلمين بنسبة ٩٥% من تكاليفها الاجمالية لم تكن تعد ونسبة الفتيات المسلمات بها عام ١٩٦٢م ١٠% كما أن نسبة المدرسين والمدرسات من المسلمين لا تتجاوز هذه النسبة (٢) ، وقس على هذا بقية المعاهد المسلمة .

دور المعاهد التنصيرية في العملية التربوية والتعليمية :

والتعليم المصري في الدولتين المسلمتين يتوزع بين طرفين : بين المدارس الحكومية وبين ادارات التنصير المبعثرة في أطراف الدولتين ، ولو نظرنا الى تقرير الكنيسة عن باكستان لعام ١٩٥٨م

(١) انظر تفصيل هذه الكليات في المسلمون في الهند ص ١٣٣ .

(٢) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٢٩ و ٨٩ .

لرأيت أن للمسيحيين سبع كليات واحدى وخمسين مدرسة ثانوية وأربعين مدرسة متوسطة وخمسين مدرسة ابتدائية واشتت عشره كلية صناعية (١) ، ولم تمض سنتان على هذا التقرير الكنسى حتى بلغ عدد المدارس الكاثوليكية الابتدائية ١٢٣ يجتمع بين أسوارها ٢٤١٠٦ بين طالب وطالبة^{٥١} مدرسة متوسطة تضم أسوارها ٥٧٥١ مكتسب للعلوم والمعرفة و ٤٦ مدرسة ثانوية يدرس بسـين قاعاتها ١٠٨٠٥ طالبا وطالبة ، وست كليات علمية تضم قاعاتها ٨٥٣ متعلما بين الذكور والإناث وتسع كليات صناعية يتردد اليها ٢٦١ شخصا (٢) .

وان قارنت بين هذه الأعداد وبين ما نشره الاستاذ نادر عام ١٩٧٤م ترى أن عدد المدارس الابتدائية الكاثوليكية قد انخفض الى ٨٥ والمتوسطة الى ٢٢ والكليات الى ٤ بينما ارتفع عدد المدارس الثانوية الى ٧٣ والكليات الصناعية الى ١٣ (٣) وتبدو من قراء الأعداد بتدبر أن - حركات التنصير عدلت خططها التعليمية وأخذت تفضى الطرف عن المرحلة الابتدائية وتركز على المرحلة المتوسطة والثانوية وورد ذلك فيما يظهر قيام الرافد الحكومى للمرحلة الابتدائية بمسئوليات ما تريده المدارس الارسالية من التغريب ، لذا ترى أن عدد طلاب المدارس المسيحية المتوسطة قد ارتفع الى ٨٦٨١ رغم التقليل من عدد المدارس - والثانويات الى ٣٧٠٢٤ بين طالب وطالبة ٨٠٪ منهم من أبناء ديانة التوحيد .

ويبدو الوضع أكثر تأزما في بنغلاديش وذلك لعاملين أساسيين :

١ - انطلقت عملية التغريب ، وتجسيد التغريب من منطقة البنغال قبل غيرها من مناطق شبه القارة وفيها وضعت اللبنة الأولى لنقل الأفكار والثقافة الغربية بافتتاح مدرسة سيرام بور الارسالية وفيها فتحت أول كلية انجليزية عام ١٧٩٣م ، وظلت البنغال بقسيتها الهندى والبنغلاديشى تتصدر غيرها فيما يبيتته المستعمرون ، وبعد الاستغلال ارتبط مسير البنغال الشرقية بمسير باكستان فغزتها حركات التنصير باسم العلم ، وازداد الجو ظلمة أثر استقلال بنغلاديش ان - وجدت الارساليات أنسب وقت لتكثيف المدارس لكثرة الايتام وعدم تمكن الدولة الحديثة من تلبية طلبات الشعب في ميدان التعليم ، ومن غير المعروف على وجه الدقة عدد المعاهد والكليات التى

(١) انظر رينفرد كليساوى تواريخ (تاريخ الكنائس) ص ١٣٢ .

(٢) انظر باكستان مسيحية ٥٠٥ - ٥٠٦ .

(٣) انظر ^{بنغلاديش} بين مسيحية ص ٥٠٧ .

تديرها الأيدى المسيحية على أرض هذه الدولة المسلمة ولكن من المسلم به أن العدد لا يقل عما هو موجود على أرض باكستان .

٢ - تعتبر بنغلاديش من الدول ذات الكثافة السكانية الخانقة ، ومن الدول الفقيرة فقرا مدقما ، ومن هنا فرضت الحاجة نفسها على الآباء بالتخلي عن الأبناء والتبرع بهم لمن يحفظ لهم أفلاذ كبدهم على قيد الحياة فاقتنصت الرسائل هذه الأغصان الغضة النقية فربتهم في مدارسها ووجهتهم الى الالحاد والمروق عن شرع الله باسم العلوم وان أردت وضع النقا ط على الحروف فثق أن هذه المعاهد الرسالية لازالت تخدم الأغراض السالفة التي أرادها مخطوطو التعليم في الهند اذا لانجليزية بأدابها وأفكارها مازالت هي اللغة التي يحرم التحدث بغيرها بين اسوار تلك المعاهد ، وتسلب على عقول الاحداث منذ الصغر فيشبهون في طوقها على التفریب متمسكين بكل الأسس والتقاليد الغربية .

ومن هذا المنطلق المستسلم يبدأ الآباء رحلة أبنائهم العلمية الى ساحل التفریب والولاء لغير الاسلام ، ويشعر المجتمع بالحاجة الى هذه المعاهد التي تعودنا على سيطرة الغرب والتخلي عن الأخلاق الاسلامية حين يشاهد تفضيل الدولة لمتخرجي تلك المعاهد على غيرهم في التوظيف ومنح المناصب القيادية ، كل ذلك الحيف يقع على الأرض المنكسبة باسم الاسلام وعلى الناشئة الاحداث من أبناء هذه الأمة باسم التقدم والرقى وكسب العلوم .

تلك حال المعاهد التبشيرية أدق الرافدين في تدريس العلوم الحديثة - وما تمنحه لابنائها من المعلومات والتربية القيادية ، ويجعل الشيخ المودودي وضع هذا التعليم الرسالي وما تخرجه من النماذج فيقول : " من نتائج دولتنا التخطيطية ان العائلات المترفة ترى من العبث تعليم الأبناء اللغة الأردية وثقافة امتهم واكتساب المعرفة الشرعية ، كل ذلك لا يعنيتهم في قليل أو كثير بل انهم يحاولون تعليمهم تلك اللغة والتقاليد التي تحيلهم بعد التعلم الى بريطانيين أو أمريكيين وتحقيقا لهذا الهدف يرسلون أبناءهم وناتهم الى المعاهد المسيحية التي لا يمت سيرها وتقاليدها بصلة الى الثقافة الاسلامية . فلا يجهل هؤلاء الصغار الاسلام فحسب بل يعاندونه ويقاومونه ، ومن ثم اذا لم يتنصر هؤلاء فانهم لن يكونوا مسلمين بل إنهم أقرب صلة بالمسيحيين منهم

بالمسلمين " (١) وذلك لتفاني المسلمين في باب التعليم .

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : ما دامت الآداب والمعلوم الغربيتان تلقان باللغة الانجليزية فلم لا تخرج هذه المعاهد نماذج كالتى تخرجها المعاهد الغربية من المبتكرين والمكتشفين أو على أقل تقدير تخريج أفراد يتمتعون بصدق القول وعدم الارتشاء والاخلاص للأمة التى ينتمون اليها والأرض التى يفترشونها ؟ بل نراهم على عكس هذه الصفات يخونون ولا يوفون ويقدمون حاجتهم على حاجة الأمة . . . الخ

واجابة هذا التساؤل الموضوعى تعيدنا الى العقول المخططة للتعليم فى الهند ، فلم يكن من مصلحتها أن يخرج منهج التعليم أفرادا من أشكال ما يخرج منهج البريطانى ، بل يجب أن يخرج نماذج توالى الغرب وتفضل تقاليدهم وتقدمهم بمهجهما ، وفى ذلك بقاء سلامتهم فى تلك البلاد ، وظل المنهج يسير على هذا المنوال حتى الاستقلال وكان المفروض بعد ذلك على الأمة المستقلة ان تعيد النظر فى نظامها التعليمى كله اذ لم يوضع ذلك النظام ليربى أفرادا على الاخلاق الفاضلة يسمعون فى الحفاظ على مثل الأمة وتقلقهم وتتجافى جنوسهم عن المضاجع بحثا عن سبل رقيها ، وانما يتأتى ذلك من نظام امة مستقلة يسمى تعليمها الى انشاء أفراد يحفظون تراث الماضى ، ويغذونه بما يقوى أسسه ، ويحلى بنيانه ، ويلبى حاجة الناس الآنية ، بيد ان الرياح جرت لا تشتهى السفن اذ ظل نظام المستعمرين بروحه وهيكلة الأساسى يسرى فى جسد الأمة المالكه لنفسها . والتى لم تسع الى التعديلات الجذرية حتى اليوم .

التعليم بعد الاستقلال :

والرافد الآخر الذى يغذى الأمة بالتعليم الحديث ويصب فى مجراه ٨٠ % من المدارس والكليات المنتشرة على أرض الدولتين المسلمتين ترى لغة تعليمه هى اللغة المحلية - الأردنية أو البنغالية لغة الشارع والمنزل ، وكان من المتوقع أن يغطى جميع متطلبات الأمة ويفوق نظام الارساليات اذ لا يضيع عمر الطالب فى اكتساب اللغة دون العلوم والمعارف ، ولكن الأمل خاب حين أخذ

يستعير كل شئ من خصمه (١) ويرى واضعوه أن منارات الاشعاع والنور هي المعاهد المسيحية فجعلوها قدوة يتأسون بها في وضع النظم وتهيئة الجوالدارسى ، وتأليف المناهج التعليمية فلا يختلف نظام هذا الرافد عن الرافد الارسالى الا فى لغة التعليم ووضع الاسماء الاسلامية بدلا من الاسماء الانجليزية ، وادراج قصص وحكايات تشير الى اسلامية المنهج .

وبما أن باكستان أسبق من أختها بنجلاديش فى محاولات جعل التعليم لا يتنافى مع الاسلام فقد خطت خطوات فى هذا الميدان ، ولكنها ما تزال بعيدة عن الهدف ، فمثلا لو نظرت الى منهج اللغة الانجليزية للصف التاسع بالسند لعام ١٩٨٢م - الذى أعلن عن تطهيره واخضاعه للاسلام لوجدت ان روح المنهج لم تختلف عما كانت عليه من قبل ، فما زال المنهج يبحث عن المثل العليا فى الأمة الناطقة باللغة الانجليزية ، ولم يجد واضعه شخصية مسلمة اهتمت بشئون المعوقين الا هيلن كيلر الامريكية . (٢) ولم يجد من الآثار القديمة الاحضارة ما نجودار والتي تمثل عبادة الأصنام وهبوط العقل البشرى الى الهاوية المظلمة دون أن يشير الى شئ من تعاليم الاسلام تجاه هذه الحضارات الشركية (٣) كما أنه لم يجد من دعاة الاسلام ومن خدم الدعوة الاسلامية فى الهند منذ القرن الأول الهجرى حتى اليوم الا الصوفى الشهير الشاه عبداللطيف بتائى الذى خدم الاسلام - على حد الكتاب المقرر - بالتنظيم والالخان وابتكر لأهل السند آلة غناء تمبورو (Tombooro) عمت السند من أقصاها الى أقصاها . (٤)

وقس على هذا ما اقدمت عليه الحكومة الحالية من نقل مادة الاسلاميات من قائمة المواد الاختيارية الى قائمة المواد الاجبارية ، يجب على الطالب دراستها فى جميع مراحل التعليم ، بيد أن المادة العلمية التى غذيت بها الاسلاميات ضحلة فى بعض المراحل ، وغير دقيقة فى مراحل أخرى ، فإن تصفحنا مقرر الصف التاسع لطلاب السنة بالبنجاب نرى أنها تضم مادة القرآن من سورة

(١) انظر محمد طفيل بمجلة اسلامى تعليم ص ٢٤ عدد سبتمبر واكتوبر ١٩٧٢م .

(٢) Secondary Stage English Book One. P. 28.

انظر للتفصيل كتاب اللغة الانجليزية الأول للمرحلة الثانوية ص ٢٨ .

(٣) انظر للتفصيل المصدر السابق ص ١٩ .

(٤) انظر للتفصيل ص ١٠ . من المصدر السابق .

حيث فتحت الدولة الباكستانية العديد من المدارس الابتدائية في المساجد لكن تعيين المدرسين لم يكن بالمستوى المطلوب لمكانة المسجد في الاسلام .

نظرة فحص في المنهجين (الدينى والعصرى)
=====

ولو ألقينا نظرة فحص وتدقيق على النظامين التعليميين الدينى والعصرى بفروعهما المختلفة لظهرت لنا الأمور التالية :-

١ - الدرس النظامى يستطيع أن يلبي بعض حاجتنا الدينية من الخطباء والأئمة والمؤذنين ... غير أن الانزواء والتصوف طغيا عليه حتى أصبح عديم الجدوى وصح فيه قول القائل "وسلم الديونديون من ابتلاءات العصر لعدم اتصالهم بمشتميات الحياة العاجلة ، بل عمروا لأنفسهم قرية مستقلة يعيشون فيها حياة الأرياف والقرون التى لم تر نور العصرية والتقدم العلميين " .

٢ - شخص السيد سليمان الندوى - أحد من ترأس ندوة العلماء - مفهوم التعليم والصفات التى يتمتع بها الدرس النظامى فيقول : " للتعليم مفهومان : أن تكون هنالك صالات مرفهة لالقاء المحاضرات تحيل الدارس الى ذكرى القصور ، وأن تكون عمارات تناطح السحاب مع وفرة المراجع وجمع المال مثل قارون وتبديد الثروة على رواتب المعلمين وانفاق الملايين على شراء الأثاث والأموال المنظورة ، وصرف مثلها فى اقامة المختبرات وشراء الادوات اللازمة لمثل ذلك المكان ، والحاصل أن التعليم بمثل هذا المفهوم وسيلة لكسب المال ، وجمع الثروة ، ونقطة بدء هذا المفهوم ومنتهاه ينحصر فى الأمور الظاهرية المادية ، أما المفهوم الآخر للتعليم الذى عرفه الناس قديما وحديثا فهو لا يقيم لمثل هذه الأمور الظاهرية من المال والجاء والامارة والعظمة والأثاث ... وزنا ويعتبر المال والثروة حقائق غير مسلمة يمكن أن يكتمل التعليم بدونها ، وان اعتكف بشئ منها فلن يتجاوز اعترافه أنها أمور ترفيحية أو أقدار موهمة " . (١)

بهذا المفهوم ينظر أصحاب المدارس العربية الى الدنيا والعلوم التى تدرس لتحسين ظروف المعيشة فى هذه الحياة العاجلة ، ومن هنا خلت مناهجهم مما يتصل بعلوم الأرض وتطورها

المذهل الذي يرون آثاره ويجنون ثماره بأثمان باهظة ، ولعل هذا التجرد ومنع المدارس من تدريس هذا النوع من العلوم مرجعه الى ما يشاهدون من الفساد في متعلمي تلك العلوم في جميع ميادين الحياة من الأخلاق والسياسة والاقتصاد مثلهم كمثل مبصر يغمض عينيه في وضع النهار خشية أن تتأثر رؤيته من أشعة الشمس ، لكن ذلك الخوف الموهوم غير كساف لتبرير واقعهم الانزوائي وترك القيادة للمفسدين .

٣ - المادة العلمية التي يدرسها طلاب الدرس النظامي مكثفة ، وعلى حد قول حافظ نذر أحمد : " لا يحصل الطالب شهادة هذه المدارس الا بعد اجتياز عشرين فنا علميا وإن ضمنا بعضها الى بعض فلا تقل عن ثلاث عشرة مادة مفصلة ويمكن للطالب أن يجيد العربية والأردية والفارسية مع لغته الأساسية بيلما توقف شهادة الكلية العصرية على اجادة ست مواد وفوق وسع الطالب الحصول على الشهادة بدراسة اللغات دون أن يمس مادة أخرى . (١)

وتلك حقيقة بالنسبة لكلا المنهجين بيد ان الكثافة التي شحن بها الدرس النظامي لا تتصل بما تحتاج اليه اليوم ، ان المنهج النظامي لم يوضع لهذا العصر بل وُضع للمسلمين حين كان يحكمهم الفقه الاسلامي في جميع شئون الحياة فاستهدف المنهج اخراج فقهاء ورثوا الاسلام ابا عن جد لم تغزهم ثقافة أجنبية ، ولم يحكمهم الا المسلمون ، فجاء منهج التعليم الذي قرره دولتنا الاسلامية آنذاك ، وافيا بحاجة الامة والدولة معا .

٤ - وان دخلت الى قاعات الدرس النظامي وجدت مدرسا الحديث مثلا يفيض اليومين ، والثلاثة في ترجيح مسألة اختلفت فيها وجهات النظر فيسعى بكل ما أوتي من قوة الحجة الى ترجيح الرأي الذي يعتقده صحته ، ويمرر الكرام على الأحاديث التي توضح حقيقة الدين أو ترشد الى قواعد الاسلام في الاقتصاد أو تبين نظام الاسلام السياسي أو تحض على خلق تخلق المسلمون عن التمسك به ، أو تضع الأسس المتينة لنظام الاسلام القضائي أو الاجتماعي ، أو تحدد علاقة الدولة المسلمة بغيرها من الدول . . . كل ذلك لا يعنى المدرس ولا الطالب

فى قليل أو كثير ولا تستوقفهما تلك الأحاديث التى يبنى عليها أسس الحياة الإسلامية ، وقس على هذا دراسة بقية المواد من التفسير والفقه . . .

٥ - جل ما يدرسه الطالب فى الدرس النظامى أو المدارس العربية من الكتب المقررة وضعت لجيل يتكلم الفارسية ، ويتعامل بها فى جميع شئون الحياة ، غير أن الوضع أخذ يتحول لصالح الأردية وغيرها من لغات المناطق منذ وقف التعامل الرسمى بالفارسية ، وكان المفروض أن تتحول لغة المقرر النظامى تمشياً مع متطلبات الأمة وما يفهمه النشئ الجديد غير أن المنهج لم يزل على ما كان فلم يشعر بحاجة الأمة ، وعدم وجود الفارسية خارج القاعة .

وتأخذ الحيرة لب المدرك للمأساة حين يشاهد دراسة المواد العربية من الصرف والنحو وما شابه ذلك فى هذه المدارس تدور بين ثلاثة أطراف متباينة فلفة القاعة هى اللغة المحلية بينما لغة الكتاب المقرر هى الفارسية والهدف المراد من المادة المدروسة الوصول الى قواعد الصرف العربى وأصول لغة القرآن .

٦ - الطرف الآخر الذى تقع عليه تبعه هذه المدارس هم الاساتذة الذين تلقوا علومهم على الدرس النظامى ومن المسير اقناع هؤلاء بالفائدة المرجوة من العلوم الحديثة لظنهم أن التطوير مؤامرة تستهدف ما استهدفته المؤامرات المستعمرة السابقة ، ثم إن أكثر هؤلاء لا يعرفون من العلوم الحديثة ما يؤهلهم لتدريسها ، والناس أعداء لما يجهلون - وتطلعت الانظار حين أسهمت دار الافتاء بالملكة العربية السعودية ورابطة العالم الإسلامى والجامعة الإسلامية ، وجامعة الأزهر بارسال مبعوثين الى بعض هذه المدارس الشهيرة ، ولكن عدم استقرار هؤلاء ونقلهم من مدرسة الى أخرى ، والتشدد فى طلب مواد معينة للتدريس عن حسن نية وعدم التجاوب من المدارس فى ذلك أجل موضوع التطوير الى أمم غير معين .

(١) انظر هندوستان مسين مسلمانون كا . . . ج ١/١٨٣ .

(٢) انظر جائزة مدارس عربية ص ٦٠٦ .

٧ - ليس للمدارس العربية راية تنضم تحت لواثها جميعا ، ولا منهج موحد يشترك في تدريسه جميع هذه المدارس ، غير أن المهتمين بها شعروا بهذه الحاجة الاسلامية فوضعوا المبادئ الأولية لجمعها على منصة واحدة في باكستان عام ١٩٥٨م فخرج الى حيز الوجود "وفاق المدارس العربية " ولكن السرياح جرت بما لا تشتهي السفن فلم ينضم الى هذا الوفاق الا

١٧١ مدرسة من بين ٩٩٨ مدرسة وذلك في توحيد دورة الحديث دون غيرها من مواد المنهج (١) وانتج هذا التشتت فقدان المكانة الاجتماعية لمخرجي الدرس النظامي ففقدت شهاداتهم مكانتها العلمية مقابل الشهادات الرسمية ولكن الأمل معقود على الوفاق حتى يحقق أغراضه .

٨ - اتبعت الدول الثلاث المستقلة السياسة الانجليزية تجاه هذه المدارس فحالت بين مخرجيها وبين وظائف الدولة الاصلاحية ومنع المكان اللائق لأمثال هؤلاء مما جعل الأمة تتلح من ارسال أبنائها الى المدارس العربية فخلت صفوفها من الطلاب الأذكياء ، ولم يطور بابها الا اب اعجزه مؤثقيالة ، وغنى أصيب ابنه بتخلف عقلى أوبعاهة خلقية تنمعه من السرمسع مدارس الدولة . ومن هنا يمكنك ادراك الثمرة التي تجنيها الأمة المسلسلة من المدرجات النظامية ، فلا يستطيع حامل الدرجة العلمية النظامية تمثيل الاسلام تمثيلا صحيحا ، وليس في وسعه ان يطبق أصول الاسلام الخالدة على مشكلات الحياة المعاصرة أو يخل معضلة من معضلاتها الاجتماعية .

٩ - وان انتقلت الى القاعات المصرية ترى أن المادة العلمية المدروسة بنيت لتصل بالتعلم الى نكران الدين ونبد كل ما ورثه من الآباء والاجداد ويسلط هنتر الضوء الكشاف على ذلك فيقول : " الواقع الملموس أن طريقة تعليمنا ، ايقظت الهندوس النائمين منذ دهور وأثارت فيهم شعور القومية الحاد ؟ غير أنها مخالفة لتقاليد المسلمين وغير آبهة بضروريات الحياة الاسلامية . بل إنها تهين دينهم وتحتقر معتقداته " (٢)

(١) انظر نعيم آسي مولانا مفتي محمود حيات وخدمات (مفتى محمود حياته وخدماته)

ص ١٥٦ وجائزة مدارس عربية لعام ١٩٧٢م ص ٦٠٤

(٢) همارح هندوستانى مسلمان ص ٢٥٦ .

ويشير المستر بي لى سكرتير الحكومة الهندية الى السبب الرئيسى لاعتزال المسلمين التعليم الحديث آنذاك فيقول : " لا عجب اذا اعتزل المسلمون مدارسنا وطريقة تعليمنا مهما تكن حسنة لأنها لا تراعى مزاياهم المالية ولا تقف عند عدم تلبية ضروريات حياتهم الدينية فحسب بل تعارضها معارضة الخصم للخصم وتخالف تقاليد المسلمين العريقة " (١) ويقول المستر جمنز أحد المسئولين عن محاكمة المجاهدين من اتباع السيد أحمد " أرى شدة تأثير الاصول الوهابية على المزارعين نتيجة حتمية لعدم اعتناء مدارسنا بتعاليم الاسلام " (٢)

وجاءت الثمار حسب القوانين الكونية الالهية بعد تعلم المسلمين العلوم الحديثة على علاقتها - وانك لا تجنى من الشوك العنب - فخرجت العديد من لادارات تحمل الاسماء المفرية كإدارة "مطالعة القرآن" لتكذيب القرآن فقدمت بحوثها فى هو " ما نشئت عليه أيام التعليم فزعمت إدارة بشاور مثلاً أن قوله عز وجل : " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم " غير صحيح بالسنة للبشر من نواح مختلفة فلا يصح وصف البيضة بالبيت فضلاً عن الانسان الكائن الحي بل وصول الحياة الى الارض لم يكن للقدرة الالهية دخل فيه وانما هو انتقال وتطور طبيعى من نقطة الى أخرى ومن موضع الى آخر " (٣)

١٠ - اخرج التعليم الحديث طبقة مثقفة أطلق عليهم الغربيون اسم " بابو " امتازت بالاهانة والاختقار لبنى جلدتهم ، ويروى هؤلاء منذ نعومة أظفارهم على هذا التعامل فى المعاهد العلمية وميادين المعرفة وانك لتسمع كلمات السب والشتم ، وما نهى عنه الشرع من البذاءة يتعامل به دون وجل أو استحياء ، بل يتقبل السامع تلك الكلمات وكأنها لا تعنى سوى المداعبة والتخاطب . وكلما ارتقى الطالب فى المراحل الدراسية خلا تعامله من الادب والاخلاق وتبلغ الوقاحة حد هـ الاقصى فى مدرجات الكليات والجامعات العصرية ، وكم من رزين ترك الدراسة لعدم تحمله تلك الأوصاف الجارحة . (٤)

وتلك نتيجة منطقية اذ كان الانجليز يعاملون الهنود المثقفين بثافتهم بمثل هذا الأزدراء .

(١) همار هند ستانى مسلمان ص ٢٢٠ .

(٢) " " " ٢١٩ .

(٣) مجلة صدق جديد عدد ٣١ جولائى ١٩٥٩ .

(٤) انظر تمدن هند ص ٥١٢ .

فتسلسل ذلك فيمن تلقى عنهم ونهج على منوالهم ، فهذا غوستاف لومون الفرنسي الذي يعترف له العالم الاسلامي بابحائه والذي يحمل أرقى درجة علمية أوربية ، يسجل على نفسه تعامله مع مثقف هندي ركب عربة القطار المخصصة للبيض فيقول : " ركب معي في عربة القطار هندي مثقف ... فاسند رجله الى ظهر المقعد ثم أشعل السيفار وهو أقصى ما يتمناه الهندي فما أن وصلنا الى أقرب محطة حتى صعد انجليزى الى حجرتي فتكلمش الهندوسى وأمسكــه الانجليزى من أذنه وطرده من مركبتنا قائلا له أخرج " (١)

١١ - يقضى طالب العلوم غير الشرعية قرابة أربعة عشر عاما يدرس قوانين الكون على أساس أنها وجدت من غير موجد وتسير من غير مسير وعلى هذا الأساس الالحادى يجرى تجاربه الجديدة ويمضى فى أبحاثه واستنتاجاته على هذا الدرب . لا يلتفت الى الهوة الثقافية التى أخذت تتسع لتحجزه عن المجتمع الذى ينتمى اليه ، ويصور ارنولد توينبى هذا التعارض البين الذى يحدثه التعليم فى المتدين فيقول : " وما كانت الهوة الثقافية بين المجتمع الهندى والغرب الحديث مجرد تباين بينهما ، بل كانت تناقضا صارخا ، وتفسير ذلك أن الغرب الحديث قد لفق صيفته علمانية لتراه استبعد منها الدين فى حين ما أنفك الدين يسيطر على المجتمع الهندى حتى أعماه المسى درجة تعرضه لتهمته التزمت الدينى " (٢)

ويتنفس كارسان دتاسى الصعداء ويفرج عمن نفسه الهموم المتراكمة ازاء ما يشاهد من خنق المسيحية فى بلاده فيرجولها الازدهار بسبب التعليم فى الهند فيقول : " ان ما يقال فى أوربا من علم اللاهوت هو أكثر شبهها بالعلم اللادينى ، لكن الذى يبعث على السرور أن أهل الهند لا يملكون عن أوربا وعلومها اللادينية شيئا وأن هذا المد الثقافى سيزيل عنا الكرب المفروض على المسيحية فى فرنسا وفى الغرب الذى أخذ ينتقص تعاليمها الدينية يوما بعد آخر " . (٣)

١٢ - أنشأ الانجليز المراقيل لقتل الذكاء والقوى المبتكرة من الاساتذة والموظفين فوضعوا العوائق فى باب البحث والتأليف أو التحقيق والتصنيف ، منها أنه يجب على من وجد من نفسه

(١) حضارات الهند ص ٦٩٦ .
(٢) مختصر دراسة التاريخ ج ٣ / ٣٠٠ .
(٣) مقالات كارسان ج ١ / ١٥٤ .

القدرة على هذا النوع من العمل أن يأخذ ادنا مسبقا من الجهة التي يرتبط بها وظيفيا ومن وزارة تلك الجهة ، يتعهد فيه بأن التأليف لن يعيق عمله الوظيفي في جزء من جزئياته ، وما زال هذا الشبح جاثما على صدور المؤلفين حتى اليوم يمنعهم من الاقدام على ما يرغبون الكتابة فيه (١)

١٣ - ومن الأمور المشاهدة المدركة أن نظام التعليم الحديث يمنح متعلميه معلومات مفيدة قد تفي بحاجتهم في العاجلة ، وتسد ضروريات حياتهم الفردية والاجتماعية ولو الى حين ، بيد أنه لا يعطى لطلابه الذاتية ولا الاستقلال النفسى ، وانما يطبعهم بطابع التقليد والتبعية فيقف بهم فى صفوف المقتدين لا ^{القادة} المدبرين ولا الرواد المكتشفين وذلك يضمن هذا النظام الواضعية الصدارة والتقدم من ناحية والتبعية وضحالة منابع التفكير لمتعلميه ومن يسير على درهم من ناحية أخرى .

١٤ - ومن السمات البارزة للمرافد العصري أن أغلب كلياته تخلو من المكتبات والمصادر التي يحتاج اليها الطالب والمدرس على السواء - فيكتفى المشتغلون بالكتاب المقرر ويستغنون عن كل ما سواه ، وتلك مأساة في هذا المنهج من التعليم ورثها من التخطيط السابق بحجة تخفيف العبء المالى عنه على حد قول الانجليز - وأدى ذلك الى الجهل وعدم معرفة ما يستجد وما يطرأ من التغير على العلوم بعد تصنيف الكتاب المقرر ، كما أدى ذلك الى تعود الناس الكسل وطلب الراحة في ميدان السباق .

١٥ - وداهية الداهى أن المعلمين تعروا عن أكثر ما يقومون بتدريسه فناقض قولهم علمهم مناقضة صارخة فمدرس المواد الدينية " اسلاميات " يشرح وجوب الصلاة ولا يصلى ويبين أحكام الزكاة ولا يركى (٢) ويحث على الحضور المبكر ولا يلتزم به وكأنه يسلكه هذا المتخاذل يشجع المعلمين على التمرد وعدم أداء الواجبات مع معرفتهم بوجوبها ومعنى آخر يهزئهم على النفاق المملى ويسر لهم سهل الفرار من المسئولية ، فهل يعقل بعد ذلك تخرج من يمثل بأداء الواجبات ويتحصل عبء المسلمين على هذه الأيدي ؟ .

(١) انظر البروفيسور محمد عثمان اسلام باكستان مين " الاسلام فى باكستان " ص ١١٥ .
(٢) والأمر من ذلك أن بعض الكليات يتولى تدريس المواد الدينية فيها من يدى غير الاسلام .

لذا لك اعتراف بفضل الشريعة والتعليم المحليين على
التربية الغربية أمثال البحاثة غوستاف ليمون حين قارن بين خريج الكلية وخريج المدرسة النظامية
بعد أن رأى نماذج من المتخرجين على النظاميين . (١)

بعض مميزات التعليم الاسلامي :

تلك أبرز اسقام المنهجين المعلمين للذين ينخران الأمة المسلمة في شبه القارة بل في جميع العالم
الاسلامى وبنسبائها يوما بعد آخر ويحيلان أمة القيادة من ضعف الى ضعف ، والتساؤل لاسلامى
الذى يفرض نفسه هو ما المخرج من هذه الورطة وما المنهج الذى يعيد الى الأمكانها القيادى وما
المظهر الذى يزيل ما لصق بتعليم المسلمين من أحوال ؟

والحقيقة المرة أن نظام التعليم الاسلامى بمفهومه الشامل لا وجود له على خارطة العالم كلها ،
والأنظمة الموجودة تقصر عما يريد الاسلام من التعليم ، وهذا لا يعنى بطبيعة الحال أن مراد الاسلام
خيالى ليس فى الامكان تحقيقه وتجسيده بل أصول الاسلام فى التعليم واضحة يلتمسها كل من أراد القيام
بهذه المهمة غير أن العملية صعبة وطويلة وقد لا تتحقق فى زمن وجيز محدود ، ولكن الأمل معقود
على الجهود الخيرة والقلوب التى يسرّها تأخر المسلمين واليك أهم النقاط التى سجلها رواد هذا
الميدان .

أ - الأساس الأول الذى يجب أن يميز هذا النظام من غيره ويفصله عن نظم الارض جمعاء هو هدفه
التعليمى فما من نظام من الأنظمة الا وهو يخدم غرضا محدداً ، ويهدف الى تخريج أفراد يتصفون
بأوصاف معينة . فالنظام الشيوعى مثلاً يخدم الماركسية ويصب من يتلقى على منهاجه فى قالب يجعله
يتوارث الأفكار مع التعليم لىؤدى عمل جسر العبور حين يخرج الى المجتمع ويقوم بخدمته وهكذا بقية
الأنظمة ، وأما ما يزعم من أن التعليم يجب أن يكون مجرداً من كل هدف يقدم الى الباحث المعلومات
فحسب . ويترك له الخيار فى التعمين والأخذ بما يتناسب معه فتلك خرافة يمكن تصورها فى عالم
الخيال لا لوجود ، وفى عالم الآلة لا الانسان الذى يملك الارادة والعقل .

اذن هدف التعليم الاسلامى هو الحفاظ على ما جاء من عند الله على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم من الرصيد الموروث عقيدة وتشريعاً ان لم يترك الاسلام الانسان هملاً يرتع حيث يشاء ويرتوى أنى

(١) انظر حضارات الهند ص ٦٩٦ و ص ٦٩٢

يريد ، بل وضع له هدفاً لحياته وأساساً يتحقق بها ذلك الهدف ، فالإنسان مخلوق محتاج الى الهداية الربانية في جميع شئونه في نظر الاسلام ، انتدب ليكون خليفة الله في الأرض يستعمرها لصالحه في ضوء الوحي والأوامر الالهية .

وهذا التحديد لمفهوم التعليم وغايته يتضح هدف الإنسان من تلقى العلوم ، والغرض الذي يسعى من أجله في اكتسابها ، فالدارس بعد هذا التحديد لا يعدو كونه أميناً لما ورثه من علم الوحي ، يبذل الجهد في حفظ الماضي ، وتغذيته بالجديد في كل حين وأن ، ضماناً لاستمراره وتحديثه في ضوء الاسس الشرعية السابقة^(١) وكأنني بمثل هذا المتعلم قد أصبح همزة وصل بين الماضي واللاحق ، يخدم الكيمياء والفيزياء والاحياء ... بتصحيح مسارها مثل خدمته الكتاب والسنة والفقه واللغة . لذلك نرى المهتمين بالتعليم الاسلامي يوصون " بأن التعليم لا يعنى دراسة بضعة كتب في الرياضيات والكيمياء ... ، وأن هذا القدر من التعليم غير كاف للمتعلمين ، بل يجب أن نحول أفكارهم ، واتجاهاتهم الى الصراط المستقيم " (٢)

وحدد نخبة من العلماء والمفكرين هدف التعليم فقالوا : " إن الوقت قد حان لتغيير اتجاه التعليم والاعلان للابناء أن هدف التعليم لا ينحصر في الراتب والمعاش ، وإنما التعليم وسيلة لتكميل الذات ، وحصول المعارف واثراء الذهن وانماء الكفاءات البشرية ، وأن يتهيأ كل فرد لتقديم هذه الخدمة لجميع أفراد العالم " (٣)

ب - يتفق من عالج مشاكل التعليم ان الازدواجية وتقسيم المعارف الى دينية ودنيوية أمر لا تفرقة الشريعة السمحاء ، وأن العلوم كلها من تفسير وحديث ... والهندسة والاقتصاد والتاريخ ... علوم دينية ، لأن الاسلام دين شامل لجميع أمور الحياة ، يستوى فيه أمور العبادات والمعاملات فمن الخطأ اليوم استمرار التقسيم بين أعضاء الجسد الواحد .

ولكنهم يرون الحل الأمثل لذلك : " ان تقيم كل مدرسة دينية مدرسة مستقلة لكل من مراحلها

(١) انظر البروفيسور خورشيد أحمد نظام تعليم كى اسلامى تشكيل جديد (الصورة الحديثة لنظام التعليم الاسلامى) ص ٣٥ .

(٢) افتتاحية مجلة أورنتيل كالج ميكزين (مجلة الكلية الشرقية) ج ٣٣/١ .

(٣) نخبة من علماء الشريعة والمفكرين المحدثين " تعليمى تجاوبز بر تبصرة " التعليق على المقترحات التعليمية ص ٤ .

الابتدائية والمتوسطة ، تقوم بتدريس مناهج الدولة ، ويترك لها الخيار فى أن تضيف على المنهج ما تراه مناسباً لسياستها التعليمية ، شريطة ألا تقبل فى المراحل الدينية العليا " الدرس النظامى " الا من تخرج فى هذه المدارس " (١) وكأنى بهم قد ضحوا بما بقى فى مدارسهم من علوم الشرع ، ولم يدروا أن هذا التحديث لن ينتج الا ما انتجته مدارس الدولة .

ج - أول مشكلة عملية ستواجهنا لاقامة هذا النظام ، هى مشكلة الكتاب الاسلامى ، ولن أكون مبالغاً اذا صرحت بعدم وجود مثل هذا الكتاب لفك عقال الطفل المسلم فى صفه الأول ، ولكن ذلك لا يمنعنا من البحث عن ابتكار مثل هذا الكتاب ، طريقنا فى ذلك طريق من يتهدى لبناء عمارة سكنية فى موضع تضم جنباته المواد الأولية لمثل هذا البناء ، فيبدأ بضرب اللبن وإنشاء مصنع فخارى لتحميرها ، ولنشر عن ساق الجد لجمع الشتات ولم الأفراد المبعثرين الذين سلموا من التغريب مع دراستهم فى كلياته ، وظللوا على ايمانهم مع الحاد منهجه .

وتلى مرحلة الجمع مرحلة الارشاد وتوجيه هذه العناصر الخيرة توجيهها اسلامياً ، وذلك بمض الجهد التربوية الحكيمة كقيلة بأن تغير اتجاه المعلومات التى غذى بها هؤلاء أثناء الدراسة ، ولن يستغرق تهيتهم وقتاً طويلاً ، لأصالة معدنهم وسلامة ^{نظ}حظهم ، ومتى بلغوا مستوى يمكن فيه الركون اليهم فى فهم الاسس الشرعية حولوا الى ابتكار المنهج وصياغته من نقطة البداية وستكون العلوم بصيغتها الجديدة مرشدة الى حقائق الكون ، ومعلنة ^{نظ}بصيغتها لله .

وللوصول الى الصدارة فى هذا المضمار سيقوم الواثقون برهم باختراق حاجز اللغة ، فيترجمون ما وصلت اليه هذه العلوم بعد صبها فى قالب اسلامى ، ومعنى آخر ستبقى النتائج ثابتة على حالها كما أثبتتها العلوم ، اذ الحقائق وقوانين المادة لا تختلف من ^{أمة}الى أخرى ، غير أن التفسير سيلحق طريقة عرضها على المتعلمين وعلى النظريات التى استنبطها الغربيون من تلك النتائج ، وهذان الأمران يقبلان التفسير فيتحم على كل أمة تنوى النهوض بأفرادها تلبية هذه الاحتياجات ، فمما ظنك بامة كلفت بقيادة البشرية بما يصلحها ويوصلها الى الفلاح .

ولتطبيق ما قلته أقدم مثالا واقعياً لما أثبتته العلم بتجاربه العديدة ، حتى توصل الى أن

(١) تعليمى تجاوبى تبصرة ص ١٣ وقد وقع على هذه المقترحات عشرون مدرسة من كبريات المدارس العربية تحت قيادة المدرسة العربية نيوتاؤن كراتشى .

جميع الأشياء التى تتأثر بالبرودة تنكمش اذا تعرضت للبرد ، ما عدا الماء فمتى قارب درجة الجمود انتشر وخف وزنه ، ومن هنا يطفو الثلج عن سطح الماء فى الأحواض والآبار والأنهار والبحار ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل فيعرضها غير المسلم فيسند الى الماء هذه الخاصية وانها طبيعة فيه ، ويتصدى لبيانها مسلم فينظر اليها بمنظار آخر ، فيبرر أن خلق الله لهذه الخاصية فى الماء هى التى مكنت الأحياء المائية ان تظل حية بقدره الله ومشيئته ، حين يتجمد الماء فى الشتاء ، فلو لم يكن الأمر على هذا النحو لنزل الماء الى القاع حين تجمده ولا ستحال على تلك الكائنات بقاءها حية تحت تلك الصخور الجليدية .

فالطريقتان تباينت فى عرض المعلومات ، ورتبتا آثارا مختلفة فى عقل المتعلم ، ففي العرض الأول لم يذكر اسم الخالق ، ولا الصانع المدبر ، وانما الطبيعة هى المتصرف فى هذا الكون بقوانينها المحكمة التى لا تقبل التغيير ، بل يشير من طرف آخر بعدم وجود رب يسير الكون حسب قدرته وارادته ، بينما العرض الآخر يحلل تلك الحقيقة ويربطها بخالق يحيط علمه بجميع مخلوقاته ، ما نراها وما لا نراها ، وما طفا على سطح الماء وما استترحتته ، وذلك يثير تساؤلات فى الأفئدة غير المعترفة بالخالق ويجعلها تعيد النظر فى مسلكها المنحرف ، كما يزيد المؤمنين ايمانا حين يرون آثار قدرة الخالق فى كل شئ .

ومما لا مشاحة فيه أن مثل هذه الصياغة ستستغرق وقتا قد يصل الى الجيلين أو الثلاثة ، لأن أم الالحاد قد سبقتنا فى هذا المضمار التجريبي قرابة ثلاثة قرون ، وليس من السهل اللجوء بتلك الأم الا بعد هضم ما سبقونا فيه ، وكأن التاريخ يعيد نفسه ان لم يظهر تفوق المسلمين فى العلوم العقلية اليونانية ابان عهد هارون الرشيد ومن جاء بعده من الخلفاء الا بعد أن ترجموها الى لغتهم ، ونخلوها علما علما ، فأتقنوا مقدماتها ومن ثم توصلوا الى اثبات أحقية الاسلام بموجب تلك العلوم - التى كان يستخدمها أعداء الاسلام - ولن يختلف المسلك الذى يجب السير عليه الآن عما سرننا عليه آنذاك ، فمتى تمكنا من ارتشاف العلوم الحديثة ، وتمت لنا السيطرة على تقدمها فى ثوب اسلامي سهل علينا اقامة المختبرات الجديدة واجراء التجارب غير المسبوقة وأخذ النتائج بما يخدم منهج الاسلام ، فتعود البشرية لترتبط بخالقها من جديد .

د — سيقى الكتاب الاسلامى متحدا مشتركا حتى الصف التاسع أو العاشر ، بين من يريد التخصص فى علوم التفسير والحديث ٠٠٠ أو الهندسة والطب ٠٠٠ ، وذلك تسير العلوم كلها متكاتفه لا ينقض بعضها أصول بعض ، ولا تختلف فى الهدف والغاية ، فترى علوم الطب موافقة لعلوم المفسر وأبحاث الأول تؤيد تفسير الأخير ، وشرح الأخير أساس لأبحاث الأول ، وهكذا تسند العلوم بعضها بعضا ، لا ينفرد متعلم عن الآخر الا فى التخصص الدقيق ، ليحل الوئام جميع ميادين العلم والمعرفة . ①

هـ — ومن الأمور المسلمة فى هذا النظام التعليمى أن لغة تعليمه هى اللغة العربية ، وترجم المواد اليها بدقة وأمانة ، وتأخذ الانجليزية حيزا معينا كلفة تدعو الحاجة اليها للاطلاع على ما يكتب فيها من العلوم ، لكنه لا يعقل أن تنفرد بلغة التعليم ، وتستولى على القاعات باسم العلوم ، فلوانحصر التقدم واكتساب العلوم الحديثة فى تعلم الانجليزية لما تقدم الاتحاد السوفيتى أو اليابان أو الصين ٠٠٠ ، ولما زاحمتها اللغات الغربية الاخرى ، كالفرنسية والالمانية ٠٠٠ ، والحقيقة أنا لو تصفحنا تاريخ العالم لما وجدنا أمة على وجه الارض سلكت بأبنائها درب التقدم ومنت مستقبلها على لغة مستعارة ، ليس لها رصيد شعبى ولا تتمتع بجذور تاريخية فى تلك الأمة .

و — ومن المؤسف أن العلوم الحديثة تدرس فى العالم الاسلامى كعلوم نظرية ، ما عدا الطب الذى هو على بطبيعة الحال — ^{بعض التخصصين} فى احدى تلك التخصصات لا يعرف سوى النظريات التى حفظها فى الصفوف الدراسية ، ومن هنا كان المساعد الفنى للمهندس مثلا أكثر خبره من حامل الدرجة العلمية ، وقلما انتهت جامعاتنا لهذا الثلم الذى يبعثر كل الطاقات العقلية ، وقد عوض الغرب هذا النقص بالتطبيق فخصصوا حصصا عملية فى المنهج حينما ، ويمارس الطالب العمل فى ميادينه خارج دوام الجامعة أحيانا أخرى ، فيجب على النظام المنشود أن يأخذ بعين الاعتبار كلا من النظريات وتطبيقها على الواقع المطلوب ، فلا يفاجأ خريجه بالتطبيق العملى حين يتحمل مسئولية خدمة المجتمع ، ولا يشعر باستحياؤه وخجل حين تقتضى الحاجة انجاز عمل بيده .

① ويرى الدكتور برهان دويدار (تنصيص من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة المتوسطة) أن التعليم .

ز - أثبت التجارب أن الناس يؤدون واجباتهم على الوجه المطلوب حين تضمن لهم متطلبات الحياة ، ويسعون جادين باداء أكثر مما يطلب منهم متى وجدوا حوافز مشجعة ، فليتخذ نظامنا التعليمي كل سبل التشجيع المادية والمعنوية لاستنهاض الهمم ، وضع جيل من الرواد ، من ذلك مثلا تأمين العيش بجميع متطلباته للعلماء الذين يقفون حياتهم للبحث والتنقيب ، وتقديم منح مالية أو عينية اليهم بين الحين والآخر ليثفرغوا للعلم لا تشغلهم أمور المعيشة بشئ ، وكان سلفنا رحمهم الله من الخلفاء والملوك يتسابقون الى مثل ذلك باعطاء عالم خراج منطقة معينة ، أو تخصيص مبلغ سنوي من بيت مال المسلمين ، ويختلف التشجيع من شخص لآخر ومن جهة الى أخرى ومن انجاز الى انجاز ، ومراعاة ذلك كقيل بوضع جيل من الرواد يخلف جيلا في حين أنهم لو انشغلوا بمسائل المعاش فلن يركزوا على مسائل العلم التركيز المطلوب ، وصدق أحد العلماء حين قال : " لو فكرت في بصلة ما استطعت حل مسألة " . وذلك تعود ازمة التقدم والتطور العلميين الى أمة التوحيد .

ح - أهم ما يميز نظامنا التعليمي عن غيره من الأنظمة هو دقة نظر عند تعيين مدرسين ما ، وأخذ بعين الاعتبار صلة المدرس بدينه ، فينظر الى خلقه ومواله العلمي بمنظار الالتزام بالاسلام ، ولا تخفى أهمية هذه الحقيقة على من يملك أدنى نظر في ميدان التربية ، اذ الطالب يأخذ من الاستاذ أكثر من الكتاب ، وفاسد الاخلاق وسئ المعتمد لن يستطيع تربية الجيل على النهج الذي يريده هذا النظام ، والواقع أن نظامنا هذا هو تعليم وتربية معا ، ولا يقل اهتمامه باحدهما عن اهتمامه بالآخر ، فاذا كانت ضحالة المادة العلمية تؤدي الى ضعف الانتاج فإن تعري المدرس من تطبيق مبادئ الاسلام ينزع الثقة عنها ، ويحيلها الى مبادئ نظرية غير صالحة للتطبيق العملي في العصر الحديث .

ط - ولتشجيع هذا النظام يجب الحد من مدارس التنصير ، فلا يباح مثلا للطالب المسلم التسجيل فيها ، بل تختص بالطلبة غير المسلمين ، كما لا يصح التساهل معها فيما تمارسه من مخالفات للدين ومثله وأخلاقياته ، تجنبنا للعدوى وتنشئة للمجتمع على أسس متينة خالية من التعارض ، فتخدم كل جهة هدف النظام وتسعى الى تحقيق غاياته . (١)

(١) انظر للتفصيل في كيفية الحد مولانا محمد تقى عثمانى عصر حاضر من اسلام كيسع نافذ هو " كيفية تنفيذ الاسلام في الآونة المعاصرة " ص ٢٩١ وما بعدها .

ى - سبق الشيخ المودودى غيره من المفكرين فى تهيئة الأسس التى يجب أن يركز عليها التعليم الاسلامى فى مراحل المختلفة ، فقدم جدولا بين فيه المواد التى يجب التركيز عليها فى كل مراحل التعليم ^(١) الابتدائية ، والثانوية ، والجامعية ، والدراسات التخصصية . فالجدول عمل مبدئى يمكن قبوله كنقطة بدء وانطلاق ، تهذيبه التجارب اضافة وحقفا .

وأخر مابقى من مباحث التعليم هو تعليم الفتاة المسلمة ، وهل تنهج نهج الفتى وتترجل معه فى ساحات التعلم ؟ أو أن لها وضعاً معيناً وهدفاً منشوداً من حياتها التعليمية ، وهل الوضع الذى هى فيه يلائم فطرتها ؟ وإن التفریب سلبها راحة الحياة ومنعها من الالتزامات الشرعية التى راعت طبيعتها فميزتها عن الرجل فى العديد من مناحى الحياة ، وكلفتها بما يتفق مع جبلتها كأنشى ، سواء كانت محاضرة أو معلمة أو عاملة فى المكتب أو زوجة تدير شئون البيت ...

كل ذلك موضوع الحديث فى الفصل الثانى .

*

*

*

(١) انظر الجدول فى تعليمات ج ١٤٦ - ١٦٢ و ج ١٩٢ - ٢٠٩

الفصل الثالث

((أثر الفكر الغربى فى مجال القضايا الاجتماعية))

ويشتمل

على النقاط الرئيسية

التالية

- ١ - تعليم المرأة •
- ٢ - الحجاب •
- ٣ - عمل المرأة •
- ٤ - زواج المرأة (جهيز ، زواج المسلمة بغير المسلم ، زواج من هو دون البلوغ ، النكاح بالقرآن ، تعدد الزوجات ، الطلاق ، تحديد النسل •
- ٥ - القوامة •
- ٦ - دية المرأة •
- ٧ - ارث المرأة •
- ٨ - سفر المرأة بدون محرم •
- ٩ - شرب المسكرات •
- ١٠ - الاقتصاد ووسائل الاعلام •

الفصل الثالث

الأسرة وحدة اجتماعية مصغرة ، صلاح البشرية مرتبط بصلاحها ، والنظام الذى يستطيع تقويمها يمكنه تقويم الانسانية جمعاء ، فاذا صلحت الأسرة صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسدت المجتمع ، وما من نظام الا وقد حاول تعيين حدود ووضع قيود على هذه الوحدة حتى يستطيع تربية الأمة على نهج معين .

والعبء الأكبر من اصلاح الأسرة يقع على المرأة فهى المدرسة الأولى ، والمرسى الأول ، فهى الأم والزوجة والبنت والأخت يبدأ تعهدها بالنشء منذ لحظة تكوين الجنين ، ويستمر الى زمن المراهقة وما بعد المراهقة .

ومن رحمة الله بالبشرية أن أرسل اليها خاتم النبيين ، وأنزل عليه أحكم النظم وأعدل الشرائع وما يقوم حياة الأسرة والمجتمع ، وكلف الرجال بأمور ورضى للنساء بأمور وساوى بينهما فى أمور أخرى .

فالرجل المسلم ملزم بالانفاق على الأسرة سواء كان زوجا أو أباً أو ابناً أو أخاً يسعى فى الأرض لا عاشتهم ، والمرأة المسلمة سواء كانت زوجة أو أما أو بنتاً أو أختاً رضى لها خالقها المكث فى البيت ، والقرار داخل دولتها المحصنة ، لا تخرج من مستقرها الا لحاجة (١) وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى (٢) (١)

ومن حق المرأة المسلمة التعليم وتلقى المعرفة مما يتلائم مع فطرتها ، ويقوى ما جبلها عليه خالقها عز وجل ، وتنشأ لتكون زوجة صالحة وأما يناط بها تربية الأولاد ، والسهر على ما يطبعه بطابع الاسلام ، وإن احتاجت الى الخروج من الدار للحاجة التزمت آداب الاسلام من الحشمة والوقار والاستحياء والتحجب : " يا أيها النبى قل لأزواجك ومنااتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٢)

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٦٩ .

" قل للمؤمنين يفضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يفضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ... " (١)

ولاستقرار البيت عند بناء أسرة اسلامية جديدة شرع الاسلام للمقبلين على النكاح النظر ببعضها الى بعض ، من الخاطب الى مخطوبته ومن المخطوبة الى من خطبها ، ولا يتم النكاح الا برضا الطرفين ، وقواعد الاسلام وأنظمتها في باب النكاح تكفل للمسلمين الاستقرار في الحياة الأسرية ، فما اعطاء المهر ومنع زواج المسلمة بغير المسلم والمسلم بالوثنية الا عند ذلك الاستقرار .

والزوجة المسلمة هي التي إن نظر اليها زوجها سرتة وإن غاب عنها حفظته ، لا تدخل في بيته الا من أباح الله دخوله ، ولا تنفق من ماله الا ما أذن الله في الانفاق فيه ، تراقب الله في كل تصرفاتها ، تمتثل أوامره وتقف عند نواهيه .

ومناط صلاح الأسرة ينبغي على تفويض قيادة البيت الى الرجل ، لأنه أعرف بمصلحة الأسرة داخل البيت وخارجه . (الرجال قوامون على النساء) (٢) ويقابل الرجل هذه المسؤولية بالمشورة وتداول الآراء بين أفراد الأسرة ، لا يستبد برأى دون أن يشرك أفراد أسرته فيه .

ويبلغ اعتناء الاسلام بهدوء البيت واستقراره أسمى مراتبه حين يفرض طاعة الوالدين ، والخضوع لهما فيما عدا الاشراك بالله (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا ...) (٣)

وما أن صلاح الأسرة صلاح المجتمع وفسادها يؤدي الى فساد ، سعى أعداء الاسلام الى هدم الأسرة الاسلامية ، وركزوا هدمهم على هدم المرأة المسلمة ، واليك أهم القضايا الاجتماعية التي نفذ منها الفكر الغربي الى المجتمع المسلم على العموم .

(١) سورة النور آية ٣٠ - ٣١ . (٢) النساء آية ٣٤ (٣) لقمان آية : ١٥ .

تعليم المرأة :

من طبيعة المفلوب اتباع تقاليد الغالب ، لظنه أنها سر القوة والغبلة ، وهذا ما حدث فى العالم الاسلامى حين استعمر، وتغلب عليه الغرب ، فانقلبت معايير الحياة الاجتماعية ، ودفع بالمرأة المسلمة فى هذا الخضم دفعا من غير وعى أو ادراك ، فبرز الى حيز الوجود ما يسمى "بقضية المرأة الشرقية " كالمرأة الغربية " فعقدت المؤتمرات وتكونت المنظمات ، وتسبرع آخرون بالدفاع عنها فى الصحافة والمنتديات ، فأثاروا الضجة تلو الضجة لحقوقها الانسانية ، ظانين أن الاسلام أجحف بها كاجحاف الكنيسة .

من البديهيات المسلمة أن المرأة فى الاسلام انسان ، تحمل روحا انسانية من النوع الذى يحمله الرجل : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " (١) اتفاق كل فى الخلق والانشاء وفى الحقوق الانسانية فلها حرمة العرض والمال والدم ، فلا تمس كرامتها ولا يتجسس عليها ، ولها الارث والزواج والعمل وعليها اداء الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ، وتعاقب كالرجل اذا ارتكبت ما يوجب العقوبة " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص " (٢)

واثبت الكيان البشرى فى المعمورة متاح للجنسين ، فالمرأة مثل الرجل فى الأهلية للملك ، والتصرف فى المملوك بجميع الأنواع من بيع وشراء وزراعة واجارة ورهن ووقف " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن " (٣) كما تساوت مع الرجل فى الجزاء الأخرى فالجنة ان أحسنت ، واطاعت أوامر خالقها عز وجل ، والنار اذا لم تمتثل بما طلب منها : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " (٤)

(١) سورة النساء آية : ١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٥ .

(٣) النساء آية رقم : ٣٢ .

(٤) النساء آية : ١٢٤ .

ولم يكف الاسلام بهذا القدر من الاتحاد والتساوى وان خالف بينهما فى بعض التكليف بل طلب منهما التعلم معا . حين كانت البشرية غارقة فى الجهل والظلام ، فقرّر أن العلم ضرورة لجميع أفراد البشر ، وفريضة توصل الى الايمان بخالق الأرض والسماء : " أقرأ باسم ربك الذى خلق " (١) وجاءت السنة النبوية تجسد أمر القرآن ، وتحض على طلب العلم دون تمييز بين الذكر والانثى " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٢) فقله صلى الله عليه وسلم " كل مسلم " يدل على العموم يشمل كل من أسلم سواء كان ذكرا أو انثى ، وبدأ معلم الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم بتنفيذ ذلك فى بيته ، فقد تعلمت حفصة بنت عمر رضى الله عنها القراءة والكتابة قبل زواجها ، وطلب عليه الصلاة والسلام بعد الزواج بها من الشفاء العدوية (٣) وكانت كاتبة فى الجاهلية أن تكمل لها تعليمها (٤) ، وكانت عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الرجال والنساء ما تعلم من أحوال النبى الخاصة والعامة .

ولا يقتصر التعليم على الحرة فى نظر الاسلام ، وانما هو نبع مشاع يشمل الأمة كشمول الحرية ، لذا ورد التشجيع النبوى على تعليم هذه الفئة الضعيفة من النساء " ايما رجل كانت غنمة وليدة فعلمها وأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم اعتمقها وتزوجها كان له اجران " (٥) فعنى المسلمون بتعليم المرأة فى ضوء الاسلام وتبعاً لذلك اختلف تعليم المرأة عن الرجل فى عصور الاسلام الماضية ، فقد أراد شرع الله من تعليم المرأة تكوين الاسرة الاسلامية السليمة ، فكانت تهيأ بواسطة التعليم لتكون زوجة تقية ، ان نظر اليها زوجها سرته ، وان غاب عنها حفظته ، ولتكون أما متفرغة لتربية أبنائها ، وتدبير شئون بيتها ، تخفف عن الزوج عبء ادارة المنزل ليتفرغ الأخير بدوره لصراع الحياة فى الخارج ، وتدبير شؤنه المعيشية .

(١) سورة العلق آية : ١ .

(٢) الحديث رواه ابن ماجه فى سننه ج ١ / ٨١ . رقم الحديث ٢٢٤ . باب فضل العلماء والحث على طلب العلم .

(٣) هى شفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية من المهاجرات الأول ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيم عندها فى بيتها وكانت ترقى من النمل فى الجاهلية وأقرأها الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك . انظر ترجمتها وافيهة ابن حجر العسقلانى / الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٤ / ٣٤١ .

(٤) انظر سنن ابى داود ج ٤ / ١١ . كتاب الطب باب ما جاء فى الرقى .

(٥) الحديث رواه البخارى فى صحيحه صحيح البخارى ج ٦ / ١٢٠ . كتاب النكاح باب اتخاذ السراى .

وهكذا نقل المجاهدون لزوم تعليم الفتاة الى الهند ، فرفعوا شأنها ، حين فقدت المرأة الهندية انسانيتها ، وتحولت الى متاع من امتعة البيت ، قد يخسرها زوجها في القمار ، ويحرم عليها الزواج بعد موته وقد تضرع لحرق نفسها تفاديا من الالهات والسخریات في الحياة بعده (١) وكان الهنود الثيراهيون ينادون بتزويج بناتهم ثلاثة أيام ، فان لم يقبلها أحد قتلوها خلاصا من فرد غير مرغوب فيه ، وعلى العكس من ذلك فقد يكون للمرأة الهندية الواحدة عدة أزواج لجمالها أو مالها أو منصبها (٢)

أضف الى ذلك ان مهيجات الشهوة والمواد الجنسية لم تدخل في صميم ديانة من ديانات العالم مثل دخولها في الديانة الهندوسية ، فقد عبد اتباعها آله التناسل لالههم "مهاديو" ووضعوا لها تماثلا يعبد ، أهل الهلاك رجالا ونساء ، وعكس آخرون الوضع فعبدا نساء عاريات تقربا الى الالهة ، وكان كهنة المعابد يرزءون الراهبات في اعزما عندهن حتى اصبحت المعابد مواخير ينال فيها الفاجر بغيته ويترصدها فيها الفاسق لطلبته (٣)

ولم يزل هذا الخضم من الافراط والتفريط حمل المسلمون مشغل الايمان لانقاذ المرأة الهندية مما آل اليه أمرها من الهبوط والانحطاط ، وأعادوها الى مكانتها الفطرية ، فليست لها يعبد ، ولا متاع يباع ويشترى ، ولا أداة للفجور والخلاعة في أيدي الكهان ، ولا صلاح الأوضاع فتحت أغلب أمهات الملوك وزوجات امراء المسلمين الهنود العديد من المدارس ، ومنهن من تولت تربية يتامى النساء وتعليمهن في القصور .

وأول فساد خلقى مكشوف شهدته الهند ابان حكم المسلمين جاء على الأيدي البرتغالية حين أغاروا على "جوا" واحتلوها ، فوقعت في أيديهم بعض نساء المهزومين ، فأجبروهن على اشباع رغبات الجنود الجنسية ، وتلك أول دعاية شهدتها أرض الهند ، وصاحب ذلك الخمر والقمار ، وقلما تنفك هذه الثلاثة بعضها عن بعض ويفتخر بهذا الوضع المخزى القسيس

(١) انظر تفصيل ما تدنت اليه المرأة الهندية ، نشأة باكستان ص ١٩ ، والهند في

العهد الاسلامي ص ٥٤ وماذا ^{خسر} العالم ص ٦٠ .

(٢) انظر الكامل ج ٢٧٢/٩ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٨٧٣/٤ .

(٣) انظر ماذا خسر العالم ص ٥٧ .

بركة الله فيقول : " عندما كانت أوروبا تبلى من جديد كانت جوا قد اكتسبت مكانا مرموقا في العالم لاحتضن شوارعها من العبيد والاماء والمجوهرات ، وما يتمتع به سوقها من الحرية الجنسية التامة والخمر والقمار ، وكل هذه الامور زينة جميع المستعمرات البرتغالية " (١)

ويبدو لمتتبع حركة تعليم الفتاة في الهند أن المسلمين لم يهتموا بتعليمها القراءة والكتابة مثل اعتنائهم بالفتى . فلانجد فصولا منفصلة تخصصن فضلا عن مدرسة مستقلة ، فان كان الدرس النظامي يستحق الشكر لنشره خطوطا متشابكة لتعليم الفتيان غطت أرض الهند كلها فلا ينجو من لوم وتقصير في عدم تثقيفه الجنس الآخر ، وكل ما نحصل عليه في هذا الباب أن الفتاة المسلمة لقنت قراءة القرآن لكسب الثواب دون أن توجه الى فهمه ، أو ادراك مراميه .

ومن هنا وجدت الثغرة وأخذ الغربيون يعمقونها حتى اتسع الخرق على الرافعة ولا سيما بعد دخول الفرنسيين الى الهند ، وجلبهم فتيات متعلقات استطعن القيام بتربية أبناء الأمراء وبناتهم على الأسس الغربية ، ووضحت الهند مفتحة الأبواب بعد استيلاء الانجليز على السلطة ، فاستغلوا نقطة ^{وتقنموا} الضعف بالتثقيف ، فأطلقوا الشعارات البراقة من تعليم الفتاة وتربيتها لصالح المجتمع وإزالة ما تراكم عليها من الجهل لارتباطها بالبيت منذ دهور . وبذلك استطاعوا اقناع بعض الآباء بارسال بناتهم الى المدارس للتثقيف والتعلم .

وما أن تعلم القراءة والكتابة كانا من نصيب البعثات التنصيرية ، والمدارس الغربية سلمت تلك الأغصان الغضة لتنشأ على ما يريد رجال التنصير ، ويحدد كارسان دتاسى الثمرة الدانية لكلية الطب الكلكية الخاصة بالنساء فيقول : " وأهم تلك المدارس على الإطلاق هي المدرسة لطبية الكلكية التي تم انشاؤها عام ١٨٣٤م وأفخر انتاجها أن من دخلها تخلص عن التعصب المذهبي والعرقية القومية " . (٢)

بعد حرب التحرير اهتمت الدولة بالنساء أكثر من ذي قبل ، اذ أدركت أن كسب المرأة الى جانبها هو الركن الأساسي لتطويل عهد الاستعمار ، والخلص من الحروب الجهادية المهددة بطرده بين الحين والآخر ، فاذا فسد البيت فسد النشء لا محالة ، ولن يسمع الفتى أو الفتاة في ضوء التعليم الحديث قصص الجهاد وما أعد الله للمجاهدين من الثواب — التي كثيرا ما سمعها من أمه أو جدته عند النوم ليلا .

لذا ركز كارسان دتاسى أحده

الاهتمام بالاستعمار في خطبته الحولية عام ١٨٧١م على التعليم النسوى ، وحصر النتائج ^{النهي} في قوله " ان الجديد سيملك السعة في الفكر ، وينجو من ضيق العطن ويلغى جميع التقاليد القبيحة البالية " (١)

واقضى التخطيط تحت ضغط الأسس الاسلامية الموروثة فصل الفتى عن الفتاة في ميادين التعليم ، ومضى الوضع على هذا المنوال حتى مستهل القرن العشرين حيث نشاهد تقرير الدولة لعام ١٩٠١م يشكو من وضع تعلم الفتاة بقوله : " ومن العقبات الرئيسية في التعليم أن المسلمين لا يرغبون في تعليم البنات سوى القرآن ، وأن الهندوس يزوجون بناتهم في صغر سنهن ، وأكبر العقبات على الاطلاق عدم وجود المدرسات ، وخلو الهند من معهد يقوم بتخريج ما تحتاجه مدارس التعليم النسوية " . (٢)

لذا رضى المهتمون بتعليم الفتاة من رجال الدولة والتنصير لقوة التقاليد ، فأنشأوا مدارس منفصلة لكل من الذكور والاناث على حدة ، وبلغ عدد مدارس البنات التي تشرف عليها الدولة عام ١٨٦٩م ٢٤٠ مدرسة ، تقوم بتثقيف ٩٠٣٥ تلميذة من مختلف الديانات ، وما يرمو على ضعف هذا العدد من المدارس ما اختصت بفتحة البعثات الغربية لتعليم الفتاة الهندية (٣)

وأول اختلاط في التعليم وجد على أرض الهند يعود تاريخه الى عام ١٨٨٢م ، ويشير تقرير الدولة الى ذلك فيقول : " ان الفتاة والفتى الانجليزيين يواصلان مسيرة التعليم جنباً الى جنب وجوار بعضهم بعضاً ، وأن نفقات هذه المدارس بلغت ٢٣٧٠٥ رمية للعام الدراسي ٨١ - ١٩٨٢م دفع الطلاب منها ٦٢٣ رمية كاجور تعليمية " (٤) وذلك أول دمج معلن بين البنين والبنات نفذه الانجليز ، وتتابع الزمن كفّل لهم ما أرادوه ، فلم يغادروا الهند عام ١٩٤٧م حتى تقبل الشعب هذا الاختلاط عن طيب خاطر ، وأصبح من المألوف ان ترى الفتاة بجوار الفتى في المراحل الجامعية من التعليم .

(١) مقالات كارسان ج ١/١٣٥ .

(٢) مولوى مرزا مهدي كزينير مالك محروسة ص ١٣٥ .

(٣) انظر مجلة منشور محمدى ص ٢٦٠ عدد ١٥ شعبان من عام ١٣٠٣ هـ .

(٤) رپورت مجموعى لعام ١٨٨٢م ص ٣٠٥ .

وأخر من تبرع بتقديم الأدلة الشرعية للتعليم المختلط هو عمر أحمد بن ظفر أحمد العثماني فقد صرح أن المرأة كانت تصلى في المسجد أيام عهد النبوة ، وكانت تختلط بالرجال في الحج ، كما كانت تعقد المؤتمرات المختلطة ، ونفهم من هنا أن تعليم الفتاة بجوار الفتى يصح شرعاً ، شريطة أن تلتزم الطالبة بالستر والا تظهـر زينةـها وأن ترتدى الجلباب الذى يغطى جسدها ٥٠٠ ، وأن يكون للطالبات مقاعد تخصصهن وللطلاب مقاعد تخصصهم . (١)

وتصرح خطة التعليم الخمسية الهندية ١٩٤٧ - ١٩٥١ م " أن الدولة تبذل الجهد لتلوا الجهد بواسطة الدعاية التعليمية للقضاء على التعصب المنتشر فى الأوساط الريفية ضد التعليم المختلط " (٢)

هذا ما يتصل بالمكان الذى تتلقى فيه الفتاة علومها ولننظر الآن الى المعارف التى تكتسبها لتثقيف نفسها فى هذه الصروح العلمية الشامخة .

سعى دعاة المساواة بين الرجل والمرأة الى نبذ كل تمييز بينهما فى جميع أمور الحياة ، فلم يكن من السهل أن يميزوا الانثى عن الذكر فى المواد الدراسية . فعلموها ما يتعلمه شقيقها فى الانسانية ، وحاولوا تأهيلها لمثل ما يتأهل به الشق الآخر ، فحاولوا اخداع الفطرة وقلب معايير الانسانية ولو الى حين ، لقد تساوت الفتاة بالفتى فى تعلم الهندسة ، والكيمياء والفيزياء والتجارة ، ويأتى التساؤل هنا هل كل هذه العلوم التى زودت بها المرأة اغنتها عن وظيفتها الطبيعية ، اغنتها عن طلب البيت ، والأولاد والأسرة ، والبحث عن رجل يسكن معها فى البيت ؟ ..

ويتميز النظام الذى يسير دفقة تعليم الفتاة فى العالم اليوم بعدم مراعاته فطرتها البشرية فحاد بها عن طبيعتها الانثوية ، فلم يعد يؤهلها للبيت ، وتكوين الاسرة وتربية الاولاد تربية تمكنهم من تحمل عبء الحياة ، وكل نظام لا يضع فى حسابه طبائع الأشياء مصيره الفشل ولو

(١) فقه القرآن ج ٣ / ٢١٦ .

(٢) تاريخ تعليم هند ص ٥٠٠ .

بعد حين • وضياح المرأة المتعلمة اليوم أمر مشهود • ورغبة الرجل عنها في صنع الحياة الفضلى أمر لا يتكره أحد •

وشهد تعليم المرأة بعد استقلال باكستان تطورا ملحوظا حيث أخرجها أنصارها من بيتها وأقحموها في كل الميادين التي تحاشتها أيام الاستعمار • فطلبوا منها المشاركة لأول مرة في الفنون ^{الجميلة} تعلمها وتعلما • وأنشأوا لهذا الغرض مركز الآداب الباكستانية تحت رئاسة وزير الخزانة وهاشرف الراقصة آدوري زوجة نزهت محمود • ولخصت المشرفة أعمال المركز في قولها " سيعيد المركز بمساعييه التعليمية الرقص المغولي الهابط الى مكانه اللائق • ويسعى الى منح باكستان المكان المرموق في معرض لندن للفنون الجميلة الذي سيقام عام ١٩٥١م • وأن رقص ختاك ^(١) الذي بلغ الغاية في الجودة وحسن الاداء هو رقص المسلمين • يجب استرداده من الهنود بالبذل والتضحية " ^(٢)

وأسهم أغا خان رئيس الاسماعيليه — في مسيرة المرأة المسلمة وتسليحها بسلاح الفنون الجميلة بكل جهد ممكن • وتعتبر خطبته أمام رجال الأعمال الباكستانيين عام ١٩٥٠م الركيزة الأساسية في هذا المضمار فقد تبرع بالتنقيب عن تاريخ الغناء والنساء المساهمات فيه فـ في العصور السابقة • حيث قال : " وفي هذا الصدد يمكننا تقديم نموذجين سكينه بنت الحسين ابن علي وابنة طلحة • عائشة — رضى الله عنها اللتين شاركتا في الحياة العربية الاسلاميه الاجتماعية والعلمية بالتححرر التام • وفي وسع نساء اليوم قياس أنفسهن عليهما • وأنا نعلم ما رقى اليه الغناء والطرب في كل من مكة والمدينه في أوائل عهد بنى أمية • ويجب ان نجنب أنفسنا شعور الاحتقار والنفور الذي يحمله الينا ضلال المسلمين تجاه الفنون الجميلة " ^(٣)

وتعلمت المرأة تحت اشراف الشرطة المسلمة اغلب الالعاب العامة من الجرى والقفز الطويل وسحب الجبل والتمثيل • وشهدت مدينه دهاكه عاصمة بنجالاديش أول عرض من هذا

(١) اسم منطقة في باكستان •

(٢) The Civil & Military Gazette dated: 30/11/1949.

جريدة الجازيت المدنية والعسكرية بتاريخ ٣٠/١١/١٩٤٩م •

(٣) جريدة الفجر بتاريخ ٩/٢/١٩٥٠م ص ١ The daily DAWN dated: 9/2/1950 P. 4.

النوع شاركت فيه كثير من طالبات الكليات والشرطة النسائية وزوجات المسؤولين في الدولة ، وأبدى العسكريون والمدنيون اعجابهم بما شاهدوه من الأعمال النسائية المتقنة ؟ . (١)

وأخر ثمار هذا التعليم المنحرف خروج المئات من المتظاهرات في شوارع لاهور يطالبن بمساواة المرأة بالرجل في الشهادة ، وعدم تنفيذ اللائحة المعدة من لجنة المختصين الذين أعادوا صياغة تشريع الشهادة في ضوء الكتاب والسنة ، وطالبوا الدولة بتنفيذها حالا لأنها مرتكزا للعودة إلى الشريعة في التحكيم وفصل الخصومات . وقد تأجل تنفيذ تلك اللائحة إلى الظروف الملائمة . (٢)

هكذا سارت مسيرة تعليم الفتاة المسلمة ، قذف بها في لجة التفرغ تحت اسم المساواة لتكون سهلة التناول في المدرسة وفي الطريق وفي المجتمع ، وتصدى لحسم القضية ونخلها نخلا علميا المسلم المرءى الشهير شيخى واستاذى محمد قطب حفظه الله فقال " بما لهذا الاختلاف الحاسم في المهمة والأهداف اختلفت طبيعة الرجل والمرأة ، ليوافق كل منهما مطالبه الأساسية ، وقد زودته الحياة بكل التيسيرات الممكنة ، ومنحته التكيف الملائم لوظيفته ، لذلك لا أدرى كيف تستساغ هذه الثروة الفارغة عن المساواة الآلية بين الجنسين ان المساواة في الانسانية أمر طبيعي ومطلب معقول ، فالمرأة والرجل هما شقا الانسانية ، وشقا النفس الواحدة . أما المساواة في وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها ، ولو أرادت كل نساء الأرض وعقدت من أجلها المؤتمرات وأصدرت القرارات . هل في وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة ان تبدل طبائع الأشياء ، فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والارضاع " . (٣)

اذن فمتطلبات الأنثى غير متطلبات الذكر في ميدان التعليم ، واحتياجاتها غير احتياجاته والنظام التعليمي الذي ينمى القوى الجبلية في الأنثى سينقذها مما ألم بها اليوم ، ويمهيد إليها كرامتها المسلوبة .

ويأتى الاستفسار هنا عن موقف المصلح من كل ما تتعلمه الفتاة اليوم ، هل هو مفيد فيبقى أو هو ضار فيرمى ؟ ويجدر بالمجيب أن يعود إلى فطرة المرأة فيستفتيها عما يهذبها وينميها

(١) انظر جريدة وقت اليومية عدد ١٦/٣/١٩٤٩م ص ٢ .

(٢) انظر لتفصيل ما طالبت به المتظاهرات جريدة جسارت اليومية عدد ١٤/٦/١٩٨٢م .

(٣) شبهات حول الاسلام ص ١٢١ .

فیحث علی ابقائه ، وعا یشینہا فیطلب نسخة ، وما عدا ذلك من المواد فهو ناقلۃ ان وجدت الفتاة فسحة من الوقت تعلمتها ، وان استغرق ، وقتها فی تحصیل العلوم الجبلية اکتف بها .

الحجاب: =====

وأول عقبة اصطدم بها دعاة المساواة هي الحجاب ، الذي ورثته الهند كبرا عن كبره ، فلم يكن من السهل اقناع الآباء والأمهات باخراج بناتهم دون ستر ، فأخذوا يفكرون فی زحزحة هذا الحاجز ، فسخروا اقلاما للهجوم عليه والاطاحة به ، فترى ما نورا ما الهند وكية تنص علی أن قيود الحجاب لم تألفها المرأة الهندية الا بعد اصطدام الهندوس بالمسلمين وأن الخوف علی سلامة النساء من الغزاة والمغيرين أدى الى التقليل من حرية النساء ، وتطلبت الوقاية أن يقل سماح الأب أو الزوج لابنته أو زوجته بالخروج من المنزل عن ذي قبل ، لأنه لم يكن من المعروف متى ستواجه المدينة خطر المغيرين عليها ” . (۱)

ويعيد الى الازهان كارسان دتاسی أن الهندوس يردون احتجاب الهندوسيات الى ما قبله المسلمون من العادات والتقاليد ، وان الحجاب بموجب تشريعات هنوسمرنى الهندوسية لا يجب ، وللرأة أن تذهب الى التعليم دون ستر أو حجاب . ولخص موضوع الحجاب أحد كتاب المسلمين الذي زار خمسا وعشرين بلدا اسلاميا التعرف على حقيقته فقال : ” ان ما يلزمه المسلمون اليوم نساء هم من الاحتجاب لا يمتلى الاسلام بصلة وأن المسلمين الهنود أتوا من قبل الهندوس والراجيوت الذين أسلموا مع عائلاتهم التي كانت تحتجب قبل الاسلام فظل الحجاب عندهم حتى اليوم ” (۲)

ويسند الفكرة آخر فيصرح : ” أن ما نرى من الحجاب فی الهند وباكستان لا مثيل له فى جميع الدول الاسلامية ، بل انه تقليد موروث نتج عن الاحتكاكات المحلية ، وتوسعت دائرته

(۱) الهند شعبها وأراضيها ص ۱۱۷ .

(۲) مقالات كارسان دتاسی ج ۱/ ۱۳۹ .

(۳) بيير زاده شمس الدين رسمى برديج كقصانات اور اسلامى برديج كقصانات ” مضار الحجاب التقليدى وسيماء الحجاب الاسلامى ص ۳

حين دالت دولة الاسلام ، وكان أشده وأعمه في الطبقات الوسطى قبل الاستقلال . وأخذ
الوضع يتحول بعده الى نبذ التقاليد السيئة فضاءل ورجع القهقري " (١)

هكذا تضاربت آراء الفريقين في أسبقية مصدر الحجاب - درع الحشمة والحياء - بعد اقتناعهم
أنه سمة عار في جبين الامتين ، فحاول كل فريق تخليص امته منه ، والقاء تبعاته على الأمة
الأخرى . فالهندوس يردون الأخذ به الى المسلمين ، ومدعو الاسلام يرجعون الى ميراث
الهند قبل الفتح .

واتجه الآخرون من أنصار المرأة الى أدلة الشرع فاقتنصوا الرخص والمباحات ، وأعلنوا لأمتهم
" أن منعم النظر في قوله عز وجل : " يا أيها النبي قل لأزواجك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " (٢) يتضح له أن التمسك بالجلباب
- العباءة - الى الدوام والأبد لم يكن مقصود القرآن . وإنما الغرض منه تنحية الأواش ومن
يسلك طريق السوء ، ومتى وجدت تلك الظروف ، وتلك الفئة لزوم الجلباب " (٣)

ويجيب الاستاذ محمد عثمان عن تساؤل مفاده هل على المرأة تغطية وجهها إن أرادت الخروج
من البيت فيقول : " الذي يحدد هذه المشكلة ويوضح معالمها هو أن الكلام الالهي لا يلزم النساء
بالغطاء في الظروف المعتادة ، كما أن السنة الصحيحة لم تلزمهن بذلك . . . وفي الظروف
التي نمر بها الآن في باكستان أو التي ندعو اليها يجب الانشد في الحجاب ، ولا نضع
التجربة الحديثة على الطرق التي تؤدي الى العسر والضييق ، بل يجب أن نبلغ الى الأمة
ما يهدف اليه القرآن دون زيادة أو نقصان ، فمتى وجد الأواش وشرار الخلق في صفوف المسلمين
وجب الجلباب كدرع وقائي للنساء . . . وليس من الحكمة لعلاج وجع الرأس استعمال الاسبرين
والمهدئات باستمرار ، بل الحل الأمثل يكمن في البحث عن العلل المسببه لذلك المرض فمحاول

(١) شاهد حسين الرزاقى باكتانسي مسلمانون سے رسوم ورواج " عادات المسلمين الباكستانيين
وتقاليدهم " ص ٢٧٨ ، وانظر مظهر الدين الصديقي / اسلام أورعورت (الاسلام والمرأة)
ص ٢٠٣ ومحمد ميديوك المسلم الانجليزى تهذيب اسلامي (الحضارة الاسلامية) ص ٢٠٣ .
(٢) الاحزاب : ٥٩ .

(٣) الاستاذ محمد عثمان اسلام باكستان مين ص ٥٣ .

استئصالها . (١)

وفسر صاحب " فقه القرآن " قوله عز وجل " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... " (٢)
 بأن الأمر بغض البصر من الرجال لا يهدف سوى الا تقع أبصارهم على الوجوه المحرمة ، فلو كان
 المقصود الستر والتغطية الكلية لكان الأمر بغض الأبصار عبثاً ، لأن غرض البصر ورفع وقتئذ سواء " (٣)
 وتلاعب آخرون بمقول الأمة فحصرها جميع عيوب المرأة المسلمة من جهل ومرض ، وعدم مساهمة للحياة
 الاجتماعية ... في الحجاب ، وسود واحد من اجراء دعاة السفور بضما وعشرين صفحة في ذلك وكأن
 الحجاب كيل السوء " (٤) وتقدم الأديب عبد الحليم شرر عن هؤلاء خطوة فوصف الحجاب بأنه " هو
 الحجاب الأكبر ومن المشكوك فيه محافظته على عفة المرأة وطهارتها ، وأن وجوده على الوجه سهل
 للمرأة كل ما استحت من ارتكابه في الظاهر والعلن ، وإن هو الا عقاب تلتزم به زواني النساء " (٥)
 وتهدد مجلة " احسان " اللاهورية باتخاذ الاجراءات الكمالية التركية اذا لم تستجب الأمة
 الباكستانية لآراء دعاة الاصلاح فتقول : " لن يستحكم بنيان الاستقلال ولن تتحد آراء الأمة الا عن
 أحد طريقين : أن يقود الأمة دكتاتور كمصطفى كمال فيعمل للملأ أنه لن تبقى امرأة متحجبة بمد
 اليوم ، وأنها ستكلف بالبحث عن معاشها بنفسها ، ولن تظل حملاً على الرجل بعد الآن ، أو أن —
 يكون في الشعب شعور برقي الأمة فيتفادون التعصبات الشخصية ويضحون بمصالحهم للصالح العام ...
 وما زال الطريق الأخير مفتوحاً يترقب استجابة الأمة ، فان لم تستجب فسيخرج من بين صفوفها الحاكم
 المستبد ، ويقودها الى الطريق المنشود أو تذْهَبْ قوتها فتعود الى الاستعمار من جديد " (٦)
 ويقارن لياقت على خان أول رئيس وزراء باكستان بين المحجبة وغيرها

(١) اسلام باكستان مين ص ٦١ .

(٢) النور آية : ٣٠ .

(٣) عصر أحمد عثمانى ج ٣ / ٣١٨ .

(٤) انظر رسمي برد ص ٣٦ - ٦٥ والقسيس الدكتور ج — ه آرسن حقوق وفرائض نسوا

وحقوق النسوة وفرائضهن " ص ١٢ وغلام أحمد تبويب القرآن ج ١ / ٣٨٤ وحقائق

باكستان ص ١١٢ واسلام اورعورت ص ١٤٩ .

(٥) بردة (الحجاب) ص ٣ .

(٦) ص ٣ عدد نوفمبر ١٩٥٠ م .

من النساء فيما ستقدمان من الخدمات نحو باكستان فيقول : " على النساء اللآئى تحررن من قيد الحجاب تقع مسئولية وضع الأسس المحكمة لدولة باكستان القوية المهابسة ، وليكن مستعدات لتقديم كل تضحية عند اللزوم ، وليقد من من خلال تعليمهن وحريةهن أروع الأمثلة ، ويثبتن للعالم فضلهن على المرأة القابعة بين جدران البيت " (١) وحثت زوجته فى احدى خطبها العامة النساء على وداع البيت فقالت : " لقد ودعنا تلك الأيام التى كانت النساء ، تسجن بين حيطان المنزل ولتستيقظن الآن من سبات الغفلة فتخرجن كالرجال من البيت وتعملن معهم جنباً الى جنب ، لا سيما فيما يحتاج اليه الصالح العام " (٢) ووضعت هذه السيدة أملاً فى التعليم المختلط ليقضى على الحجاب عاجلاً أو آجلاً ، وأن الجيل الحديث نتاج الجامعات المختلطة لن يرضخ للحجاب ولن يقبل تلك القيود . (٣) وزعم اغا خان ان حجاب المرأة وانفصالها عن الرجل وانزواءها عنه هو من التقاليد الشرقية الدخيلة على الاسلام . . . ومن هنا لا تعرف المرأة الاسماعيلية الحجاب والانزواء ، بل انها تشارك الرجال فى المجالس والمعابد ، وتعين بعلمها وأباها وأخاها فى جميع شئب الحياة الاقتصادية . (٤)

وان تتبعتم خطوط حركة السفر وجدتها ترتبط بحركة عليكره منذ نشأتها ، نفسها هو السيد أحمد خان يستشار فى حجاب المسلمات هل هو حجاب القرآن أولاً ؟ فيجيب قائلاً : " نرى صحافة اليوم تكتب بحوثاً عن الحجاب سلبياً وإيجابياً ، وحسبنا أن نحمل طابع الرجعية فى هذا الموضوع ، فنخالف رأى أصحابنا ونظل نعتقد أن الحجاب المعمول به فى الأوساط الاسلامية أمر حسن ، وأن البحث عنه من كونه مطلوب القرآن أولاً ؟ أمر سخيف لا يجدى نفعا لأن الرجال لو امتثلوا أحكام القرآن فى الأفعال والعادات كان لهم الحق فى اثاره مثل هذه القضية ، وما داموا منصرفين عن أنفسهم فالبحث منهم عن حجاب القرآن أمر غير معقول .

" وأما ما يظن : أن رفع الحجاب يقرب المسافة ويهيئ فرص الصداقة والارتباط بالانجليز فهو

(١) The Civil & Military Gazette dated: 25/1/1949.

(٢) " " " " : 29/1/1949.

(٣) " " " " : 27/4/1949.

(٤) سيد بركات أحمد روداد برده " محضر الحجاب " ص ٣٥٦ .

خطأ مكشوف لأن ذكرنا لم يوطئوا أنفسهم لمثل تلك الصلات ، هيئوا أنفسهم ثم ابحثوا بعد ذلك عن الأمور الخاصة بالنساء" (١) ويبدو أن قضية السفر لم تكتسب الانصار والمدافعين الا بعد أن احتضنتها عليه بترجمة كتاب قاسم أمين " تحرير المرأة " بإيحاء من محسن الملك الذي تولى رئاسة عليكرة بعد وفاة السيد أحمد خان (١٨٩٨ - ١٩٠٧ م) فنشر الكتاب على صفحات مجلة " عليكرة " الرسمية ثم ظهر للعامة في صورة كتاب مستقل ثم تابعت الصحافة تحض على نزع الحجاب دون هوادة . (٢)

وجاءت الحلقة المكملية في فتوى مشيخة الأزهر عام ١٣٥٥ هـ ، حين استفتى الشيخ محمد مصطفى المراغي في جواز كشف المنبذات عن وجوههن إذا دخلن في الاسلام ، فأفتى بأنه " قد اجمع العلماء على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وأن ليس على المرأة من بأس أن تزال أعمالها خارج البيت ، وأن تمارس لكسب قوتها على شرط ألا تظهر ما يثير العاطفة من جسمها كشمرها وجيدها وزينتها . . . ، فالاسلام لم يفرض على المرأة أن تعيش كما تعيش الأنعام ، أو أن تسجن كما يسجن المجرمون ، ولكنه على العكس أمر أن تحضر الصلوات في المساجد في صفوف خلف الرجال ، وأن تشهد اجتماعات المسلمين العامة . في الأمور الهامة ، ولم تمنع قط من ابداء رأيها فيها ، ومن أن تتعلم كما يتعلم الرجال ، وأن تتصرف في أموالها بكل وجوه التصرف بدون توقف نفاذها على زوجها أو ولدها . . . " (٣)

نعم : لا مراة في كون الوجه والكفين ليسا عورة في الصلاة عند الفقهاء ولكن اطلاق الاجماع في غير الصلاة محل نظر ونقاش لوقوع الخلاف بين العلماء في جواز كشف المرأة وجهها وكفيها لغير محارمها في غير الصلاة لأدلة صحت عند بعضهم دون الآخرين ، وسواء ترجح رأي المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الذي لا يعترف بكون الوجه والكفين من العورة (٤) أو تغلب رأي المفكر الاسلامي أبي الأعلى المودودي رحمه الله الذي لا يستثنى شيئا من جسد المرأة عند الخروج من البيت (٥) فان الجميع متفقون على أن ما عدا الوجه والكفين عورة لا يصح كشفه كما أنهم متفقون على أن الأفضل هو التفطية يقول الشيخ محمد

(١) مقالات ج ٥ / ١٨٦

(٢) انظر موج كوثر ص ٢٥٣ ومجلة خاتون " المرأة " المليكية ص ١٥٥ عدد أبريل ١٩١٠ م ومجلة جامعة ج ٥١٩ / ٢٠ عدد جون ١٩٣١ م

(٣) مجلة الأزهر المجلد الأول الممدد الخامس ص ٣٤٨ وانظر مجلة الفتح ج ٤٧٤ / ١١

(٤) وذلك في كتابه حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة (٥) وذلك في كتابه الحجاب .

ناصر الدين " فيستفاد مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها يبرقع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء المحصنات أمر مشروع محمود وإن كان لا يجب ذلك عليها بل من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج " (١)

ويقول الشيخ في موضع آخر " لكن ينهى تقييد هذا بما إذا لم يكن على الوجه والكفين شئ من الزينة لعموم قوله تعالى : " ولا يبدن زينتهن " (٢) ولا يجب ستر ذلك لاسيما في هذا العصر الذي تفتن فيه النساء بتزيين وجوههن وأيديهن بأنواع من الزينة والأصبغة ، مما لا يشك مسلم بل عاقل ذو غيره في تحريمه " (٣)

غير أن دعاة السفور يجعلون الحد المباح نقطة الهدى وداية المسير ، فلا يقف الأمر لدى هؤلاء عند ابتداء الوجه واليدين بل يتجاوزهما إلى ^{الوجه ما وراءه} عرض الشعر المسرح وكشف الذراعين إلى المنكبين والساقين إلى الركبتين وجزء من الصدر والظهر ، وستر ما وراء ذلك من محاسن الجسد ومفاتيحه بلها من شفافين عن كل ما يرضى شهوة الرجال ، وتبلغ الجرأة حدًا أقصى حين يطالب الاتحاد النسائي الباكستاني (اېوا) (All Pakistan Women Association) بإلغاء الحجاب وسن تشريع يمنع التحجب البتة . (٤)

ويصف الشيخ عبد الماجد الدريابادي وضع المرأة وتطورها الكشف فيقول : " رفع الحجاب وبرز كل منظر مشير فكان الهدى يكشف الوجه ثم تبعه رفع البصر فالكشف عن السواعد ثم السيقان فالعمرة إلى سترها بقماش رقيق يشبه لون السيقان ، ثم أتى بعدهما ثعيرة ما خلف الرقبة ثم تقدمت الحضاة فمرت جزءًا من أعلى الصدر . . . وإن سمة الثمدن اليوم أن يكشف عن جزء من أسفل البطن وبرز السرة أمام الأعين الجائعة " (٥)

وهكذا تخلت المرأة عن قيمها ، وأصبحت مبتذلة بعد أن ودعت مستقرها الذي تستمد منه سيادتها الحقيقية ، غزاها دعاة السوء في عزها وكرامتها باسم تحقيق المساواة في الحقوق والتحرر من القيود

(١) حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ص ٥٣ .

(٢) سورة النور آية : ٣١ .

(٣) حجاب المرأة ص ٤٢ .

(٤) انظر روداد بردة ص ٣٥٤ .

(٥) مجلة صدق جديد اللكهنوية ج ١/٨ عدد ١٤/٢/١٩٥٨ م .

الموروثة ، فقد فوا بها في المنزل الذي أعجزهم رؤيتها فيه من قبل ، وهاهي ذى قد تحررت من تبعات العفة والحياء واكتسبت رذائل الغلظة والتهتك وساوت الرجل في غشيان المنتديات والملاهي والفنادق والمسارح وداعبت الأجانب ومازحتهم ، وترددت الى الملاعب والسينما كالفتيان سواء بسواء ترجلت وشقيت على حساب المنزل والأولاد دون أن تريح من تخليها عن الحجاب ما منيت به من الرفاهية والتقدم .

ويلمس المقارن الفرق الواضح في مسيرة الحجاب بين ما كان عليه الحال بعد الاستقلال مباشرة وما هو عليه اليوم ، إذ أخذ الوضع يتحول لصالح الحجاب بعد صحة المسلمات ومشاهدتهن من الفساد والرزايا نتيجة السفور والتهتك فلن تعدم اليوم رؤية المحجبات في كليات الطب ، التي وضعت أسسها على نزع الحجاب ، وهاهي نقابة المحامين تلح على النساء أن يخرجن في مظاهرة للاحتجاج على قانون الشهادة الاسلامي ، الذي جعل شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد فلا تخرج الا ما شان وضخ وخمسون امرأة في مدينة لاهور التي يربو سكانها على ثمانمائة ألف نسمة ، وما ذلك الا دليل على الصحة الاسلامية بين النساء فالمرء شر صاعد ، وعودة النساء الى الشرع أمر ملموس ، والخير في حركات البعث الاسلامية وعلماء المسلمين .

عمل المرأة : =====

الأصل في المسلمات أن يمكن في البيت ، ولا يخرجن منه الا للحاجة لقوله تعالى : " وقرن فسى بيتوتكن ^(١) وقرئ " قرن " بفتح القاف وكسرهما من القرار والوقار ، ومعنى الآية على قراءة الفتح التزم بيتوتكن واستقررن فيها ، وعلى الكسر عشن في بيتوتكن بالسكينة والوقار ، وعند الحاجة الى الخروج تلتزم آداب الاسلام من الحجاب ٠٠٠ الخ وقد روى أن عمرضى الله عنه رأى سودة أم المؤمنين رضى الله عنها خارج البيت لحاجتها بالليل فعرفها فرجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت ذلك له فقال " قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن " ^(٢)

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٢) صحيح البخارى ج ١٥٩/٦ كتاب النكاح باب خروج النساء لحوائجهن .

ومن هنا كان أداء المسلمة لأعظم فريضة بعد الشهادتين في البيت أفضل منه في المسجد ، وقد ورد عن أم حميد الساعدية أنها قالت يا رسول الله انى أحب الصلاة معك فأجابها بقوله " قد علمت انك تحبين الصلاة معى وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدى " (١) كل ذلك تشكيل على للآية ، فلا يرضى الشارع بخروج المرأة من موضع السكن والاستقرار الا اذا دعتها الضرورة .

وتبين مما سبق أن الاسلام لا يستريح لخروج المرأة تعمل في غير الأعمال الضرورية ، مع تقريره لها حق العمل ، وكانت النساء في صدر الاسلام يعملن حيث تقتضى الظروف منهن العمل ، وذلك عند فقد العائل . ومن يقوم بالانفاق على الأسرة . . . مثلاً ، وقد فرض الاسلام نفقة البنت على الأب بكرة أو ثيباً ، وعند فقده ينتقل هذا الحق الى الأولياء الأقرب فالأقرب ، ويبقى معلقاً بدمتهم حتى تتزوج فينتقل عنهم الى الزوج " وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف " (٢) ولكن حين عملت المرأة المسلمة من غير حاجة ملجئة تعرضت لمواقب وخيمة ، لا تحمد عقابها وعرضت المجتمع الى نكسات لن ينجو منها حتى تعود الأنثى الى فطرتها الطبيعية .

وما علمت المرأة وأصبح لها دخل مستقر حتى أخذت تدعى الندية لمن ينتمى اليه جبراً للنقص الذى أوحى لها به شعورها بوضعها الاجتماعى المنحط ، فقد البيت الألفة والأنس وانقطع رباط ^{عن الانفاق} المواطن والمشاعر المشتركة ، وظهرت الثمرة فى نكول الرجل الجاهلى أو اكرامها على العمل لتشارك بدخلها فى رفاهية الأسرة .

وقد يكون عمل المرأة فى ظروف فردية هو الصواب ، ولكن حين تعمل كل امرأة فى غير الأعمال النسائية تعطل رجلاً عن العمل ، ومن ثم يتعطل أو يتأخر بناء أسرة جديدة فأى مصلح اقتصادى أو اخلاقى أو اجتماعى يؤيد هذا الاضطراب ؟ ويحدد أرشد أحمد موقف البنجابيين من تشغيل النساء فيقول : " ان أغلبية الرجال يرفضون تشغيل المرأة ولا يدافعون عن عملها البتة وأما العمل المختلط فهو مبعوض لا ينظر اليه الا بعين الكره

(١) الحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده ج ٣٧١/٦ .

(٢) البقرة آية : ٢٣٣ .

والاشمئزاز وقد أثبت علم النفس أن الزوج التي تكسب يمكنها أن تدعى النذية لأنها شريكة فى الدخل لذا تسعى للتفوق على زوجها ، مما يذهب راحة البيت وأنسه ويقضى على المودة فى الحياة الزوجية " . (١)

والإبقاء على هدوء البيت يجب أن يسير كل حسب فطرته من الرجال والنساء وأن يمنح الجميع فرصا للعمل كل فيما يخصه ، فتعليم البنات والتمريض وتطبيب النساء وما شاكل ذلك من الأعمال ينبغي أن تقوم بها النساء وليس من المعقول زج المسلمة كاختها الغربية فى أعمال لم تخلق من أجلها رغم البطالة الضاربة الاطناب فى شبه القارة كلها ، هل استنفدنا كل الأيدي العاملة فوجدنا أن العمل ما زال فى حاجة الى مزيد ؟ هل امتنع المسلم زوجا أو أبا ... الخ عن اعالة الانثى وتركها من غير نفقة فاضطرت الى الكد لكى تعيش ؟ ولم يكن من السهل أن تتفادى المسلمة الهندية فى هذه الهيجة ما هوت اليه المرأة الأوروبية فاقترحت كل ميادين العمل سواء كان شريفا أو وضيعا اباحه الاسلام أولم ييحه تحقيقا للمساواة فى كل شئ ، وكان من بين ذلك المساواة فى التخلل والاباحية ، فان كان عمال شركة الهند الشرقية الفاسدون اعتدوا على حرمت البيوت ، وجاروا على الفلاحين فى أهليهم بالاتصالات الجنسية المحرمة (٢) فقد اختصت أسواق بأكملها بعد تحويل الهند الى الحكم المباشر لبيع الأجساد وعرض الفتيات أنفسهن تحقيقا لمبدأ " تشغيل المرأة " .

وقد روى الشيخ أبو الحسن الندوى حادثة ذات دلالة واضحة فى الانحطاط الخلقى الذى تدرت اليه المرأة المسلمة الهندية آنذاك . فقال : " فقد ساق امرأة تتكسب بالبغاء سائق التوفيق الى مجلس من مجالس الوعظ وندمت على حياتها السابقة وتابت من عملها وباعته السيد أحمد الشهيد - على الايمان والطاعة ، وحياة الطهر والعفاف " . (٣)

والذى يميز البغاء الانجليزى عن غيره هو أن الانجليز أحاطوه بسياج التشريع وجعلوا له شرطة تدافع عن المجرمين والمجرمات أمام سمع المجتمع ومصره ، حتى تحول الى حرفة تكسب العيش وتجارة تدر الأرباح ، بينما كانت الحكومات المسلمة تحاربه اينما وجد فهذا الملك أورنك زيب

(١) بنجاب كى عورت " المرأة البنجابية " ص ٦٢٨ .

(٢) انظر مختصر دراسة التاريخ ج ٣ / ٣٠٤ .

(٣) اذا هبت ريح الايمان ص ٣٨ .

رحمه الله يصدر الأمر الملكي الى البغايا والمشتلات " بالفن الجميل " أن يتزوجن أو يخرجن من حدود مملكته ^(١) وإن وجد ملوك وامراء فاسدون في مختلف أحقاب التاريخ فإنك تلاحظ عدم تجاسرهم على اظهار الجريمة واتيان الفحشاء علانية فضلا عن تعيين أفراد أو مناطق أو احياء تختص بهذا المنكر كما حصل في عهد الاستعمار .

ويبلغ السيل الزبيل حين تتحول الوحدات السكنية الطلابية للكليات الى مواخير يشبع منها الفاجر / غبته ويجد فيها الفاسق بغيته ، لذلك يسخر هنتر من وضع الكلية المحدية الكلكتية فيقول " منذ بعض الوقت جلب عدة طلاب بغايا الى الكلية وكان من بين أولئك ستة وعشرون طالبا ممن منح غرفا مستقلة ، وكأن ما منحهم الدولة للسكن الشريف حولوه الي او كار للفحش والدعارة ، زد على ذلك ما يرتكبه هؤلاء من اتيان بعضهم بعضا مما لا وجود له في أوروبا بالكلية " ^(٢) غير أنه لم يرض على قوله هنتر بضع وستون عاما حتى أقر مجلس التشريع الألماني بأكثرية الأصوات تحليل اللواط ، فلم يعد هذا الفعل جريمة الآن هناك ما دام يرتكب عن رضا الجانبين ، فان كان المفعول به دون سن البلوغ فرضاء بيد وليه ^(٣)

ويشير تقرير الدولة لعام ١٨٦٠ - ١٨٦١ م عن البنجاب الى أن جرائم الزنا تضاعفت عن العام المنصرم اذ بلغ العدد " ٦٩٠ " جريمة مسجلة بينما وصل الرقم الى ٨٧٣ جريمة في العام الماضي ، ويعزو التقرير هذا النقص الى تنفيذ الدولة قانون الجلد رغم خلو القانون الهندي العام من العقوبة البدنية لمثل هذه الجريمة ^(٤)

وتعتبر مقاطعة سرحد - بشاور وما والاها - أول مقاطعة هندية تجرأت على تقديم طلب عام ١٣٥٣ هـ الى الدولة بالغاء البغاء الرسمي وتطهير المنطقة من هذا الداء الفاك ، فوافقت الحكومة الانجليزية بعد تلكؤ ، وأجلت جميع البغايا اللواتي كن يتكسبن عن طريق بيع الأجساد ونشر الأوسنة المعدية ، ثم تبعتها بعض المقاطعات في هذا الشأن ، غير أن الدولة لم تأخذ طلبهم بعين الاعتبار لأنه يقلل دخل الدولة ، ويجفف ينبوع الضرائب المفروضة على المحترفات ^(٥) وبقي الوضع على ما كان بعد استقلال الدولة المسلمة باكستان بضعاً وعشرين عاماً ، ولم تتمكن الأمة المسلمة من الغاء البغاء الرسمي الا قبل سنوات معدودات .

(١) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ١٢٥ . (٢) هماري هندوستانى مسلمان ص ٢٩٥ .
(٣) انظر الحجاب ص ٧٣ . (٤) انظر مجلة الفتح ج ١ / ٧٨٤ - بتاريخ
(٥) ١٠ ذى القعدة ١٣٥٣ هـ .

ولم يكن حال النساء العاملات في غير البغاء الرسم أحسن منهن ، لأن محاربة الفطرة أو تحويلها إلى مسا غير مسارها الطبيعي أمر في غاية الصعوبة إن لم يكن مستحيلا ، فحين خرجت الانثى تطلب العمل لتشارك بإيرادها في زيادة الدخل ، وجدت لها الإدارات والمكاتب والمصانع وموظفهم فريسة تسقط من نفسها - راضية أو كارهة - فرحبوا بها كل ترحيب فوظفوها لتشغل وظيفة في الظاهر وتلبى حاجاتهم في الباطن ، وكم من مخاز كشف النقاب عنها على صفحات الصحف ، والمستور أكثر وأعظم لا يعلم قدره إلا الله ، وكم من محصنات تخلين عن وظيفتهن أو فصلن منها لعدم رضوخهن لمطالب الشهوة المحرمة .

واختراع موانع الحمل وشيوعها ورخصها قضى على البقية الباقية من العقاب الوخيمة للقاء الجنس المحظور ، فحين أمنت الفتاة العاملة من الحمل استسلمت للفحشاء أكثر من ذي قبل واستطاع الاندال كسر حدة آباطها لوجود هذا العامل الحصين فرضت لسعار الجنس وأمن روعها من اللوم والمحاكمة الصارمة التي كانت تتوقعها من المجتمع عند ظهور نتيجة السفاح ، لأن المجتمع المسلم مع تحلله لم يزل يعتبر الزنا جريمة خلقية وما زال يرفضه باباء وشيوخه . وتلك إحدى دواعي تفضيل البكر على ذات البعل في التشغيل والتوظيف ، أضف إليها أن الحمل والوضع والأرضاع تجبر المرأة على لزوم البيت حيناً وتقلل من نشاطها أحياناً أخرى ، مما حدا بإدارات التشغيل إلى التقليل من العاملات المتزوجات ، وتفضيل البكر عليهن لخلوها من جميع هذه المشبطات ، فبرز رد الفعل منهن في التقليل من الحمل وتبعاته حرصاً على الاستقرار في العمل ومنافسة للبكر في الاحتفاظ بالحظ الأوفر من الأعمال ، فخرجت النتيجة من استقرار الإحصائيات أن نقص المواليد للأمهات العاملات لم يكن أغلبه عن اختيار وإنما عن عقم استعصى علاجه ، وفحص نماذج متنوعة من حالات المقم اتضح أنه في الغالب لا يرجع إلى عيب عضوي ظاهر مما دعا العلماء إلى افتراض تبدل طارئ على كيان الانثى العاملة نتيجة انصرافها المادي والذهني والعصبي عن مشاغل الأمومة . (١)

وكان من الطبيعي أن تتحول مشاعر الأم العاملة من الحنان والرفقة إلى التصلب والخشونة نتيجة ارتباطها بالإدارات وتعرضها للمصادمات والمنازعات ، وكان أكثر الأفراد تأثراً من جراء هذا التحول هم الأطفال ، فالسويمات التي تقضيها الأم مع أطفالها قلما تكفي لتقديم المود والرعاية اللتين يحتاج الطفل

(١) انظر محمد قطب جاهلية القرن العشرين ص ١٦٤ .

اليهما أثناء مدة الحضانة ، ولا سيما في السنتين الأوليين على الأقل . فالطفل في هذه المدة يريد اما متفرغة ، لا يشركه فيها أحد ، ولا يشغلها عن تلبية مطالبه حتى ولو كان أخاه الشقيق ومن ثم انحرف الأولاد ، فخرجوا الى المجتمع بعد أن تغلب على عواطفهم حب الصراع ، وامتلات نفوسهم بالعقد والاضطرابات النفسية نتيجة فقد رعاية الأم .

زواج المرأة :

وهكذا أخذت المسلمة تتردى خطوة اثر خطوة ، ولم يعد في وسعها أن تقف برهة لمراجعة الماضي ، وما جنته من السير وراء الفرييات ، ولعل أخطر انتكاسات هذا التسابق ظهرت في قضايا الزواج ويتلخص أهمها فيما يلي :-

أولا : جاءت تشريعات الاسلام في الزواج تلبى حاجة الانسان الجثمانية ، وتخفف عنه مشكلات الحياة الفردية ، والزواج منظور فيه بطبيعة الحال الى تلبية الحاجات الفريزية بجانب المطالب الأخرى الاجتماعية والنفسية والروحية ، وكرم الاسلام المرأة عند عقد النكاح بالمهر والسزم الزوج تقديم هدية للزوجة التي اختارها شريكة لحياته ، " وأتوا النساء صدقاتهن نحلة " (١) "كما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة " (٢) غير أن التغريب عكس الوضع إذ أخذ الأزواج يطالبون المرأة أو أوليائها عند العقد وقبله بالعطايا والهبات ، ويشترطون للقران شروطا ما أنزل الله بها من سلطان كادت أن تكون عقايا .

فمن طالب سيارة وجهاز تلفاز وغسالة والتنازل عن جزء من عقار اذا كانت الفتاة أو أوليائها يملكون ذلك . ومن طالب ابتعثة الى الدول الغربية لتلقى الدراسات أو تكميلها من نقطة التوقف حين عجزت موارده المالية عن تغطية تلك التكاليف .

ومن طالب ارساله الى الخارج للعمل وتحمل جميع نفقاته ، أو البحث له عن عمل داخل دائرة حكومية أو قطاع خاص يجلب ايرادا يغطي نفقات الحياة المترفة كشرط من شروط العقد بغض النظر عن أهليته لهذه المطالب ، ومدت الحال تشبه دفع المهر من الانثى للذكر ، ويطلقون على ذلك اسم " جهيز " ويجمل شاهد حسين الزراقى ما يلي عليه هذا الموهق الاقتصادى وما يجرع على المرأة الانثى الاجتماعية والنفسية والروحية وفي الاساس المرأة عند عقد النكاح بالمهر والسزم

(١) سورة النساء آية : ٤ ، اختارها شريكة لحياته ، " وأتوا النساء صدقاتهن نحلة " (٢)

(٢) سورة النساء آية : ٢٤ ، غير أن التغريب عكس الوضع إذ أخذ

الأزواج يطالبون المرأة أو أوليائها عند العقد وقبله بالعطايا والهبات ، ويشترطون للقران شروطا

وأسرتها من العواقب السلبية فيقول : " أصبحت عادة إعطاء الجھیز واجبا من واجبات الزواج فلا يكتمل العقد الا به ، مع أن هذا الفكاك يحمل في طياته العديد من الاختناقات الاقتصادية والعائلية أضف اليه أنه من مخلفات مجتمع لا يمت الى القرآن أو السنة أو الفقه بصلة ۰۰۰ وترى الناس يبيعون التركات الموروثة ، ويقترضون ويبرهنون ۰۰۰ لتجهيز بناتهم حتى أضحت ولادة بنت - في كثير من المناطق الباكستانية آفة من الآفات يندم عليها الأولياء ندامة من لا حيلة له في الخلاص والفكاك ، وشر البلية أن يعد مثل هذا السبع النهم شرف العائلة وكرامة الأسرة العريقة " . (۱)

واستشرى هذا النهب بعد استقلال باكستان حتى عم أغلب طبقات الشعب مما حمل المصلحين الاجتماعيين أن يضموا صوتهم الى صوت الرابطة النسائية " ابوا " في المطالبة بوضع حد لمطالب الزوج (۲) ، وظل هؤلاء يتابعون القضية حتى لبثت الدولة مطالبهم عام ۱۹۷۶م فصدر تشريع " تجهيزات الزواج " وفي ضوءه ينقسم الناس الى طائفتين ، طائفة ذات قرابة للعاقدين ، وطائفة لا يرتبطون بهما برساط النسب ، وأجاز التشريع للأولين أن يقدموا هدايا لا تزيد قيمة كل هدية عن خمسة آلاف روبية باكستانية (۳) وسمح للآخرين بالتهادي شريطة ألا تعد قيمة الهدية مائة روبية ، ولا تتجاوز هدايا الشخص الواحد ألف روبية ، واشترط على موظفي الدولة العاملين في المرتبة السابعة عشرة فصاعدا ألا يقبلوا هدية في الزواج الا ممن ينتمى اليهم بالنسب سدا لاستغلال المنصب . (۴) وحدد التشريع مدة التهادي بستة أشهر قبل الزفاف ومثلها بعده . (۵)

وعاقب التشريع المخالف بسجنه ستة أشهر أو غرامة مالية لا تعدو عشرة آلاف روبية ويجوز الجمع بين العقوبتين ، ولا تعاقب الانثى الا بالغرامة المالية ، ويحق للدولة أن تستولي على جميع ما أهدى للمتعاقدين المخالفين وتتفق ما استولت عليه في تزويج الفتيات الفقيرات . (۶)

ومذلك ظن التشريع أنه قضى على ظاهرة التجهيز وطهر عقول الأزواج من المطالبات غير المشروعة وشفى المجتمع من

(۱) باكستاني مسلمانوں کے رسوم ورواج ص ۲۷۳ و ۲۷۴ -

(۲) انظر روداد برده ص ۳۵۳ . (۳) جهيزايت (قانون تجهيزات الزواج) ص ۴ .

(۴) جهيزايت ص ۵ . (۵) جهيزايت ص ۵ . (۶) جهيزايت ص ۸ .

هذه العلة بهذا التشريع الملزم ، بيد أن المطالب لم تختف ، وما زال الوضع كما كان ، بل تحول ابتزاز المال الى جهات لا ترتبط بالمتعاقدين بصلة وجزئت العطية الى اجزاء لا تفيد الزوج أو الزوجة .

وكان الأجدد بوضع التشريع أن يجس النبض ويضرب على الوتر الحساس فيذكر المسلمين بشرع الله ، ويعيد الى المرأة كرامتها المسلمة عن طريق الدين لاقوة القانون وسلب لقمة العيش من أفراد رزحوا تحت ثقل التجهيز ، وليس من المستحيل اقناع الشباب المقرر بالشهادتين عن طريق الدعاية المنظمة ورفع الستار عن حقيقة هذا المال المكتسب من الزواج وبيان حكم الشرع فيه .

ثانياً : حدد التشريع الاسلامي للمرأة المسلمة من تختاره لبيت الزوجية من الرجال فحرم عليها الانضمام الى زوج غير مسلم ، نظرا لعدم استطاعتها امثال أوامر الشرع في الأعم الأغلب تحت عصمة من لا يؤمن بخاتم المرسلين ، غير أن مصلحة المستعمرين ارتبطت — بنقض هذا التشريع الحصين ، فأباحوا قران المسلمة بغير المسلم ، وساندوا مثل هذه الأنكحة في العلن والخفاء باسم الحرية في اختيار شريك الحياة ، حتى صار زواج المسلمة بغير المسلم أمراً مألوفاً ، ولا سيما في المسلمين المشفقين ثقافة غربية .

وأبرز مثال لمثل هذا النكاح هو نكاح ابنة محمد علي جناح مؤسس دويلقباستان بشاب غير مسلم ويحكى محمد حسن الأعظمي أمر هذا النكاح فيقول :

" انجب جناح من زوجته رتن بتيت بنتا اسماها " فينا " ضممتها جدتها لامها لتقوم بتربيتها وقد شغلته السياسة عنها ، ونشأت فينا في بيت جدها الفارسي — البارسي^(١) وترعرعت واتخذت لها أصدقاء من الفرس وتزوجت من شاب فارسي زرادشتي^(٢)

هكذا حدث التطبيق الواقعي أخيراً في بيت القيادة ، وكانت هذه الظاهرة أعم وأكثر شمولاً بين المسلمات الهنديات عقب الحريين العالميتين ، اذ كان الهنود كبش القداء آنذاك فهلك مئات الألوف منهم غرقاً وقتلاً ، وتأخرت أخبار موتهم فترات طويلة ، فلم

(١) نسبة الى طائفة بارسي المجوسية عباد النار .

(٢) ص ٦٣ .

يعد أمام المسلمات طريق لفك العقد الا الارتداد وقبول المتنصر زوجا ، فرحب بهذا الوضع القضاء الانجليزى ، ففسخ العقود باسم شرع الاسلام فى رفضه بقاء الصلة الزوجية بين المرتدة وزوجها المسلم ، وصور الوضع رئيس جمعية العلماء الشيخ أنور شاه الكشميرى فى خطابه الرئاسى ببشاور عام ١٩٢٧م فقال : " ان الزوج المسلم كثيرا ما يظلم زوجته المسلمة فيعلقها حيناً ويكون فاقداً للخبر أحيانا أخرى ، ولا تستطيع المحاكم الفصل فى القضية لعدم وجود القضاء الشرعى لذا تضطر الزوجة المسلمة الى الارتداد لتنجو من الوضع (١) فان حدث ذلك اضطرارا وكرهه فقد مال اليه النسوة المثقات أخيرا حبا واختيارا لأسباب ليس أقلها أهمية الجانب الاقتصادى والمكانة المرموقة لزوج المستقبل ، وهذه الظاهرة منتشرة الآن فى الفتيات اللاتى يسافرن الى الخارج لتلقى التعليم ، فان عادت الى البلاد بزوجه غير المسلم وجابها المجتمع بشئ من التذكير والتأنيب أو أولياؤها بشئ من الازميراز أعلنت براءتها من الاسلام ، وتجد باب القضاء وحسن الدفاع مفتوحا على مصراعيه فلا يعاقبها على ردتها فضلا عن زواجها بغير المسلم .

ثالثا : أباحت المذاهب الفقهية الأربعة زواج من هم دون سن البلوغ ، واستندوا فى ذلك الى استنباطات من نصوص القرآن ، والى وقائع حدثت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) والصحابة والتابعين ، والذى شدهم الى هذا التعامل هو تحقق المصلحة المرجوة من عقد النكاح من صيانة الأبناء والبنات ، وحفظ الفروج والأنساب . وذهب ابن شبرمة قديما (٣) والمتأثرون بالفكر الغربى حديثا الى منع مثل هذه الأنكحة ويعمل غلام أحمد برويز ذلك بقوله " النكاح عقد من العقود ويشترط فى المتعاقدين العقل والبلوغ ولا يصح إبرامه عند فقدان أحد الشرطين ، ولم يعين القرآن بالتصريح عمر المتعاقدين ، ثم البلوغ يختلف باختلاف البيئات والمناطق لذا

(١) خطبة صدارت " الخطاب الرئاسى " ص ٥٦ .

(٢) انظر صحيح البخارى بشرح فتح البارى ج ١٩٠/٩ باب النكاح الرجل ، ولده ، الصفار . صحيح مسلم ج ١٤١/١ .

(٣) انظر الاستاذ مصطفى السباعى المرأة بين الفقه والقانون ص ١٦ .

يوكل تحديد ذلك الى الدولة الاسلامية بروح القرآن " (١)

ولما كان البلوغ يختلف من شخص لآخر ومن بقعة الى أخرى حاول الملك أكبر المفعولى لأول مرة فى الدولة المسلمة الهندية التضييق على هذا النوع من الزواج ، فأصدر تشريعا عين فيه سن المتناكحين ، فمنع الفتى من النكاح حتى يبلغ السادسة عشرة ، والفتاة حتى تبلغ الثالثة عشرة (٢) غير أن تشريعة طوى بلحده ، وعادت الأمور الى مجاريها الطبيعية حتى عام ١٩٢٩م حين شرع الانجليز قانونا حددوا فيه سن نكاح الهنود مرة أخرى ، فحرموا على الفتى الهندى الزواج حتى يبلغ الثامنة عشرة ، والفتاة الهندية حتى تبلغ الرابعة عشرة بيد أن الأمة المسلمة بقيادة جمعية العلماء هبت مستنكرة هذا التشريع الفاشم واعتبرته تدخلا مكشوبا فى شئون المسلمين الدينية وقوانينهم الشخصية (٣) وجاء التعدى البين على شرع الله أخيرا فى باكستان على يد الحاكم العسكرى أيوب خان عندما أقر مجلس تشريعة عام ١٩٦١م مسودة مسلم عائلى قوانين " قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية ، وشملت نصوصها مخالفات شرعية عديدة ، فى الطلاق وتعدد الزوجات والميراث ٠٠٠ ، وخصت المادة الثانية عشرة سن الزوج عند النكاح بالثامنة عشرة ، والزوجة بالسادسة عشرة (٤) وعاقبت المخالف بسجن شهر فمادون ، أو غرامة مالية قد تصل الى ألف روبية ، ويمكن الجمع بين العقوبتين اذا اقتضى الأمر (٥) بل نصت المادة السادسة من الشرح على " ان من زوج القاصر والدا أو اما أو متصلا بالقاصر نسبا أو قضاء أو مديدا فى انجاز هذا الزواج أوسمح باجرائه ، أو لم يتمكن من ايقافه لتساهله استحق العقوبة ... " (٦)

وهكذا هدر المشرعون مصلحة الشرع برفع سن النكاح للفتى والفتاة ، وساندوا من طرف خفى الفحشاء وقضاء الوطر من طرق غير مشروعة ، ولا شك أن هذا التحديد قلما يتفق مع

(١) تهويب القرآن ج ١٣٦٢/٣

(٢) انظر حاضرم العالم الاسلامى ج ٣٠٥/٤ (٣) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٣٣٣

(٤) مسلم عائلى قوانين ج ٣٠٥/١

(٥) " " " ج ٣١/١ (٦) مسلم عائلى قوانين ص ٣١

ج - فی ضوء التقاليد الموروثة فی منطقة بلوچستان ترى أن المتوفى عنها زوجها يلزمها أن تتكح أخت الميت أو أحد أقربائه ، وإن تزوجت فی غیر عائلة الميت تحرم مما بقى لها من المهر المؤجل ، ويطلق على هذا التقليد الموروث اسم " بجائی " وأحياناً يطالب أهل المتوفى الغريب بدفع ما أعطى الميت للزوجة من المهر المعجل وتسمى هذه العادة " دِلور " أى دفع قيمة الزوجة للنكاح ، وكأن المرأة عند هؤلاء تركت من تركات الميت تورث كسائر التركة (۱) هذه القضايا الثلاثة ، ألها جذور تاريخية قبل الاستعمار ؟ أو أنها ثمرة من ثماره ؟ وأن الناس استغلوا فقدان السلطة وفقراء الناس فتحكموا فی الجنس الضعيف وأهدروا كرامته وسلبوا إنسانيته . إلا أن مثل هذه القضايا لم تبرز كظاهرة من مظاهر المجتمع إلا بعد أن أقر التشريع الانجليزى أن يحاكم الناس وفق العادات المطبقة . والتقاليد الموروثة وهذا الاعتراف من السلطة المشرعة اكتسبت مثل هذا القضايا الصفة القانونية الملزمة . فجاز العمل بها باسم القانون . (۲)

خامساً : تضاربت التقارير حول تعدد الزوجات فی الهند فمن أكثر يبلغ النسبة إلى ۲۹ ٪ فی البنغال ومن مقل يصرح بأن لألف زوج فی الهند ألف زوجة لا غير (۳) والحق بين التقديرين ومن المعروف أن نظام التعدد ظل سارى المفعول فی الهند طوال مدة حكم المسلمين وحكم المستعمرين ، ولم يجرؤ احد على ابعاده عن المجتمع طوال تلك الأحقاب ، وأول ثغرة اقتنصها الغربيون للتقليل من عدد المسلمين تمثلت فی التشجيع على منع التعدد بحجة الرفاهية الاقتصادية للأسرة ، ورفع مكانة المرأة فی المجتمع وما شابه ذلك من الأقوال المعسولة . ولأول مرة وضعت حكومة أيوب خان عام ۱۹۶۱م العقوبات فی طريق التعدد ، وهدفت حسب أقوال مدافعيها الرسميين إلى " ضمان تمتع النساء المسلمات بحقوقهن حسب أحكام القرآن

(۱) انظر باكستانى مسلمانون كے ص ۲۶۹ .

(۲) انظر السيد امير شاه كستور من آف لاء " ملالينج القانون ص ۱۷۷۲ ودينشافرويد اصول شرع ص ۴ .

(۳) انظر الفارة على العالم الاسلامى ص ۷۱ ، ومجلة الفتح ج ۶۷۶/۱۵

(۴) انظر محمد عبد الرحمن عورت نسانيت كے آئینے " الانشى فی ضوء المرأة البشرية ص ۱۸۱

وأنها تسمى الى منع استغلال النساء عن طريق التعدد ، والاساءة اليهن به ، وأن —
الاصلاحات تحاول اعطاء تفسير جذري على قانونى لأحكام القرآن حول هذا الموضوع (١)
وينص البند السادس من " مسلم عائلى قوانين " على أنه لا يجوز لأى شخص أن يتزوج
زوجة ثانية دون اذن محرر مسبق من اللجنة الثلاثية ، (٢) ولا يسجل أى نكاح ثان فى
محكمة ما الا بوجود هذا الاذن .

" ويجب تقديم الطلب مشفوعا بالرسم المالية الى رئيس اللجنة مع بيان ذكر الأسباب
التي دفعت الى ذلك ، وهل اذنت له الزوجة أو الزوجات اللائى تحت عصمته عن رضى
وطيب خاطر ، وعلى اللجنة أن تذكر ما اقتنعت بموجبه فى السماح لمبالزواج الثانى ، ولمن
لهم صلة بالموضوع أن يتقدموا بطلب الرقابة على الزوج الى الجهات المختصة . " (٣)
وفى حالة الاقدام من غير اذن يعاقب الزوج بتعجيل المهر المؤجل للزوجة والزوجات
اللائى فى عصمته وعند امتناعه يستوفى ذلك منه قضائيا كحقوق مالية متبقية فى ذمته ،
وعند ثبوت الجرم يسجن لمدة سنة أو يعاقب بغرامة مالية قدرها خمسة آلاف روبية ،
ويمكن الجمع بين العقوبتين " (٤) و " للزوجة أو الزوجات اللائى كن فى عصمته قبل النكاح
الآخر طلب فسخ النكاح بحجة مخالفته تشريعات الأحوال الشخصية لعام ١٩٦١ م . " (٥)
ولم يمض ست سنوات على هذا التشريع فى باكستان حتى تبعتها الهند فيما يخص
المسلمين فى تعدد الزوجات ، فأصدرت وزارة الداخلية الهندية بيانا صرحت فيه
" أنه لا يصح لموظفى الدولة حسب قانون التوظيف فى بنده الحادى والعشرين أن يجمعوا
بين زوجتين فى الحياة الزوجية ، ومن اضطر الى ذلك يجب عليه أخذ الأذن الخاص . ولا يستثنى
من هذا التشريع " الموظفون المسلمون " (٦) وهكذا احكمت الحلقة على المسلمين فيما يتصل

(١) حقائق عن باكستان ص ٢٦٢ .

(٢) أى ثلاثة أعضاء ممن يعملون فى هذا الميدان بموجب تفويض الدولة .

(٣) مسلم عائلى قوانين ص ٤ .

(٤) مسلم عائلى قوانين ص ٥ .

(٥) مسلم " " ص ٢٧ .

(٦) مجلة صدق جديد الاسبوعية الهندية ص ٦ مجلد ١٧ العدد الثانى بتاريخ

بتعدد الزوجات في شبه القارة الهندية كلها .

ومفحص القضية وملابس التشرية في باكستان يتضح أن الذين عملوا في الخفاء وشجعوا على منع التعدد ووضعوا العراقيل في طريقه هم المنكرون للسنة الغرييون فكرا وثقافة يقول رئيسهم غلام أحمد برويز في هذا الصدد : " المقصود من النكاح ايجاد الألفة والمؤانسة بين الطرفين ، وتهيئة ظروف تنمو فيها مدارك الذرية والأطفال ، وهذا لا يتأتى الا من نظام الوحدة في الزواج ، لأن التعدد يزيل ذلك المقصود بل يحول البيت الى ساحة حامية ، اذن لا يتأتى تزوج الثانية الا عند وفاة الأولى ، والشرط الأساسي لباحة التعدد ما تضمنه قوله عز وجل : " وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى . . . الآية والشئ الواضح الملموس فيه أن التعدد مشروط بعدم الجور . " ثم إن هذه الآية يشير الى أن عصاة المسلمين الأولى خاضت عدة حروب خلال بضع سنوات بعد الهجرة مما نتج عنه بالطبع نقص الرجال وزيادة يتامى النساء ، فجاء الحل الأمثل لتلك الظروف الطارئة ومع هذه الطوارئ - نقص الرجال وزيادة النساء - يشترط في التعدد اقامة العدل بين الزوجات ، ومتى خاف المرء على اختلال توازن البيت لا يجوز له الزواج بأكثر من واحدة " (١)

وأخيرا ما سجله المنكرون للسنة في تأييد هذه القضية ما سجله عمر أحمد العثماني " أن التعدد تشريع طارئ وصورة مؤقتة ، وأن الزوج إن لم يوفق في الاختيار الأول فإن القرآن لا يسمح له بنكاح آخر مع بقاء الأول بل السبيل أن يطلق الزوجة الأولى ليتزوج بالثانية " (٢) ويؤيد رأيه في موضع آخر فيقول : " التعدد حل طارئ لظروف طارئة لا يباح بدونها ، وإنه مقيد بقيد الطوارئ لا انفكاك عنه " (٣)

(١) طاهرة كرام نام خطوط كا مجموعة رسائل باسم طاهرة " ج ٨٨ - ٩٣

(٢) فقه القرآن ج ١ / ٤٩١ .

(٣) فقه القرآن ج ٢ / ٥١٥ .

ومن الصعب الاقرار بأن التعدد تشريع للطوارئ لا مـور : -

أ - ان الآية الكريمة : " وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة . . . الآية ذكرت أن من أراد الزواج باليتيم التي في حجره وخاف ألا يعطيها مهر مثلها فله أن يعدل الى ما سواها من النساء فأباحت الآية له أن يتزوج اثنتين وثلاثا الى أربع ، فان خشى الحيف وعدم العدل فعليه أن يقتصر على الواحدة ، ولا شك أن الاباحة عامة للمسلمين أجمعين وغير مقيدة بالظروف والأحوال فلا يخصص شخص دون شخص ولا ظرف دون ظرف وانما حاجة الرجل المسلم هي المحور الذي يدور عليه تشريع التعدد .

ب - لو اعتبر تشريع التعدد للطوارئ فما الذي يفرق بينه وبين بقية التشريعات الاسلامية وما الذي يميز تشريع القصاص والسرقة وشرب الخمر مثلا من تشريع التعدد ، فان كان التعدد طارئا يحدث بين الحين والآخر ويأتيه أفراد دون أفراد فمثل القصاص والجلد والقطع . . . اذ أنها لا تقام الا بين الغنية والغنية بل إنها اندر من التعدد ، وعلى ذلك يمكن وصف التشريع كله بالطوارئ فلا فرق بين تشريع التعدد وتشريع القصاص وغيره ، فان كانا طارئين فهما معا وان كانا مستمرين وعامين دائمين فهما معا .

ج - سخاء سنة الله الكونية بوجود الأناث أكثر من سخائها بوجود الذكور ، أهف اليه ما يتعرض له الذكور من الحروب وحوادث العمل والطريق . . . كل ذلك ينتج حالة دائمة في البشرية وهي أن عدد الذكور أقل من عدد الاناث في العالم أجمع ، ومن هنا فطر الخالق الانسا ن بنوعيه - ذكره وأنثاء - على وضع يخدم كل منهما الأخرى في تحقيق مهام الحياة ، فجعل الذكر على استعداد فطري لأن يلحق أكثر من انثى بينما هي لا تحتاج في فطرتها الى اللقاء بأكثر من ذكر واحد . لذا جاء تشريع الاسلام العام موافقا لهذا التركيب الفطري فحكمه في التعدد كحكمه في زواج الواحدة سواء بسواء سادسا : تدخل تشريع ايوب خان في أبفض الحلال الى الله فصرح : " أن من أعلن

طلاق زوجته يقدم اشعارا الى رئيس المحكمة الأهلية المعنية بذلك لهذا الغرض ، ويرسل صورته الى زوجته المطلقة ٠٠٠ ولا ينفذ هذا الطلاق الا بعد مضي تسعين يوما من تسلم الرئيس لهذا الاشعار ٠٠٠ مالم يكن الطلاق طلاقا ثالثة وعلى الرئيس أن يشكل لجنة ثلاثية خلال ثلاثين يوما من وصول الاشعار للاصلاح بين الطرفين وتقوم اللجنة ببذل المساعي ، والأخذ بكل السبل والوسائل الممكنة للجمع بين المتنافرين " (١) لا يختلف من له أدنى الملم بالشريعة الاسلامية فى مخالفة هذا القانون لتشريع الاسلام وظلمه للمرأة بتطويل العدة عليها ، ومن الصعوبة أن تنجح مراجعة المحكمة فى محاولة التوفيق ، ثم إن الشرع لا يمنع أن تكون المراجعة والمفاهمة فى مدة العدة ، فإن صادفت التوفيق ردت اليه زوجته فى الحال فى الطلاق غير البائن ، وعاد البيت الى الانسجام والوثام ، وإن كان غير ذلك فالمصلحة تقضى باستعجال تخليصها وقسم عرى الزوجية من رجل يكرهها ولا يرغب فيها ، وما أعدل تشريع الاسلام فى تحقيق مصالح العباد رجالا ونساء ، وفى شريعة الله تبدأ العدة منذ لحظة النطق بالطلاق ويظل باب الاصلاح وتجفيف منابع النزاع مفتوحا طوال مدة العدة " وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا " (٢)

وفى الهند خرجت مظاهرة نسائية وفيهن نساء المسلمين المتنورات عام ١٩٦٩م وطالبن الدولة وقضاها فنهجن الطلاق ، وأن يعطى لهن سلاح الفصل وترك الحياة الزوجية كالرجل سواء بسواء ، وأن اختصاص الرجل بالطلاق اهانة للمرأة ومذلة لانسانيتها واحتقار لمكانتها الاجتماعية .

هكذا طلبت المتغيرات من التشريع الوضعى حق الطلاق ، وأن يملكن اياه مالم يملكن

(١) مسلم عائلى قوانين ص ٦٢٥

(٢) النساء آية : ٣٥ .

(٣) انظر مجلة صدق جديد ج ١/١٩ عدد ١٩٦٩/٥/٩ م . وللشاعر محمد اقبال موقف من الطلاق شبه بالمتظاهرات . راجع تفصيله فى تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ج ١٧٧ ، ١٩٤ .

شرع الله العليم بمصلحة العباد ، وما يقيم الحياة الزوجية ، وما يخل بتوازنها ، وكم كان المشرع حكيما حين لم يسوئها بالرجل في باب فصل العلاقات الزوجية ، لأن المرأة بطبيعتها مجبولة على المواقف المتقلبة والانفعال السريع ، فالجانب العاطفى لا الفكرى هو الغالب على طبيعتها ، بينما الرجل خلق لعراك الحياة واستخلاص القوت وبناء الأسرة وحمايتها . . . وهذه الوظائف كلها لا تحتاج الى العاطفة التى تنقلب فى لحظات من النقيض الى النقيض ، بل الى الرؤية والفكر ، فكان من الأنسب أن يعطى حـق الطلاق لمن يقدر عواقب الأمور ، ويحسب للمقدمات والنتائج كل حساب قبل الاقدام ، ولا يعطى هذا السلاح الا مقيدا لمن خلق للمواقف والمشاعر الرقيقة التى تفيض بأول لمسة .

فالشرع لم يحجر على المرأة طريق الخلاص وقطع عرى الزوجية إن رأت أن الحياة لا تنطق مع بقائها ولها فى ذلك سبل ثلاثة ،

- ١ - أن تشرط عند العقد أن يكون عصمتها فى يدها فيكون لها فسخ العقد عند الاحتياج اليه ولما التفت النساء الى هذا الشرط ، ولكنه حق مشروع ، لها أن تستخدمه عند الحاجة .
- ٢ - أو ترفع دعوى الخلع بسبب كراهتها عشرة زوجها وشرطه أن ترد ما أخذته عن طريق الزواج وهو شرط عادل لأن احتمال الخسارة عند الانفصال من نصيب الطرف المتسبب والمنطق يقضى بتحميلها اياها كالزوج حين يقدم على الطلاق .
- ٣ - أو تطلب الطلاق على أساس سوء المعاملة والاضرار إن استطاعت اقامة الحجة على ذلك ، ولها فى هذه الحالة الاحتفاظ بما تملكته عند الزواج ، ولها النفقة مدة العدة ، تلك طرق الفك الملائمة لفطرة المرأة وأسلحتها المقيدة .

وأخر سهام تشريع أيوب خان تجاه الطلاق جاء فى صورة " أن الزوجة المسلمة اذا ارتدت عن الاسلام أو اختارت عقيدة غير عقيدته لا ينفسخ نكاحها . . . ولا يشمل هذا التشريع المرأة غير المسلمة أصلا ، ثم أسلمت ثم ارتدت عن الاسلام " (١)

لا يخفى على المتتبع لحركة التطور التشريعي في شبه القارة الهندية أن هذا التشريع ليس هو الأول من نوعه ، بل نص القانون الانجليزي على حفظ حقوق المرأة النصرانية بقوله "إن الهندوسية اذا تركت دينها لا يفسخ نكاحها" ^(١) و "أن المسلم اذا عقد على الانجليزية الكتابية لا يملك حق طلاقها لأن نكاحه بها يعتبر نكاحا مسيحيا مؤبدا وان العمل بالشرعة الاسلامية منسوخ في هذا الباب " . ^(٢)

ومن سبر غور القضية لا يفوته أن يدرك كنه التشريع ومرماه ، فمن أولى نتائجه ازاحة العراقيل عن طريق حركة التنصير بين النساء ، اللاتي كثيرا ما أشهر العلماء أمامهن سلاح فسخ العقد حين بدا منهن ضعف المزيمة ثجاة غزو التنصير ، ولما حماهن القانون بهذا التشريع أصبحن قس مأمن من فسخ العقد ، فالتشريع برمته لبي ما كانت تهفو اليه الحركة منذ زمن بعيد تحت شعار حماية المرأة وحريتها العقيدية ضاربا عرض الحائط ماثوارته المسلمون كبرا عن كابر في حكم الارشاد عن الاسلام وأنه موجب لفسخ النكاح. ^(٣) لذا نجد مفتي باكستان الشيخ محمد شفيع يبدى استغرابه من هذه التشريعات بعد أن رفع الستار عن مصادمتها لشرعة الله بقوله : " لا أدري ما هي الأسباب التي دفعت الدولة في استعجال تنفيذ هذه القوانين ٠٠٠ التي تعتبر أسوأ تركة خلفتها الحكومة السابقة " ^(٤) وأبدى الكاتب الاسلامي عبد الماجد الدرابادي رأيه في الموضوع فقال " ولنا أن نقول إن الدولة منحت الجزء الأول من التجديد والتحديث للأمة وتدخلت بصورة مباشرة في تشريعات لم تستطع حكومة الانجليز التدخل فيها رغم طول عهدهما وقوة حديد ها ، كما أن حكومة الهند العلمانية لم تصل الى ما وصلت اليه باكستان في الأحوال الشخصية " . ^(٥)

(١) أصول شرع اسلام ص ١٤ .

(٢) " " " " ص ٤٢٩ .

(٣) انظر عبد الرحمن الجزيري الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤ / ٢٢٣ .

(٤) عائلي قوانين برتبصره " التعليق على قوانين الأحوال الشخصية " ص ٢٤ .

(٥) مجلة صدق جديد ص ٣ عدد ١٧ / ٣ / ١٩٦١ م .

سابعاً : وآخر ما يتصل بثمار الزواج وتدخل فيه الفكر الفرسى للنيل من ثرائه هو الانجاب ، ولأول مرة تدخلت الدولة الباكستانية ابان عهد أيوب خان فی تنظیم الموالید والحد من كثرة الذریعة ، ویوضح الأستاذ أبو شهاب رفیع اللہ ما یعنیه تنظیم النسل فیقول : لا صلة لتنظیم النسل بقطع الانجاب أو المنع منه علی الدوام ، بل المشروع بأجمعه یهدف الی ایجاد التناسب بین الوسائل المالیة والانجاب ، وألا یحدث أى خلل فی هذه البنية البشرية فلا تبتلی الأمة بالعسر وضیق الموارد المالیة . (۱)

ویؤید الأستاذ فضل الرحمن مدیر ادارة التحقیقات الاسلامیة براولبندی موقف الدولة ویلوم العلماء وحماة الشرع لمعارضتهم مشروع الدولة فی التحدید فیقول : " من الأمور الـتی اقلقت العالم الثالث وأزعجت مخططیه كثرة الولادة ، لذا كلما وجد رئیس باكستان الجنرال آیوب خان فرصة التحدث ذكر امته بها ونص فی مؤتمر لاهور عام ۱۹۶۴م الذی عقد لتنظیم الانجاب علی أن أهم مخطط تسعى الی تحقیقه هو التخفیف من الذریعة وعدم التکثیر من التناسل لرعاية الشعب ورفع مستواه الاقتصادی ، غیر أنه من المؤسف أن أغلیبة العلماء خالفونا فی المشروع ، ولا سیما الجماعة الاسلامیة الـتی حاولت إثارة الغبار وإشاعة الضوضاء حوله إذ اتخذت تنظیم النسل هدفاً أساسیاً وربما المقصود ، ولن تستطيع أمة مجابهة الأخطار اذا كان علماءها لا یفرقون بین الخیر والشر " . (۲)

فلا غرابة اذا أصبح تحدید النسل جزءاً من الرعاية والمعالجة الطبیة المجانیة ، وبلغت مراكزه فی عامه الأول سبعمائة مركز یضاف الیها المستشفيات والمستوصفات ومراكز رعاية الأمومة الـتی لم تكن تخلو منها قرية من قرى باكستان آنذاك ، ویثنی أحد المنضمین الی المشروع علی خدمات الدولة فی هذا المضمار فیقول : " بدأ العهد الجدید أيضاً العمل فی سبیل الحد من التناسل بغية مراقبة النمو السريع لعدد السكان فی البلاد واتخذت ترتيبات لتأمين المشورة والتوجيه اللازمین عن طریق المستشفيات والمستوصفات

(۱) شریعت اسلامی اور خاندانی منصوبہ بندی " تنظیم النسل فی ضوء الشریعة الاسلامیة " ص ۱۲ .

(۲) شریعت اسلامی اور خاندانی " ص ۳ .

ومراكز الأمومة والمرخاء الحالية ، وتقدم خدمة تحديد النسل على أساس طوعى كجزء من الرعاية والمعالجة الطبية " . (۱)

ولم تكف الدولة بمراكزها الخاصة ، بل مدت يد العون الى المنظمات العاملة فى خدمة البشرية على أساس غرسى ، فلم ينته عقد السبعين من هذا القرن حتى أصبح لأغلب المنظمات الخيرية مراكز تخصصها بهذا الشأن ، وحظيت " ابوا " بنصيب وافر اذ كانت تدير ثمانية منها فى كبريات المدن الباكستانية ذات الكثافة السكانية (۲)

ولم يتخل عن المشروع بتخلى أيوب خان عن الحكم^{بل} ما زال سارى المفعول ينخر الأمة نخر السوس فى الخشب ، ويسرى فيها سريان المرض المعدى وان خفت حدته فى أيامنا الأخيرة . ومن نظر الى تحديد النسل من زاوية الشرع يتضح له أن دعاة التحديد والمقتولين لهم فقد واثقتهم برازقهم عز وجل ، وأن اعتمادهم انحصر فى وسائلهم المنظورة ، وغفلوا عن صفة التوكل وطلب العون من الله عز وجل ، وانحرفوا عن مقتضى الفطرة السليمة ، وذلك الا يحقق الانسان مطلبها من مطالب الحياة الفردية والاجتماعية الا وفق سنن الله الكونية ، فلا يعطل قوة من قواه ولا ينحرف فى استخدامها عن هدى الله .

ومن نظر الى التحديد من الوجهة الاجتماعية لا يشك فى مضاره فالبرودة فى الحياة الزوجية وفقدان المودة والألفة باكورة أثرها على الحياة المشتركة ، لأن الذرية ، وتربيتهم هما اللذان يمسكان العلاقات الزوجية ، بل يكرهان الأبوين أحيانا على التقيد بذلك القيد وتحمل تبعاته مدى الحياة ، ومن يدري اذا كان المحدد لنسله يسد الطريق أمام حكيم من الحكماء أو داع من الدعاة أو وفى من الأوفياء . . . لأن الحيوانات المنوية تحمل العديد من المزايا الوراثية ففيها الأغنياء والحمقى ، والعقلاء والمخترعون .

ويحلل الشيخ المودودى قضية تحديد النسل وما تجره من آثار سلبية الى الأمة فيقول :
" الانسان وهو جاهل حتى بنتائج عمله كما علمت ، اذا حدثته نفسه بالتدخل فى هذا

(۱) انظر السيد نور الصباح بيكم تحريك باكستان اور خواتين " دور النساء فى انشاء

دولة باكستان " ص ۳۳۰

النظام الذى ما خلقه الله سبحانه وتعالى الا بمحض مشيئته فلا يكون مثله الا كمثل رجل يدير عصاه فى الظلام ولا يدري هل يقتل بها حية مؤذية أو أحدا من بنى نوعه أو يكسرها شيئا ثميناً فكل شئ ممكن .

" وكذلك إن الانسان عندما يحاول الحد من نسله لا يدري ما إن كان بفعلته يسد الطريق الى عالم الوجود على قائد شجاع أو حكيم مدبر ، وعسى أن يعاقبه الله على هذه الجريمة بأن لا يخلق فى نسله الا الأغبياء والحقى والخونة ، والأخص إن امة اذا انتشرت فيها هذا التدخل فى مشيئة الخالق عز وجل فانها لا جرم تعرض نفسها لخطر قحط الرجال " (١)

وللمجيز أن يقول إن تحديد النسل وارد فى الاسلام وذلك حين عمل بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالعزل - الانزال خارج الرحم - وبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينههم عنه ، وجواب ذلك أنها حوادث فردية ، وظروف اختص بها كل صحابى بمفرده ، وليست حركة عامة لمنع الحمل ، وتحديد الذرية ، وانما عمل بالعزل نفر من المسلمين لحاجاتهم وضروراتهم الشخصية وقد يحتاج اليها الانسان أو الى ما يشبهه حاجة ملجئة كأن تتعرض المرأة لخطر الموت أو تخاف على رضيعها ضرراً مخيفاً اذا وقع الحمل . . . ، فمن الحيطة فى مثل هذه الأحوال الاذن للمحتاج على قدر حاجته ، ولكن ما يتنافى مع الشرع ويصادم سنن الله الكونية أن يتخذ العزل أو غيره من موانع الحمل خطة عامة ، وتعاملاً مشاعاً تتبناه دولة من الدول .

وأقرب الحلول منالاً لزيادة السكان فى باكستان هو الأخذ بالوسائل العلمية الحديثة لزيادة الانتاج الزراعى والصناعى ، أما منع الحمل أو تحديد النسل فهما بمثابة الاعتراف بالهزيمة أمام تلك المشكلة ، فالمنع والتحديد يعنيان اليأس من مواهب الانسان ، واستعداداته العلمية والعملية ، وقطع الأمل من زيادة انتاجه ومخيطاته ، والنظر بعين الشك الى وسائل الانتاج رغم قدرتها على تلبية حاجيات البشر ، وذلك هو الانتحار ، فليس من التعقل اذا كان ثوب المرء قصيراً لا يستر كل أعضائه أن يقلم أطرافه ، بل يئذل الجهد فى تحقيق زيادة حجم الثوب حتى يتناسب مع متطلبات جسده .

والحل الاسلامي الأمثل هو توحيد العالم الاسلامي في وحدة سياسية ، تسهم كل ولاية بما عندها ، فالولايات ذات الكثافة السكانية تمد يد العون بالطاقات البشرية ، والولايات الغنية تسهم في المشروعات الانمائية في الجزء الفقير الصالح للاستثمار ، والولايات الزراعية تقدم الغذاء وتأخذ ما هي في حاجة اليه . وهكذا نحفظ ثروات المسلمين ، ونوجد المصرف الصحيح لزيادة السكان ، فتعمر تلك البلايين من الكليومترات بالحرث والنسل ، وتخف كثافة السكان عن الأماكن التي تكتظ بالبشر في أرجاء الوطن الاسلامي الكبير ، ولعل ما يمكن تحقيقه تجاه هذه الوحدة هو ربط بلدان العالم الاسلامي في وحدة فيدرالية ، تشتغل كل ولاية في شئونها الداخلية وتنضم جميعا في القضايا العامة المشتركة .

ومتى تحقق لنا شيء من ذلك سيشهد العالم الاسلامي نهضة شاملة من المحيط الى المحيط ومن ثم تبدأ سيطرة الرجل الأبيض في التقلص والانعصار ، وينتهي نهب الثروات باسم المواد الخام ، ويظهر في ذريتنا المخترعون والمبتكرون ، فيزول الفقر ، ويزاد حاجة العالم الاسلامي الى النسل ، وتختفى الأصوات والتشريعات المصادمة للفطرة ، وذلك ما يخافه كل أوربي لكى لا تتدنى معيشته المترفة ، ويضطر للعودة الى بلاده التي لا تفي بمتطلبات حياته الضرورية ، فيظل يسعى بكل ما أوتي من مكر ودهاء في الابقاء على الوضع الحالي الممزق ، وایجاد عوامل تمده بعنصر الديمومة ، كتقديم أرقام توهم البله أن الأرض ستضيق بالسكان ، ولن يجد انسان المستقبل موضع قدم على ظهرها ، مالم تتبع طريقة تحديد النسل .

والحقيقة المرة أن دعاية التحديد الفرمية نجدها في العالم الاسلامي بين المسلمين وعلي العكس من ذلك نجد تشجيع الانجاب واعطاء منحة عند كل ولادة بين المسيحيين ، وفي الدول المسيحية ، وحسم المسألة أن التحديد بغض النظر عن يتعاطا ويدعو اليه لا يتفق مع متطلبات الحياة لشعب مستقل فضلا عن أمة يدعو دينها الى ادخال البشرية كلها في دين التوحيد

القوامة : =====

ومما له صلة بالقضايا الاجتماعية مسألة القوامة ، فقد عرف البشر منذ فجر التاريخ أن الحياة الاجتماعية لا بد فيها من رئيس مسئول والافسد التجمعات السكانية وأصبحت الحياة تمزقا وفوضى ، ومن ثم تعود الخسارة على الجميع ، فاقترضت الحاجة أن يكون هناك مسئول تسند اليه الادارة العامة للشركة المحدودة القائمة بين الرجل والمرأة أو الموسعة بين الجماعات والشموب وأن يتولى ذلك القيم الاشراف على ما تثمر تلك الشركات من نسل وذرية أو الانتاج والتوزيع أو الكسب والانفاق لحفظ المصالح وإيقاف المعتدى عند حدوده .

والفروض المتصورة أمام طالب الحل لهذه المعضلة ثلاثة : اما أن يكون الرجل هو الرئيس أو تكون المرأة هي الرئيسة أو يشتركا معا في الرئاسة ، والفرض الأخير مستبعد لأن التجارب أثبتت أن وجود رئيسين للعمل الواحد أقرب الى الفساد منه الى الاصلاح : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون " . (١)

والفرضان الأولان يحيلان الى التساؤل : أى النوعين أجدر بوظيفة المسئولية ، وما فيها من تبعات الفكر أو العاطفة ؟ إن كان الجواب بالفكر انحلت العقيدة ، فالذكر بطبيعته المفكرة لا المنفعلة أصلح من الانثى فى تولي القوامة : " الرجال قوامون على النساء " (٢) والادارة الناجحة هي التي تقابل المسئولية بالمشورة والتفاهم فلا يستبد الفرد بمصالح الأمة ، ولا الرجل بمصالح البيت والمنزل .

وحين أغفى الاسلام المرأة من هذه المسئولية راعى حالتها النفسية ورسالتها الاجتماعية فاذا استشرفت الى السيادة فى أول عهد ها بالزواج ، لعدم وجود من يشغل وقت فراغها من الأولاد ، فإنها سرعان ما تحس بضيق الوقت وأعباء الجسم والأعصاب بعد الانجاب ، وكلما ثقل حمل التربية ضاق رصيدها من ذلك الاستشراق ، فالحكيم من يرفع عنها عبء المسئوليات التي لا تتفق مع طبيعتها ، تلك ميزة الاسلام ان لم يكلفها —

(١) المؤمنون آية : ٩١ .

(٢) النساء آية : ٣٤ .

(١) الأعمال الا ما تطيق أدائه : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها "

دية المرأة : =====

ودية المرأة وثيقة الصلة بقضاياها الجدلية ، اذ نظر اليها أعداء الدين فوجدوا فيها مغمزا لاثارة المرأة ، لعدم تساوى ديتها شرعا بالرجل فى القتل الخطأ ، فاعتبروا ذلك اهانة لانسانيتها وآخر ما اطلعت عليه فى هذه القضية الجدلية ما ورد فى كتاب " فقه القرآن " ان اجماع الصحابة على تنصيف دية المرأة لا نسلم به ، لأنه لم يثبت ان الصحابة كلهم اجتمعوا فى مكان ما واتفقوا على التنصيف ، اذن نعود الى حكم القرآن العام ، فمن قتل مؤمنا خطأ اعتق رقبة ودفع دية كاملة الى أهل المقتول وهو عام يشمل الذكور والاناث فلا يصح تقييده بالرواية أو الاجماع السكوتى لمخالفتها حكم القرآن .^(٢)

وهذه الشبهة لا يرددها الا من جهل حكمة التشريع الاسلامى ، فحين تقتل المرأة عمدا يقتص من القاتل اذا لم يقبل ورثتها حلا سواء ، والقصاص متساو من انسان لانسان من رجل لامرأة لتساويهما فى الانسانية ، ولكن دية القتل الخطأ أوثق صلة بجبر الضرر الذى يصيب الأسرة من الانسانية العامة المشتركة بين النوعين ، والتعويض المالى يجب أن يراعى فيه الخسارة المالية قلة وكثرة عند العقلاء ، فهل خسارة الأسرة بعائلها الرجل كخسارتها بالمرأة ؟ . . .

فالأطفال الذين أصبحوا مثار عطف ليتيمهم ، والابوان العاجزان اللذان فقدوا فلذه كبدهم ، والزوجة التى ترملت بعد مقتل بعلمها خطأ ٠٠٠ كل هؤلاء ، فقدوا معيلهم الذى كان يسمى فى سبيل اعاشتهم ويبذل الجهد لكسب قوتهم ، فهل يتساوى فقد هذا المعيل بفقد الام أو الزوجة أو الهنت ٠٠٠ ؟ بل قتل الانثى قلما يؤثر الا فى الناحية المعنوية ولا يقوم المال مقامها ، فالدية اذن ليست تقديرا لقيمة الانسانية فى المقتول ، وانما هى تعويض لقيمة الخسارة المالية التى نزلت بالأسرة عند فقدان ذلك الفرد ، وذلك هو سر التفرقة بين دية الرجل ودية المرأة فى القتل الخطأ .

ارث المرأة :

ويمثل الدية الارث ، وما تحصل عليه المرأة من الأموال بعد وفاة أحد مورثيها ، ويزعم أعداء الفطرة أن الاسلام بتقميده قاعدة " للذكر مثل حظ الأنثيين " (١) في التركة ظلم المرأة ، وانتقص انسانيتهما حيث عدل نصيب امرأتين بنصيب رجل واحد .

تلك نعمة ترددتها الجمعيات النسائية ، وكل من يريد من المسلمة أن تقفوا أثر الغربية في الشر ، ونظرة مجردة من الميل والهوى تأخذ بيدك الى حقيقة حكم الاسلام ، واتساقه مع ما كلف الرجل والمرأة من الواجبات ، فالرجل مكلف بالانفاق زوجا أو أبا أو ابنا أو أخا أو . . . أو . . . ، لأن كل العصبة الذكور مكلفون في ظل النظام الاسلامي بالانفاق على المرأة ، على قاعدة " الأقرب فالأقرب " بينما هي لم تكلف بشئ من ذلك ، مالم تكن هي العائل الوحيد لاسرتها وتلك حالة نادرة الحدوث في امة أساسها التعاون ، أهف الى ذلك ما فرض لها الاسلام من المهر ونفقة العدة بعد فسخ عرى الزوجية .

فالمسألة مسألة حساب ، أساسها أسس اجتماعية ، والتزامات اقتصادية لا تتصل بانسانية المرأة ومعدنها بشئ . فحين ترث ثلث الثروة لتنفقها على نفسها وزينتها ، ويأخذ الرجل ثلثي الثروة ليصرفها عليها وعلى أولاده ، وعلى كل انثى يعتبر هو أقرب عاصب لها ، فايهما يصيب أكثر من الآخر بمنطق الأرقام والحساب والغريب حقا أن يأتي الهجوم على عدل تشريع عرفته البشرية حتى اليوم ، من أمة كان وضع المرأة في مجتمعها قبل قرن فقط لا يعد و وضع المتاع : تنتسب الى من يتزوجها ، ولا تقع عليها المسؤولية اثباتا أو نفيا . . . ، ويشير السيد أحمد خان الى تلك المكانة المزرية للمرأة الانجليزية فيقول : " تفقد المرأة الانجليزية بموجب قانون انجلترا شخصيتها ، وتصبح مكملة لاسم زوجها ، ولا تستقل بالمسؤولية في كل توقيعاتها التي وقعت عليها من غير رضى الزوج ، وكل ما كانت تملكه قبل الزواج يصبح ملكا

(١) النساء آية : ١١ .

للزواج بعده . . .

" وإن وضعها شبيه بوضع فاقد العقل ، فلا يصح منها أن تكون مدعية ، أو مدعى عليها ، ولا تملك الانفاق على نفسها إلا فيما يخص الطعام واللباس والسكن ، وما عدا هذا الأمور الثلاثة فلا يصح لها الانفاق على شيء إلا بإذن الزوج " (١)

ولكن انظر الى الاسلام الذى راعى حقوقها سواء كانت موروثه أو مكتسبة ، ففي الموروثة فرض لها حق الارث وهى فى بطن أمها نطفة ، وفى المكتسبة شرع المساواة بين الجهد والجزاء ، سواء كان جهد رجل أو جهد امرأة .

ثم لا يطرد تصنيف الارث فى جميع الحالات ، بل من الحالات ما تتساوى فيه الانثى بالذكر ، كمن مات عن أب وام وأولاد ، فنصيب الام من هذه التركة كنصيب الأب ، ومثل الأم الأخوة لأم ، فإن المنفردة منهن تأخذ السدس كما يأخذ أخوها اذا انفرد ، والأمير كله فى توريث الانثى مع الذكر يدور حول التوازن بين الحقوق والواجبات على قاعدة " الغنم بالغرم " وما دامت المرأة لم تكلف بشيء من الانفاق كان من العدالة أن يكون نصيبها أقل من نصيب الرجل .

سفر المرأة بدون محرم :
=====

والطلب الأخير الذى رغبت فيه المسلمة الهندية ، وألحت على واضع التشريع تنفيذه هو أن ينسخوا كل قيد يحكم تصرفها فى السفر ، فيجب طى شرط وجود المحرم . بل يطلق لها العنان فى الترحال والرواح دون محرم يرافقها ويحافظ على كرامتها (٢) والمتنقيات من النساء لا يبالين بقيد الشرع ، ولا سيما اللواتى يعملن من أجل زيادة الدخل ، وقد يكون لتكاليف السفر الباهظة - ما لو سافر معها محرمها - وكثرة

(١) مقالات سرسيد أحمد خان ج ١٩٤/٥

(٢) انظر تفاصيل الطلب المقدم من النساء الهنديات الى لجنة التقنين فى مجلة صندوق

جديد عدد ١٩٦٩/٥/١٩ م .

المسافرين ، وتربط أجزاء العالم بعضها ببعض دخل في تعدى المسلمة على شرط وجود محرم معها في السفر : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم واحد ليس لها ذو محرم " (١)

شرب المسكرات : =====

ولعل المشاركة الاجتماعية المنحرفة الأخيرة من الانشئ للذكر أتت في تتبعها ردائه وانحرافاته في شرب المسكرات ، وتعاطى ما يزيل أو يخدر التفكير ، وعم البلاء حين فتح النبع النتن على شعب الهند وسلط هذا الداء الفتاك عليه تسليطا ، فقد ابتدأ الانجليز بصنعه وشربه علنا لأنفسهم أول الأمر ، ثم لم يمض وقت طويل حتى شاركهم الشعب في تعاطى المسكرات ، وأخذ يتمود على أن يشرب في وضع النهار ما كان يتحاشى أخذه للعلاج ويصف الداعية أبو الحسن الندوى وضع مدينة كلكتة وما كانت تخص بـ أسواقها من المواد السالبة للعقل عند نزول السيد أحمد الشهيد بها لأداء فريضة الحج فيقول " وأثرت هذه المواعظ اليومية والمجالس الدينية في حياة البلد . . . فتأبوا من تعاطى الخمر والمسكرات . . . وكسد سوق بيع الخمر . . . ومشى أصحاب الحانات وتجارة الخمر الى الحكم الانجليز وقالوا لم نتأخر عن دفع ضريبة الخمر ، ولكن حاناتنا أقفرت منذ نزول السيد في كلكتة . . . وأثر ذلك في تجارتنا . . . وأمر الحكم بالبحث في القضية وعن مدى صدق هؤلاء الخمارين فيما قالوا فتحقق أنه صحيح وأنهم لا يستطيعون ان يدفعوا الضرائب الحكومية ما دام هذا الحال . . . وقرر الانجليز أن يفهمهم عن الضرائب الى أن يفادر السيد وأصحابه المدينة " . (٢)

وما دام هدف الاستعمار جمع المادة والاثراء فلن يتورع عن فرض ما يراه يخدم ذلك الهدف ولا يهمه بعد ذلك رضا الناس أو سخطهم ، فحين منعت الصين دخول الأفيون

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب المناسك باب المرأة تحج بغير ولي ج ٩٦٨/٢ وحددت المسيرة في رواية أخرى بثلاثة أيام انظر سنن ابن ماجه ج ٩٦٨/٢ وسنن الدارمي ج ٢٨٩/٢ ورواية البخاري حددت المسيرة بيومين / انظر فتح الباري ج ٧٠/٣

(٢) اذا هبت ريح الايمان ص ٤٦.

الى أراضيها عام ١٨٣٩م هبت انجلترا لمحاربتها - وعرفت هذه الحرب باسم حرب الأفيون - دافعا عن حرية التجارة وتصريف المنتجات الانجليزية المصنعة وغير المصنعة من الحشيش والأفيون وأسفرت هذه الحرب عن معاهدة نانكين عام ١٨٤٢م الستى أرغمت الصين على التنازل عن جزيرة هونغ كونغ وتسهيل طرق التهريب أكثر من ذي قبل (١) ويبدو أن صناعة المخدرات في الهند لم تتقهقر قيد انملة طوال عهد الاستعمار، ولعل أسوأ سنة حالكة أصابت الهند بالجفاف والنوازل السماوية حلت عام ١٨٦١م ويذكر التقرير السنوي للدولة " أن دخل المسكرات والأفيون قد خف عن العام المنصرم وسبب ذلك أن الناس اصابوا بالجفاف والجوائح السماوية فضاقت ذات اليد عندهم غير أننا عمرنا عشرة أفران جديدة لصناعة الأشرية الكحولية " (٢)

ولو ألقيت نظرة على الأرقام التي نشرت عن المسكرات عن مقاطعة البنجاب وحدها لأخذتك الدهشة إذ خصص ١٠٧٣٠ فداناً من الأرض لزراعة الحشيش والأفيون ومنحت الدولة لهذه المقاطعة ٣٩٢ رخصة رسمية لبيع المسكرات وقبضت على ٣١٥ فرداً يتعاملون فيها دون إذن رسمي وأدين من هؤلاء ٣٠٣ بالفرامة والسجن (٣) فان كان هذا وضع مقاطعة دخلت في السيطرة الاستعمارية عام ١٨٤٩م وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٠% فكيف يكون وضع مقاطعات دخلها الاستعمار قبل استشهاد دتيو سلطان أو بعده بهضع سنين ولا تعدو نسبة المسلمين فيها ٢٠% من مجموع السكان .

ويوضح جدول الدخل الهندي الى الخزنة البريطانية من مستعمراتهم الهند (المصفور الذهبي) أن إيراد الأفيون والمواد السالبة للعقل يأتي في المرتبة الثالثة، ويسبقه إيراد الخراج والملح ، وقدر المبلغ المكتسب من المخدرات بمائة وثلاثين مليوناً في السنة . (٤)

وجرت أول محاولة لمنع الناس عن شرب المسكرات في ضاحية سالم

(١) انظر لتفاصيل الحرب والمعاهدة مصطفى خالد وعمر فرخ التبشير والاستعمار في

البلاد العربية ص ١٩٩ .

(٢) رپورت مجموعى بنجاب لعام ١٨٦١ - ١٨٦٢م ص ٤١ .

(٣) رپورت مجموعى عن عام ١٨٦٥ - ١٨٦٦م ص ٨٩ .

(٤) انظر حضارات الهند ص ٦٨٦ .

بمدينة مدراس وأواخر عهد الاستعمار وجمعت صحيفة الفتح ثمار هذا الاجراء في قولها
 "إن النتائج التي أسفر عنه منع المشروبات الروحية ^(١) في ضاحية سالم حسنة جدا
 وإن الجرائم تناقص عددها وإن الاقبال على العمل والاشتغال في المصانع وكثرة الانتاج
 شئ ملموس ، وإن التجربة أنتجت نجاحا عظيما من الوجهتين الأدبية والاجتماعية ، وإن
 أصحاب مزارع نارجيل قد خسروا خسارة جسيمة ، لعدم نقر الناس أشجارها لاستسالة
 الشراب المخصوص المدعو تودي " ^(٢)

الاقتصاد ووسائل الاعلام :

وان نظرت الى الاقتصاد ووسائل الاعلام — من الراديو والتلفاز والصحافة والسينما —
 في شبه القارة بل في العالم الاسلامي أجمع وجدتهما يتبعان الغرب خطوة بخطوة
 أباحوا الربا باسم المنفعة والمصلحة ، وبذلك استحقوا محاربة الله ورسوله :-
 " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا
 فأنذونا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " ^(٣)
 عرضوا مفاتن الجسم البشري أمام الناس ، وأباحوا النظر الى ما حرم الله ، واضطروا
 العفيف الى سماع أصوات محرمة من الغناء والموسيقى ، وهياؤا أماكن الاختلاط واللقاء
 بين الفتيان والفتيات ونشروا قصص الحب والغرام . . . باسم الأدب والفن ، واكتملت
 الحلقة المفسدة للاخلاق بأشرطة الفيديو ، فتجمع حولها أفراد الأسرة ، واشتركوا في
 مشاهدة ما كانوا يتحاشون الحديث عنه ، وما زالت اليد الاسلامية المصلحة بعيدة عن
 الميدان .

تلك أهم القضايا التي تأثرت بالفكر الغربي ، فأنحرفت عن الصواب ، والحق أنه ما من
 قضية لها صلة بالاجتماع والمجتمع الا تجدها متأثرة بالغرب ظاهرا أو خفيا ، ولا يفوتني
 قبل ختام هذا الفصل التنويه بأن من القضايا ما أجلت الحديث عنها كشهادة المرأة الى
 فصل تال عن " أثر الفكر الغربي في مجال النظم التشريعية " لأنها الصق بالموضوع
 هناك من هنا .

(١) التسمية الصحيحة هي المشروبات الكحولية (٢) ج ٧٨٩ / ١٢ عدد ٢٧ شوال ١٣٥٦ هـ .
 (٣) البقرة آية ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

الفصل الرابع

ميسر الفكر الغربى فى مجال النظم التشريعية (ميسر)

ويشتمل على :

- ١ - قضاء المسلمين فى الهند قبل الحكم الانجليزى
- ٢ - اتفاقية بكسر وخيانة شركة الهند الشرقية فى تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء •
- ٣ - بداية التحريف فى القضاء وآثاره الوخيمة •
- ٤ - فتوى السيد رشيد رضا حول القوانين الوضعية •
- ٥ - مناقشة الفتوى فى ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام •
- ٦ - جهود العلماء فى وضع دستور اسلامى لدولة باكستان المسلمة •
- ٧ - قانون العقوبات الباكستانى ومحتوياته •
- ٨ - بادرة خير فى اصلاح القانون •
- ٩ - الجوانب التشريعية الحديثة فى القانون وموقف الشريعة منها •
- ١٠ - نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة •
 - أ - جريمة القتل •
 - ب - جريمة الزنا ومعض هفوات " قانون الحدود " فى عقوبتها •
 - ج - الجرائم المتصلة بالأموال :- السرقة ، الاستحصال بالجبر ، السرقة بالجبر ، النهب ، التعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات ، ومعض هفوات " قانون الحدود " فى عقوبتها •
 - د - جريمة شرب المسكرات •
- ١١ - قانون الاثبات ومعض محتوياته •
- ١٢ - عدد الشهود بين القانون والشريعة لاثبات قضية من القضايا •
- ١٣ - شهادة المرأة بين القانون والشريعة •
- ١٤ - شاهد الملك " " " " •
- ١٥ - الاصلاحات المطلوبة فى القضاء •
 - أ - الغاء حرفة المحاماة ب - الغاء الرسوم القضائية ج - تكوين مجمع علمى قضائى •
 - د - اصلاح التعليم التشريعى فى كليات الحقوق والمدارس الدينية •

ال

الفصل الرابع

قضاء المسلمين في الهند قبل الحكم الانجليزي :

سار المسلمون في تاريخهم الماضي كله من منطلق أن تطبيق الشريعة هو مقتضى كونهم مسلمين ، أى أن مقتضى شهادتهم أنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ومن ثم عاشوا في ظلال عدل الشريعة الربانية ، واشتهر عنهم هذا العدل في الأحكام ، حتى ان الحكومات غير المسلمة في الهند سمحت للمسلمين أن يقيموا على أراضيهامحاكم ، يتقاضى فيها المسلمون بشريعة الله .

ولعل أول حكومة سمحت باقامة مثل تلك المحكمة هي حكومة مليبار " كائنات " في أواخر القرن الثالث من الهجرة ، وقد تولى رئيسها بنفسه تنصيب قاض يفصل في المنازعات بين المسلمين ، ولقبه بـ " هنرمند " (١) أى صاحب الحذق والفراسة ، ثم إن التعمين في الحكومات الاسلامية لم يكن خاصا بالحضر والمدن ، بل تجاوز ذلك الى حياة الترحال والسفر ، وذلك بتخصيص قضاة يصحبون أبطال الفتح ، وجيوش الاسلام المجاهدة . ولم تنحصر أعمالهم في الفصل بين الأفراد ، بل تجاوزت الى الفصل بين الدول ، وإبرام معاهدات الصلح ، وحقن الدماء بين الجيوش المتحاربة ، (٢) وكثيرا ما كلفهم الحكام المسلمون بأعمال غير قضائية ، لملأ فراغهم الذي خلفه خلوا الساحة الاسلامية من النزاع وترفع الناس عن الخصام .

وظل النظام القضائي الشرعى في حكومات الهند المتعاقبة سارى المفعول ، يحقق العدالة ، ويفصل بين المتخاصمين في ضوء شريعة الله ، وراه الهندود في أتم صوره ، وأبهى محله ، في عهد الملك أورنگ زيب رحمه الله ان كانت العدالة تطرق أبواب العباد قبل أن يطرقوا بابها ، فقد تم تعيين القضاة والمفتين في كل صقع وريف ، وبلغ من حرصه رحمه الله على تحقيق العدل بين رعاياه أن أصدر أوامره لقضاته بالجلوس في المحاكم خمسة أيام بسد لا

(١) انظر مسعود عالم مجلة الفتح ج ١٠ / ٦٨ .

(٢) " تاريخ ابن خلدون ج ٤ / ٨٥٣ .

من يومين في الأسبوع على العرف السابق ، وذلك للاسراع في الفصل بين المتنازعين ، ودراسة قضاياهم بأقصى سرعة ممكنة . (١)

وليس غريبا أن يقع انحراف عن الشريعة في بعض الجزئيات ، لا سيما في تعيين عقوبة الماصين والخارجين على سلطة الدولة ، ولكن من الافتراء غلط الحق أن يوصف قضاء المسلمين برمته بأن ملوكهم تدخلوا بحكم منصبهم السلطاني في تشديد العقوبة أو تخفيفها ، ولم يقفوا عند حدود الشرع وما أمر الله به من العقوبات المحددة . (٢)

ولن يعدم الحق أنصارا يقولون أن المسلمين ما أقاموا دولة خلال القرون الاثني عشر الماضية قبل الاستعمار - الا كانت تستظل بظل الشريعة رغم ما حدث من مخالفات جزئية في سياسة الحكم أو سياسة المال ، وذلك ظل نطاق التشريع الاسلامي يتسع باجتهادات الفقهاء في كل قطر من أقطار العالم الاسلامي حسب حاجة البلاد والعباد ، وما توقف نشاط الفقه لحظة حتى احتل الغرب بلادهم في أوائل القرن التاسع عشر ، وان التشريع الجنائي والمدني الاسلاميين ظلا نافذين ، طوال مدة حكم المسلمين في الهند ، وضعة عقود من أوائل حكم الانجليز . (٣)

اتفاقية بكسر وخيانة الشركة في تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء :
=====

وحين وقع الامبراطور شاه عالم اتفاقية بكسر " Baxar " نتيجة الهزائم الحربية المتتالية أواخر عام ١٧٦٤م ، تكفل له الانجليز بدفع مرتب يوازي ٢,٦٠,٠٠٠ روبية من دخل البنغال ، وتنازل الامبراطور لهم مقابل ذلك باصدار فرمان يخول شركة الهند الشرقية ادارة كل من كره " Karrah " واله آباد والبنغال وميهار وأوريسه . وجمع الخراج منها والأشراف على القضاء المدني فيها ، (٤) ونجد هنتر شاهد العيان يبيط اللثام عن حقيقة وضع الشركة

(١) انظر تاريخ المسلمين ج ٢ / ٢٤٦ .

(٢) انظر الاستاذ محمد عبد الحفيظ الصديقي ، برصخيرباك وهندمين اسلامي نظام عدل كستري (نظام القضاء الاسلامي في الهند) ص ٢١٧ ، وتاريخ العالم ج ٥ / ٦١٧ - ٦١٩ .

(٣) انظر أبا الأعلى المودوي نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ص ١٧٨ .

(٤) انظر نشأة باكستان ص ٣٢ .

القضائي وسلطتها الفعلية على الهنود الاياة فيقول : " عندما استولت الشركة في أول أمرها تركوا الأمور تسير وفق شرع الاسلام فميناوا القضاة والمفتين ، ولم تكن تنفيذ أمرا الا باسم ملك المسلمين . حتى بعد فشل الثورة الاسلامية والقضاء عليها — ١٨٥٧م — ولم تستطع الشركة تنفيذ شيء الا بدعوى أنها نائبة عن الملك ، أضف الى ذلك — والحق يقال — أننا عندما أسرنا الملك بتخصيص مرتب له كل شهر لم نستطع أن ننفذ أمرا — لشدة الضغط الشعبي — الا باسمه " (١)

ونصت الاتفاقية على حد اعتراف الانجليز على أن تسير الأمور والأنظمة وفق التشريع المعمول به قبل ابرام الاتفاقية ، وأن الشرع الاسلامي سيبقى ساري المفعول في المناطق التي خولت الشركة ادارتها (٢) غير أن حبر المعاهدة لم يكده يجف حتى أخذ كلاتور رئيس الشركة يتصرف في الأمور بما يحقق المردود المالي الوفير ، ففي عام ١٧٦٩م فصل كلاتو محاكم الجنايات عن محاكم الأموال وصار من اختصاص الأخيرة جباية أموال الشركة ، وجمع مستحقاتها ، ومحاكمة من يمتنع عن اداء حقوقها كما منع رئيسها لقب " نواب " مخولا ادارته الجديدة حق نقض الأحكام الصادرة من محكمة الجنايات إن رأت في ذلك مصلحة ، كما حول تعيين القضاة والمفتين من الملك الى النواب (٣) ، ثم أصبح المتحاكمون في أراضى الشركة يدفعون ضريبة معينة لكل قضية يطلبون فيها الفصل من القضاء ، وذلك أصبحت المحاكم بابا من أبواب جلب الأرباح للشركة . (٤)

بداية التحريف في القضاء وإثارة الوخيمة :

ويعود بداية التحريف في القضاء الاسلامي علنا على الأيدي الانجليزية الى عام ١٧٧٢م ، حين اسند منصب رئيس القضاة الى ملك انجلترا ، وبدأ التشريع الوضعي يأخذ طريقة الساحة القضاء ، وتدخل الملك بمنصبه فأول نصوص اتفاقية بكسر بأن الاحتكام الى الشريعة سيبقى خاصا بالمسلمين ، وذلك اذا كان المتخاصمان مسلمين ، ويكون " دهرم شاسترا " — كتاب

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ٢٠٢ .

(٢) انظر همار هندوستانى ص ٢٣٧ .

(٣) انظر سيد أمير شاه كستوتشن آف لا " تاريخ القانون " ص ٢١ .

(٤) انظر طفيل أحمد منكورى مسلمانون كاروشن مستقبل ص ٩٧ .

الهند ومن المقدس - قانون الفصل اذا كان المتخاصمان هندوسيين ، وإن اختلف الطرفان في الديانة سيكون القضاء وفق ما يعتنقه المدعى عليه من الديانة (١)

وظل المشرع الانجليزى يهدف الى جمع المال فى كل تشريع يقدمه الى شعب الهند ، ففي عام ١٧٩٠م ألغى الحاكم العام حق الورثة فى المعفو عن القاتل ، ومنع الورثة من أخذ الدية لقتيلهم ، وحول تلك الحقوق الى الشركة بعد أن أوقف العمل بالتشريع الاسلامى فى الجنايات بحجة أنه قاس فى العقوبة (٢) ، وذلك أصبحت الشركة هى صاحبة الدعوى حقيقة فى جميع هذه الجرائم ، تحبذ تغريم المجرمين بالمال أكثر من انزال العقوبة الرادعة تحقيقا للمصالح الاستعمارية ، وأول ثغرة مكشوفة أحس المسلمون الهنود بخطرها ازاء القضاء تمثلت بإلغاء اللغة الفارسية - لغة القضاء والحكم طوال عهد الحكومات المسلمة بالهند - من منصة القضاء عام ١٨٣٤م . واتخذت الاجراءات العديدة لخنقها - كما مر معنا فى فصل التعليم - حتى أضحت تعلمها عبثا على حساب لغة العيش ، والعمل فى الادارات الجديدة ، وحاول المسلمون الخلاص من الوضع المتأزم بالحركة التحررية الفاشلة ، وخرجت النتيجة بعد بضع سنين على تعبير هنتر فى الصورة التالية " ألغينا الاعفاءات التى منحتها الدولة المسلمة لرعاياها ، وفرضنا الضرائب وأنفقناها على بناء الكنائس ، وصرف المرتبات لدعاة التنصير وأبدلنا أمراء المناطق الانجليز بالمسلمين ونحينا بأمر تشريعى جميع القضاة المسلمين ، وألزمنا القضاء بلغة الحكام ، وأوقفنا العمل بالقوانين الاسلامية وفرضنا على الناس وضع طوابع على كل قضية تقدم للقضاء فى جميع أرجاء الهند وحكم قضائنا بالزام المدينين دفع الفوائد المستحقة (الربا) على الدين الذى لم يسدد فى حينه " (٣)

والمتتبع لحركة التطور التشريعى الوضعى لا يخفى عليه أن الانجليز ظلوا يهيئون مواد البناء وينقضون التشريع الاسلامى عروة عروة بدءا من القرن تقريبا ، اذ وضع حجر الأساس للقوانين الوضعية بتحديد مجال تطبيق الشريعة الاسلامية ، وبعد قرن انهال المشرعون الانجليز يغمرون الشعب

(١) انظر كشتوتشن آف لا ص ١٧٧٢ وأصول شرع اسلام ص ٤ .

(٢) " " " " ص ٤٥ .

(٣) همارس هندوستانى ص ١٩٠ ، وانظر للتفصيل حول ما أقدمت عليه الدولة فى هذه الفترة مقالات كارسان ج ٧١/١ .

بتشريعاتهم الوضعية منذ بداية العقد السابع من القرن التاسع عشر ، على حد مثلهم السائر بطىء ولكنه أكيد المفعول ، وفى خلال بضع وثلاثين سنة من القرن الماضى ، وضعت جل — التشريعات البشرية ، وسرعان ما ظهرت الهفوات فى تلك القوانين ، وأخذ الغربس الوضعى يعطى الثمار الطبيعية حسب سنن الله الكونية التى لا تحيد عن مسارها. فكشفت تقارير الشرطة " أن القضايا الكاذبة المقدمة الى المحاكم للفصل أكثر من القضايا الصادقة ، وأن أهل البنغال اخترعوا طرقا يكسون بها قضاياهم الكاذبة ثوب الصحة والصدق حتى وصلت الى درجة الحقيقة الثابتة ، وكادت أن تضاهى نتائج العلوم التجريبية " (١)

ويقول جارس ميتكاف أحد شهود العيان الذى مكث فى الهند بضعاً وثلاثين سنة من القرن التاسع عشر ، وشاهد عن قرب تلاعب الخصوم على العدالة " إن محاكمنا القضائية ملجأة للفساد وإن القاضى تنسج حوله المؤامرات على كرسى الحكم ، وإن كل شخص يحاول أن يخدعه ، وإن المحامين لا يقيمون للصدق وزناً " (٢)

وما نرى فى التشريعات الوضعية الانجليزية من موافقة للشريعة الاسلامية فهى مما أمد به المسلمون المشرعين الغربين بلغتهم الانجليزية ، كالسيد أمير على وكتابه جامع الأحكام فى المعاملات فى الفقه الحنفى والشيعى ، ومحمد بن عبدالله وكتابه " وقار الاسلام فى تبیین الأحكام " والسيد محمود بن أحمد الدهلوى ومؤلفاته فى الطلاق والشفعة والشهادة ، ومحمد حسين نور وكتابه " شرع محمدى " وولسن المسلم الانجليزى وكتابه " القانون المحمدى الانجليزى " ومجيب الله بن احسان الله الانصارى وكتابه " الوقف على الأولاد " " والافادة فى باب الشهادة " والسيد كرامت حسين وكتابه " الهبة " وتلك بعض المصادر التى اسعفت القانون الوضعى فى بعض تشريعاته فيما يخص الحياة الاسلامية (٣) ، وكثيرا ما كان يعلن فى الصحف عن جوائز مغرية لتأليف كتاب باللغة الانجليزية فى باب من أبواب التشريع ، ولا تمضى فترة حتى تقتبس أفكار

(١) همار هندوستانى مسلمان ص ١٥٥ .

(٢) نقلا عن بيندل مون هندوستان مين اجنبى راج (حكم الأجانب فى الهند) ص ٧١ .

(٣) انظر عبدالحى الحسنى الثقافة الاسلامية فى الهند ص ١٢٢ .

المؤلفات أو تنقل حرفيا وتصب في قوالب تشريعية ، وذلك في الأمور التي حرص الانجليز على ايقائها في حياة المسلمين خوفا من الصدام والصراع معهم .

فتوى السيد رشيد رضا حول القوانين الوضعية :

وما أن أخذ القانون الوضعي يحل مكان الشريعة حتى تساءل المسلمون عن حكم التحاكم اليه وتنفيذ المسلم له بصفته قاضيا من قضاته ، وتطلعت الأنظار الى بلد الأزهر لمكانته العلمية فاستفتى مفتي بنجاب نور الدين الشيخ محمد عبده ، فأحال الشيخ الاستفتاء الى السيد رشيد رضا لوحدة مشريهما ازاء مثل تلك القضايا فأجاب السيد بقوله : " ان هذا السؤال يتضمن مسائل من أكبر مشكلات هذا العصر كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم وحكم الحاكمين بها والفرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيها .

" واننا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين يعتقدون أن قضاة المحاكم الأهلية الذين يحكمون بالقانون كفار اخذا بظاهر قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (١) ويستلزم الحكم بتكفير القاضى الحاكم بالقانون تكفير الأمراء والسايطين الواضعين للقانون فإنهم وإن لم يكونوا ألفوها بمعارفهم فإنها وضعت باذنهم ، وهم الذين يولون الحكام ليحكموا بها ويقول الحاكم من هؤلاء احكم باسم الأمير فلان لأننى نائب عنه باذنه ويطلقون على الأمير لفظ " الشارع " أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين ، بل لم يقل به أحد قط فان ظاهرها يتناول من لم يحكم بما أنزل الله مطلقا سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا ، وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصى ومنها الحكم بغير ما أنزل الله " واختلف أهل السنة فى الآية فذهب بعضهم الى أنها خاصة باليهود وذهب بعضهم الى أن الآية الأولى التى فيها الحكم بالكفر للمسلمين ، والثانية التى فيها الحكم بالظلم لليهود والثالثة التى فيها الحكم بالفسق للنصارى وهو ظاهر السياق ، وذهب آخرون الى العموم فيها كلها ويؤيده قول حذيفة لمن قال أنها كلها فى بنى اسرائيل وأول هذا الفريق الآية بتأويلين فذهب بعضهم الى أن الكفر هنا ورد بمعناه اللغوى للتخليط لا بمعناه الشرعى الذى هو الخروج من الملة "

الشيخ رشيد

وذهب بعضهم أن الكفر مشروط بشرط معروف من القواعد العامة وهو :

أن من لم يحكم بما أنزل الله منكرا له أو راغبا عنه لا اعتقاده بأنه ظلم مع علمه بأنه حكم الله أو نحوه ذلك مما لا يجامع الايمان والاذعان ، ولعمري أن الشبهة في الامراء الواضعين للقوانين أشد والجواب عنهم أعسر ، وهذا التأويل في حقهم لا يظهر ، وإن العقل ليعسر عليه أن يتصور أن مؤمنا مدعنا لدين الله يعتقد أن كتابه يفرض عليه حكما ثم هو يغيره باختياره ويستبدل به حكما آخر بإرادته ، اعراضا عنه وتفضيلا لغيره عليه ، ويعتمد مع ذلك بايمانه واسالمة . . .

" وإن الأحكام المنزلة من الله تعالى منها ما يتعلق بالدين نفسه ، كأحكام العبادات وما في معناها ، كالنكاح والطلاق ، وهى لا تحل مخالفتها بحال ، ومنها ما يتعلق بأمر الدنيا كالعقوبات والحدود والمعاملات المدنية ، والمنزل من الله تعالى في هذه قليل وأكثرها موكل الى الاجتهاد وأهم المنزل وأكد ، الحدود في العقوبات ، وسائر العقوبات تعزير مفوض الى اجتهاد الحاكم ، والربا في الأحكام المدنية ، وقد ورد في السنة النهى عن اقامة الحدود في أرض العدو وأجاز بعض الأئمة الربا فيها بل مذهب أبى حنيفة أن جميع القيود ^{العقود} الفاسدة جائزة في دار الحرب . . .

" فعلم ما تقدم أن الأحكام القضائية التى أنزلها الله تعالى قليلة جدا وقد علمت ما قيل في اقامتها في دار الحرب لا سيما عند الحنفية ، فاذا كانت الحدود لا تقام هناك فقد عادت أحكام العقوبات كلها الى التعزير الذى يفوض الى اجتهاد الحاكم ، والأحكام المدنية أولى بذلك لأنها اجتهادية أيضا ، والنصوص القطعية فيها عن الشارع قليلة جدا . وإذا رجعت الأحكام هناك الى الرأى والاجتهاد في تحرى العدل والمصلحة ، وأجزنا للمسلم أن يكون حاكما عند الحربى في بلاده لأجل مصلحة المسلمين ، فالذى يظهر أنه لا بأس من الحكم بقانونه لأجل منفعة المسلمين ومصلحتهم .

وجملة القول أن دار الحرب ليست محلا لاقامة أحكام الاسلام ، ولذلك تجب الهجرة منها الا لعذر أو مصلحة للمسلمين يؤمن معها من الفتنة في الدين وعلى من أقام أن يخدم المسلمين بقدر طاقته ويقوى أحكام الاسلام بقدر استطاعته ولا وسيلة لتقوية نفوذ الاسلام وحفظ مصلحة المسلمين مثل تقلد أعمال الحكومة لا سيما اذا كانت الحكومة متساهلة قريبة من العدل بين جميع الأمم والملل كالحكومة الانجليزية . والمعروف أن قوانين هذه الدولة أقرب الى الشريعة الاسلامية من غيرها لأنها تفوض أكثر الأمور الى اجتهاد القضاة فمن كان أهلا للقضاء في الاسلام وتولى القضاء في الهند بصحة قصد وحسن نية يتيسر له أن يخدم المسلمين

خدمة جليلة • وظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والفيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثما من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم في دينهم ودنياهم وما نكتب المسلمون في الهند ونحوها وتأخروا عن الوشيين الا بسبب الحرمان من أغلال الحكومة (١)

مناقشة الفتوى في ضوء مصادر الاسلام وأقوال علماءه :
=====

لا يخفى ما في الفتوى من تمويه وخلط ، والمسألة في صورتها التفصيلية كالآتي :-

١ - التشريع من خصائص الألوهية ، ووضع قوانين تحل محل تشريعات الاسلام يخرج المرء من الاسلام ، وينطبق عليه قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (١) فلا يتحقق اسلام المرء حتى يعطى حق التشريع لله عز وجل ، وقد تحدث القرآن عن هذا الجانب من الألوهية بتفصيل ، لا لبس فيه ، وأمر البشر أن يفوضوا أمر التشريع الى خالق الكون عز وجل ، وعد من يعطى حق التشريع بغير ما أنزل الله الى بنى آدم مشركا مع الله في عبادته وألوهيته — " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء " (٢) " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " (٣) " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباءنا ولا حرمنا من دونه من شيء " (٤) " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعموهم انكم لمشركون " (٥) فالآيات تنص على أن التشريع من خصائص الألوهية • واختصاصه بذات الله كاختصاص الخلق ويجاد الكائنات به عز وجل ، لأن التشريع حق لمن يخلق ويملك " ألا له الخلق والأمر " (٦) ، والحاكية والملك لله الواحد الأحد ، والانسان خليفته في أرضه " وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة " (٧) .

(١) مجلة المنار ج ٥٧٧/٧ - ٥٨٠ عدد محرم ١٣٢٢ مارس ١٩٠٤ م ، وأعيدت الفتوى في المنار ج ٢٦٢/١٧ - ٢٦٥ عدد ديسمبر ١٩١٣ م .

(٢) المائدة آية : ٤٤ .

(٣) الأنعام : ١٤٨ .

(٤) الشورى ٢١ . (٥) النحل : ٣٥ . (٦) الأنعام : ١٢١ .

(٧) الأعراف آية : ٥٤ . (٨) البقرة آية : ٣٠ .

ومفهوم الحاكمية في الدين السماوي يعنى الاعتراف بأن الأرض وما عليها والسما وما فيها ملك لله ، وتدير شئون تلك الكائنات مختص به عز وجل ، وهو عالم بما يصلحها ومطلع على ما يضرها ، ومن حق العليم بكنه الأشياء الأمر والحكم والتشريع ، فلا مجال للإنسان في دائرة الاسلام الا أن يكون خليفة الله في تنفيذ شريعته ، والخلافة الراشدة لا تتحقق الا ان يكون الخليفة أحد رجلين : رسولا من عند الله أو رجلا يتبع الرسول فيما جاء به من عند الله وينفذه على عباد الله وقضية التشريع بهذا المفهوم من القضايا الواردة في الكتب السماوية جمعا على اختلاف في الشرائع ولكنها أوضح ما تكون في الرسالة السماوية الخاتمة .

وشرك التشريع لا يقل خطورة عن شرك العباد ، فقد ورد أن عدي بن حاتم رضى الله عنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو قوله عز وجل : " اتخذوا أhabارهم وrehبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " (١)

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انا لسنا نعبدهم فقال : " اليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونہ قلت : بلى ، قال فتلك عبادتهم " (٢)
فالمشرع بغير ما أنزل الله في ضوء تفسير النبي صلى الله عليه وسلم اله جعل نفسه من دون الله لا عطائه ذاته حقا من حقوق الألوهية ، وهذا الوضع يأخذ في الناس مكان اله المعبود يستخدم أخص خصائصه . وينتج عن اختصاص التشريع بالله عز وجل في حياة الناس أن مجالس القضاء والحكم لا تخضع في أحكامها للهيئات التنفيذية البشرية ، ولا يرهطها بالسلطات الأرضية الا التنظيم الإداري ، من تولية وعزل ورقابة .

هذا وقد ظل المسلمون في تاريخهم كله يتحاكمون الى شرع الله ، ولا يحيدون عنه اعتقادا منهم بأن هذا هو مقتضى كونهم مسلمين ، ولم يفرض عليهم تشريع مخالف لشرع الله الا مرتين : — أولا هما : في عهد التتار حين غلبوا على بلاد المسلمين ، ولكن المغلوبين لم يخضعوا لتشريعهم وما أرادوا به حكم المسلمين ، وسرعان ما انقشعت الغمة وغلب الاسلام التتار ومزجهم بالمسلمين وادخلهم في لوائه ، فزال أثر التشريع المتغلب بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم .

والمرة الأخرى في عهد الاستعمار الغربي منذ استيلائه على بلاد المسلمين ، وما تزال هذه ممتدة

(١) التوبة آية : ٣١

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٠ / ١١٤

الى اليوم ، وتختلف عن الأولى بانخراط المسلمين فى التشريعات غير الاسلامية لأول مرة فى تاريخهم واندماجهم فى الغزاة والمتغلبين ، ومد يد العون الى التشريعات الواردة تعلمنا وتعلينا وتنفيذا وابتكارا ...

ومن بحث قضية تطبيق شرع غير اسلامى من المسلمين على المسلمين المفسر الحافظ ابن كثير الذى عاصر عهد التتار ، فبين حكم الشرع فى هؤلاء عند قوله عز وجل " أفحكم الجاهلية يبغون ... الآية (١) بقوله " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم ، المشتعل على كل خير ، الناهى عن كل شر ، وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات ، التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضمنونها بأرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذى وضع لهم الياسق (الياسا أو السياسا) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت فى بنيه شرعا متبعا ، يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير " (٢) .

أرأيت الوصف الدقيق للقانون الوضعى من الحافظ المفسر ، كأنه يصف حال المسلمين وقانونهم اليوم فى القرن الخامس عشر الهجرى ، وأما من سبقه من المفسرين والعلماء فقلما قلب أطراف القضية بهذه الوجهة الدقيقة ونظر الى الآية بمنظار نبذ الشريعة كلها ، لأن أبحاث البشر وكتاباتهم تحاط دوما بدائرة ما يقلق مجتمعهم ويشغل بالهم ، ولا وجود لنبذ الشريعة كلها قبل ابن كثير ، لذا اتجهت أبحاث جمهور العلماء الذين سبقوه الى عدول الحاكم عن شرع الله فى جزئية أو جزئيات من الشريعة ، ومتى يكفر من فعل مثل ذلك ، ومتى يكون فاسقا ، وظهرت نتيجة أبحاثهم رحمهم الله فى كون المتصف بهذه الصفات الثلاثة واحدا ، وباعتبارات مختلفة لا تنفك عنه فى حال من الأحوال أو أنهم موصوفون متعددون كل حسب حاله بعد اتفاقهم على أن الحاكم بغير ما أنزل الله لا يكفر الا اذا اعتقد حل تلك الجزئية أو اعتقد أن حكم البشر فيها أفضل من حكم الله ... (٣)

(١) المائدة آية : ٥٠ . (٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٦٧ .

(٢) انظر آراء المفسرين فى هذه القضية أبا بكر الجصاص أحكام القرآن ج ٤ / ٩٣ ، ومحمد ابن أحمد القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ج ٦ / ١٩٠ ، وتفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٦١ ، ومحمد بن علي الشوكاني فتح القدير ج ٢ / ٤٥ ، وأحمد بن محمد الخفاجى حاشية الشهاب ج ٢ / ٢٤٦ ، ومحمود الالوسى روح المعاني ج ٦ / ١٤٦ .

وذلك هو مورد وجهات النظر العلمية .

وعند العودة الى مفردات الآية تجد لفظة " من " الشرطية العامة الشاملة وجملـة
الجواب " فأولئك هم الكافرون " تفيد ان العموم وتنطقان بحكم عام خرج من حدود المالبسة
والزمان والمكان . يعم الفرد والجماعة والحكم الواحد وجميع الأحكام ، فى الحال وفى المستقبل
— فلا يتخلف حكم التفكير عن اتصف بعدم تنفيذ شرع الله أو بعضه يقول شيخ الاسلام ابن تيمية
رحمه الله : " لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن
استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عد لا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر . فإنه ما من أمة
الا وهى تأمر بالحكم بالعدل .

وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون
بعاداتهم التى لم ينزلها الله كسواليف البادية وكانوا الأمراء المطاعين ، ويرون أن هذا هو
الذى ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر فإن كثيرا من الناس أسلموا ولكن لا
يحكمون بالعادات الجارية التى يأمر بها المطاعون ، فهو لا إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم
الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار " . (١)
ويقول العلامة ابن القيم بعد أن فند آراء العلماء فى الآية : " والصحيح ان الحكم بغير ما
أنزل الله يتناول الكافرين ، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم
بما أنزل الله فى هذه الواقعة ، وعدل عنه عصيانا ، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر
وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر ، وإن جهله وأخطأه
فهذا مخطئ له حكم المخطئين " . (٢)

ويعمل سيد قطب ذلك فيقول : " والعلة هى أن الذى لا يحكم بما أنزل الله انما يرفض
الوهمية الله ، فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمة التشريعية ، ومن يحكم بغير ما أنزل
الله يرفض الوهمية الله فى جانب ، ويدعى لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها فى جانب آخر ... ،
وماذا يكون الكفر ان لم يكن هو هذا وذاك ؟ وما قيمة دعوى الايمان أو الاسلام باللسان والعمل
وهو أقوى تعبيرا من الكلام ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟

" ان الماحكة فى هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل ، لا تمنى
الا محاولة التهريب من مواجهة الحقيقة ، والتأويل والتأويل —

(١) مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة ص ٤١٣ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل آياك نعبد وإياك نستعين ج ١ / ٣٣٦ .

فى مثل هذا الحكم لا يعنى الا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه وليس لهذه المباحكة قيمة ولا أثر فى صرف حكم الله عن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد " (١)

وعلى هذا فالصفتان الأخيرتان : " الظلم والفسق " لا تعنيان قوما جددا ، ولا حالة متميزة عن الحالة الأولى ، وانما هما صفتان زائدتان على صفة الكفر يتصف بهما كل من لم يحكم بما أنزل الله من الأفراد والأمم فى كل زمان ومكان . يقول فخر الدين الرازى فى تفسيره : " قال : - القفال فى قوله تعالى : الكافرون ، الظالمون ، الفاسقون . وليس فى أفراد كل واحد من هذه الثلاثة بلفظ ما يوجب القدح فى المعنى بل هو كما يقال من اطاع الله فهو المؤمن ومن أطاع الله فهو البر ، ومن أطاع الله فهو المتقى ، لأن كل ذلك صفات مختلفة حاصلة لموصوف واحد " (٢)

ويقول سيد قطب فى الأوصاف الثلاثة : " والنص هنا كذلك على عمومه واطلاقه وصفة الفسق تضاف الى صفتى الكفر والظلم ، وليست تعنى قوما جددا ، ولا حالة جديدة منفصلة عن الحالة الأولى . انما هى صفة زائدة على الصفتين قبلها ، لاصقة بمن لم يحكم بما أنزل الله من أى جيل ، ومن أى قبيل .

" الكفر برفض الوهية الله مثلاً هذا فى رفض شريعته ، والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله ، واشاعة الفساد فى حياتهم ، والفسق بالخروج عن منهج الله ، واتباع غير طريقه فهى صفات يتضمنها الفعل الأول ، وتنطبق جميعها على الفاعل ، ويؤثر بها جميعاً دون - تفريق " (٣)

وترتب على فتوى السيد رشيد رضا فى الهند أن أقدم المحجمون عن القانون الى اكتسابه تعلماً وتعليماً ، فلم يعد القاضى المسلم يتردد فى قبول مناصب القضاء ، وتطبيق القوانين الوضعية على الهنود أجمعين .

وكم كان الانجليز واعين تجاه قضية التشريع والتنفيذ حين أبقوا على القضاء

(١) فى ظلال القرآن ج ٢ / ٨٩٨ .

(٢) التفسير الكبير ج ١٢ / ١٠ .

(٣) فى ظلال القرآن ج ٢ / ٩٠١ .

والقضاة المسلمين فترة غير قصيرة من حكمهم ، فسلموا من مجابهات أمكن تجنبها بسهولة ويسر ، وينصح هنتر داهية الانجليز قومه بالسير على هذه السياسة أطول فترة ممكنة فيقول : " لما ملكنا البلاد أبقينا نظام القضاء على حاله ، بالاعتماد على هؤلاء القضاة ٥٠٠٠ ، والواقع أن وجود القضاة ضرورى للأحوال الشخصية الاسلامية ، والقوانين المذهبية ، وبقاء هؤلاء فى مناصبهم يعنى أن الهند دار اسلام وأن تنحيثهم تعنى تحويل الهند الى دار حرب " (١) وكل ما عملته الدولة بعد اعتراض امراء المناطق الانجليز عام ١٨٦٣ م على تعيين القضاة من قبل الفئات الاسلامية أن حولت التعيين من تلك الفئات الى الدولة ، (٢)

جهود العلماء فى وضع دستور اسلامى لدولة باكستان المسلمة :

وقبل الدخول فى تفصيل القوانين الانجليزية التى أخذت تستولى على منصة القضاء منذ عام ١٨٦٠م يجدر التنبيه بأنها ما زالت سارية المفعول مع تعديلات طفيفة تافهة فى كل من باكستان والهند وبنغلاديش ومورما وسيلان ، كما أنها أسس قانونية بشرية وضعها أناس لا يعترفون بالاله المشرع ، ونصبوا من أنفسهم آلهة مشرعين أظهر الزمن والتجارب فشل تشريعهم فى أغلب مناحى الحياة ، وظلت مثل هذه القوانين تتمتع بالحصانة طوال عهد الانجليز فلم يجرؤ أحد على نقدها أو تقديم بديل أفضل منها .

وكان المتوقع بعد استقلال باكستان المسلمة أن يرحل قانون الانجليز برحيلهم ، بيد أن الأمل خاب عندما تعلل ولاية الأمور بحداثة الدولة وعدم وجود قضاة متشبعين بالروح الاسلامية القضائية من جهة ، وتوقف التطور التشريعى الاسلامى منذ تسلم الانجليز السلطة من جهة أخرى ، فلم يعد فى مقدور علماء الاسلام تحمل أعباء القضاء فى الظروف المتجددة ، أضف اليه أن أغلب العلماء عارضوا قيام باكستان وفصلها من الهند الموحدة (٣) فى حركة الاستقلال مما كثف الشبهات حولهم ، ولم تنزل جماعات منهم تدافع عن نفسها تجاه التهم الموجهة

(١) همار هندوستانى ٠٠٠ ص ٢٧٧ .

(٢) " " ص ٢٧٩ .

(٣) لخوفهم من تضيق مجال الدعوة الاسلامية وانحصارها فى جزء صغير من الأرض .

اليهم حول الاستقلال حتى اليوم ، وكان المثقفون الواعون لمشاكل الحياة الحديثة من خريجي الكليات العصرية ، الذين تربوا على تنفيذ القانون الوضعي منذ نعومة أظفارهم ، ولم يكتسبوا المعارف الا عن طريق لغة المستعمرين ، وكان من غير المستبعد نتيجة هذه العوامل أن يظل القضاء على ما كان في عهد الانجليز .

ويبدو أن جهود العلماء المؤيدة من قبل الشعب ازاء وضع الدستور للدولة المسلمة وأمور التشريع فيها كادت أن تثمر بعد انعقاد مؤتمر المبادئ الأساسية لدولة باكستان المسلمة ، ففي ٢١ - ٢٤ يناير من عام ١٩٥١م اشفق واحد وثلاثون عالما من مختلف النزعات على اثنين وعشرين نقطة دستورية ، وأولى هذه النقاط وثانيتهما وثيقة الصلة بالتشريع حيث نصت الأولى " ان الحاكم الحقيقي من حيث التشريع والتكوين هو الله رب العالمين وحده " وتضمنت الثانية " ان يكون قانون البلاد مبنيا على قواعد الكتاب والسنة ، ولا يوضع قانون ولا يصدر أمر اداري يخالف الكتاب والسنة " التتيبه " ان كان البلاد نافذا فيها من القوانين ما يخالف الكتاب والسنة فلا بد في الدستور من النص على أنها تنسخ أو تغير وفقا للشريعة الاسلامية ته رجاء في مدة محددة " (١)

هذا وقد لبي الدستور رغبة الأمة منذ تكوينه المبدئي عام ١٩٥٢م ، فصرح ان حاكم البلاد يأمر بتشكيل لجنة خماسية من العلماء الواعين تراعى أمور التفنين المبتكرة من أن تنحرف عن الكتاب والسنة (٢) ، وأيده دستور عام ١٩٥٦م ، فنص على تكوين هيئة اسلامية تعمل تحت اسم "الهيئة الاستشارية الاسلامية" للغرض نفسه (٣) وأضاف اليها دستور ١٩٦٢م هيئة أخرى للهدف ذاته ، فبرزت الى حيز الوجود " ادارة التحقيقات الاسلامية " (٤) وتمكن دستور ١٩٧٣ من الاعلان " ان الله هو الحاكم المطلق لجميع الكائنات ، وأن تنفيذ دائرة النيابة مقيد بالحدود الالهية فهو أمانة مقدسة " (٥) و " ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام " (٦) ويسمح بتفسير

(١) نظرية الاسلام وهدية ص ٣٧١ .

(٢) انظر على محمد شاهين آئين اسلامي جمهورية باكستان ١٩٧٣م " دستور جمهورية باكستان الاسلامية ص ١٢ . (٣) آئين اسلامي ص ١٨ . (٤) آئين اسلامي ص ١٨ . (٥) آئين اسلامي ص ٢٧ . (٦) آئين اسلامي ص ٢٩ .

القوانين الوضعية واستبدال الشرع بها عن طريق الهيئة الاستشارية وان من تمكن من الاطلاع والاخبار بأن القانون القلائى مخالف للاسلام فلهيئة أن تصب ذلك القانون فى قالب الاسلام خلال سبع سنوات " (١)

وفى ضوء الاذن الدستورى ، وحق النصيحة المفروض شرعا " ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، ان الدين النصيحة ، قالوا لمن يارسول الله ، قال لله وكتابه ورسوله ، وأئمة المؤمنين وعامتهم ، وأئمة المسلمين وعامتهم " (٢) وتتميما للهدف الذى ضحى من أجله الشهداء بمهجهم وأموالهم . . . فى سبيل اقامة دولة اسلامية تكون نموذجا يقتدى به فى عالم الجور والعدوان ، سمحت لنفسى بمناقشة أبرز جوانب القانون الوضعى ، وليس من المستطاع غرلة كل جزئية قانونية من فرد يحصره الزمن فى جامعة من الجامعات ، ولا يفتنى التنويه بأن عملى سيكون جهد مقل فى طريق لم يمهده — فيما أعلم — أحد قبلى لوعورة مسالكه وكثرة تشعباته وأرجو أن يكون باكورة لمزيد من البحوث ، فان أصبت فتهنئى الله ، وان كان غير ذلك فمنى ومن الشيطان .

قانون العقوبات الباكستانى ومحتوياته : (Pakistan Penal Code.)
=====

من المعروف تاريخيا أن مسودة قانون العقوبات الهندى " Indian Penal Code " تكونت من قبل بعض أعضاء المجلس التشريعى الحاكم تحت رئاسة اللورد ميكالى Macaulay وأبرز من شارك فى التقنين بعد ميكالى هما ميكلود اندرسون وميلت ورفعت المسودة عام ١٨٣٧م الى الحاكم العام ، وبعد تعديلات عديدة على عدة مراحل قدمت عام ١٨٥٦م الى المجلس التشريعى للموافقة عليها ، وفى ٦ أكتوبر ١٨٦٠م قبلها المجلس ومنحها الصفة القانونية ، وبعد استقلال باكستان بسنتين تقريبا اكتسب قانون العقوبات الانجليزى الهندى الصفة

(١) انظر آئين اسلامى ص ٣٢ .

(٢) الحديث رواه أبوداود فى جزء ٢٨٦/٤ — كتاب الأدب باب فى النصيحة رقم

الحديث ٤٩٤٤ .

الشرعية من حكومة باكستان وما زال يحرك منصة القضاء حتى اليوم ^(١) رغم بعض التعديلات السابقة واللاحقة التي أعلن عنها أخيراً باسم "قانون الحدود"

ويضم قانون العقوبات التمزيقي بين دفتيه ثلاثاً وعشرين باباً ، جامعاً بين ٥١١ بنداً ، ففي الباب الأول تنصيص على اسمه ، وعلى الدولة التي تفصل بموجبه ، وبيان لمن يرتكب الجرم داخل البلاد أو خارجه ٠٠٠ ، وفي الباب الثاني شرح وتفسير للألفاظ المستعملة ضمن دفتي قانون العقوبات " Pakistan Penal Code " كعود الضائر وتعريف القضاء والدولة ٠٠٠ ، وفي الباب الثالث نرى أنواع العقوبات من الإعدام والحبس مدى الحياة والحبس المحدد بنوعيه المجهد وغير المجهد ٠٠٠ ، واختص الباب الرابع بمن يستثنى من تلك العقوبات ٠٠٠ ، وأتى الخامس فيمن يعين في ارتكاب الجريمة ٠٠٠ ، وتبعه السادس فيمن يحاول المساس بأمن الدولة ٠٠٠ ، وكان السابع خاصاً بمن يحرض جيش الدولة أو بعض أفرادها على التمرد والعصيان ٠٠٠ ، وفي الباب الثامن ذكرت الجرائم التي تخل بالآداب العامة ، وجاء التاسع في الجرائم التي يرتكبها عمال الدولة وانتهى ببيان الجرائم الانتخابية وعقوباتها ، وأتى الباب الأخير المتم للعقد الأول فيمن يهين السلطات الشرعية لأحد عمال الدولة .

واختص الباب الحادي عشر بشهادة الزور وعقوباتها ، وجاء الباب الثاني عشر في بيان الجرائم الخاصة بتزوير النقود وأختام الدولة ، وأتى الباب الثالث عشر يوضح جرائم الكيل والوزن والمقياس ، وجاء الذي يليه فيمن يمس الصحة العامة ، وكان انعقاد الباب الخامس عشر لبيان الجرائم التي تهين المعتقدات والمذاهب ، وجاء الباب السادس عشر في الجرائم التي تختص بجسم الإنسان من القتل والشنق والسجن دون مبرر والاختطاف والوطء من غير رضا ٠٠٠ ، وجاء الباب السابع عشر لبيان الجرائم المالية من السرقة والسطو المسلح والخيانة والغش ، ووضع الباب الثامن عشر لبيان الجرائم التي تتصل بالوثائق والحرف وامارات الأرض من التزييف فيها وصنع ما يشبه الأصل ٠٠٠ ، وجاء الباب التاسع عشر الذي كان يحتوى على ثلاثة بنود ونسخ منه بندان ، ويتصل المتبقى منه بنقض العقود المبرمة لخدمة من لا يستطيع القيام بحاجياته ، واكمل العقد الثاني ببيان الجرائم الزوجية .

وأنت فاتحة العقد الثالث في بيان من يمس السمعة الحسنة لشخص من الأشخاص ، ومن يباح

له الكلام فى مسئلة الناحية ، ونص الباب الذى قبل الأخير على عقوبة التخويف والأهانة ،
وادخال الحزن على شخص لقصد الجريمة وكان ختام قانون العقوبات الباكستانى P.P.C
بالباب الثالث والعشرين الشبيه بالتاسع عشر ، ويحدد بئذ الوحيد عقوبة من يقدم على الجريمة
ولا يتمكن من اتمامها فتتصف العقوبة الأقصى فى حقه سجنًا أو غرامة ويمكن الجمع بينهما
متناصفتين ^(١) وخاتمة المطاف فى قانون العقوبات تهب بالخير ، اذ اتجهت الحكومة العسكرية
الحالية الى اصلاح هذا الجانب الذى طال انتظار اصلاحه .

بإدارة خير فى اصلاح القانون :
=====

فى ١٢ ربيع الأول يوم ولادة هادى البشرية محمد صلى الله عليه وسلم من عام ١٣٩٩ هـ
الموافق ١٠/٢/١٩٧٩م أعلنت الدولة تنفيذ التشريع الاسلامى فى كل من حد الزنا والقذف
والسرقة وشرب الخمر ، ولم يشر ذلك الفرس فيما يبدو حتى اليوم ، وما زال نطاق الجرائم
يتسع يوما بعد يوم لتهاون الشرطة والقضاة عن جدية التنفيذ وعدم اعطائهم التشريع الاسلامى
الثقل الذى صاحب الاعلان من جهة ، وسريان ثلاثة قوانين تحكم الشعب فى آن واحد -
القانون العسكرى والقانون الانجليزى والتشريع الاسلامى فى بعض الحد ومن جهة أخرى وذلك
فتح باب المساومة أمام الشرطة لتختار تسجيل الجريمة فى قانون من القوانين .

الجوانب التشريعية الحديثة فى القانون وموقف الشريعة منها :
=====

والمطلع على الفقه الاسلامى لا ينكر أن فى قانون العقوبات ما هو جديد على الفقه الاسلامى
ومرد ذلك أن تلك الجرائم التى نص القانون على عقوبتها لا يخلو ظهورها من احدى الحالات
الثلاث :

أ - لم تكن موجودة على الساحة الاسلامية لبساطتها وطهارة افرادها ثم ظهرت كجرائم الانتخابات
وتزوير العملة والوثائق وخطف البشر ومس السمعة الحسنة بمفهومه الواسع ، واهانة أحد عمال
الدولة فى أثناء تأديته وظيفته .

ب - وجرائم كانت موجودة ، لكنها غير بارزة فى الأمة ، ووضمها آنذاك لا يمدو القول -
المشهوره " النادر لا حكم له " وما أن اختلط الغرب الذى فقد كل مقومات الاخلاق والمثل

(١) انظر مجموعة تعزيرات ص ٣١١ .

الروحية بالشرق حتى ظهرت تلك الجرائم على الأفق ، وكونت ظاهرة مخيفه كتطيف الكيـل والميزان وشهادة الزور واهانة المعتقدات والأديان .

ج - وجرائم وضع المشرع لها عقوبات معينة كجرائم الحدود وما نص الشارع على عقوبته ، وكانت موضع عناية القضاة والفقهاء ، ومذل هؤلاء رحمهم الله كل ما فى وسعهم من جهد لايضاحتها ، وبيان ما يشبهها ، وهذا الجانب من القضاء الاسلامى ترى قلما يحتاج الى جهد جديد ، وفى وسع المنفذين للشرع أن ينظموا ما حكم به سلفهم وأفتى به المفتون .
فالحالة الأولى موضع دراسة وميدان فسيح لعلماء المسلمين ، ولهم أن يستفيدوا من القانون ان وافق الأسس العامة لشرعة الله ، ودراسة هذه الجرائم والمعاملات التى لم تدرس أولم تعط العناية الكافية فرض عين على المتكئين من الشريعة الاسلامية والمتخصصين فى فروعها المختلفة ، ومذلك يتمهد الطريق للفصل فى قضايا الساعة ، وتعود الحلقة المفقودة منذ قرنين الى مكانها وتسلم سلسلة الفقه من الانقطاع .

وأما الحالة الوسطى فلن تضى المحشكين حلها ، اذ لا يصعب البحث عن رأى مذكور فى بطون الكتب ، ولا سيما اذا اتضحت مظاهرها ، ومن السهل بعد الجمع دراسة تلك الآراء ، واستخلاص الأسس والضوابط منها فى ضوء مصلحة الأمة والأسس التشريعية الالهية .

نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة :

ومن هنا تتضح خطوط البحث فى القانون ومقارنته ببعض تشريعات السماء - للحكم على ما يقال أن العقل البشرى شب عن الطوق فلا يحتاج الى تشريع الخالق العليم ، وأن فى وسعه ان يشرع ما يحقق مصلحة البشر أجمعين - وذلك يعرض نماذج من تشريعات القانون للتعرف على مدى تحقيقها لحفظ الحقوق واقامة وشائج الترابط بين أفراد المجتمع الواحد ، وحماية المسالمين من المعتدين .

١ - جريمة القتل :

كبرى الجرائم على الاطلاق هى قتل النفس بغير حق ، ولا تبيح شريعة ازهاق روح بريئة وتحتاط كل الشرائع والقوانين لمنع وقوع هذا الجريمة وسد طرق الوصول اليها ، ومعاقبة من يرتكبها بما

يردعه ، ومن هذا القبيل أتت تشريعات الاعدام في قانون العقوبات في ثمان جرائم ، فقرر هذه العقوبة في القتل العمد (١) ، ومحاربة الدولة (٢) ، ومد يد المساعدة في انشاء حركة المحاربة (٣) وشهادة الزور في جريمة لقي البرى بسببها عقوبة الاعدام (٤) ، ومعاونة المنتحر على اتمام جريمة الانتحار اذا كان طفلا أو مجنونا (٥) والسطو المسلح وقطع الطريق مع القتل (٦) والاقدام على القتل من شخص يقضى عقوبة السجن المؤبد فيتضرر المجنى عليه بسبب ذلك الاقدام (٧) ، والثامنة " كل شخص حكم عليه بالسجن المؤبد فارتكب جريمة القتل العمد يعاقب بالاعدام " (٨) غير أن القانون ترك الخيار للقضاء يتصرف حسب ارادته في الجنايات السبعة الأولى ، فخوله أن يصدر حكم الاعدام فيها ، كما اعطاه صلاحية الأعراض عنه واستبدال عقوبة أخرى بالاعدام حسب رأيه في الجريمة والمجرم ، أما الصورة الثامنة فقد حتم القانون فيها حكم الاعدام ، وتلك أشد عقوبة انفردت بها هذه الصورة في القانون كله .

وللمرء أن يتساءل في ترك الخيار للقضاء أهو من مصلحة الجاني أو من مصلحة المجتمع ، والأحكام القضائية تثبت أنه لمصلحة الأول دون الأخير ففي ٩٥ ٪ من جرائم القتل يعاقب المجرم بالسجن ، وتماثلها في العقوبة الجرائم الستة الباقية ، وتلك صورة صادقة لما جبل عليه الغرب وقانونه . اذ يرون أن المجتمع هو المسئول عن جرائم أفراد ، بما يفرض عليهم من القيود والكوابح ، وتبعا لذلك ينظرون الى المجرم نظرة المجنى عليه الذي يستحق أن يحوض عن جريمته لا أن يوقع عليه العقاب .

وفي ترك الخيار للقضاء تعدد مكشوف على حقوق الورثة في بعض تلك الصور الثمانية ، وسلب لحقوقهم الفطرية المشروعة ، كالمطالبة باعدام القاتل المتعمد للقتل ، اذ الثأر أمر مركز فسي القلوب ، ولن تفر عين الورثة حتى يروا دم القاتل مرقا كما أراق هودم مورثهم المقتول . وإن

-
- | | | |
|-----|---------------------------------------|----------------------------------|
| (١) | مجموعة تعزيرات المادة ٢٠٢ ص ١٥٣ . (٢) | مجموعة تعزيرات المادة ١٢١ ص ٦٠ . |
| (٣) | " " " " " " " (٤) . ٦٥ ص ١٣٢ | " " " " " " " ١٩٤ ص ١٠٠ . |
| (٥) | " " " " " " " (٦) . ١٢٠ ص ٣٠٥ | " " " " " " " ٣٩٦ ص ٢٣٩ . |
| (٧) | " " " " " " " (٨) . ١٢٠ ص ٣٠٧ | " " " " " " " ٣٠٣ ص ١٢٦ . |

عفا عنه عن مقدرة فتلک اسمی صور الانسانية ، وان سلب منهم معاقبة القاتل فذلک لن یعین فی استقرار الأوضاع ومنع جريمة القتل ، كما هو الحال الیوم ، قتل یعقبه قتل ویتبعه قتل ، کمد البحر وجزره ، فمتی قوی جانب المعتدی علیه اعتدی ویقف القانون مسلوب الارادة لا یملک اذا ، ایقاف الجريمة وراحة الأمة من الاعتداءات المسلسلة غیر المتناهية حولا ولا قوة لمحاربتة الفطرة البشرية فی نوع العقوبة .

وازداد لهیب الفطرة اشتعالا حین أعطی القانون حق الورثة من لاناقة له فی المقتول ولا جمل ، فخلوله حق العفو عن المجرم ، أو استبدال عقوبة بعقوبة الاعدام ، اذ تفید المادة ٤٠١ من قانون المرافعات الجنائیة The Code of Criminal Procedure ان حكومة المقاطعة تملک حق التصرف فی الغاء العقوبة ، أو الغاء جزئ منها ، أو العفو عن المجرم فی کل عقوبة حکم علیه بها " (١) ، وتنص المادة ٤٠٢ " أن حكومة المقاطعة تملک حق استبدال عقوبة باخری علی الترتیب الآتی . . . الاعدام ، السجن المؤبد ، السجن المجهد ، السجن غیر المجهد ، الفرامة " . (٢) وتعطى المادة ٤٠٢ ألف سلطات المادتین السابقتین لرئيس الدولة فی عقوبة الاعدام (٣) ، وتشرك المادة ٥٤ من "قانون العقوبات" السلطة المركزية فی الحقوق السابقة (٤) ، وبذلک یصبح حق الورثة ملکا لجهات ثلاث ، هی سلطة المقاطعة التی صدر فیها حکم الاعدام ، والسلطة المركزية ورئيس الدولة ، وهكذا سلب الحق من أصحابه الشرعیین وأعطی لمن لا یستحقون ، وبمثل هذه التصرفات ذل جانب القانون ، ولان للمجرمین ، وفتح لهم باب الأمل والعفو عن العقوبة المستحقة بعد ثبوت الجريمة ، فکم من حكومة أو حزب سیاسی أفرج عن المجرمین ، أو خفف من عقوبتهم نتیجة الاحتفالات ، أو الفوز فی الانتخابات .

ولکن انظر الی الاسلام ، ومحاربتة لجريمة الاعتداء علی النفس ، واعطائه المشاعر الفطرية حق الرعاية والتقدير ، فشرع تحريم القتل ، وان وقع دفع القاتل الی ورثة المقتول ، وهم مخیرون فی

(١) مجموعة ضابطة فرجدارى " قانون المرافعات الجنائیة " ص ٢٢٢ .

(٢) " " " " ص ٢٢٣ .

(٣) " " " " ص ٢٢٤ ، وانظر آئین اسلامى جمهورية باكستان ١٩٧٣ م ، ج ١٦ ، ٢٠ .

(٤) مجموعة تعزیرات ص ٢٦ .

قتله قصاصا بمقتولهم ، أو أخذ الدية منه ، أو العفو عنه ابتغاء مرضاة الله " ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق " (١) " ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون " (٢) " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا " (٣) " ومن قتل له قتيل فهو خير النظرين ، اما يُودى ، واما يُقاد " (٤) وهكذا البون الشاسع بين تشريع المخلوق وتشريع الخالق ، فالأول لم يحقق ما تصبو اليه البشرية وتبتغيه منذ آماذ ، من منع القتل وإيقاف سيل الدماء ، ورفع الشحناء والضغينة من صفوف المتقاتلين ، بينما الأخير كفل كل ذلك في الماضي ، ومستعد لتحقيقه في كل مجتمع يطبق تشريعاته القائمة على اعطاء مشاعر الجاني والمجنى عليه حق الرعاية والتقدير دون افراط أو تفريط ، وذلك كفيل بإيقاف هذه الجريمة .

وإن نظرت الى التشريع الاسلامي من منظار الواقع وجدته يمسك بميزان العدالة من منتصفه ، يعطى للفرد حقوقه ، ويحتفظ للجماعة بحماية أمنها وسلامتها ، فإن كان من حق الفرد الا يؤذى في ذاته وعرضه وماله . . . فمن حق الجماعة الا يؤذيها الفرد بما يهدد حياتها وأمنها وأعراضها وأموالها . . . وقد كفل تشريع السماء إقامة التوازن بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة من وجوه .

١ - يوجه الاسلام البشرية الى جمع الشمل ، وإزالة الفرقة من صفوفها ، وذلك باهتمامه بتربية الفرد منذ طفولته على مشاعر الحب والألفة والتعاون ، حتى لا يبقى للضغينة محل في القلوب ، فيتربى مجتمعه على الفضيلة ، يكفل الفنى الفقير ، ويخدم الأجير صاحب العمل بالاخلاص ، ولا ييخل صاحب العمل باعطاء العامل حقوق عمله المشروعة ، وقد يشركه في الربح والانتاج - ويشفق الكبير على الصغير ، ويحترم الصغير الكبير ممن يستظل بظل الاسلام ، وتكون النصيحة بين أفراد محور الاصلاح والتوجيه في كل شئ . . . ولا شك أن دينا كهذا يتعهد الانسان منذ نعومة أظفاره حتى الموت كفيل بإزالة الجريمة أو تقليلها ، ومن هنا كان المجتمع الاسلامي المتمثل لأحكام

(١) الأنعام آية : ١٥١ .

(٢) البقرة آية : ١٧٩ .

(٣) الاسراء آية : ٣٣ .

(٤) الحديث رواه البخارى في صحيحه ج ٨ / ٣٨ . كتاب الديات باب من قتل له

قتيل . . .

الله أقل المجتمعات الأرضية لجوءاً الى العقوبة ، لأنه خريص على بناء النفس الانسانية على وضعها السليم وصبها في قالب يتنزه عن التحدث بالجريمة فضلاً عن ارتكابها .

٢ - يعالج الاسلام في تشريعاته كل الوسائل المؤدية الى الجريمة ، فيقتلع جذورها ، ويسد المنافذ المثيرة لارتكابها ، فحين حرم القتل مثلاً احتاط بازالة كل السبل المؤدية اليه ، سواء كانت اقتصادية أو متصلة بالأعراض ، فما تحريم الربا وتحريم الاحتكار وتحريم الزنا ، بل التحدث بالزنا . . . الا وسائل تمنع من ارتكاب جريمة القتل ، وما تشريع الارث ، وتقسيم الثروة بعد الوفاة الا اجراءات تحد من ارتكاب هذه الجريمة . وهكذا دواليك في جميع تشريعات الاسلام .

٣ - حين تقع الجريمة من الفرد يصبح من حق المعتدى عليه أن يدافع عن نفسه ، ويعاقب المعتدى بما يردعه ، ولكن العدل لا يتحقق حتى تراعى دوافع الجريمة ومبرراتها ، فهل يعقل عقاب السارق اذا حرمه المجتمع من شبع بطله ، لذا لا ينظر الاسلام للجريمة بعين الجماعة المعتدى عليها فحسب ، بل ينظر اليها أيضاً بعين الفرد المعتدى الذي تقع منه الجريمة ، فيقرر للجماعة حقها في حماية نفسها ، ويفرض لها عقاب المعتدى ، ويعترف للفرد بدوافع الجريمة ومبررات ارتكابها ، فيعطيهما حقها الكامل من الرعاية والتقدير ، ويجاهد في ازالة كل الدوافع المعقولة قبل أن يفرض العقوبة ، فإن حدثت الجريمة مع قيام المبررات سقط الحد " ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعاً " (١)

ومن هنا لن يرتفع القتل وغيره من الجرائم ما دام القانون يميز بعض الأفراد على الآخرين ، وتختلف نظرتهم من فرد الى آخر ، ومن فئة الى أخرى ، فهذا رئيس الدولة محصن يحرم على القضاء معاقبته طوال فترة الرئاسة ، ومثله الوزراء ومضرجال الدولة ، يعملون ما يريدون أثناء

(١) الحديث رواه ابن ماجة في سننه كتاب الحدود باب الستر على المؤمن ودفع الحد بالشبهات ج ٨٥٠/٢ رقم الحديث ٢٥٤٥ ، وانظر لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع محمد ناصر الدين الألباني ، ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج ٣٦٩/١٠ .

تمتعهم بالحصانة على كرسى السلطة^(١) ، لا تستطيع يد التأديب الوصول اليهم أو منعهم مما يرتكبون ، بل لا تستطيع اعطاء المظلوم حق تسجيل شكواه ، وقد أصاب على محمد شاهين فسي تحليله لبعض هذه الحصانات ، وعدّها من المخلفات البريطانية في قوله : "بالإضافة الى الراتب والسكن والتسهيلات الأخرى لرئيس الدولة فإنه غير مسئول عن أى استدعاء قضائى عن أداء واجباته ولا يصح اتخاذ أى اجراء مدنى أو جنائى طوال مدة المنصب ، ولا يعد من المجرمين البتة ، كما لا يصح اصدار أمر القبض عليه ، وهذه التسهيلات وراثية يعطيها كل دستور لرئيس الدولة ، وهذه التسهيلات يصبح شبيها بملك بريطانيا " (١)

وليس للإسلام عهد بمثل هذه الاعفاءات والحصانات ، وإنما قضاؤه صورة حية لما ورد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم شيئا اذ أكب عليه رجل فطمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه فصاح الرجل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعال فاستقد ، قال : بل عفوت يا رسول الله " (٢)

وما أثر عن أبى فراس قال : خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : انى لم أبعث عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، فمن فعل به ذلك فليرفعه الى أقصه منه ، قال عمرو بن العاص لو أن رجلا أدب بعض رعيته اتقصه منه ؟ قال : أى والذى نفسى بيده أقصه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه " (٣)

ومن هنا نقل المفسر القرطبى رحمه الله اجماع العلماء على الاقتصاص من السلطان اذا تعدى على فرد من أفراد رعيته فقال : "واجمع العلماء على أن على السلطان أن يقتص من نفسه إن تعدى على أحد من رعيته ، اذ هو واحد منهم ، وإنما له مزية النظر لهم كالوصى والوكيل ، وذلك لا يمنع القصاص ، وليس بينهم وبين العامة فرق فى أحكام الله عز وجل لقوله جل ذكره : "كتب عليكم القصاص فى القتلى " (٤) وثبت عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لرجل شكك اليه أن عاملا قطع يده : "لئن كنت صادقا لأقيدنك منه " (٥)

(١) راجع للتفصيل للتعرف على من يتمتع من الأفراد بهذه الحصانة آئين اسلامى ص ١٦٠ ٢٠٦ ٢٤٦ ٤٧٦ ٦١٦ ٧٤٦ ١٠٠

(٢) الحديث رواه النسائى فى سننه ج ٣٢/٤ كتاب القسامة باب القود فى الطعنة ، ومثله فى سنن أبى داود ج ١٨٢/٤ رقم الحديث ٤٥٣٦

(٣) الحديث رواه أبوداود فى سننه ج ١٨٣/٤ كتاب الديات باب القود من الضربة ... رقم الحديث ٤٥٢٧

(٤) البقرة آية : ١٧٨ (٥) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٥٦/٢

جريمة الزنا : =====

١ - يحصر قانون العقوبات في بنده ٤٩٧ صورة جريمة الزنا في كل شخص يجامع زوجة شخص آخر دون رضا الزوج أو تسامحه مع علم الواطئ ، أو تملكه سبيلا يعلم بها أنها زوجة فلان ، ولا يصل ذلك الجماع الى الزنا بالجبر وفي هذه الصورة يعتبر الجاني مرتكبا لجريمة الزنا ، ويعاقب باحدى العقوبتين : السجن الذي يبلغ حده الأقصى خمس سنوات ، أو غرامة مالية ، ويمكن الجمع بينهما ، ولا تعاقب المرأة بشئ " (١)

وإذا نظرت الى عقوبة الزنا الاسلامية والانجليزية في دائرة منع القتل وجدتهما على طرفي نقيض فالقانون لا يفرق بين عقوبة من سبق له الزواج ممن لم يسبق له ، تساوى في عقوبة سجنه أو غرامته المراهق فائض الحيوية الذي لا يجد مصرفا لقضاء شهوته ، ومن ملك المصرف الشرعى لقضاءها ، بينما أعطى الاسلام الجريمة والمجرم حق الرعاية والتقدير ، فلم يسق المجرمين بسوط واحد ، بل فرق بين عقوبة البكر الذي لم يسبق له الزواج وبين من سبق له الزواج فخفف العقوبة عن الأول - بجلده مائة ، ونفى عام لتغلب الشهوة على العقل والرزانة في تلك الفترة ، وغلظ على المحضن الذي سبق له الزواج الصحيح فعاقبه بالرجم لغلبة العقل على الشهوة في هذه الفترة ، فالأول يعذر ويستحق بعض العطف من التشريع الاسلامي دون الثاني ، وقلما سلمت روح هذا الأخير من القتل بعد انقضاء عقوبة السجن ، لأن الفيرة البشرية لن تسمح بالحياة لها تك عرضها ، لملم المهتك عرضهم . أن القانون لم يوفهم حق العقوبة ، فيترصدون للجاني حتى القتل ، وهذه - شهادتنا لقضاء تصرخ أن وراء أغلب قضايا القتل عرض مهتك ، فمن رحمة الله بعباده أن جعل حد الزنا حقا من حقوقه ، ففضى بجرم المحصن لتصفو قلوب البشرية من الثأر والحزازات .

وإعلان المغفر عن عقوبة المرأة تشجيع من القانون لها بارتكاب الجريمة ، فهي ولا شك مريسة للجريمة ، غير مكرهة عليها ، ولا مخادعة بارتكابها ، لغد القانون حالة الاكراه والخداع من الزنا بالجبر - كما سيأتى - وكان الأجدر به أن يعتبرها زانية ، ويعاقبها عقاب الزناة ، أن أراد بالمجتمع صلاحا وأمانا ، وأما أن يطلق للمرأة الحمل على الغارب تغرى وتثير وترتكب ويطلب من الرجال أن يكونوا في صف الملائكة فذلك استهزاء وسخرية بالعقل البشري .

٢- الزنا بالجبر :

يعرف البند ٣٧٥ من قانون العقوبات الزنا بالجبر بأنه : " كل ذكر يجامع امرأة في صورة من الصور التالية ما عدا الصورة المستثناة يعد مرتكباً لجريمة الزنا بالجبر .

١- دون ارادة المرأة . ٢- دون رضا المرأة .

٣- مع رضا المرأة حيث أبدت رضاها لخوف الهلاك أو الضرر .

٤- مع رضا المرأة وعلم الواطى أنها ليست زوجته وتعتقد الموطوءة أن الواطى هو زوجها الشرعى أو تظنه زوجها الشرعى .

٥- مع رضا المرأة أو دون رضاها ما دامت لم تبلغ الرابعة عشرة من عمرها .

شرح : ولتحقيق الجريمة يكفى الايلاج .

استثناء - جماع الرجل زوجته اذا اكتمل لها ثلاثة عشر عاماً ، ولا يعد ذلك من باب الزنا بالجبر " (١)

وينص البند الذى يليه على عقوبة الزنا الجبرى بأن : " كل شخص ارتكب الزنا بالجبر يعاقب بالسجن على نوعين : مدى الحياة (٢) أو سجن يصل الى عشر سنوات ، وتلزمه الغرامة المالية ، الا أن يكون من ارتكب معه جريمة الزنا بالجبر زوجته ، ولا يقل عمرها عن اثني عشر عاماً ، وفى هذه الحالة يعاقب المجرم باحدى العقوبتين : السجن الذى يبلغ حده الأقصى سنتان أو الغرامة المالية أو يجمع بينهما " (٣)

فالصور التى جمعها القانون فى الزنا الجبرى لاتخلو عن وطء اكراه ، أو شبهة أو صغيرة لم تبلغ سن القانون للمعاشرة ، ولا شك أن المكره لا يوجه اليه لوم فضلاً عن أن يعاقب فى عرف البشر ، فجاء تشريع القانون موافقاً للشرعية فى رفع العقاب عن المكرهات ، ولكن خطأ المشرع البشرى فى فهم نفسية المرأة حين برأها من العقاب فى كل العمليات الجنسية ، فان كان الرجل يقوى

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٢١ .

(٢) سجن مدى الحياة هو سجن ٢٥ سنة كما نص عليه البند ٥٧ من مجموعة تعزيرات

ص ٢٧ . (٣) مجموعة تعزيرات ص ٢٢٢ .

عليها بالاكراه ، فانها تفوقه في الاغراء ، ولا يستبعد أن تمتلك من الوسائل ما تثير به الرجل على عمل الفحشاء ، وهذه قصة يوسف عليه السلام أكبر شاهد لذلك : " وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك " (١) " قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين " (٢)

وما دام الأمر كذلك فلا مرية أن القانون ناقص في تشريعاته ، وأن العقل البشري ما زال في حاجة الى هداية الله ، وأنه لم يشب عن الطوق بعد ، وأن تشريع السماء أوفى وأكمل لتغطية الحاجات البشرية جمعا ، فلا يصح ترك الحبل على غارب الفتنة الهوجاء ، تسير في الطريق تغزو الناشئة بلباسها المشدود ، وزينتها الفاتنة ، ومشيتها الجذابة ، فإن وقعت الجريمة والحال كما ذكر كان أمام القاضي شبهة درء الحد عن الرجل الذي غزى في عفته ، وكفى تشريع الله احتياطاً أن يعد المرأة المتعطرة التي خرجت من البيت لتشهد الصلاة بالجماعة مصابة بالجنابة ، فيعاقبها بالاغتسال عند العودة الى البيت كشرط لقبول الصلاة . (٣)

وكذلك الوضع في الصورة الرابعة فإنه وطء شبهة ، فإن خلت الموطوءة بينها وبين ارتكاب الجريمة لشبهة النكاح ، فإن العكس ممكن أيضا ، فإن أمكن خداع المرأة فإن خداع الرجل محتمل كذلك ، بل هو واقع بعد نبذ المرأة كل قيود الاخلاق في المجتمعات المنحلة ، والتشريع البشري بوضعه الحالي يحص المرأة دون الرجل ، وذلك استخفاف بأحد شقى الانسانية ، بيد أن تشريع الاسلام الكامل لم يفرق بين الرجل والمرأة في هذه القضية ، فان وفر للمرأة درء الحد للشبهة فإنه يعطى الحق ذاته للرجل حين يعرف فقهاء الاسلام الزنا بأنه : " كل وطء وقع على غير نكاح ، ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين وهو متفق عليه بالجملة من علماء الاسلام " (٤)

ومنهم النظر في الصورة الخامسة لا يخفى عليه مما وضعها للصالحات العامة ، فالنبت اهلها ادريها الصلحة

(١) يوسف آية : ٢٣ (٢) يوسف آية : ٣٢

(٣) وذلك بنص الحكم النبوي ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : " لقيته امرأة وجد منها

ريح الطيب ينفع ، ولذيلها اعصار فقال : يا أمة الجبار . جئت من المسجد ؟ قالت

نعم . قال وله تطيبت ، قالت نعم : قال انى سمعت حبي أبا القاسم صلى الله

عليه وسلم يقول : " لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل

غسلها من الجنابة " رواه أبو داود في سننه ج ٧٩/٤ باب ما جاء في المرأة

تتطيب للخروج . وانظر سنن الترمذي ج ١٩٤/٤ ، ومسند أحمد ج ٤٠٠/٤ ٤١٨٤ ٤١٨٥ ٤١٨٦

(٤) ابن رشد بداية المجتهد ج ٤٣٣/٢

من المقتن البعيد عن البيئة ، فتحدد سن النكاح إن حقق مصلحة في منطقة فقد أخفق في مناطق ، ويبدو أن المشرع البشرى أدرك بعض أبعاد هذه القضية حين اعترف للفتاة بالزواج في اكتمال الثانية عشرة من عمرها ، غير أن التضارب في التشريع بدا واضحا حين منع الزوج من حقوقه الزوجية ، لعدم بلوغ الفتاة السن القانونية المطلوبة وهو أكثر من ذلك غرابة حين يقسم الزوج المخالف للائحة السن في قائمة الزناة المجبرين ، الذين يستحقون تغليظ العقوبة عن الزناة العاديين .

والقانون بنظريته يحاكي الفرد على حساب الجماعة ، والمجرم على حساب المسالمين ، يقدر من حقوقه ، ويهدر حقوقهم ، إذ يحصر الزنا في الاعتداء على حقوق الزوج ، ويعتبر الزنا بالجبر تدخلا مشينا في الحرية الشخصية للمفعول به ، دون أن يعتد بحقوق المجتمع الذي يتمتع الزوج والزوجة والمجرم بأمنه واستقراره ، ومكثتا نظريته الفناء لحقوق المجموع ، وشماطف مكشوف مع الجريمة والمجرم ، وتلك نتيجة منطقية للقوانين الأوربية الرأسمالية ، لأنها تبالغ في تقديس الفرد وتجعله محور الحياة الاجتماعية كلها ، أضف إليه مبالفتها في التحريج على حقوق المجتمع في فرض القيود على الحرية الفردية .

وامتدادا لهذه النظرية المقدسة للفرد أصبح الزنا من بالغ غير مشغول بالزواج جريمة معتادة في المجتمعات المطبقة لهذا القانون ، ويتكرر وقوعه بمرأى ومسمع من الناس دون أن يملكوا لمنعه حولا ولا قوة ، لأن القانون اعتبر الزنا من المسائل الشخصية التي لا تمس مصلحة الجماعة ولا كيان الأمة ، وما دامت الجريمة قد تمت بالتراضي فإن القانون لا يهتم بها ، ولا يعتبرها جريمة ، ونتيجة لهذا التشريع المجحف بحقوق المجتمع كثرت الفحشاء ، ومن ثم كثر أولاد الحرام الذين مربك مسيرهم الى البعثات المسيحية في فصل أثر النشاط التنصيري السابق .

وإذا قارنت بين تشريع الزواج في الاسلام وفي القانون الوضعي في دائرة منع الزنا ، وتطهير المجتمع من أولاد السفاح ، وجدتهما على طرفي نقيض ، فالاسلام يحث على الزواج المبكر ويعين على اتمامه من بيت المال ، اذا حالت الظروف الخاصة دون اتمامه ، ويحرص على تنظيف مجتمعه من كل وسائل الاغراء المثيرة للشهوة و . . . ، بينما القانون يخلق المراقيل في طريق الزواج المبكر بتحديد سن الزواج بثمانية عشر عاما للذكر ، وست عشرة سنة للأنثى .

فالطاقة الحيوية الفائضة اذا لم تجد طريقها الى الحلال لا بد أن تنحرف الى الحرام وارتكاب جريمة الزنا لسهولة الوصول اليها .

وقانون المرافعات الجنائي يعين على ارتكاب جريمة الزنا من طرف غير ظاهر ، حين ينص في مادته ١٩٩ على أنه : " لا يصح للمحكمة التحقيق في شكاوى الجرائم المرتكبة ضمن مادة ٤٩٧ و ٤٩٨ (١) من قانون العقوبات الا في الصور التالية :-

أ - أن يكون المدعى زوجا أو من يقوم مقامه في تعهد المرأة ، وصيانتها عند ارتكاب الجرم وأن تكون الشكوى تحريرية يتقدم بها المدعى الى رئيس الدائرة للشرطة .

ب - أن يتقدم المدعى الزوج أو المتعهد برفع الدعوى بعد اذن المحكمة ، مالم يكن الزوج دون الثامنة عشرة أو مجنونا أو مريضا أو شيخا هرمًا ، فللمحكمة أن تأذن لشخص ما ينوب عن صاحب الحق برفع الدعوى عنه .

ج - اذا كان الزوج مرتبطا بالجيش الباكستاني ولا تسمح له جهة الارتباط برفع الدعوى شخصيا ولم يتقدم المتعهد بالمرأة بالدعوى أيضا فله أن يستيب ضمن مادة " ١٩٩ أ " فيتقدم المدعى بالدعوى مشفوعة بوثيقة توكيل من الزوج مصدقة من جهة الارتباط بالجيش " (٢)

فحين لا يسمح قانون المرافعات برفع الدعوى الا من هذه الجهات فقد أمن المجرمون الذين لا يراقبون من هذه الجهات أو لا يتصلون بها ، وفرضه القيود السابقة على المدعى ، وحصر المدعى في دائرة ضيقة الغى حق المجتمع في مراقبة الجريمة ، وأعطى المجرمين وثيقة حصانة قانونية يأمنون بموجبها من مراقبة الميون الجماعية التي تسهر لخلق مجتمع نزيه من الفحشاء ، فما أن منع المجتمع من اداء دور المراقبة حتى فتحت أبواب الجريمة علنا ، وأصبحت الصحف اليومية تنشر العشرات من الأخبار المتصلة بهذه الجريمة أو المفضية اليها .

وبعد أن قرر القانون بأن الزنا جريمة شخصية واعتداء على (١) وتنص هذه المادة أن " كل شخص هرب أو راوغ حتى تمكن من تهريب امرأة متزوجة من زوجها ، أو من هو متعهد بالمحافظة عليها لغرض أن ترتكب جرما محرما أو يخفيها أو يحبسها لذلك الغرض يعاقب باحدى العقوبتين : بالسجن الذي يبلغ أقصاه سنتان أو الغرامة المالية أو يجمع بينهما " مجموعة تعزيرات ص ٢٩٨ .

(٢) مجموعة ضابطة ص ١٥٦ .

موقف الشريعة فى العقوبة فى هذه الحالة - وكان الأولى الفاء هذا التمييز ، وجمع صور الزنا فى تشريع واحد تمشياً مع التشريع الاسلامى طوال القرون الماضية ، ويضاف الى ذلك عدم ايجاب العقوبة التعزيرية على البكر المجرى ، لأن التعزير لا يجمع التعمين والوجوب ، والا أصبح حداً ، كما أن الأولى أن تظل العقوبة التعزيرية دون الحد ، اذ الحد أقصى عقوبة لتلك الجريمة فى الشريعة ، وليكن التعزير دونه .

ب - تنص المادة العاشرة من التعديل ضمن تقسيماتها الفرعية بـ " أن من ارتكب جريمة الزنا المستوجبة للتعزير يعاقب بسجن عشر سنوات سجناً مجهداً ، وجلده ثلاثين جلده ، وتغريمه غرامة مالية " (١) والعقوبة الأخيرة هى محل نظر لأنها لا تتفق مع روح الاسلام فى عقوبة هذه الجريمة ، ويمكن ربط هذه الجزئية وتفسيرها بالبند ٣٤٥ من قانون المرافعات الذى يشير الى التراضى والمصالحة حول هذه الجريمة ، وتزداد الشبهة قوة عندما لا نرى ذكراً لهذا البند ضمن البنود المنسوخة أو المقيدة ، وقد استقصى المعدل الأخير فأشار الى جميع البنود التى تمت بصله الى الزنا ، غير أن حسن الظن يحملنى على افتراض ذهول المعدل وعدم استحضاره لهذا البند ، وإن كان غير ذلك فلا شك أنه احياى للروح الغربية التى قننت جبر الأعراض بالمال . غير أن ذلك الجبر مرفوض فى نظر الاسلام فقد روى زيد بن خالد وأبو هريرة رضى الله عنهما قالا : " إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انشدك الله الا قضيت لى بكتاب الله ، وقال الخصم الآخر وهو أوفقه منه نعم فاقض بنينا بكتاب الله وأئذن لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال :

ان ابنى كان عسيفاً - اجيراً - على هذا فزنى بامرأته ، وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغديا أنيس الى

(١) مجموعة اسلامى ص ٦.

امراة هذا فان اعترفت فارجمها " . (١)

ويقول الشيخ المودودي : " ان هذه الجريمة فى القانون الاسلامى غير قابلة للتراضى وان قصة العسيف ذكرت فى أغلب كتب الحديث . . . ولا تنص القصة على أن الترضية لا محل لها فى هذه الجريمة فحسب ، بل نعلم منها أن القانون الاسلامى لا يبيح جبر الأعراض المهتوكة بالمال ، ولتخط القوانين الغربية بالتبريك فى جبر تقدير الأعراض وتصويرها على الطريقة الديوثية " (٢) وهذه الناحية العقابية تلائم التشريع الهادف الى جمع المال لا التشريع الذى يقصد تقويم السلوك البشرى .

ج - تنص المادة الخامسة عشرة المعدلة أن : " كل رجل خادع امرأة ليست زوجة له ، بأنها زوجته الشرعية ، فقبلت أن يواقعها تحت هذا الوهم يعاقب بالسجن مدة خمس وعشرين سنة مع الاشغال الشاقة ، والجلد بما لا يزيد على ثلاثين جلدة ، كما توقع عليه غرامة مالية " (٣) فالمخادع مجامع امرأة لا تحل له ، فهو زان لا شبهة فيه ، بينما هى مخدوعة اشتبه عليها الزوج بغيره ، فيجب أن يعاقب الرجل بعقوبة الزنا جلدا أو رجما . ولا عقوبة على المرأة

د - يقفوا التعديل الأخير خطوات القانون فى انزال العقوبة القصوى على من خطا المراحل الأولية لارتكاب الزنا ، ويخفف فى العقوبة بعد وقوع الفحشاء ، فمثلا تفيد المادة ٣٧٢ من قانون العقوبات أن : " كل من باع أو اجرأ أو رفع يده (يد الولاية) عن شخص لم يبلغ الثامنة عشر لقصد أن يشغله بعمل مشين ، أو جماع محرم مع شخص ما ، أو بأمر غير مباح ، أو يبرم عقد البيع أو الايجار . . . لاحتمال وقوع تلك الأعمال من الباع . . . يوما ما ، يعاقب باحدى العقوبتين السجن الذى يصل أقصاه الى عشر سنوات أو يعاقب بغرامة مالية " (٣) بينما عقوبة الزنا لاتعدو سجن خمس سنوات كما مر .

(١) الحديث متفق عليه صحيح البخارى ج ٢٤/٨ ، كتاب المحاربين باب الاعتراف

بالزنا ، وصحيح مسلم ج ١٢١/٥ كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه

بالزنا .

(٢) تفهيم القرآن ج ٣٣٢/٣ .

(٣) مجموعة اسلامى ص ٨ .

ونجد ما يشبه ذلك في التعديل الأخير فمثلا تنص المادة الحادية عشرة أن " كل شخص اختطف امرأة ، أو هرب بها ليكرهها أو يعلم أنها ستكره على خلاف إرادتها بالزواج بشخص ما أو أنها سترغم على الجماع خلاف مشيئتها ، وإن المرتكب يعلم أنه سيجبرها على الوطء غير المشروع أو سيراوغها على ذلك ، يعاقب بالسجن المؤبد وجلده ثلاثين جلدة ، ويعاقب بغرامة مالية . . . " (١) بينما عقوبة الزنا المستوجبة للتميز لنقصان الشهود أو ما يشبه ذلك لا تعدو سجن عشر سنوات سجنا مجهدا مع ثلاثين جلدة وغرامة مالية . (٢)

هكذا نجد القانون بعقوباته المتنوعة غير قادر على منع جريمة العرض وردع الزناة عن ارتكاب الزنا ، فإن عجز عن إيقاف الفحشاء وسرقة الأعراض فهو أكثر عجزا عن إيقاف جريمة القتل الوثيقة الصلة بالعرض ، وعقوبة القانون — السجنية وما دونها — للقتل والزنا شبيهتان بالقاء الهشيم على النار لتزداد لهيبا .

وعند العودة إلى شريعة الله وعقوبتها الرادعة نجدها تعتبر الزنا بجميع أنواعه من الجرائم الضارة بمصلحة المجتمع ومصلحة الأسرة والفرد معا ، ولهذا جعلت العقاب فيها حقا لله عز وجل ، واعتبرت الاعتداء على العرض اعتداء على حق الله ، فلا تسمح لأحد كائن من كان بالعفو أو التخفيف فسي العقوبة المحددة ، إذا ثبتت الجريمة في دولة مسلمة ، ولكنها لا تعاقب إلا بعد أن تسد جميع المنافذ المؤدية إليها ، وتتهيأ جميع الوسائل الكفيلة بالقضاء على الجريمة حتى تنعدم مبرراتها ، يقول الأستاذ محمد قطب " وحين يحكم الإسلام لن تكون هذه المثيرات الجنونية التي تدفع الشباب دفعا إلى الهبوط ، لن تكون السينما العارية ، والصحافة الخليعة ، والأغاني المتبذلة والفتنة الهائجة في الطريق ، ولن يكون الفقر الذي يمنع الناس من الزواج ، وعندئذ فقط يطالب الناس بالفضيلة وهم قادرون عليها ، وتوقع عليهم العقوبة وهم غير معذورين " (٣)

هـ — ترك التعديل الأخير التفريب ونفى سنة من عقوبة الزاني البكر ، الواردة في صحيح كتب السنة فمن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : — " خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢١٩ .

(٢) مجموعة إسلامي ص ٦ .

(٣) مجموعة إسلامي المادة العاشرة ب ص ٦ .

(٤) شبهات حول الإسلام ص ١٦٤ .

جلد مائة والرجم " (١)

وفى قصة العسيف قوله صلى الله عليه وسلم : " أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام " .

وكان الأجدر بالتعديل وهو يسمى الى اعادة الأمور الى نصابها أن يعترف بهذه العقوبة بغض النظر عن خلاف الحنفية رحمهم الله ، وكان الأولى بالمعدل أن يعاقب البكر المجبر وغير المجبر بالنفى والابعاد اتباعا لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وتمييزا للعقوبة التى قضت بها السنة ، ولا سيما أنه أضاف عقوبة تعزيرية واجبة على البكر المجبر بعد الجلد ، وخير المحكمة فى تعيينها حسب نوع الجريمة والمجرم ، غير أن القضاء الباكستانى لا يسمعه معاقبة هذا المجبر - فضلا عن غيره - بالتغريب لأن لائحة العقوبات لا تشمله .

الجرائم المتصلة بالأموال :
=====

يضم قانون العقوبات فى باب جرائم الأموال احدى عشرة قضية رئيسية ، وهى : السرقة والاستحصال بالجبر (الفصب) ، والسرقه بالجبر ، والنهب (الحراية) والتملك الجنائى غير المشروع فى الأموال ، والخيانة الجنائية فيها ، وما يتصل بالأموال المسروقة ، والاحتياى ، واخفاء الأموال تمويها على الدائنين ، واتلاف الأموال للاضرار بصاحبها ، والتعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات .

والذى يهم البحث هو القضايا الأربع الأولى واجزاء من القضية الأخيرة ، وما عدا ذلك فهو خارج عن نطاق البحث ، وقد طرق الفقه الاسلامى بعض تلك القضايا بصورة أوسع وأشمل كاتلاف الأموال ، وأخرى بصورة موجزة كالجنائيات التى تتصل بالأموال المسروقة ، ومنها ما هو جديد على الفقه الاسلامى ، ومحل نظر من علماء الاسلام .

السرقة : تعرف المادة ٣٧٨ من قانون العقوبات السرقة بقولها : " كل شخص يحرك مالا منقولاً
=====

(١) الحديث رواه مسلم ج ١١٥/٥ كتاب الحدود باب حد الزنا .

بنية أخذه بسوء قصد من حيازة شخص بدون رضاه يعد مرتكبا لجريمة السرقة " (١) وتعاقب
المادة التالية مرتكب السرقة فتص " كل من ارتكب جريمة السرقة يعاقب باحدى العقوبتين :
بالسجن الذى يصل أقصاه الى ثلاث سنوات أو بغرامة مالية أو بالعقوبتين معا " (٢)

تلك هى السرقة ، وهذه عقوبتها ، اذا وقعت الجناية فى غير الأماكن التى تحرز فيها الأموال
لأن المادة ٣٨٠ حددت السرقة من الحرز بالبنيان والخيمة والمراكب البحرية ، وعاقبت السارق من
هذه الاحراز بسجن يصل الى سبع سنوات ، وغرامة مالية . (٣)

ولا يختلف تعريف القانون للسرقة عن الشريعة الاسلامية كثيرا اذ يعرفها الفقهاء : بأخذ
العاقل البالغ نصابا محرزا أو ما قيمته نصاب ملكا للغير ، لا ملك له فيه ولا شبهة ملك على وجه
الخفية مستترا من غير أن يؤتمن عليه ، وكان السارق مختارا غير مكره . سواء أكان مسلما أم ذميا
أو مرتدا ذكرا أو انثى ، حرا أو عبدا (٤) ولكن شتان بين عقوبة القانون وعقوبة الشريعة ، فلا تتحد
عقوبة القانون لجناية السرقة ، ففى السرقة الصغيرة تخفف العقوبة ، وتشتد فيها اذا وقعت
لمال محرز فى تلك الاحراز الثلاثة ، أو وقعت الجريمة من الخادم فى مال سيده (٥) وتغلظ بسجن
مجهد قد يصل الى عشر سنوات اذا وقعت الجناية عن استعداد مسلح ، أو تخفيف لصاحب المال
بالقتل أو الايذاء . (٦)

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : هل السجن أو الغرامة أو كلاهما معا نجحا فى منع ارتكاب
هذه الجريمة ؟ وتجيب على ذلك سجلات الشرطة ، ومنصات المحاكم بالفشل ، واخفاق العقوبة
فى محاربة جريمة السرقة ، وعلة ذلك أن عقوبة السجن أو الغرامة أو الجمع بينهما لا تخلقان فى
نفس السارق العوامل النفسية التى تصرفه عن ارتكاب الجريمة ، ولأن عقوبة السجن لا تحول
بين السارق وبين الكسب والعمل الا مدة السجن ، وليس له حاجة الى مادام موفر الطلبات ، ملبى

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٢٤ . (٢) انظر مجموعة تعزيرات ص ٢٢٨ . (٣) المصدر السابق ص ٣٣٩

(٤) انظر عبد الرحمن الجزيرى الفقه على المذاهب الأربعة ج ١٥٦/٥

(٥) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٨١ ص ٢٣٠ .

(٦) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٢ ص ٢٣٠ .

الحاجات ، وما ان يخرج الجانى من محبسه حتى يعود الى السرقة من جديد فى جناية مشابهة وهكذا يظل الناس وغرف السجن فى دوامة لا نهاية لها .

ولكن انظر الى عقوبة قطع اليمنى من مفصل الكف التى حكم بها خالق الكون وعالم دوائله ، - فالسارق حين يسرق يستصغر كسبه الحلال ، ويفكر فى زيادة الثراء وتنميته عن طريق الحرام وجنائته هذه غايتها ابراز قدراته الواسعة على الانفاق ، أو الارتياح من غناء الكد والعمل ، فالدافع اذن جوع أو تكاسل عن الكسب الشريف أو اختلال الميزان الاقتصادى بين أفراد الأمة ، وقد حاربت الشريعة هذه الدوافع فى النفس البشرية بتوزيع الثروة توزيعا عادلا ، وبتقرير عقوبة القطع فما ان تحل بالمجرم حتى تنقص فعالية اليد أو الرجل ، ومن ثم ينقص الكسب والثراء .

يقول عبد القادر عودة فى معرض تحليله العوامل النفسية لمحاربة جريمة السرقة فى الاسلام " فالشريعة الاسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية التى تدعو لارتكاب الجريمة ، بعوامل نفسية مضادة ، فاذا تغلبت العوامل النفسية الداعية وارتكب الانسان الجريمة مرة كان فى العقوبة والمرارة التى تصيبه منها ما يغلب العوامل النفسية الصارفة فلا يعود للجريمة مرة ثانية ذلك هو الأساس الذى قامت عليه عقوبة السرقة فى الشريعة الاسلامية ، وانه لعمري خير أساس قامت عليه عقوبة السرقة من يوم نشأة عالمنا حتى الآن ، وانه السر فى نجاح عقوبة السرقة فى الشريعة الاسلامية قديما ، وهو السر الذى جعلها تنجح نجاحا باهرا فى الحجاز فى عصرنا هذا فتحوله من بلد كله فساد واضطراب ونهب وسرقات الى بلد كله نظام وسلام وأمن وأمان " . (١)

وعقوبة السرقة لا تتنوع فى الاسلام ، سواء وقعت الجريمة من حرز محدود كالصور التى ذكرها القانون ، أو من حرز أوسع وأشمل كما يعرفه فقهاء الاسلام ، وسواء سرق الخادم من مال سيده أو الأجير من مال صاحب العمل ، أو العكس ، كل ذلك متساو فى نظر الاسلام ، ويشترط فى ايقاع عقوبة القطع وغيرها من العقوبات - أن تتحقق الجريمة بشروطها المعروفة وأن تنتفى مبرراتها ، وان تخلف أحد الأمرين فلا قطع ، فهذا عمر بن الخطاب الملهم رضى الله عنه يوقف حد القطع عام الرمادة حين حبرا لمطر فأجدبت الأرض ، واعتبر الجوع شبهة يمنع إقامة الحد (٢) . وقضى

٦٥٢ / ١

(١) التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ج ١ / ٦٥٢

٣٩٠ / ١٠

(٢) انظر ارواء الغليل فى تخرىج أحاديث منار السبيل ج ١٠ / ٣٩٠

رضى الله عنه فى قصة الفلّمان الذين سرقوا ناقة المزنّى بتغريم حاطب بن أبى بلتعة سيد الفلّمان بالمال ، وعفا عنهم للشبهة أيضاً فقد روى " أن رقيقاً لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب فأمر عمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم ثم قال عمر أراك تجيئهم ثم قال عمر والله لا غرمك غرماً يشق عليك ، ثم قال للمزنّى كم ثمن ناقتك فقال المزنّى قد كنت والله امنعها من أربع مائة درهم فقال عمر اعطه ثمان مائة درهم " (١)

ويعلق الاستاذ محمد قطب على الحادثين فيقول : " هذه الحادثة كذلك ، قاطعة الدلالة فى أن العقوبة لا تنفذ فى الاسلام حتى يضمن لى الأمر أن مبررات الجريمة غير قائمة ، فإذا قامَت المبررات ولو على سبيل الشبهة — سقط الحد ، والرسول هو الذى يقول : " ادروا الحدود بالشبهات " فيجعل ذلك مبدأ تشريعياً ، لا تصل الرحمة الى أبعد منه فى معاملة الفرد حتى وهو يعتدى على أمن الجماعة وطمأنينتها " (٢)

الاستحصال بالجبر " الغصب " :

يعرف قانون العقوبات الاستحصال بالجبر " كل من يبعث قصداً فى نفس شخص الخوف من الأضرار به أو بأى شخص آخر ، وذلك يحمله عن سوء قصد على أن يسلم لشخص ما أى مال أو كفالة مال (سند قانونى) أو أى شئ موقع عليه بامضاء أو ختم يمكن تحويله الى سند قانونى يعد مرتكباً لجريمة الاستحصال بالجبر " (٣) وتعاقب المادة ٣٨٤ مرتكب الاستحصال بسجنه ثلاث سنوات أو تغريمه غرامة مالية أو الجمع بين العقوبتين . (٤) ، وتشتد عقوبة القانون حسب نوع التخويف فإن كان قتلًا أو ضرراً بالغاً أمكن عقاب الجانى بما يصل الى سجن عشر سنوات (٥)

ومعنى النظر فى تعريف الاستحصال بالجبر لا يشك أنه نوع من الغصب ، والمغالبة لأخذ المال والذى جرح الحديث عنه أن قانون العقوبات يربط السرقة بالجبر والنهب بالاستحصال بالجبر وعقوبته المحددة فى القانون جزء من تشريعه العام الرامى الى التخفيف عن يغصب الأموال مع الاحتفاظ بمبدأ تفضيل الفرد على الجماعة ، بينما الشريعة الاسلامية لم تحدد عقوبة معينة

(١) الخبر أخرجه الامام مالك فى الموطأ وانظر جلال الدين السيوطى تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك ج ٢/ ٢٢٠ كتاب الاقضية باب القضاء فى الضواري . . .

(٢) الإنسان بين المادية والاسلام ص ٢٠١ .

(٣) مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٣ ص ٢٣١ .

(٤) مجموعة تعزيرات ص ٢٣٢ . (٥) مجموعة تعزيرات المادة ٣٨٦ ص ٢٣٣ .

للفااصب والمبتر ، وانما وكلت ذلك الى الأفراد والمجتمع ، فاذا لم يكن للقضية حل الا بالقضاء
فإن الحاكم يعززه بما يحقق مصلحة الأفراد والأمة معا .

وتحدد العقوبة للفااصب في القانون مرجعه فساد التشريع الوضعي ، لخلوه من تشريعات
تحض على التعاون والبر ، وترشد أهل الاصلاح الى الأخذ بيد المظلوم ، والضرب على يد الظالم
الفااصب ، وقد عالج الاسلام الفصـب عن طريقين :-

١ - طريق التربية النفسية . وذلك حين حذر المصطفى عليه الصلاة والسلام من عقوبة الله يوم
القيامة "من أخذ شبرا من الأرض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين" (١) والتحذير
والتخويف للنفس المسلمة اردع من العقاب وانزال الجزاء .

٢ - يأمر القرآن الكريم المسلمين بالتعاون على البر والتقوى ، والامتناع عن المعصية والاعتداء
"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان" (٢) وتشكل المجتمع الاسلامي
الاول في ضوء الآية على ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله "انصر أخاك ظالما
أو مظلوما فقال : رجل يا رسول الله انصره اذا كان مظلوما أفرايت اذا كان ظالما كيف انصره ، قال
تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" (٣) ومثل هذه التشريعات كفيلة برفع الفصـب ،
والضرب على يد الفااصب من فئة المسلمين أفرادا أو جماعة .

ومن منطلق التعاون هذا أجمع العلماء على أنه ليس على الفااصب ، ولا على المكابر المغالب
قطع ألا أن يكون قاطع طريق شاهرا للسلاح على المسلمين مخيفا للسبيل فحكمه حكم المحارب (٤)
وان لم يتمكن العلاجان من كبح جماح الفااصب فيد الحاكم والقضاء في الاسلام أقوى من
الأفراد فلها تعزيره بما تراه مناسبا لردعه عن غيه .

(١) الحديث رواه البخاري ج ٤ / ٧٤ كتاب بدء الخلق باب ما جاء في سبع أرضين

ومثله في سنن الدارمي ج ٢ / ٢٦٧ .

(٢) المائدة آية : ٢ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ج ٨ / ٥٩ كتاب الاكراه باب يمين الرجل لصاحبه .

(٤) انظر بداية المجتهد ج ٢ / ٤٤٦ .

السُّرقة بالجبر :

تفيد المادة ٣٩٠ من قانون العقوبات أن كل سرقة بالجبر تتوفر فيها السرقة أو الاستحصال بالجبر و " تكون السرقة سرقة بالجبر اذا سبب الجاني أو شرع في أن يسبب عمدا ، لأى شخص موتا ، أو أذى أو حجزا غير مشروع أو تسببا فيه ، أو خوفا من موت عاجل ، أو أذى عاجل ، أو حجز عاجل غير مشروع أو تسبب فيه ، وكان ذلك لغرض ارتكاب السرقة أو عند ارتكابها ، أو عند الهرب ، أو الشرع فى الهرب بالأموال التى حصل عليها من السرقة " .

ويكون الاستحصال بالجبر سرقة بالجبر اذا كان الجاني حاضرا عند ارتكاب جريمة الاستحصال بجوار الشخص الذى حصل تخوفه ، ويرتكب الاستحصال بتخويف ذلك الشخص بموت عاجل ، أو بـأذى عاجل ، أو بحجز عاجل ، أو اصابة هذه الجنايات شخصا آخر ، وذلك يحمل الشخص الذى حصل تخوفه على تسليم الشئ حالا وفى المكان نفسه " (١)

وتعاقب المادة ٣٩٢ مرتكب جريمة السرقة بالجبر بسجن يصل الى عشر سنوات ومغرامة مالية واذا وقعت الجريمة بين غروب الشمس وطلوعها فإن عقوبة السجن قد تصل الى أربع عشرة سنة . (٢) عرفت أن تحول السرقة الى السرقة بالجبر مركب من جريمتين جريمة أخذ المال ، وجريمة القتل أو الأذى . أو التسبب فيهما ، وكذلك الاستحصال بالجبر لا يتحول الى سرقة بالجبر الا — بتحقيق جريمتين الغصب ، وارهاب المقتصب منه على تسليم المقتصب حالا فى حالة الارهاب ، ولا يدخل فى نطاق البحث الا السرقة المحولة الى السرقة بالجبر .

فالقانون حين عاقب الجاني فى السرقة الجبرية بثلاثة أضعاف عقوبة السرقة ، كأنه أغض عينيه عن الجريمة الكبرى ، وهى قتل النفس بغير حق على أعسلى تقدير ، أو التسبب فى الحجز غير المشروع على اقل تقدير ، فالعقوبة فى الحالتين غير رادعة ، لأن الأصل فى العقاب أن يعمد الجانى التذكر عند معاودة الجريمة ، وهذا غير حاصل بالسجن ، ولا سيما اذا وقع مع جريمة السرقة بالجبر قتل أو أذى بالغ .

فجريمة السرقة بالجبر فى نظر القانون جريمة واحدة ، بينما شريعة الله تفرعها الى جريمة أساسية

(١) مجموعة تمزيقات ص ٣٣٥ . (٢) انظر مجموعة تمزيقات ص ٣٣٧ .

وهى السرقة ، وجريمة فرعية ، ارتكبت من أجل تحقيق الأولى قد تكون قتلا وقد تكون جرحا ، ولكل جريمة عقابها الرادع ، حدا أو تعزيرا . ولا يستسيغ العقل البشرى أن يهدر الدم البرئ من أجل سارق يأخذ المال ، ويقتل من يقف فى طريقة لتحقيق جريمته المالية ، فالقانون بتطويل عقوبة السجن فى حالة القتل والجرح قصير النظر ، يحتاط للمال ، ويفرط فى حفظ حياة صاحب المال ، وذلك يفتح باب القتل من أيسر طرقه ، فللجاني أن يسرق ويقتل ، دون أن يجد يدا تعاقبه بمثل جنايته ، وتحفظ للمسالمين حياتهم وأموالهم .

وإذا أردنا حماية الأرواح والممتلكات واعطاء الجريمة حقها من التقدير والرعاية فلنعد الى شرع الخالق ، ونعاقب الجاني بقدر جنايته " وإن عاقبتم فمأقبوا بمثل ما عوقبتم به " (١) وشرع الله أرحم من المشرع البشرى بسجن تسع سنوات فى جريمة سرقة لم تتم ، بعد أن حجز الجاني صاحب المال ، أو تسبب فيه ، وظلم العقوبة الوضعية غير خاف فى الحالتين ، ففى السرقة مع القتل نجد المشرع البشرى مجحفا بالدم وأصحابه ، ومقصرا عن اقامة التوازن بين الجريمة والعقوبة ، وفى السرقة غير المكتملة هو ظالم للجاني بعقوبة عشر سنوات ، اذ يستحق الجاني أكبر قدر ممكن من التخفيف فى العقوبة ، بيد أن المشرع البشرى لم يعط الجريمة أو مرتكبها أى قدر من العناية بل تغاضى عنها ، وسوى بينها وبين الجريمة المكتملة ولا تخلو عقوبته والحال هذه من الافراط أو التفريط .

النهب (الحراة) : =====

تعرف المادة ٣٩١ من قانون العقوبات النهب بأنه : " اذا اشترك خمسة أشخاص أو أكثر فى ارتكاب جريمة النهب ، أو الشروع فى ارتكابها ، أو اذا كان مجموع عدد الأشخاص المشتركين فى ارتكاب جريمة النهب ، أو الشروع فيها ، والأشخاص الحاضرين الذين يساعدونهم على ارتكابها أو الشروع فيها يصل الى خمسة أشخاص أو أكثر ، فإن كل شخص ارتكب الجريمة أو شرع أو ساعد فى ارتكابها يعد مرتكبا جريمة النهب " . (٢)

وعقوبة النهب فى سجن الجانى مدى الحياة أو سجنه سجنًا مجهدا يبلغ أقصاه عشر سنوات مع غرامة مالية (٣) وتشديد العقوبة

(١) النحل آية : ١٢٦ (٢) مجموعة تعزيرات ص ٢٣٧

(٣) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٣٩٥ ص ٢٣٨ .

القانونية فيما يظهر يرجع الى تعدد الجناة الحاضرين على أرض الجريمة ، وما يحدثه ذلك من ارباب بالنسبة للمجنى عليه ، ولكن ستظل علامة الاستفهام قائمة أمام القانون الانجليزي في اتحاد عقومته بين المجرم وبين من يعينه في الجريمة ، وذلك وارد في أغلب تشريعاته العقابية للمعاونين وشتان بين المباشر والمعاون ، فالمقل يحتم التفريق بين المجرمين لا في النهب المشترك بل في جميع الجنايات ، فالقاتل غير المسك ، والمسك غير المترصد لعيون الأمن ، والكلل جان ، تختلف جنايته عن الآخر ، وسوقهم الى حبل المشنقة أو السجن بالشاوى أمر لا يرتاح اليه المقل ، بل يوجب التفريق بين هؤلاء الجناة جميعا .

لذا لا يتردد القضاء الاسلامى في التفريق بين المشتركين في النهب والسرقة الجماعية ، يعاقب السارق المخرج للشئ من الحرز بالحد ، اذا توفرت فيه شروط السرقة ، ويعاقب معاون — بالتعزير ، والى ذلك تشير عبارة الفقهاء رحمهم الله : " اذا اجتمع المباشر والمتسبب قسداً المباشر على التسبب " وتلك هى العناية الدقيقة لملاءمة العقوبة للجريمة ، وتحقيق التوازن بينهما ، ولشدة تحرى فقهاء الاسلام لهذا التحقيق نجد أنهم اختلفوا فيما اذا سرق جماعة مشتركين ولم يبلغ المال المسروق نصاب السرقة لكل منهم ، فذهب أبو حنيفة رحمه الله الى عدم القطع ، بحجة أن القطع علق بهذا القدر ، لا بما دونه ، فلا تقطع أيد كثيرة فيما أوجب فيه الشرع قطع يد واحدة ، وذهب من عداه الى قطع الجميع ، لأن العقوبة فى نظره انما تعلقت بقدر المال المسروق . (١) كل ذلك ينبك عن حرصهم رحمهم الله فى تحقيق التوازن بين الجريمة والعقوبة .

التعدى الجنائى غير المشروع فى الممتلكات :

صلة التعدى الجنائى . . . بالسرقة واضحة ، وتنص المادة ٤٥١ على أن " كل من يتعدى على الأمكنة لارتكاب جريمة عقومتها السجن . يعاقب بالسجن مدة لا تجاوز سنتين ، وتضاف

(١) راجع للتفصيل بداية المجتهد ج ٢ / ٤٤٨ .

اليه الغرامة المالية ، وإذا كانت الجريمة المراد ارتكابها جريمة سرقة فيجوز أن تصل مدة السجن الى سبع سنوات " . (١)

وتعاقب المادة ٤٥٤ كل من ينقب جدارا لارتكاب السرقة يسجن سجنًا قد يصل الى عشر سنوات مع الغرامة (٢) ، وان ارتكبت الجريمة ليلا بطريقة سرية وكتمان فالعقوبة حينئذ قد تصل الى سجن أربع عشرة سنة وغرامة مالية . (٣)

وعقوبة القانون في هذه الجرائم غير مقبولة عقلا ، غلظة في العقوبة عند الهدء والشروع ، ولين ورخاوة بعد الإتمام ، فإن ثقب السارق الجدار ، ولم يتمكن من ارتكاب السرقة عوقب بسجن عشر سنين ، أو أربع عشرة سنة ، وآخر سرق المتاع واكتملت الجريمة على يديه ، لا تعد وعقوبته ثلاث سنوات أو سبع (٤) ، إن العقل ليحتار في تبرير هذا المنطق المقلوب ، قسوة في موضع اللين ، ولين في موضع القسوة .

هفوات قانون الحدود " في جرائم الأموال :

لم تعط تباشير الخير في الحفاظ على الأموال ثمارها حتى اليوم ، ولكن الأمل معقود عليها عاجلا أو آجلا ، فالحد الاسلامي في جريمة السرقة والحراية هو الحل الوحيد الذي يحد من وقوع هاتين الجريمةين ، ويخفف عن الناس عبء حراسة ممتلكاتهم ليل نهار ، ويعيد اليهم الثقة المفقودة من التشريع منذ قرنين ، ولكن يلاحظ على التعديل الأخير (تنفيذ الحدود) أمور أهمها :

أ - تعرف المادة الخامسة من التعديل الأخير السرقة المستوجبة للحد بقولها " يستوجب عقوبة السرقة حدا كل بالغ يسرق أموالا تصل النصاب ، أو تزيد عليه ، من حرز بطريق السر والخفاء شريطة ألا يكون المسروق أموالا مسروقة ، ومع علم الجاني أن قيمة تلك المسروقات تبلغ النصاب أو تقاربه أو تزيد عليه " (٥)

ويفسر التوضيح الثاني طريق السر والخفاء بأن المراد منه " أن السارق يجزم أثناء السرقة أن صاحب المسروق لا يعلم عن فعلته شيئا ، ويلزم لأخذ المسروق خفية اذا كان الوقت نهارا ويدخل

(١) مجموعة تعزيرات ص ٢٧٢ . (٢) انظر مجموعة تعزيرات ص ٢٧٣ .

(٣) انظر مجموعة تعزيرات المادة ٤٥٧ ص ٤٧٣ .

(٤) وذلك اذ وقعت الجريمة من الاحراز الثلاثة / راجع المادة ٣٨٠ ص ٢٢٩ .

(٥) مجموعة اسلامي ص ٢٦ .

فى النهار ساعة قبل طلوع الشمس وساعتين بعد غروبها — أن تستمر السرقة على طريق الخفاء حتى اكتمال الجريمة ، وإن كان الوقت ليلاً فلا يلزم استمرارها بعد الشروع فيها بالخفاء " . (١)
ومن المعروف فى الفقه الاسلامى بالنسبة لعقوبة السرقة المستوجبة للحد أن الجانى لا يشترط فيه بل لا يفترض أن يكون عالماً بأن المسروق يبلغ النصاب ٥٠٠ ، وإنما ذلك من اختصاص القضاء الذى يعاقب الجانى ، لذا لم يشترط العلماء فى السارق الا البلوغ والعقل وأن يكون غير مالك للمسروق منه ، وألا يكون له عليه ولاية ، وألا يكون محارباً فى دار الحرب (٢) واشتراط العلم بالنصاب بمثابة ايقاف العمل بالحد ، لأن العقل لا يتصور اعترافاً كهذا من مجرم ارتكب السرقة المستوجبة للحد ، فالأولى حذف هذا القيد الذى لا محل له فى تشريع الاسلام .

وفى التوضيح تجد المقتن قد تجاوز حدود السرقة فى تعيين " طريق السر ليلاً " حيث رفع مسئولية صاحب المال عن المحافظة على أمواله ، وعاقب السارق فيما يبدو بما لا يستحق ، لأن شرط السرقة أن تتم خفية ، وهنا ليست كذلك اذ شرع فيها خفية واكتملت علناً ، فالعقوبة الى التعزير أقرب منها الى الحد .

ب — ضمت المادة الحادية عشرة العديد من الصور المسقطة للحد منها " صورة ج " وهى قبل أن يتم تنفيذ الحد يسحب صاحب المسروق تهمة السرقة ، أو يدلى بتصريح أن الجانى أقسر كذبا . . . " (٣)

فرفع التهمة عن الجانى يعد بلوغ الحاكم أو القاضى فى الحدود أمر لا تقره سنة المصطفى والمنفذ الأول لخاتمة الشرائع عليه الصلاة والسلام ، وقد جمعت السنة القواعد الأساسية لما يصح التغاضى عنه ، أو ابراء المتهم مما اتهم به فى حديثين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، تقول عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم الا الحدود " (٤)

ويروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم " تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب " (٥) وفيما يبدو أن

(١) مجموعة اسلامى ص ٢٦ (٢) راجع تفصيل هذه الشروط وغيرها فى الفقه على المذاهب الأربعة ج ١٥٤ / ٥ (٣) مجموعة اسلامى ص ٢٩ (٤) الحد يث أخرجه أبو داود فى سننه ج ١٣٣ / ٤ كتاب الحدود باب فى الحد يشفع فيه .

(٥) سنن أبى داود ج ١٣٣ / ٤ كتاب الحدود باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان .

المعدل اعتبر عقوبة السرقة حقا من حقوق صاحب المال ، له المطالبة به ، أو التنازل عنه ، قبل رفع الدعوى ، وبعد ثبوت التهمة ، غير أن الشريعة الإسلامية تعطيه هذا الحق قبل رفع الدعوى وتسحب منه ذلك بعد الرفع ، وحادثة سرقة رداء صفوان خير دليل في القضية ، يقول رضى الله عنه : " كنت نائما في المسجد على خيصة لى ثمن ثلاثين درهما ، فجاء رجل فاختمها - استلمها - منى ، فأخذ الرجل ، فأتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به ليقطع ، قال فأتيته فقلت اتقطعة من أجل ثلاثين درهما . أنا أبيعته وانسته ثمنها ؟ قال : فهلا كان هذا قبل أن تأتينى به " (١)

فالحنان والشفقة تراهما على أتم الوجوه من صفوان رضى الله عنه ، حيث حاول تنحية الحد عن السارق رحمة بيده ، فاقترح بيع المسروق وتأجيل الثمن ، باعتبار العقوبة حقوقا من حقوقه فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك : " فهلا كان هذا . . . " فلو صرح دفع الحد والاعفاء عن العقوبة المقررة شرعا بعد رفع القضية إلى القاضي أو الوالى لنحى عن هذا السارق . وكذلك قصة المخزومية السارقة التى أهم قريشا شأنها ، فكلم أسامة رضى الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، فتلون وجهه وقال : " يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله " ثم قام فاخطب فقال : أيها الناس ، انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٢) فلو كان هناك متسع لدرء الحد بعد ثبوته عند الحاكم أو القاضي لكان أولى الناس بهم هو نفسه عليه الصلاة والسلام ، فهو أرحم بالسارق من صاحب المسروق باخبار الله عز وجل " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (٣) لذا يعرف العلماء الحد بأنه " عقوبة مقدرة شرعا تجب حقا لله عز وجل " (٤) فالحدود حقوق الله ، وحقوق الله اذا ثبتت يجب صيانتها باقامة العقوبة المفروضة وليس لأحد أن يتنازل عنها بعد بلوغ الحاكم .

(١) سنن أبى داود ج ١٣٨/٤ كتاب باب من سرق من حرز رقم الحديث ٤٣٩٤ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨٦/١١ .

وانظر سنن أبى داود ج ١٣٣/٤ رقم الحديث ٤٣٧٤ .

(٣) الانبياء آية : ١٠٧ .

ومن الغريب بغير المقبول عند العقلاء أن يتولوا من سرق منه المال تكذيب اقرار الجاني لرفع الحد عنه ، وتكذيبه في هذه الحالة شبيه بطلاق من ليس في عصمته انش ، فالانحراف عن الاقرار حق للمعترف ، لا لمن اعترف له ، لأنه لا يملك الاقرار حتى يملك الانحراف عنه ، وحتى لو افترضنا أن عقوبة السرقة حق من حقوق المسروق منه ، فانه لا يملك الا العفو عن العقوبة دون سائر الحقوق التي تتصل بالجناية ، كالمستأجر لا يملك من العين المستأجرة سوى المنفعة ، أو ما استؤجرت من أجله ، فلا يعدو وضع المسروق منه وضع المستأجر اذا كانت العقوبة حقا من حقوقه يختص بها وحده ، وليس الأمر كذلك لأن الحدود حقوق الله تقام لمصلحة المجتمع ، لا لفرد بعينه .

ج - ظل التعديل الأخير مرتبطا بقانون العقوبات الانجليزي في العديد من بنوده ، ففي المادة الرابعة عشرة والعشرين يعاقب السارق ومرتكب جريمة الحراقة اللذان لم تبلغ جنايتهم الحد بالعقوبات التعزيرية الانجليزية ، التي فشلت في حفظ الأموال ، ومنع عصابات السلب والنهب .

جريمة شرب المسكرات ؛

وقبل أن نترك قانون العقوبات نقف وقفه التفكه عند عقوبته لشارب المسكرات ، حيث تنص المادة ٥١٠ ان " كل من يوجد بحالة سكر في مكان عام ، أو في أي مكان يعتبر دخوله فيه تعديا عليه ، ويسلك فيه سلوكا معيا يضايق شخصا من الأشخاص ، يعاقب بالسجن العادي الذي يصل أقصاه الى ٢٤ ساعة ، أو بغرامة مالية تصل الى عشرين ريال ، أو بالعقوبتين معا " (١) ويعلق الشارح على هذه الجريمة وعقوبتها بقوله : " هذه الجريمة هي أصغر جريمة في قانون العقوبات الباكستاني ، وعقوبتها القصوى هي حبس ٢٤ ساعة ، والتي تنتهي على العموم بانتهاء مجلس القضاء اليومى " (٢) بيد أن الاسلام عد هذه الجريمة ضمن قائمة الجرائم الكبرى وفرض على متعاطيها عقوبة حدية .

فالا سلام حين يفرض العقوبة على السكير حدا يعيده الى واقع الحياة ليتحمل مسئولياته

(١) مجموعة تعزيرات ص ٣١١ ، (٢) آيم - أشرف - بيك مجموعة تعزيرات ص ٣١١ .

وتبعاته ، ويحثه على المواجهة والمجادة ، ويغض اليه الهروب من المشكلات ، بينما تخفيف العقوبة الى الحد السابق أو التشريع الذى يبيح شرب المسكر مطلقا تحييان اليه الهروب و اعلان الهزيمة أمام مشكلات الحياة ، فالكأس التى تخدر أعصابه رويدا رويدا تبعده عن تلك المشكلات ، وتخلق له فى الخيال عالما جديدا هو بطله المغوار ، ليس فيه شئ من تلك المعضلات ، ومن ثم يفقد جهازه المجالد والمصارع قدرته على مواجهة وقائع الحياة .

وقد جاء التعديل الأخير يلبى رغبات المسلمين فى التقليل من هذه الجريمة باعلان الحد الشرعى وتطبيقه على من يتعاطى شيئا مسكرا ، ولكن المعدل يستشرف الى القانون الوضعى أكثر منه الى الفقه الاسلامى ، فما عقوبة السجن التعزيرية لشارب الخمر الذى لا تصل جريمته الى الحد بسجن يصل الى ثلاث سنوات الاجزء من القانون فى تغليظ العقوبة قبل اتمام الجريمة ، والتخفيف بعده فإيجاد التوازن بين الحد والتعزير أمر مطلوب شرعا ، واقامة التوازن بين ثمانين جلده وسجن يصل الى ثلاث سنوات أمر يخفى على العقل حكته .

هكذا فشل القانون فى الحفاظ على كليات الحياة ، التى يرتبط استقرار البشر وأمنهم باستقرارها وسلامتها ، فما خيبة التقنين البشرى فى الحد من الاعتداء على النفس أو العرض أو المال أو العقل الا اعلان بالهزيمة أمام هذه الجرائم والتحديات ، فهو لما سواها مما يدانيها أو يصفرها أضعف حولا وأقل مقدرة على مطاردة المجرمين ، واستخلاص المسالمين الأمنين من شباكهم المنصومة .

قانون الاثبات وبعض محتوياته :

=====

فإذا كان هذا مصير قانون العقوبات ، فما مدى صلاحية قانون الاثبات ، وطرق البينات لاثبات جريمة من الجرائم ، وما هى الشهادة التى يرتضيها هذا القانون لاثبات تهمة من التهم ، وهذا ما سأحاول تسليط الضوء عليه بإيجاز فى النقاط الرئيسية التالية :-

صدرت الموافقة على قانون الاثبات من مجلس التشريع فى ١٥/٣/١٨٧٢م ، وحل محل طرق الاثبات الشرعية فى أول سبتمبر ١٨٧٤م ، وبعد استقلال المستعمرة الهندية اختارته كل من الهند وباكستان ومورما وسيلان بعد تعديلات يسيرة كقانون لاثبات الجنائيات ، والقضايا

المتنازع عليها .

فإن كان الاقرار والشهادة سيدى الاثبات فى الاسلام ، فإن قانون العقوبات الانجليزى قدم عليهما
الكتابة فى الوثائق والمعاهدات اذ نصت مادته ٥٩ على : أن ما عدل المقالات والوثائق فى
الدعوى يثبت بالشهادة التقريرية " . (١)

عدد الشهود بين القانون والشريعة لاثبات قضية من القضايا :
=====

لا شك أن شهود القضية هم الذين يقع عليهم عبء الاثبات ، وكلما كثر عدد هم كان جانب الدعوى
أقوى وأثبت ، وكلما قل عدد هم وهنت الدعوى وضعف الاثبات ، غير أن قانون الاثبات يكتفى لاثبات
قضية من القضايا بشاهد واحد حيث ينص فى مادته ١٣٤ على أنه " لا يختص عدد معين من الشهود
فى قضية لاثبات حادثة من الحوادث " . (٢)

ومناء على ذلك تثبت الدعوى الجنائية والمدنية فى المحاكم بشاهد واحد ، وذلك اذا وثقت
المحكمة بصدق قوله ، فان كان مثل هذا الاجراء لصالح الدعوى فمن السهل أن يتمكن شهود الزور
وأصحاب الأغراض الدنيئة من ايقاع الأبرياء فى شباك التهمة ، وهذا ما هو حادث بالفعل ، فان
الشهادة كثيرا ما تبشركر على أبواب المحاكم ، وتشترى الذم بالاموال وعرض الدنيا .
وان قارنت بين طرق الاثبات فى الاسلام وبين قانون الاثبات الانجليزى وجدت بينهما بوناً
شاسعاً ، فالاسلام لا يضع جميع الدعوى فى صف واحد ، ولا يجمع الجرائم فى قائمة واحدة وانما
تختلف طريقة الاثبات فيه بين دعوى جنائية وأخرى مدنية ، وما يعمده القانون من الجنايات -
الشخصية التافهة كالزنا يثبت بشهادة شاهد واحد يحتاط الاسلام لاثباته بأربعة شهود ، ولا
تثبت التهمة حتى يشهدوا الجناية عيانا كالمرود فى المكحلة ، وإن نقص العدد أولم تكن شهادة
أحد هم شهادة عينية ، جلد الشهود ، وأخلى سبيل المتهم ، وهكذا نجد للاسلام عددا معيناً
من الشهود على قدر عظم الجناية وخفتها .

وما دامت الجنايات تعظم وتصغر ، والعقوبات تزيد وتنقص ، والناس يختلفون فى درجة الصدق
والكذب ، كان من المنطق ألا يتساوى عدد الشهود فى الجنايات والدعوى المختلفة .

(١) شرح قانون شهادت شرح قانون الاثبات ص ١١٨ .

(٢) " " ص ١٩٧ .

شهادة المرأة بين القانون والشرعة : =====

جر قانون الاثبات قاعدة المساواة في تحمل الشهادة وأدائها بين النوعين من البشر ، فتساوت المرأة بالرجل في أداء الشهادة في القضايا المدنية من طرفي النزاع ، وفي القضايا الجنائية هي أهل للشهادة من الطرف ألا ضعف المدعى عليه . ان تفيد المادة ١٢٠ " فسي اجراءات القضايا المدنية أطراف النزاع وزوج طرف أو زوجته أهل لأداء الشهادة ، وفي الاجراءات الجنائية زوج " المدعى عليه " وزوجته متساويان في أهلية الشهادة وأدائها (١) ومن المعروف غير المثير للجدل أن شهادة المرأة أمر مفروغ منه في الاسلام ، قال تعالى " واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احدهما فتذكر احدهما الأخرى " (٢) وفي ضوء الآية سار المسلمون عبر مسيرتهم القضائية ، فقضوا بحكم الله فعادوا شهادة امرأتين من الوجهة القانونية التشريعية بشهادة رجل واحد في المعاملات المالية ، وما ان ألغى القضاء الاسلامي حتى نفذ المستعمرون قاعدة المساواة في كل شئ واتهموا تشريع الخالق بازدراء المرأة ، وأنها فسي نظره تساوى نصف الرجل ، نظرا لكون شهادتها تعادل نصف شهادته ، دون أن يوثقوا النظر في فطرة المرأة ، وما جبلت عليه من الانفعال السريع ، أو المطف الأموي المتدفق وكل ذلك مظنة لأن تتأثر بملايسات القضية فتضل عن الحقيقة بوعي أو بغير وعي .

لذلك راعى الاسلام أن تكون شهادتها نصف شهادة الرجل ، لتوفير كل الضمانات المطلوبة في الشهادة ، سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو عليه ، فالتفاوت هنا لا علاقة له بالرجولة والذكورة ، وإنما مرده اعتبارات فطرية ، والتزامات شرعية .

فالاسلام يعتبر رسالة المرأة الاجتماعية هي السهر على شئون الأسرة ، ومذل كل ما تملكه من نشاط لتربية النشء الصالح ، وقادة المستقبل ، وهذا ما يقتضى منها لزوم البيت فسي غالب الأوقات ولا سيما أوقات البيع والشراء ، وما دوام خروج المرأة من مملكتها لا يقع الا لحاجة أدركنا سرتنصيف الشهادة ، فليس من شأنها في الغالب أن تشهد المعاملات المالية ، وما يشهد بصرها من ذلك على وجه المصادفة فإنها تمر به عابرة لا تلقى له بالا ، وإذا وقفت في

(١) قانون شهادات ص ١٨٥ . (٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢ .

صف الشهود كان أمام القاضى احتمال نسيانها أو خطئها ووهما ، ولكن اذا انضمت اليها امرأة اخرى وشهدت بمثل مشاهدتها زال ذلك الاحتمال ، وقوى جانب التذكير والتثبيت .
وذلك هو المطلوب للمعدالة لاحقاق الحق وابطال الباطل .

ثم ان شهادة المرأة فى الاسلام فى القضايا المدنية المتنازع عليها أو الجنايات ليست على درجة واحدة ، بل تختلف قيمة شهادتها من قضية الى أخرى من واقع طبيعة الانثى ، وعلى قدر تعاملها واتصالها بالقضية ، لذا صنف فقهاء الاسلام شهادة المرأة على مراتب : *
أ - استبعاد شهادة المرأة فى بعض القضايا الجنائية التى ترتفع فيها موجة عاطفتها ، فتطفى على عقلها وعلى الحقيقة معا ، وذلك كشهادتها على حادث يوجب حد الزنا ، فكان ممن الرحمة بها والعدل مع الجناة ان تحتاط الشريعة لمثل هذا الموطن ، فأعفتها من الشهادة .

ب - اعتبار شهادة المرأة نصف شهادة الرجل تمشيا مع التزامات المرأة الشرعية تجاه المجتمع وذلك فى مجال التجارة والتصرفات المالية ، وهو المنصوص عليه فى الآية (١) ، لأن المعروف من طبع البشر ان ذاكرتهم تقوى فى الأمور التى تههم ويمارسونها ، وتضعف فيما لا يههم ولا يكثر اشتغالهم به ، وعلى ذلك كان من المنطقى التثبيت والتحقق أن يطالب القضاء بتوفير ثقة أشد فيما يتصل بجانب الضعف وقلة التذكر ، وما أن الاسلام رضى للمرأة لزوم البيت وعدم تبذلها فى الأسواق كان تشريعه فى تنصيف الشهادة فى الأمور المالية مكرما للمرأة ، وملائما لفطرتها كأنثى .

ج - تقديم شهادة المرأة على شهادة الرجل فى بعض القضايا كأساس للاثبات أو النفى كقضايا الولادة والبهارة والثبوتة والميوب الجنسية لدى المرأة التى لم يكن يطلع عليها الا النساء فى العصور الماضية ، ولا تقل شهادتها اليوم عن الرجل بعد مشاركته لها فى هذه الأمور كالأطباء ونحوهم .

د - مساواة شهادة المرأة بالرجل سواء بسواء . وذلك فى قضية اللعان ، فعندما يقذف الزوج

(١) يا أيها الذين آمنوا . . . واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى . . .
الآية ٢٨٢ سورة البقرة .

زوجته بارتكاب الزنا ، ولا يملك شهادة لاثباته ، فالحكم الشرعى أن يلج كلاهما باب الملاغنة .
ليتيم التفريق بين الزوجين : " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاداء الا أنفسهم ،
فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من
الكاذبين ، ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ، والخامسة
أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين " (١)

ويبدو أن المشرع الانجليزى قد أدرك بعض هذه الجوانب ، وعند شهادة المرأة فيها أضعف
من الرجل ، وأوصأ الى ذلك ناصاً على مساواة المرأة بالرجل فى الشهادة فى القضايا المدنية
وخصص مساواتها بالرجل فى القضايا الجنائية لصالح المدعى عليه دون المدعى ، وهذه التفرقة
فى الجنايات اقرار من المشرع البشرى بعدم مساواة شهادتها فى كل شئ ، وهذا ما قضت به
الشريعة الاسلامية ، وامتازت عن القانون وتفوقت عليه فى تحديد القضايا التى تعد شهادة
المرأة فيها مساوية للرجل أو دونه أو مفضلة عليه ، وأغرب ما نجد فى باب الاثبات فى القانون
ما يسمى بشاهد الملك واليك الحديث عنه باختصار .

شاهد الملك : =====

تقضى العدالة بالتحقيق مع المتهم وعقابه اذا ثبت عليه الجناية ، ومدلول ذلك أن غير المتهم
من شهد الجناية أهل لا بداء ما عاينه أو سمعه ، ولا يتعقل قبول متهم كشاهد فى جناية
هو أحد مرتكبيها ، فلا يملك المتهم الا الدفاع عن نفسه ، وإبراء ساحته من التهمة ، وذلك
هو الذى يتمشى مع منطق التخاصم والمقاضاة ، غير أن قانون الاجراءات الجنائية يعطى القاضى
حق عرض العفو على متهم وإبراءه من جناية تصل عقوبتها الى سجن سبع سنوات فما فوق ، وتحويله
من قائمة الجناة الى قائمة الميثبين " الشهود " بشرط أن يفضى الى المحكمة افضاء كاملاً وصادقاً
عن الجريمة ، وكل الظروف المتصلة بها ، وبالأشخاص الذين اشتركوا فيها باعتبارهم فاعلين
أو محرضين عليها .

تقول المادة ٣٣٧ " يجوز فى كل جريمة تختص محاكمتها بالمحكمة العليا ، أو بقاضى المديرية

أو في كل جناية تصل عقوبة سجنها الى عشر سنوات ٠٠٠٠ ، أو في جناية تصل عقوبتها الى سجن سبع سنوات ٠٠٠٠ ، لقاضى المديرية ، أو لقاضى الدرجة الأولى فى أى وقت أثناء التحقيق أو المحاكمة أن يعد بالمعفو لغرض الحصول على شهادة أى شخص يظن أنه شارك بطريق مباشر أو غير مباشر فى الجريمة المظلومة ، أو على علم خاص بها ، بشرط أن يكشف كشفا كاملا وصادقا عن كل الظروف التى يعلمها ، وتكون متصلة بالجريمة المذكورة ، مع تعيين الأشخاص الآخرين الذين شاركوا فيها باعتبارهم جناة مباشرين أو مساعدين ٠٠٠٠ ”

” وكل شخص يقبل عرض العفو طبقا لأحكام هذه المادة تحرر أقواله أمام القاضى الذى يحاكمه كشاهد من شهود القضية ٠٠٠٠ ” (١)

وتعطى المادة ٣٣٨ حق عرض العفو وإبراء المتهم لكل محكمة بدأت فيها محاكمة أى جريمة من الجرائم على الشروط المذكورة سابقا بقصد الحصول على شهادة شخص يظن أنه شارك فى الجريمة بطريق مباشر أو غير مباشر ، أو أنه على علم خاص بها . (٢)

ويطلق على هذا المتهم أو الجانى فى القانون اسم ” شاهد الملك ” King,s Witness ومن المشكوك فيه إيقاف الجريمة بهذا المسلك .

أ — عرض العفو وإبراء المتهم حق من حقوق المجنى عليه ، أو من له صلة به فى ضوء مبادئ العدالة ، وسحب هذا الحق منه وإعطاؤه للسلطة القضائية تعد على حق المظلوم ، فلا تخلو حينئذ ساحة القضاء من الظلم ، ومن ثم لا يخفى مناقضة العرض لما تقوم المحاكمات من أجله ، وما ينتظره الناس من دفع الظلم بالقضاء .

ب — إذا كان حق التنازل عن الجريمة أو العقوبة ثابتا للمدعى أو القضاء وفق نظرية القانون ، فإن الرعاية والتقدير للجريمة والمجرمين يدعوان الى المساواة بين مرتكبى الجريمة ، ويرفضان التفاوت بين مجرمين اشتركوا فى جريمة واحدة ، فبأى منطق يفضل المتهم ” شاهد الملك ” على أصحابه

(١) مجموعة ضابطة ٠٠٠ ص ١٩٧ ولعل أول من عرض عليه العفو الموعود على أرض الهند هو الشيخ محمد جعفر التهايتسرى أحد أعضاء حركة الجهاد التى حمل لواءها السيدان راجع للتفصيل كالابانى ص ٥٤ .

(٢) انظر مجموعة ضابطة ص ١٩٨ .

ج — نقل المجرم من صف الجناة الى المدافعين عن القضية أمر لا يقبله العقل ، فضلا عن أن يبرره القضاء ، فان كانت العقوبة تردع الجانى عن أن يعود الى الجناية أو مثيلاتها مستقبلا ، فما الذى يقوم باداء هذا الدور فى هذه النقلة وخدمة القضية بأخذ الشهادة من أحد المجرمين فسان عدم القضاء بهادداً فى الناس غنى عن مثل هذا الشاهد ، والظلم لا يدفع بمثله ، ولذلك خلت منصات القضاء الاسلامى من مثل هؤلاء الشهود المتهمين بالجناية — فى كل الفترات الممتدة عبر التاريخ .

د — من الرحمة بالمتهم عرضه على التحقيق فى مختلف مراحله ، فان ثبتت براءته عاد الى المجتمع وهو نقى لم تلوث التهمة جانبه ، وان ثبت عليه شئ عوقب بما يستحق ، وان عفا عنه أصحاب الحق أضحى أسير احسانهم مدى الحياة ، وهذا المسلك تتوثق الروابط بين المتنازعين ، واما إن برأته المحكمة ايفاء بوعدها فلن ينجو من عقاب أصحاب الحق ، مهما بذل له من الضمانات أو أحيط بسياج الاجراءات الأمنية شبه الواقية ، لأن محاربة العنصر القبرى أمر غير متصور فى النفس البشرية .

الاصلاحات المطلوبة فى القضاء :

وان أردنا عودة القضاء الى أداء وظيفته من منع الجريمة ، أو الحد منها ، يلزمنا الأخذ بالوجهات التالية :—

أ — الفاء حرفة المحاماة :

يجب تطهير ساحات المحاكم من المحامين المحترفين ، ولو رجعت ببصرك الى تاريخ القضاء فى الاسلام وحاولت أن ترى صناع المحاماة على أبواب المحاكم أو فى قاعاتها لأعيانك ذلك ، وبعد استحكام السلطة الاستعمارية فى الهند سمح للمحامين بدخول ساحات المحكمة ، كترجمين ينقلون الى القاضى الأوربى كلام المتخاصمين ، ويعيد اليهم استفساراته حول القضية ، ويشير تقرير الدولة عن البنجاب لعام ١٨٦٣م — ١٨٦٤م الى ذلك بقوله " فى محاكم المدن الكبيرة سمحنا للمحامين بالدخول فيها ٠٠٠ ، ونرى أن ذلك سيعين المحكمة ، ويزيل العقبات الكثيرة التى تعترض طريق الفصل بين الناس " (١)

(١) رپورت مجموعى بینجاب عن عام ١٨٦٣م — ١٨٦٤م ص ٥ .

ولما كانت الترجمة تتطلب الوقت الكثير تراكمت القضايا أمام المحاكم ، وشح المترجمون لقلة من يتقن الانجليزية آنذاك ، مما حمل الأوربيين على التفكير مرة أخرى في الخلاص من هذه الأكدار ، حتى وجدوا الحل الأمثل المؤقت في حث المترجمين في الإسراع ، وزيادة عدد هم مهما أمكن ، ولو باعطائهم نفقات فرضها لهم القانون على حساب العدل والقضاء ، فاضطر الناس أن يطلبوا ودهم لاسترداد الحقوق المرتبطة بوجودهم ، حتى أصبحوا يشكلون جسر العبور بين المتقاضيين والمحكمة .

ومعد رحيل القضاة الأوربيين واحلال من يفهم لغة الشعب مكانهم أمل الناس تطهير المحاكمات من هذا الطرف الدخيل ، ولكن هيهات ، لعدم وجود مصرف لخريجي كليات الحقوق الكثر لدى الدولة ، واحتياج القضاة الى فهم القانون الذي لا يتمتع بأى رصيد شعبى في الدول المنفذة له ، ويقترح الاستاذ المودودى كحل وسط لمعضلة العدد الهائل من هؤلاء الخريجين فيقول : " لقد قام الحكم الاسلامى فى أكثر من نصف الدنيا فى الأتى عشر قرناً الماضية ، فلا ترى لهذه الحرفة عينا ولا أثرا فى نظامه القضائى . بل كان عندنا بدلا منها منصب الافتاء فعلمينا أن نجدده اليوم مرة أخرى ، والمفتون فى الزمن القديم كانوا يكسبون معيشتهم على أكثر الأحوال بحرفة من الحرف الحرة ، ويفتون للناس بدون نظير شئ من الأجرة ولكن لما قد ازدادت مرافقنا اليوم يجوز أن نعين عددا كافيا ممن لهم خبرة بالقانون بما يكون فيهم من الاختصاصيين فى مختلف شعب القانون ، ونقطع لهم الرواتب المقولة من الخزائنة العامة حسب حاجات كل بلدة ومقاطعة ، وتكون زيارة الخصمين أو " خدمتهما " لهم بشئ من المال غير مشروع بحكم القانون " (١)

فالمحاماة بوضعها الحالى يأبى روح الاسلام وجودها ، ومن المحال أن يسرى تشريع الله فى المنازعات بروحه الصحيحة ، ويؤتى الثمار المرجوة منه ما دامت المحاماة الحرفية قائمة ، بل الذى يجزم به المطلع على أعمال أغلب المحامين أن المسلمين سينسلخون من الايمان بعدمجى الشريعة الى منصة القضاء إن بقى هؤلاء يتلاعبون بالشريعة الالهية مثل تلاعبهم بالقوانين الوضعية ، وذلك غير مستبعد ممن حرفته أخذ المال كأساس لأحقية المعطى فى القضية ، فكل من يدفع المال من الخصمين فهو على الحق فى نظر المحامى .

. وسينتج الفناء المحاماة أمورا محسودة أهمها :-

أ - يقل بين المسلمين عادة التخاصم الذميمة ، التي يرتبط بقاءها ببقاء المحاماة في الغالب ، والفناء لها وسيلة لاحتلال الإخاء محل التنازع والخصام .

ب - تصبح المحاكمات مختصرة ، فيتوفر للمتخاصمين ولقضائهم الوقت ، وتتهيا لهم سبل الوصول الى الحق في أسرع وقت ممكن ، لخلو جلسات المحاكمة من طرف ترتبط مصلحتهم بالتطويل لتبرير " الأتعاب " فيرفع قضاء الاسلام الزمن فيسرع في اصدار الحكم ، وتلك ميزة الاسلام في القضاء .

ج - يتوفر للمتحاكمين وللدولة المسلمة الكثير من النفقات ، لأنه كلما أسرع في الفصل في القضية ربح المتخاصمون أجور النقل على أقل تقدير ، فيبدلون الوقت الذي ربحوه في الصالح العام أو الخاص ، وترتاح أعصابهم من إرهاق المشول أمام القضاء ، وتنعدم الدعاوى التي يرفعها الجد ويتابعها الأبن بالانفاق ، ولا يفصل فيها الا بعد أن يعجز الحفيد سنا ومالا .

د - تظهر ملابسات القضية على خير وجه أمام القضاء ، اذ الجريمة لا تخفى معالمها مالم يمرن مرتكبها على اخفائها ، وبعد انعدام الجهة الممرنة يسهل كشف الجاني ، ودراسة ظروف الجناية والأسباب المؤدية اليها ، وفي ضوء هذه البساطة يسهل على القاضي اصدار الحكم وتعيين الجناة .

ب الفناء الرسوم انقضائية :
=====

والوجهة الاصلاحية الثانية التي لا تقل أهمية عن الفناء حرفة المحاماة هي الفناء رسوم المحكمة التي فرضها المستعمر لجمع المال - كما مر معنا - من الطرق المتنوعة ، فان كنا مسلمين الارادة مستعمرين آنذاك فقد عادت الينا الارادة والاستقلال ، وأن لنا أن نصفي المحكمة من المحدثات الضارة بمصالح العباد التي لا عهد للقضاء الاسلامي بها طوال القرون الماضية والاسلام يحكم انصاف المظلوم من الظالم يأبى تصور مثل هذه الرسوم ، ولم تكن المحكمة يوما بقالة لا ينال منها أحد العدالة دون أن يدفع ثمنها ، ولم يكن من نصيب المظلوم الذي لا يملك قيمة العدالة أن يتنازل عن حقه ، ويتحمل الضيم لعدم قدرته على دفع الرسوم . وسيتعرض أخصائي الاقتصاد على الفناء بحجة أن المحكمة لن

تستطيع سداد تكاليفها المتنوعة والوفاء بمطالبها الكثيرة .

ويجب المطلاع على سير القضاء في الاسلام ، بأن النظام الاسلامي متى ساد البلاد لن يكون في حاجة الى هذا الحشد الهائل من العاملين في المحكمة ، وسوف يستغنى عن العديد منهم ، لأن تشريعاته الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية ستقلل مما اعتاد عليه الناس من التخاصم ، ومن ثم لن تكون المحكمة بحاجة الى هذه الكثرة العاملة في ساحاتها اليوم ، وبذلك يستغنى القضاء الاسلامي عن دفع رواتب العديد من القضاة والنظار والمستشارين والنواب ، الذين تتحمل رواتبهم اليوم كضربة لازب للتشريعات الوضعية التي لا تضمن العدالة ، ولا تمنع الظلم بين الناس .

ويقترح الاستاذ المودودي وسيلة أخرى لسداد نفقات المحكمة بعد الاستغناء عن العديد من عمالها فيقول : " ثم إن ما عسى أن يبقى بعد كل ذلك من تكاليف نظام المحاكم على خزانتنا ، سوف لا نحمله على كل متظلم من أرباب القضايا ، وإنما سوف نحمله على الذين يستغلون وجود المحاكم ويحاولون أن يجنوا منها منافع غير مشروعة ، أو الذين ينالون من وظيفة المحاكم منافع غير عادية كأرباب القضايا المزورة ، والشاهدين بالزور ، والمتخلفين عن الاجابة اذا دعتهم المحاكم الى حضورها ، وذلك بصورة أن نغرهم غرامات مالية ، ونلزمهم اداؤها .

" كما أنه من الجائز أن تسدد هذه التكاليف بغرامات المجرمين المحكوم عليهم في المحاكم ، أو بأن نضع الضريبة بحسب سعر محدد على كل من ينال من المحكمة مرسومًا ذا مقدار محدد من المال ، على أنه من الواجب أن تسدد ميزانية مصلحة العدالة من الخزنة العامة ، اذا هي لم تسدد بمثل هذه التدابير ، لأن الفصل بين الخلائق وأنصاف المظلوم من الظالم من الواجبات الأساسية لنظام الحكومة " . (١)

وجهة نظر قابلة للأخذ والرد ، يمكننا السير عليها في دور التدرج والانتقال ، دون الاستمرار والمداومة ، لأن تسديد تكاليف المحكمة من جيب الخصوم أو بعضهم مظنة للمساومة والانحياز ، وتغلب أهل المال على الحق ، وعلى من يسعى لاسترداده ، لذلك كاد أن يخلو القضاء الاسلامي في الماضي من العقوبات المالية لصالح الدولة أو المحكمة . . . بل الوضع أوسع مدى حيث لم تشرع عقوبة مالية في حد من الحدود ، أو في جريمة تعزيرية معينة ، ولو استقصيت الحوادث التي

عوقب أصحابها في القضاء الاسلامي بالغرامة المالية لما تجاوزت عدد أصابع اليد الواحدة .
وما دام الاسلام لا يجذب تغريم الناس بالمال ، لكونه غير رادع ، أو يخلق آثارا اقتصادية غير
محمودة وجب التقليل من العقوبات التعزيرية المالية ، وترك ما ينحوه القانون الوضعي عند
تذييل معظم بنوده بقوله " وغرامة مالية أو بالعقوبتين معا " .

ج - تكوين مجمع علمي قضائي :

الأمر الاصلاحى الثالث الذى لا يقل عن الغاء المحاماة والغاء الرسوم القضائية أهمية هو
تكوين مجمع علمي تكون مهمته دراسة الأحكام القضائية بدقة ، واستعراض كل ما تم انجازه على
أيدي اسلافنا من الأعمال في هذا الصدد حتى الآن ، من جمع وترتيب ، ووضع فهرس وعناوين في
اسلوب يفهمه أهل هذا العصر ، وله في ذلك القانون قدوة يمكن السير عليها ، ولا شك أن مثل
هذا العمل مجهد وشاق ، لأن طريقة التدوين لتراثنا التشريعي القديم مختلفة عن طريقة العصر
الحاضر واسلمه ، فلم تكن مسائل التشريع قد ظهرت تحت مختلف العناوين كالتى نراها اليوم ،
كانفراد مسائل القانون الدستورى أو القانون الدولى فى باب مستقل بل نجد ذكر ما يتصل
بذلك مفرقا فى أبواب النكاح والخراج والجهاد والارث ، وكالقانون الجنائى نجد مسأله مبعثرة
فى أبواب الحدود والجنايات والديات .

فالحاجة تدعو اليوم الى أن يتفرغ عدد من علماء الاسلام يملكون نظرة تبصر وادراك فى مسائل
القانون الحديث ليسعوا الى ترتيب التراث وتبويبه ، ويستخلصوا مسأله فى أسلوب عصر خال من
تعقيدات الفلسفة والمنطق اليونانيين ، ومن ثم يسهل صب المواد التشريعية فى قالب قانونى على
غرار كتب القانون المعاصر ، والجهد المتصل الذى بذله الدكتور تنزيل الرحمن فى " مجموعة قوانين
اسلام " خير قدوة لمن أراد العمل على هذا الدرب ، ولكن الحذر الحذر فى اقتفاء أثره فى عقوباته المالية
وكل ما يتم صياغته من المواد التشريعية يجب أن يأخذ طريقه الى التنفيذ ، فيلغى جميع
ما كان قائما مقامه من القوانين الوضعية ، وهذا التدرج وارتباط الجهات بعضها ببعض ضمن اعادة
شرع الله الى منصات المحاكم من جديد فى مدة غير طويلة ، والتدرج فى التطبيق أمر لا مفر منه
لأن البناء الذى تهدم منذ قرنين تقريبا لا يمكن اعادة صرحه دفعة واحدة فى أسبوع أو شهر أو

سنة أو بضع سنين •

والتدرج سنة من سنن الله الكونية ، تأخذ به كل أمة تريد استبدال شرع بشرع ، أو نظام بنظام وهذه كتب التاريخ تحدثنا عن تدرج الانجليز في التشريعات الوضعية في الهند ، فلم تأخذ مجراها الى الشعب دفعة واحدة في مدة محددة ، وإنما ظل الفقه الاسلامي يتمتع بالتطبيق على الأيدي الحاكمة غير المسلمة مدة غير يسيرة ، وصرف الانجليز قرناً أو ما يقاربه في تبديل نظام الهند وقانونها وسيبقى وقت غير يسير حتى يعود شرع الله بكل جزئياته الى حياة المسلمين ، ولكن ذلك لا يمنع من تنفيذ بعض التشريعات حالا ، كالحدود والقصاص ، وما انتهى العمل في تجهيزه كالشفعة وقانون الاثبات •

وللإسراع في الانجاز واختصار الطريق أمام عودة شرع الله عز وجل يجب اشراك العلماء وخريجي المدارس الدينية في سلك القضاء — رغم ضحالة معلوماتهم ، وقلة ادراكهم للعمومات الشرعية لأنهم أوسع ادراكاً للأحكام الفرعية الشرعية من خريجي الحقوق والكليات القانونية ، وأقل ما يملكه المتخرج في المدارس الدينية فهم النص الاسلامي بلفته العربية ، دون الاعتماد على الترجمة ، وهذه الميزة غير حاصلة لخريجي الحقوق ولا المحامين الذين أضلوا حياتهم في القراءات القانونية •

د — اصلاح التعليم التشريعي في كليات الحقوق والمدارس الدينية :

يجرنا هذا الوضع الهزيل للتعليم القانوني الى الكلام عن اصلاح جذرى لسير الدراسة في كليات الحقوق والمدارس الدينية معا ، فالتعليم الذي يناله طلبة الحقوق لا يسد الفجوة من وجهة نظر الاسلام لأن المتخرج يجهل الاسلام وتشريعهم ، بل تصطبغ عقليته بصبغة النظريات والأفكار غير الاسلامية ويترى على صفات تعين على تنفيذ القوانين الوضعية وتعيق تنفيذ التشريعات الالهية ، فما لم نغير هذا الوضع فلن تنتج كلياتنا رجالاً يجدر أن تتاط بهم وظائف القضاء والافتاء في دولة مسلمة •

وفي المدارس الدينية يشحن عقل الطالب منذ البداية بالفروع الفقهية المختلفة ، ثم يدرس الحديث بعدئذ من هذه الزاوية الفقهية المحددة ، وهكذا القرآن ، فلا يهتدى الا الى الخلاف والنزاع ، دون الوفاق وما اتفق عليه ، وتغيب عنه مقاصد الشريعة ومطالبها العامة الشاملة ، وينحصر الدين عنده في ترجيح مذهب الفقه على المذاهب الأخرى •

والحل الأمثل أن يلزم الحقوقيون بدراسة تشريع الاسلام دراسة ملمة ، وأن يوجهوا في مراحلهم التعليمية ما قبل الكلية الى القرآن والسنة ، ليقتبسوا من نورهما الأسس التشريعية العامة ، وبعد التحاقهم بالكلية يجب أن يدرس لهم أصول الفقه الاسلامي مع مبادئ القانون مقارنين ، وتاريخ الفقه الاسلامي في مختلف اطواره ، ثم يدرس لهم المذاهب الفقهية المشهورة بصدور منشرح وقلب حول .

وبالنسبة للمدارس الدينية يجب تقديم دراسة الكتاب والسنة دون طرق الخلاف على دراسة الفقه وتعطى الأولوية لمسائل الاتفاق والشمول ، ويخفف حمل الطالب أثناء الدراسة من الخلاف ، واختلاف الآراء ، وذلك ضمن ايجاد قضاة على المنهجين يحملون عبء المحاكم ، مع أهليتهم لصياغة أحكام جديدة تتفق مع طموحاتنا الاسلامية في دولة راقية ، فتسد قنوات الاستيراد ، ونقل التقنين من الغرب .

وما لم نقوم بعمل جاد يناهض قانون الانجليز ، وما بذروه في القضايا الاجتماعية وفي التعليم وفي المعتقدات الدينية سنبقى متأثرين بالغرب تابعين له ، مع تملكنا الاستقلال وتحرير الأرض والشعوب ، لأن الغرب قد احتاط لبقاءه مدة أطول بالتأثير في هذه الزوايا الأساسية الأربعة ، وتعهدوا بتربية أفراد على منهجه ، وايجاد فرق تحمل لواء الدفاع عن أفكاره في تلك الزوايا ، وتشجيع أخرى محسومة على الاسلام ، وذلك بتجميع أفرادها المشتتين ، وتنظيمهم تحت زعامة موحدة — عجلة قيادتها في الأيدي الأوربية — تمثل الغرب من واقع الحياة الغربية ، وتحث المنتسبين اليها على السير وراء الغرب حذو القذة بالقذة . . . كل هؤلاء موضوع الحديث في الباب التالي .

الباب الثالث

أثر الفكر الغربى فى الفرق المنحرفة عن الاسلام

(الفصل الأول)

الشيعة - الاثنا عشرية ، البهرة ، الاغاخانية - وأثر الفكر الغربى فيها

ويشتمل

على النقاط الرئيسية

التالية :-

- ١ - ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة .
- ٢ - معنى التشيع .
- ٣ - الشيعة الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربى فيها .
- ٤ - البهرة وظاهرة الإخفاء .
- ٥ - البهرة والاستعمار .
- ٦ - منابذه البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار .
- ٧ - البهرة والربا .
- ٨ - تقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج .
- ٩ - البهرة والتعليم .
- ١٠ - مرتكزات الاغاخانية المعاصرة (حسن بن حسن الموتى ، صدر الدين)
- ١١ - التعاون العسكرى بين جيش اغاخان وشركة الهند الشرقية .
- ١٢ - دور الانجليز فى دعم امامة اغاخان .
- ١٣ - موقف اغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الاولى .
- ١٤ - ولى عهد الامامة على خان وقتاله فى صفوف الغربيين فى الحرب العظمى الثانية .
- ١٥ - بعض الأسس الاغاخانية .
- ١٦ - نشاطات الاغاخانية فى باكستان .

الفصل الأول

ظاهرة التعاون بين الأفكار المنحرفة :

الفرق المنحرفة عن الاسلام كثيرة ، وتعاونها مع الفكر المناوي ، لدين الله ممتد عبر التاريخ ، فما من معاد لله ولدينه الا ويجد المساندة من هذه الفرق ، فحين احتل الانجليز الهند وجدوا فرقا تناوي العقيدة الصحيحة ، فاستفادوا من مقاومتها ، ووجهوا جهودها الى ما يقوى جانبهم ويمد فكرهم وسلطانهم بالبقاء أطول فترة ممكنة .

أضف الى ذلك أن المحتلين شجعوا كل فكرة تبعد المسلمين عن دينهم المنزل ، وساندوا كل زعامة تقف سدا بين المسلمين وبين العودة الى شرع الله ، فخرجت الى حيز الوجود فرق بمقائد وتشريعات لم يعرفها الاسلام ^{من قبل} ونسبت الى دين الله أمور ما جاء الا لمحاربتها ، وتمت الحلقة بإنشاء فرق على يد الاستعمار ، تحمل لواءه ، وتدافع عن فكره ، وتنقض الاسلام باسم الاسلام ، وعلى ذلك يمكننا تقسيم الفرق التي استفاد منها الغرب وفكره الى قسمين : -

- أ - فرق كانت موجودة قبل الانجليز ، فغذيت ورفعت العراقيل عن تعميم فكرها ، أهمها الشيعة بفرقها الثلاثة - الاثنى عشرية ، البهرة ، الاغاخانية - والصوفية .
- ب - فرق لم تكن موجودة فوجدت بايعاز من الفكر الغربي تارة ، وتشجيعها أفكارا وتشريعات لا عهد للاسلام بها تارة أخرى ، أهمها : البريلوية ، وأهل القرآن ، والقاديانية ، واليك الحديث عن كل واحدة حسب تأثيرها بالفكر الغربي على حدة .

معنى التشيع :

الشيعة بصفة عامة هم الذين يرون أحقية علي من أبي طالب دون غيره من الصحابة رضوان الله عليهم بالخلافة والامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الصعب تحديد الفترة الزمنية التي ظهر فيها التشيع بهذا المفهوم ، وإن كنت تراه في مظهره العملي في أواخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولا سيما ابان احداث استشهاد ، وما خلف ذلك من حرب الجمل وصفين والنهرवान .

والامامة في نظر الشيعة أصل من أصول الدين ، لا يصح التصرف فيه من عامة المسلمين ، فلم يلتحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه عندهم الا بعد أن نص على خليفته على رضي الله عنه

من بعده ، وأما سائر المسلمين فيرون الخلافة من المصالح التي يجب على المسلمين اقامتها عن طريق الشورى ، فيقوم المنتخب باقامة الدين وتطبيق العدل بين أفراد المجتمع المسلم وحماية الثغور ، وحفظ الحدود للدولة الاسلامية . . .

ويوجد في شبه القارة الهندية من منطلق النص على الامامة ثلاث فرق شيعية : الشيعية الامامية الاثنا عشرية ، الشيعة الامامية النزارية ، الشيعة الامامية المستعلية ، ويتفق الجميع في سوق الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في كل من علي ابن أبي طالب ، فالحسن والحسين ، فعلى زين العابدين فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق رحمهم الله .

ويفترق الاثنا عشرية عن النزارية والمستعلية بجعل الامامة بعد جعفر في ابنه موسى الكاظم ، فعلى الرضا ، فمحمد الجواد ، فعلى الهادي ، فالحسن العسكري ، فمحمد القائم وذلك يتم لهم اثنا عشر اماما فسموا بذلك .

وأما النزارية والمستعلية فيسوقون الامامة بعد جعفر في ابنه اسماعيل فمحمد بن اسماعيل . . . ويتسلسلون بها حتى امامهم المستنصر بالله ، معد بن علي عاشر الخلفاء الفاطميين في مصر ، ولسوقهم الامامة في اسماعيل وابنه يسمون بالاسماعيلية . واختلفت المستعلية مع النزارية ففى المنصوص للامامة من ابناء المستنصر بالله ، فوثق الأولون أن النص وقع على أحمد بن معد المستعلى بالله ، ويرى الاخيريون أن النص وقع على اكبر الأبناء نزار بن معد المصطفى لدين الله ، وذلك انقسمت الاسماعيلية الى نزارية ومستعلية ، ومقتل نزار ابان الثورة على أخيه دخل أئمة النزارية دور الستر ، ولم يخرجوا الى مجتمعهم الا بعد أن اقتنصهم الانجليز ، فظهر امامهم أغاخان " الأول " في ايران في الربع الثاني من القرن التاسع عشر بعد الميلاد .

وخلف المستعلى ابنه المنصور بن أحمد الأمر بأحكام الله ، الذي اغتاله النزاريون عام ٥٢٦ هـ ، فخلفه ابنه محمد الطيب أبو القاسم الذي دخل دور الستر عن الأعين في مهده ، ويعترف لأخلافه بالامامة الآن " البهرة الشيعية " بفرقها المتعددة .

وكل ما ذكرت مما يتصل بالامامة وتعاقبها موضع خلاف شديد بين أهل السنة والشيعة من جهة وبين الشيعة الاثني عشرية والاسماعيلية من جهة أخرى ، وبين الطيبيه والنزارية مرة ، وبين اتباع احدى الطائفتين فيما بينهم مرة أخرى .

الشيعة الاثنا عشرية وأثر الفكر الغربي فيها : =====

تشير المصادر الى أن التشيع الاسماعيلي أقدم وصولاً من غيره الى أرض الهند ^(١) ، فلم تطلأ أقدام الاثنا عشرية هذه الأرض علناً الا بصحبة همايون بن بابر المغولي ^(٢) وظل ساعده يقوى يوماً بعد يوم ، وسلطاناً بعد سلطان ، ولم يحد أحد من قوتهم الا السلطان أورنگ زيب العكبر رحمه الله ^(٣) ، وازداد الوضع سوءاً بالنسبة لأهل السنة في أواخر الدولة المغولية لتشييع بعض ملوكها ، أو تقديسهم الحماية والرعاية للمتشييعين .

ويصف هذا الوضع المزري عبد المجيد سالك فيقول : " ازداد نشاط التشيع في الهند أيام انحطاط الدولة المغولية حتى أصبح من العسير التفوه بذكر أسماء الخلفاء الثلاثة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، فشمس الشاه عبد العزيز بن الشاه ولي الله عن ساق الجد في الرد على هؤلاء مع قلة مؤلفاته ، إذ لا نجد له سوى " تحفة اثنا عشرية " و " عزيز اقتباس " و " سر الشهادتين " . (٤)

هكذا نجد التشيع الاثني عشري استغل ضعف دولة المسلمين السنية ، فبسط سلطانه على منطقة أوده وما جاورها ، متخذاً مدينة لكهنؤو مركزاً لجميع تحركاته ، وساعده على ذلك وجود المستعمر الذي ظل يترقب كل تحركات أهل السنة السلمية والمعادية ، وبعد انتقال السلطة الى الأيدي الانجليزية عام ١٢٧٢ هـ لم يكن للاثني عشرية بد من التأثر بما تأثر به أهل السنة ، لذا نجد أغلب الاتجاهات الغربية — سواء كانت عقيدية أو اجتماعية أو قضائية أو تعليمية موجودة فيهم كوجودها بين أهل السنة ، غير أن شعورهم بكونهم أقلية بين المسلمين السنيين ظل يحد من انجرافهم وراء التيارات والأفكار الغربية ، وأهم آثار النفوذ الغربي بالنسبة للشيعة الاثني عشرية تتمثل فيما يلي :—

١ — الاحساس بالتميز والانحياز عن أهل السنة ، فنظموا صفوفهم انطلاقاً من هذا الاحساس ، فمثلاً ترى أن مدينة لكهنؤو ظلت عام ١٩٠٤ م مركزاً مشتركاً بين الشيعة والسنة والهندوس لاجراء المحفل العزائي يوم عاشوراء ^(٥) ، وكان يشترك في تلك المسيرة المحرّمية كل أولئك جنبا الى

(١) انظر عبد الحى الحسنى / الثقافة الاسلامية في الهند ص ٢١٧

(٢) انظر تاريخ الدعوة الاسلامية ص ٦٥

(٣) انظر تاريخ المسلمين ... ج ٢ / ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٩

(٤) مسلم ثقافت ... ص ٦٢٤ وانظر هندو ستان مين مسلمانون كا ... ج ٢٧٨ / ١

(٥) لجهل أهل السنة حكم الشرع في مثل هذا العمل غير المشروع .

جنب ، وفى تلك السنة أخذ خطيب الشيعة مقبول أحمد يثير الحفائظ ، ويلقى المواعظ المليئة بالسب والشتم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعلن تبرؤ الاثنى عشرية من خلافة الخلفاء الثلاثة ، رضى الله عن أصحاب رسول الله ، وذلك أول اسفين دق بين أهل لكهنو لتحقيق القولة الانجليزية الشهيرة " فرق تسد " سواء أدرك الشيعة ذلك أو لم يدركوه .

وأقصى ما وصل اليه المستعمر لاضرام النزاع بين السنة والشيعة أن اعتبر مدينة لكهنو مدينة شيعية يتعرض فيها أصحاب المصطفى رضى الله عنهم أجمعين للسب والشتم علنا ، ويحرم على أهل السنة تعظيم الصحابة ، وكم من دماء سنية اريقت دفاعا عن عقيدة أهل السنة .^(١) ولولا يد المستعمر الخفية — بعد القضاء والقدر — لكان المجتمع الاثنا عشرى محدود الخلاف ، يرتبط بأهل السنة ولو فى الظاهر .^(٢)

٢ — والأمر الآخر الذى يربنا أثر الغرب فى الشيعة الاثنى عشرية هو فتح مدارس خاصة بهم فى الهند الموحدة ، والمعروف فى تاريخ التعليم الاثنى عشرى أنهم كانوا يتلقون تعليمهم الدينى فى ايران ولم يكن لهم قبل الاستعمار معاهد أو مدارس تستطيع اشباع ما تتطلع اليه نفوس الدارسين وأول مركز تعليمى اقيم لهذا الغرض على أرض الهند هو الجامعة الناظمية فى لكهنو ، التى أسسها أحد أثرياء تلك المدينة عام ١٨٩٠ م ، ثم ظهرت فيها الى حيز الوجود مدرسة "سلطان المدارس" بمساعى رهط من العلماء ورجال الجاه والمال ، وهما أشهر معهدين للامامية الاثنى عشرية فى شبه القارة الهندية كلها .^(٣)

وينقسم نظام المعهدين التعليمى الى قسمين :

١ — القسم الابتدائى ، ويقضى الطالب فيه تسع سنوات من عمره ، يدرس خلالها جميع المواد الابتدائية .

٢ — القسم العالى : ومدة الدراسة فيه أحد عشر عاما ، يتلقى الطالب فيها جميع العلوم الأساسية والالكية ، كترجمة القرآن ، وتفسيره ، والحديث ، وأصوله حسب التواتر

(١) انظر تفاصيل مثل هذا التشاحن ، وما أنتج من المصادمات الدموية عند أفضل حق فى تاريخ احرار ص ٢١٩ ، ومرزا محمد سلمان هندكى حیات سیاسى "الحياة السياسية عند المسلمين الهنود" ص ٢٢٢ .

(٢) انظر بعض التفاصيل للدماء المراقبة فى مجلة الفتح ج ٨٩ / ١٢ — ومسلمانان هندكى حیات سیاسى ص ٢٢٢ .

(٣) انظر مراكز المسلمين التعليمية ص ٦٦٦ ٦٦٧ — مجلة الفتح ج ٧٢ / ٩ .

المألف عند الاثنى عشرية ، والفقه الشيعي ، والعقائد ، والنحو ، والصرف ، والمنطق ، وعلم الكلام والأدب العربي ، وشطر من التاريخ الاسلامي فاعالمى . (١)

هذا ويمنح المعهدان خريجيهما ثلاث شهادات : القابل (بكالوريوس) الفضيلة ، ممتاز الأفاضل أو صدر الأفاضل ، ويختصان بطلبة الشيعة ، ولا يسمح بالالتحاق بهما الا للطالب الاثنى عشرى أضف الى ذلك أنهما يقومان باعداد طلبتهما لأداء الامتحانات فى الجامعات الهندية الرسمية (٢) وبلغ عدد المدارس الاثنى عشرية فى باكستان حسب احصاء الحافظ نذرا أحمد ثمان عشرة مدرسة (٣) فالتعليم الاثنا عشرى برمته فى الهند كلها مدين للاستعمار ، وملة من منته على تلك الطائفة ، هدف من وراء اعانة الطوائف التى انحرفت عن جادة الحق ، وشغل المسلمين بعضهم ببعض .

البهرة وظاهرة الاخفاء : =====

تشير المصادر التى بحثت عن أصل كلمة " البهرة " أنها مأخوذة من فيوهار Vahru التى تعنى التجارة فى اللغة الكجراتية الهندية ، فالبهرة هم التجار ، وسموا بذلك لأن السواد الأعظم من تلك الأمة تعمل فى التجارة منذ ارتباطهم بمهد الاسلام (٤) ، ومركزهم الحالى هو مدينة " سورت " فى الهند ، وتشير رواية البهرة الفريدة أن أحمد المصرى أول اسماعيلى وطئت قدماء أرض كهنبايت فى الهند ، بأمر من المستنصر بالله الفاطمى لنشر الدعوة الاسماعيلية فى تلك الأرجاء . (٥)

ويعتبر البهرة بوضعهم الحالى ورثة الفاطميين المصريين ، وامناء دعوتهم عقيدة وتشريعا ، ومؤلفات المهد الفاطمى هى المصادر المعتمدة لباطنيتهن دون ريب ، وإن كنت ترى أن عامتهم قد تأثر بالهندوسية والفكر الغربى معا فى الأونة المعاصرة ، وأخذ يتخلص من قيود المتكتم

(١) انظر للتفصيل مراكز المسلمين ٠٠٠ ص ٦٤ (٢) انظر مراكز المسلمين ٠٠٠ ج ٦٦٦٤

(٣) انظر جائزة مدارس عربية ص ٨٠٨ .

(٤) انظر ابجد العلوم ٠٠٠ ج ٣ / ترجمة محمد طاهر فتني والاستاذ زاهد على البهرى تاريخ فاطميين مصر ج ٨٤ / ٢ ، ومحمد نجم الفنى فى مؤلفيه سلك الجواهر فى أحوال البواهر ص ٤١ ومذاهب الاسلام ص ١٢٣ والسيد أباطفر الندوى كجرات كى تمدنى تاريخ " تاريخ كجرات التمدنى " ص ٨٨ .

(٥) انظر عهد على سيف الدين ، مجالس سيفية المجلس التاسع ، نقلا عن السيد أبى ظفر الندوى عقد الجواهر فى أحوال البواهر ص ٦٣ والثقافة الاسلامية فى الهند ص ٢١٥ ، وسلك الجواهر ص ٤١ .

والانزواء ، وأسرار الدعوة وفلسفة اليونان ، غير أن زعيمهم (الداعى المطلق) ما زال محور الحركة والتكتل ، لذا لا يسهل النفوذ اليهم ، والوصول الى ما عندهم ، وما يحتفظون به من وفاق أو خلاف مع شرع الله ويعود ذلك الى سببين :-

١ - ان قوام الدعوة الاسماعيلية هو الإخفاء ، وعدم العمل فى وضوح النهار ، فإن كان أعداؤهم الأمويون والعباسيون فى الأزمنة الغابرة أجبروهم على ذلك السير فقد تمت لهم السيطرة على جزء غير يسير من العالم الاسلامى ، ابان عهد الفاطميين فى مصر ، والصليحيين فى اليمن ، غير أن دعوتهم لم تظهر من وراء القضبان الحديدية ، وما تزال كذلك رغم انتشار العلمانية والاحاد فى الدول التى يسكنونها الآن ، وإنهم اليوم فى مأمن على أرواحهم وأعراضهم - وأموالهم ان أرادوا الكشف عما يبيتون فى ظلم الليل .

فالبهرة كاليهود ، لا يسمحون لأحد باعتناق مذهبهم ، مالم يولد من أصل بهرى ، لذا يقول المرزا محمد سعيد أحد المعتمدين فى وزارة التعليم فى الهند " إن البهرة على العموم امة محصورة ، لا يصح لفرد غير اسماعيلى الآن اعتناق مذهبهم البتة ، كما أن أوامر النكاح تدور فيما بينهم كالحلقة المفرغة " (١) وفى زنجبار التى قطعت جيل الاتصال بين زعيم البهرة وأتباعه - حاولت كسر هذا الطوق بجر العديد من البهرة الى التكلم عما يدنون فلم أفلح ، وكادوا أن يتفقوا على قولتهم العامة " المذهب كالمذهب يجب اخفاؤه " .

٢ - الداعى المطلق هو الحاكم الفعلى لجميع أفراد البهرة الشيعة ، له الأمر والنهى ، والاسود والأبيض بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان ، فلا يصح من بهرى أن يؤم المصلين الا بأذنه ولا يحق له أن يعمل عمالا خيرا من بناء مستشفى أو مدرسة . . . الا بأمره ، ولا ينعقد نكاح البهرة الا اذا عقده الداعى أو من أذن له من عماله ، كما لا يصح من متبع الداعى أن يدعوا الى المشاركة فى مراسم النكاح والزواج من ليس ببهرى الا بأذنه أو بأذن عامله . (٢) لذا يقول الدكتور زاهد على البهرى - الخبير بما فى البيت ، وما يعانى أهله من أزمت - فى أهم مؤلف نشر عن البهرة المعاصرة حتى الآن : " وما يجدر ذكره أن المذهب الاسماعيلى منذ

(١) مذهب اورباطنى تعليم " المذهب والتعليم الباطنى " ص ٣٢٤ .
(٢) انظر كأمثلة واقعية لهذا الاطار الحديدى فى " عقد الجواهر فى أحوال البواهر " ص ١٢٤ ، ٢٨٥ ، ٣٥٩ ، ٣٨٠ .
ومذهب اور . . . ص ٣٢٤ .

وجود الدولة الفاطمية حتى طوى فراشها لم يظهر على الملاقط ، لأن منظمة الاسماعيلية المسماة بالدعوة أمر مستور ، فالستر والاسرار مما جهل عليه المذهب ، ومن هنا لا تكشف اسرارها لكل أحد ، حتى إن الدارس الاسماعيلي لن يتلقى علم التأويل الا بعد عهود ومواقف ، اصلا علم الحقيقة فلا يصل اليه الا الشاذ من البهرة . . .

" وفي الآونة الحالية نستطيع ان نعد اخواننا العارفين بحقيقة المذهب الاسماعيلي على الأصابع ، ولتلك النادرة والقلّة سببان : أولهما : ان لغة كتبنا الدعوية هي العربية ^(١) وثانيهما صعوبة الحصول على الاذن لقراءة كتاب من تلك الكتب " ^(٢)

ومن هنا يجد البهرة منافذ الخروج مما يلزمهم به أهل السنة ، ويتصلون من تصرفات زعمائهم ، وما لى نواصيهم إن ألت بهم الملهمات ، ولكن نجد من الظواهر ما هو موضع اتفاق بين العاصمة والخاصة من البهرة ، وتخالف شرع الله ، بغض النظر عن أن تكون تلك الظواهر من صميم الفكر الغربي ، أو ترتبط به برساط لا يرى بالعين المجردة ، واليك أهم تلك الظواهر :

* البهرة والاستعمار :

لن استرسل في الحديث عن تعاون البهرة مع الاستعمار الانجليزي ، لأنه من المعروف أن — الاستعمار اينما حل كبت الأغلبية لحساب الأقلية ، وساند المنحرفين على المستقيمين ، وهذا المسلك يستلزم تعاون الاقلية مع المستعمرين . . . ، لذا لا نجد مقاومة تذكر من البهرة المالكين لشواطئ الهند تجاه الانجليز المغيرين على سلطة المسلمين مع تعارض مصالح الطرفين بعضهم تجاه بعض في العلن ، وسأحصر بحثي في هذه النقطة بعرض موقفهم من عدة احداث هامة لتصل من ورائها الى النتيجة دون غناء .

أ — في عهد الداعي الرابع والأربعين محمد عز الدين وقعت سرقة ضخمة من مسكن اللورد الفسترن المسئول عن شركة الهند الشرقية عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٦ م في بومباي ، وكان من ضمن المسروقات سجلات الشركة الرسمية ، وبعض الأشياء الثمينة ، وحاولت الشركة القبض على المجرمين ، واعادة المسروقات فلم تغلح ، فاتصلت بنائب داعي الهند ، والتمست منه العون في ذلك ، فرحب

(١) عامة البهرة لا يعرفون سوى اللغة الكجراتية .

(٢) همارت اسماعيلي مذهب كي حقيقت اوراس كانظام " مذهبنا الاسماعيلي حقيقته ونظامه " ص ١٢١

بذلك الطلب ، وتمكن خلال بضعة أيام من رد السجلات دون غيرها ، ومنذ ذلك الحين وطدت العلاقات بين الطرفين ، وأصبح فرض عين على كل رئيس للشركة الاتصال بالداعى طلبا لمعونته فى استتباب الأمن ، والرسائل المتبادلة بين الطرفين خير شاهد لهذا التعاون . (١)

ب - قتل العالم . رمضان على السنّى فى حى البهرة بمندسور فى ٢٥ / ربيع الثانى ١٢٣٩ هـ فى عهد الداعى الخامس والأربعين على أيدى حرسه الخاص ، وحاول السنيون أخذ ثأره بمحاصرة مسكن الداعى فاستجد بالانجليز ، فأسعفوه بثلاثة كتائب من جيشهم المسلح ، ثم شرعوا لـه قانونا يخوله إقامة كتيبة مسلحة تحفظه وتحفظ اتباعه فى كل نازلة وآفة ، ولما حاول العلامة مظهر على المطالبة بدم الفقيد حكم عليه بالسجن المؤبد من قبل محكمة انجليزية (٢) ، وما زال ذلك الدم البرى معلقا بدمتهم حتى الآن .

ج - فى عهد الداعى السابع والأربعين عبد القادر نجم الدين (١٨٤٥ م - ١٨٨٥ م) توطدت علاقات البهرة مع الدولة المستعمرة أكثر من كل المجهود السابقة ، نتيجة التعاون الوثيق بين داعى البهرة والحكام وظهرت نتيجة التعاون فى الامتيازات التى وهبت له ، فقد اعتبرته الدولة أعظم رؤساء منطقة دكن على الاطلاق ، واستثنته من قانون حمل السلاح ، وحمته من المثل أمام القضاء المدنى ، ولا زال الدعاة يتمتعون بهذه الميزات حتى اليوم . (٣)

د - أما الداعى الحادى والخمسون طاهر سيف الدين فتعاونه مع المستعمرين ما زال حديث الشيوخ ومن طال بهم العمر حتى الآن ، فما أن تولى سدة الدعوة الطيبة أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٥ م حتى أعلن ولائه للدولة الحاكمة ، ويعبر الشيخ أبو ظفر الندوى عن هذا الاخلاص المتفانى فيقول : " ظلت علاقاته مع الدولة حسنة على الدوام ، والدولة بدورها أقرت له بكل الامتيازات الممنوحة للدعاة السابقين ، لذا اعترفت له بالامير الممتاز فى ولاية دكن كلها ، وفى الحرب العظمى قدر سيدنا طاهر سيف الدين الموقف حق التقدير ، فظهر بعد نظره

(١) انظر عقد الجواهر ص ٢٦٢ و ٢٤٣ .

(٢) " " " ص ٢٦٣ و ٢٤٦ .

(٣) انظر عقد الجواهر ص ٢٥٨ .

فى الاخلاص للدولة ، وانقاذها بكل السبل الممكنة ، فوهب لها أموالا طائلة ، وأقرضها أخرى^(١) وحث الاتباع على نهج هذا المنهج ،^(٢) وقد مدت هذه اليد المنقذة الى المستعمرين حين كانت حركة الرسائل الحريية المسلمة تخطط لطردهم ، وحين كان المسلمون موقنين أن الغرب يريد أن يمزق الخلافة العثمانية — رمز وحدة المسلمين — ويرغب فى الاجهاز عليها ، وتوزيع ثروتها من الولايات المسلمة بين الفاشمين الأوربيين .

منايذه البهرة لأهل السنة أيام الاستعمار :

لم يتجرأ البهرة الداؤدية على خصام أهل السنة طوال تاريخهم المديد على شواطئ الهند كتجرؤهم بعيد الحرب الكبرى الأولى ، ولم تشهد ساحات المجتمع البهرى نشاطا علنيا يعادى أهل السنة الا فى هذه الفترة ، وبدأت المعركة الكتابية بين الطرفين حين الف داعى البهرة طاهر سيف الدين كتابه " ضوء نور الحق المبين " وأمر بطبع خمسة آلاف نسخة منه . وكلف أتباعه بقراءته على جموع البهرة ، وفى مجالسهم الخاصة والعامة .

وان تصفحنا الكتاب نجد المؤلف يكفر جميع أمة التوحيد ، ما عدا أتباعه الداؤدية فنراه مثلاً يحكم على من لم يؤمن به بقوله " من لم يؤمن بى " ويعترف بأنى داع له يجب عليه اتباعه ، لا يقبل منه توحيد ، أى ليس بمسلم البتة . . . ومن يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة لا تقبل منهم كلمة الشهادة ، بل تضرب بها وجوههم ، وليسوا بمسلمين " .^(٣)

ويحكم على المنشقين عن طاعته بقوله : " ان الحبل الذى أمركم الله الى الاعتصام به أحد طرفيه بأيديكم ، وهو أخوكم وأقل عبيد امامكم الذى يدعوكم اليه ويهدىكم ، والطرف الآخر الذى بيد الله منتهى حدود عالم النفس . . . فمن زعم أن معرفته لنبيه أو وصى نبيه أو امام زمانه^(٤) تكفيه دون معرفة داعيه فقد ضل عن قصد السبيل ، ويا بالعذاب الويل ، وكلمة شهادته لله غير مقبولة " .

(١) عقد الجواهر ج ٢٧٨ وانظر لمزيد من التفصيل عن احداث الحرب وموقف البهرة منها ص ٢٨٣ — ٢٨٤

(٢) انظر عقد الجواهر ص ٢٨١ (٣) ضوء نور الحق المبين ص ٣٣ — ٣٤

(٤) ضوء نور الحق المبين ص ٣٥

فهب المسلمون بالرد عليه أفرادا وجماعات ، محاولين التعرف على حقيقة البهرة وخرجت الصحف تحمل العديد من المقالات التى تفضح المزاعم البهرية ، وقد تبرع حاجى أحمد من مدينة سورت بجمع خيرة الردود وطبعها باسم " سيف بردين فى الرد على ضوء نور الحق المبين " سيف الشرع فى الرد على ضوء نور . . . فخدمت تلك الجذوة ، وعاد البهرة الى التكم من جديد .

البهرة والريا :

من الأمور المسلمة لدى بهرة اليوم أمر الريا ، فقد أباحوه أخذا واعطاء ، ولم يختلف قولهم عن قول حكام الهند المحتلين ، ومن الصعب تعيين الداعى الذى أباح لهم هذا التعامل " كما أن الصعوبة تكتنف الريا فى كونه مستحدا فى عهد السادة الاوربيين ، أو انه تعومل به فى الخفاء دون العلن قبل مجىء هؤلاء ، غير أنه لم يبرز على الساحة علنا كظاهرة تعامل دون - خلاف الا فى عهد الانجليز ، ومن هنا نص الشيخ محمد نجم الغنى ان البهرة يتعاملون بالريا علانية اعطاء وأخذا . (١)

تقويم البهرة وأثره فى صوم رمضان والحج :

عمدة التقويم الاسماعيلى اتمام شهر محرم بثلاثين يوما ، ونقصان صفر ، واكمال الربيع ، ونقصان أخيه ، واتمام جمادى الأولى ، ونقصان الآخرة ، واتمام رجب ، ونقصان شعبان ، واتمام رمضان ونقصان شوال ، واتمام ذى القعدة ونقصان ذى الحجة مالم تكن السنة سنة كبيسة (٢) وينسبون هذا التقويم الى جعفر الصادق رحمه الله .

ويتبنى على هذا التقويم تقديم يوم أو يومين عن عامة المسلمين فى صيام رمضان ، وعيد الفطر ،

(١) انظر مذاهب اسلام ص ١٢٤ وسلك الجواهر فى أحوال البواهر ص ٦٧ وعقد الجواهر ص ٣٨١

(٢) السنة الكبيسة هى التى يصبح شهر ذو الحجة فيها ثلاثين يوما ، ويعرف ذلك بـأن تقسيم السنة الهجرية التى تود معرفة الكبيسة فيها بعدد الثلاثين فان كان المتبقى (٢٠٨٥٥٨٠٠١٣٠١٦٠١٩٠٢١٠٢٤٠٢٧٠٢٩٠) تكون السنة كبيسة / انظر محمد حسن الأعظمى ، نظام الصوم عند الفاطميين ص ١٣٠١٤٠٨٥ وعقد الجواهر

ص ٨٥ ومذهب أوربا طنى تعليم ص ٣٢٣ .

والوقوف بعرفة ، ولربما امثل له الاسماعيلية منذ ايجاده في الخفاء ، ولكنهم لم يظهروا به كمنشقين عن عامة المسلمين طوال احقاب التاريخ الماضية ، ويبدو أن الفرصة لم تواتهم لظهاره الا بعد استيلاء الانجليز على الهند .

ويبرر الشيخ أبو ظفر الندوي موقف البهرة فيقول : " من الأمور المشهورة عند المؤمنين — البهرة — حديث نقصان شعبان على الدوام ، واتمام رمضان الى الأبد ، والآية القرآنية : " ولتكمّلوا العدة " (١) خير شاهد لذلك ، والمراد من الاتمام ثلاثون يوما ، ومن الناقص تسع وعشرون يوما ، لذا نجد على العموم أن صيام المؤمنين يتبدى قبل عامة المسلمين بيوم أو يومين ، ومثله العيد ، فإنهم يعيدون قبلهم بيوم أو يومين " . (٢)

وان عدنا الى الحج نجد البهرة يقدمونه أيضا عن عامة المسلمين يوما أو يومين بناء على تقويمهم الخاص ، وينقل الشيخ محمد نجم الغنى عن أحد حجاج البهرة في أداء مناسك الحج فيقول : — " انا وصلنا عرفات قبل الناس ، كما وصل إليها اسماعيلية اليمن . . . وقد أدى جميعنا مراسم الحج قبل الناس بيومين ، وحين تجمهرنا في عرفات تحت قيادة عالم اسماعيلي يمني أحاط بنا جمع من أهل السنة ، وسألونا عما نعمل قبل الوقفة ، فأجبناهم بقراءة أدعية مأثورة ، فانصرفوا بعد سماع هذا الجواب الساذج ، ثم انصرفنا الى مزدلفة ، وقضينا فيها ليلتها جوار طريق الطائف الذي يسلكه الحجاج القادمون من هذه المدينة ، وكلما سألنا الجمع السنّي القادم الى عرفة عن سبب انصرافنا عنها أجابناهم بأننا قادمون من الطائف ، سننزل مكة ، ثم نقدم منها الى عرفة ، وهكذا قضينا تلك الليلة ، ثم عدنا الى عرفة ، وسرنا شركاء لعامة الحجيج " . (٣)

البهرة والتعليم :
=====

يتبع البهرة في باب التعليم نظرية افلاطون ، التي فحواها أن التعليم يجب ألا يبتذل ، فلا يستقى منه الا أشخاص معدودون ، ذوو صفات معينة من الذكاء وتذوق العلم ، لكي لا تضيع جهود المعلم سدى ولا يتطرق الكساد والتدنى لمستويات التعليم .

(١) البقرة آية : ١٨٥ . (٢) عقد الجواهر ص ٣٤٠ .

(٣) سلك الجواهر ص ٨٢ — ٨٣ . ولم يذكر الشيخ اين باتوا الليلة الثانية ، انظر للتفصيل عقد الجواهر . ص ٣٣٩ .

ومما أن نظام الدعوة عند البهرة قائم على غرار نظام الفاطميين
المصريين ، فلم يكن لهم بد من أن يقيموا تأسيسك
النظرية ، ويبدو أن دعاة الهند المطلقين سايروا النظرية بحزم مرة ، ولين أخرى ، حتى
عهد الداعي الخامس والأربعين طيب زين الدين (١٨٢١ - ١٨٣٢ م) فإنه تمسك بالنظرية
تمسك الواجد ضالته ، فوضع لتعليم البهرة الدينى شروطا وحدودا ، يجب أن يمثل لها
المعلم والمتعلم فنص ضمن الاصلاحات التى نفذها فى باب التعليم على انه " لا يجوز لاستاذ
أن يدرس سوى الكتاب المقرر ، ولا يصح منه أن يدرس فوق درجته العلمية التى يحملها ،
ولا يطلع على كتب أهل الظاهر الا باذن ، ولا يعلمها لغيره الا بعد استئذان ، ويحرم عليه
أن يلحق العلم لغير مستحقه ، كما يحرم على الطالب الاطلاع على غير مقرره " . (٢)

وأشهر معاهد القوم العلمية على الاطلاق هو الجامعة السيفية فى مدينة سورت بالهند ،
ويعود تاريخ وجودها الى عام ١٢٢٠ هـ ، ابان عهد الداعي الثالث والأربعين (٣) ويقدر
عدد الطلبة الآن بحوالى خمسمائة طالب ، ينقسمون الى ثلاثة أقسام تمشيا مع قسمة العلوم
عند القوم ، فيقضى الطالب السنوات الخمس الأولى فى دراسة علم الظاهر " علم الفقه " كالنحو
والمنطق والأدب ٠٠٠ ، ويصعد سلم الصفوف العلمية كالتالى :-

يسجل مثلا خمسون طالبا فى الصف الأول ، فيدرسون النحو والصرف والأدب ، فمن عرف عنه
قلة الوعى ، أو عدم الاستيعاب أو سوء الخلق يوصد باب التعليم امامه ، وهكذا الى نهاية السنة
الخامسة ، فلا يصفو من الخمسين بهذه الطريقة عند نهاية المرحلة الأولى الا النصف أو ما
دون ذلك ، فيمنحون شهادة " ملاً " ثم ينقل الناجحون إن أرادوا مواصلة الدراسة الى
المرحلة الخمسية الثانية لدراسة " علم التأويل " وتصفو تلك المرحلة على الأربعة أو الخمسة من
ذلك العدد ، فلا يصل الى القسم الأخير من علوم البهرة " علم الحقيقة " الا شخصان أو ثلاثة .

(١) انظر تفاصيل النظرية . وحججها فى عقد الجواهر ٠٠٠ ص ٣٧٦ وما بعد ها .

(٢) عقد الجواهر ص ٢٥٢ .

(٣) وهو عبد على سيف الدين وسمى المعهد باسمه .

النسب فيما نحن بصدد الحديث عنه شيء ، وإن كان ذلك هو الأساس الذي يخضع النزارية بموجبه لسلالة اغاخان اذ الجميع يتفق أن الحسن الكيانى أو النزارى احتفل بتولى الامامة وسمى احتفالاته " بعيد القيام " أو القيامة . (۱)

ويقول السجل الرسمى الاغاخانى (نورمبين جبل الله المتين) عن خطبة عيد القيام لحسن " لقد جمع الامام حسن على ذكره السلام المتوفى سنة ۵۶۱ هـ جميع أفراد الاسماعيليه فى مملكته ، وبعد أن علا على عرش الامامة والدولة قال مخاطبا اتباعه ومخاطبيه ظهر بواسطتى قائم القيامة ، وإنى امام الزمان ، وإن الأوامر والنواهى عادات وتقاليد اثنى بها الشرع ، وإنى أرفع عن أهل الأرض كل تلك التكاليف ، لأن الزمن زمن القيامة " فاحتفل كل اسماعيلية الموت بذلك اليوم ، وعرف فى التاريخ يومهم هذا بيوم عيد القيام ، ثم قال الامام مفسرا القيامة لاتباعه انى أعفيكم من جميع القيود الشرعية ، وفتحت لكم أبواب الرحمة ، لقد اطلعتكم جميعا فى هذه الدار العاجلة على اسرار الشريعة والقيامة .

" وإنى امام الزمان ، وإن الوضع وضع حرب ، فلا حاجة لكم الى التفكير وشغل البال ، فان ظللتم مشغولين بالاختلافات ستقتلون ، وما الشريعة الا اصول (نظريات) وان الحرب هى الأعمال ، وان الزلفى الى الله طريقها الأعمال فحسب .

" ثم نزل الامام رضى الله عنه بعد الانتهاء من الخطبة عن العرش ، فبارك مستمعيه قائلا : إن هذا اليوم يوم عيد ، أفطروا (۲) وأقيموا الأفراح والاحتفالات ، فامثل الاسماعيليه أمر الامام ، وقضوا يومهم المبارك بكل ما يليق به من ابتهاج وسرور وأخذوا يقيمون ذكراه كل سنة ، بعد ان اتفقوا على تسميته " بعيد القيام " .

فمنذ عيد القيام أعفى الاسماعيليه النزارية من التكاليف الشرعية ، فلم يعودوا فى حاجة الى الصلاة والصوم والحج ، ، لذا نجد فرع النزارية " الخوجة " سواد الأغاخانية وأغناهم مالا

(۱) انظر مصطفى غالب اعلام الاسماعيليه ص ۲۲۹ والاستاذ محمد كامل حسين طائفة الاسماعيليه تاريخها نظمها عقائدها ص ۸۱ — ۸۲ ونورمبين ۳۳۹ ، ومذهب اور ۰۰۰ ص ۲۹۹ .

(۲) تحدد بعض المصادر هذا اليوم باليوم السابع عشر من رمضان عام ۵۵۸ هـ أو ۵۵۹ هـ /

انظر مذهب اور باطنى تعليم ص ۲۹۹ ، وطائفة الاسماعيليه ص ۸۲ .

لا يلتزمون بالأعمال الشرعية الظاهرية ، ويدّعون أن معرفة الامام والمحبة والاخاء بين البشر كافية لنجاة الانسان في هذه الدار العاجلة ، لذا احلوا " جماعت خانة " مقام المسجد ، وعوضوا الصلاة والصوم ٠٠٠ بتقديم هدايا عينية ، أو مالية الى الامام الذي ينتسبون اليه . (١)

البير صدر الدين الاجي : (٧٠٠ — ٨١٩ هـ)

منذ قضاء هولاء على القلاع الاسماعيلية في سرخوست والموت عام ٦٥٤ هـ ، ١٢٥٨ م فقدت النزارية كرسى الحكم في شمال ايران ، وتحول حكمها وعامة افرادها الى التجارة والزراعة كافراد مسالمين ، وحقيقة وضعهم في ايران لا تعدد ما قاله قاضي بومبائي ارنولد في ١٢ / نوفمبر ١٨٦٨ م عند اصدار الحكم في القضية التي حاول بعض الخوجة عن طريقها الفكك من الالتزامات المالية لاغاخان ، وقد لخص المرزا محمد سعيد حكم ارنولد بقوله : " الشهادات التي قدمت من طرفي النزاع تجيب على التساؤل : من هو اغاخان ؟ وما صلته بالخوجة ؟ وخلاصة جواب القاضي على التساؤل : هي أن الحاكم الرابع لآل الموت حسن على ذكره السلام كان يدعى الانتساب الى نزار ، واني لفي شك من ذلك ، وإن حسن واخلافه يذكرون في نسب اغاخان .

" وقد قضى على الموت عام ١٢٥٨ م غير أن الطائفة الاسماعيلية ظلت في ايران والشام ومنذ ذلك الحين حتى ظهور اغاخان الأول لا نجد في التاريخ ذكرا لمن ينتسب اليهم اغاخان ، الا اسلام شاه الذي تعترف روايات الخوجة بامامته ، وكان داعيته البير صدر الدين " (٢) ويدّوا أن النزارية منذ تفتت هولاء أخذت تبحث عن أرض بكر تفتح فيها وتكون في مأمن من هولاء وامثاله في المستقبل ، فانحدروا صوب الجنوب الشرقي ، وركزوا دعوتهم في بلاد كشمير ووادي كلكت وجتال وبلاد السند والبنجاب وسواحل الهند ، وأرسلوا الدعاة اليها بالتتابع .

(١) انظر همارا اسماعيلي ٠٠٠ ص ١٢٢ ، ٦١٤ .

(٢) مذهب اور باطني ص ٣٦٢ .

وانجح الدعاة على الاطلاق وأوسعهم نشاطا هما البير صدر الدين (٧٠٠ - ٨١٩ هـ) الذى كلفه امام النزارية اسلام شاه (٧٧١ - ٨٢٧ هـ) بتبليغ الدعوة الى الهند ، والبير حسن كبير الدين (٧٤٢ - ٨٨٣ هـ) النزاريين الاسماعيليين .

ويلخص محمد على جنارا أعمال البير صدر الدين للدعوة النزارية فيقول : " وتغانى البير صدر الدين للدعوة الى الاسماعيلية فى الهند ، فاشمرت جهوده باسلام الألوف من الهندوس الشاسترية ^(١) فاقروا بكلمة التوحيد . . . ، وسمى البير جميع هؤلاء المسلمين الجدد "بالخواجة" التى تعنى التاجر ، والرجل المكرم ، وصاحب الدار ، ثم خففت هذه الكلمة ، فأصبحت تنطق بالخوجة " ^(٢) واتخذ هذا الداعى مدينة كوترى بالسند مركزا لدعوته النزارية ، ومات فى بلدة اج " Uch " البنجابية ودفن بها . ^(٣)

ويمكننا أن نقدر مكانة البير صدر الدين فيما تدين له النزارية من الفرمان (الأمر السامى) الذى أصدره سلطان محمد على شاه (الافاخان الثالث) فى مدينة بونا الهندية مخاطبا اتباعه " ان دينكم أفضل الأديان ، وأصدقها وأعلاها منذ القدم ، وان هذا الدين قد أعطاكم اياه البير صدر الدين بعد بحث وتنقيب ، فيجب عليكم حفظه ، وعدم التفريط فيه " ^(٤)

ويتضح من هنا ان معتقدات الاغاخانية وتشريعاتهم خليط من فرامين الأئمة ، منذ عهد الظهور الاخير وأقوال الدعاة التى تنحصر بين دفتى كينان Ginans "القصاصد الدينية" ^(٥) والذى ينبغى التنبيه اليه أن أقوال الدعاة تختلف من منطقة الى أخرى ، ومن داع الى آخر ، لذا نجد العديد من الاختلافات بين بعض الطوائف الاغاخانية ، فنجدهم مثلا شبيهين بالهندوس فى العادات والتقاليد فى المدن الهندية الساحلية دون مركزهم فى هنزه ببا كستان ، وما جاورها من المناطق الجبلية ، وهكذا فى كل منطقة يسكنونها نجدهم متلبسين بعادات البلاد وتقاليدها .

(١) طبقة من الشعب الهندوسى . (٢) نور مبین ص ٤٩٧ . (٣) انظر نور مبین ص ٤٩٩ .
(٤) مجموعة فرامين بونا ، فرمان رقم ١٠٢ وتاريخه ١٩٠٨/٦/٢٨ م نقلا عن مولوى عبيد الله ، مذهب اسمايلية قرآن وحديث كى روشنى مین (المذهب الاسماعيلي فى ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٢ . (٥) الكنان هو بمثابة القرآن لدى الاغاخانية ، وهو كتابهم المقدس - ويضم بين طياته أقوال العديد من الدعاة اشهرهم البير صدر الدين والبير شمس الدين ، والسيد امام شاه . (٦) انظر كأمثله مشتركة واقعية بين الهندوس والاغاخانية أصول شرع الاسلام ص ١٠١ .

وحاصل القول أن المجتمع الاغاخاني الأفريقي غير مجتمع الخوجة في الهند وغير مجتمع كلكت والسند ، ورابطة الاتفاق بينهم أمور معدودة كالخضوع للإمام واحد وقبولهم أقواله ، واعطائهم له العشر مما يكسبون ، وتقديم الهدايا للإمام في العديد من المناسبات .

ويطول الكلام لو درسنا كل مجتمع أغاخاني معاصر على حدة ، وقارنا بينه وبين غيره من المجتمعات الاغاخانية اتفاقا واختلافاً ، لذلك سأكتفى بعرض أبرز النواحي والأسس التي لها صلة بالفكر الفرسى ، أو اشاعة المفاهيم المناهضة للإسلام باسم الاسلام .

التعاون العسكري بين جيش أغاخان (١) وشركة الهند الشرقية :
=====

تؤكد المصادر التاريخية أن إيران وقعت فريسة الثورات الداخلية منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجرى ، مما هيأت الفرصة للإسماعيلية النزارية لعب دور في سياسة غرب إيران ، ولا سيما في مقاطعة كرمان ، وكانوا قد نزحوا إليها من الشمال " الموت " بالتدريج وما أن اغتيل إمامهم شاه خليل الله على والد أغاخان الأول عام ١٢٣٣ هـ حسب ادعاء المصدر النزاري حتى ثارت الإسماعيلية في البلاد ، وعاثوا في مقاطعة يزد المجاورة فساداً ، ولم تهدأ تلك الفتنة إلا بعد أن غادر شاه حسن على (أغاخان الأول) إيران بما بقى من رجاله وعتاده ، بعد أن منيت جيوشه بهزائم متتالية على يد الجيوش الإيرانية النظامية . (٢)

وقد عاصرت حروب أغاخان حروب حركة السيد أحمد خان الجهادية ، فما إن الحق المجاهدون برههم حتى أزيلت العقبات التي كانت تعترض طريق الانجليز إلى أفغانستان ، فزحفوا إليها بحجة تأمين الحدود الشمالية الهندية ، من الفرس والروس ، محتلين مدينتي كابل وقندهار الأفغانيتين ، ويحدد محمد على جنارا مساهمات حسن على شاه في هذا الاحتلال فيرى : أنه عندما أسس حسن على شاه من عرش إيران ، اتجه إلى أفغانستان فكتب إلى اللورد ميكتاتن أنه سيعين الجيش الانجليزي بجميع أفراد الجيش الإسماعيلى في القضاء على ثورة قندهار ضد الانجليز ، وقد شارك الإمام فعلاً في القضاء على الثورة اعانة للانجليز ووفاء بما وعد (٣) وكان ذلك عام ١٨٣٩ م . (٤)

(١) أغاخان لقب عائلى لمن ينتسب إلى بيت الإمامة النزارية الآن ، ولا يختص به الإمام وحده

(٢) انظر للتفصيل مصطفى غالب تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ٣٣٤ وتاريخ الاسلام السياسى

ج ٢٧٧ / ٤ ونورمبين ج ٦٢٢ ، ٦٢٥ ونزهة الخواطر ج ١٣٩ / ٧ .

(٣) انظر نورمبين ص ٦٠٧ (٤) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٦٦٣ ط ٦ / ١٩٧٤ م .

ومعد تمكن الاحتلال في قندهار، وجه أغاخان الأول الى اخضاع السند عن طريق اتباعه فيها ولوضع حد لعناد مير نصير خان أحد ولاية السند، وحاكم مدينة كراتشي الساحلية آنذاك ويشير جنارا الى هذا الترويض، وما جر ذلك من حروب دامية، وموقف أغاخان منها فيقول: "بعد أن غادر الجيش الانجليزي قندهار الى كابل، اتجه الامام الى مدينة سيالكوت (الباكستانية) فوصلها بعد ثلاثة أيام، فحربه أعيان البلد، ثم اتجه الامام منها عن طريق باتلو الى السند، وكان النزاع على تسلم مدينة كراتشي ميناء السند على أشده بين سرجار لس وميجراوت رام (اترام) من جهة، ومير نصير خان من جهة أخرى، فتدخل الامام في المصالحة على أن يعطى المير مدينة كراتشي للانجليز، ويدفع الانجليز مقابل ذلك جميع خراجها اليه ٠٠٠

"غير أن الصلح لم يتم، بل ثارت القبائل البلوشية على الانجليز، مما جعل الامام يشارك في الحرب في صفوف الانجليز، وذلك بارسال جزء من الجيش الاسماعيلي بقيادة أخيه "سردار محمد باقر خان" الى تلك الصفوف واحتفاظه ببقية الجيش الاسماعيلي لحفظ الحدود بين كراتشي وجهركه، وكانت قيادته تضم آنذاك عشرين فرقة من الاسماعيلية الشجعان (١).

وقد كافأه الانجليز مقابل كل هذه الخدمات بمكافأة متواضعة هي عبارة عن راتب تقاعدي تقاضاه في حياته، واستمر أولاده يتقاضونه بعد مماته، وقد قدره كارسان دتاسى الفرنسى الذى عاصر الأحداث بألف روبية شهريا، ومحمد على جنار "بـ ٢٠٠٠ روبية استرليني سنويا (٢).

ومن المؤكد أن اقتناص الانجليز لأغاخان لم يأت عشوائيا، ولا مصادفة، بل جاء نتيجة دراسة مستفيضة للمناطق الشمالية الهندية، وبعد تيقن تام أن أغلب الامم التي تسكن في تلك الجبال، وتزرع سهولها ووديانها تدين لامام يرتبط نسبه باسماعيل بن محمد بن جعفر المصادق وأن اخضاع شمال شرق أفغانستان وشمال باكستان والهند، وغرب الصين وجنوب الاتحاد السوفيتي مرتبط بامام يسيطر على هذه المناطق دينيا * x

أضف الى ذلك أن المجاهدين السرحدين الذين يتبطنون الشريط الحدودي، الذى يفصل بين المناطق الأغاخانية والهند

(١) نورميين ص ٦٠٨، وانظر لتفصيل الحروب السندية الانجليزية، اعجاز الحق قدوسى تاريخ سنده ج ٦٧١/٢ - ٧٠٤ مذهب اسماعيلية ج ١٣٥ - ١٣٦ والثقافة الاسلامية ص ٢١٣.

(٢) انظر مقالات كارسان دتاسى ج ٢٨٩/٢، ونورميين ص ٦١١.

الانجليزية يمكن التخلص منهم عن طريق اتباع أغاخان ، ويصبح وضمهم بين فكي الكماشة إن استطاعوا مراودة الامام وتطويعه ، لذلك هيأ الانجليز كل السبل المتاحة لربط أغاخان باتباعه بغض النظر عن أن الاتباع يعترفون بامامة أغاخان أولا ؟ بل هيأوا له الجولات الواسعة المؤمنة في كل منطقة عرفوا أن أهلها يعتقدون بوجود امام من نسل المصطفى صلى الله عليه وسلم .

لذا نجد الانجليز يسرعون في نقله من السند الى منطقة بومباي بمجرد الانتهاء من خدماته فيها ، ويهيئون سبل الاجتماع بين أغاخان وبين اسمايلية الهند في كجه وكاتهيوار ومجاورها من البلاد النائية بعد ان منحوه مقرا في مدينة بومباي يتخذ مركزا لدعوته ، فيكون اقرب اليهم في اصدار الفرمانات الى الاتباع عند الحاجة . (١)

دور الانجليز في دعم امامة اغاخان :

منذ استقرار أغاخان في أرض الهند ، أخذت الخلافات تظهر في صفوف الامامية وحاولت العديد من الطوائف المقررة بوجود الامام على الأرض ، الانفكاك من التزامات أغاخان ، شاكسين في امامته وانسابه ، بل منهم من صرح أن اسلامهم جاء على يد البير صدر الدين ، وكان سنيا لذا يجب ابعاد أغاخان من زعامة الطائفة ، وعدم تمكنه من الأوقاف الخيرية ، واليك بمض تلك القضايا المثارة في القضاء الانجليزي ، وحكم المحاكم الموالي لاغاخان .

١ - في عام ١٨٥٨م وقع نزاع بين نزارية مسقط وولاية أغاخان وجباة خواجه وزكاته (٢) ، واهيلت القضية الى محكمة بومباي العليا ، ويسجل نتيجة حكم المحكمة محمد علي جنارا فيقول : " ان الامام تغلب عليهم بواسطة الدولة ، فعوقبوا وسجنوا ، حتى أقروا بمسال الامام " (٣)

٢ - في عام ١٨٦٦م ، ١٢٨٢ هـ " قدم دايا محمد ، ومحمد سانباي واتباعهما قضية الى محكمة بومباي العليا ، مدعين أنه لا صلة لاغاخان بالخوجة ، وان ما تملكه طائفة الخوجة من الأوقاف لاحق لاغاخان فيه ، وأن على الولاية ومن يقومون بشئون الطائفة ان يقدموا حساباتهم للمشرفين دون اغاخان ، وأن تدخله في شئون الخوجة يجب منعه بالقضاء ، وان البير صدر الدين

(١) انظر الدعوة الاسمايلية ص ٣٣٦ .

(٢) انظر مذهب اسمايلية ص ١٣٤ .

(٣) نور مبین ص ٦١٧ .

هو الذى شرفنا بالاسلام ، وكان سنيا ، لذا نحن من أهل السنة وكل من ليس بسنى من أفراد الخوجة يجب ابعاده ، وطرده من زمرتنا " . (١)

وقدمت الشهادات من الطرفين ، وأصر شهود أغاخان ان البير صدر الدين كان اسماعيليا يعتقد بامامة آباء اغاخان ، وأن طائفة الخوجة ظلت اسماعيلية طوال احقاب التاريخ ، وأن أغاخان هو امامها دون نزاع ، وصدر حكم القاضى جوزف آرئولد بعد طول الشهادات فى ١٢ نوفمبر ١٨٦٦ م مثبتا امامة اغاخان ، مقويا مكانتها بين اتباعه (٢) كما ألزم خصوم اغاخان بدفع تكاليف القضية كلها . (٣)

٣ - وخطر قضية قدمت الى القضاء الانجليزى بالهند تسمى قضية " حاجى بى بى " أو " قضية الارث " فى محكمة بومباى العليا ، وذلك فى عام ١٩٠٨ م ، حين تقدم أقرباء أغاخان الثالث الى القضاء ، مطالبين بحقهم من ارث أغاخان الأول ، اذ لم تقسم تركسته منذ وفاته حتى تقديم الطلب ، والشهادات التى زودت بها المحكمة من أفراد عائلة أغاخان ، ومن لهم حق الارث ركزت على أمرين :

أ - ان أغاخان وجميع أقربائه اثنا عشر يون قلبا وقالبا ، وقد أقر أغاخان أمام القضاء انه ظل بجوار والدته الاثنى عشرية أثناء ادائها بعض الطقوس المذهبية .

ب - ادعت حاجى بى بى ابنة اغاخان الأول ، وعمة أغاخان الثالث ، شقيقة ابيه ان أخاها على شاه لم يسمح لولده سلطان محمد شاه الا بالتقدم على المصلين ، دون غيره من أمور القيادة وأن شقيقها أخبرها بخلو العائلة الاغاخانية من منصب الامامة .

وقد حكم القاضى رسل أن المدعين لم يستطيعوا اثبات اثنى عشرية اغاخان ، أو أنه كان يتمذهب به فى الماضى ، ونص على اخراج القضية من المحكمة ، دون فض النزاع الارثى ، كما ألزم الحاجى بى بى وشريكاتها بدفع تكاليف القضية لصالح المدعى عليه . (٤) ونلخص من ذلك

(١) نور مبین ص ٦١٩ - (٤) انظر مذهب اوريا طنى تعليم ج ٣٦٥ - ٣٦٦ ونور مبین

ص ٦٥٨ .

(٢) انظر مذهب اسماعيلية ص ١٣١ .

(٣) انظر نور مبین ص ٦١٩ ومذهب اوريا طنى تعليم ص ٣٦٢ .

ان امامة اغاخان لم ترسخ قواعد ها الا بواسطة القضاء الانجليزى ، ولولا الأحكام القضائية الصارمة لما خضعت هذه الأمم لاغاخان وللانجليز هذا الخضوع الوديع .

موقف اغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى :

يقول ضياء الدين أحمد برنى : " اقترحت صحيفة لندنية ايام حرب البلقان أن يعود الاتراك الى آسيا ، لأنهم امة آسيوية ، وأن رجوعهم سيقضى على الحروب التى تنشأ يوماً بعد يوم " وقد أيد اغاخان هذا الاقتراح ، مما حمل محمد على (زعيم حركة الخلافة) على أن يرد عليه ردوداً مفحمة قاسية " (١)

واشتعل فتيل الحرب الأولى عندما كان اغاخان الثالث فى زيارة لاتباعه فى زنجبار ، فوصلت اليه الوف المراسلات على حد قول (جنارا) تطالبه بالحضور الى بريطانيا ، فسافر اغاخان فسى اثرها لمديد المساعدة للحكومة البريطانية فى الحرب . وصح فور وصوله . . . " لو سمح لى بخوض الحرب لدافعت عن بريطانيا حتى آخر قطرة من دمي " وكانت صحيفة " لندن ميل " قد ذكرت آنذاك أن اغاخان يمكنه أن يأمر عشرين مليوناً من أتباعه بخوض الحرب دون أن يراجعه أحد فى ذلك ، فعلى الدولة أن تراعى مقامه ومكانته " (٢)

واعقب ذلك فرمان اغاخان الذى حض اتباعه فى الاخلاص والوفاء للدولة البريطانية " الفريضة الأولى على جميع أبناءنا الروحانيين أن يذودوا عن حمى بريطانيا ، وأن يتعاونوا معها بكل جهد مستطاع ، وأن يخلصوا لها فى كل ما يمكنهم القيام به ، لأن الدولة البريطانية حارسة للدين ، هادفة الى الخير مدافعة عن الحرية لذا يجب عليكم الآن تقديم الخدمات غير المحدودة لهذه الدولة بامانة وتغان لا يماثلكم فيها بشر على هذه الأرض " (٣)

ولى عهد الامامة على خان وقاتاله فى صفوف الغريبيين فى الحرب المظمية الثانية :-

يسترسل مصطفى غالب فى الحديث عن ولى عهد الامامة الاغاخانية — على خان — بن سلطان محمد شاه قبل أن يتحول عنه نصر الامامة — وحرره فى صفوف النصارى ضد الاسلام

(١) عظمت رفته (المجد الضامع) ص ٣٨٨ . (٢) نور مبین ص ٦٧٨ .

(٣) كلام امام مبین (مجموعة فرمانات اغاخان الثالث سلطان محمد شاه على) ج ٢٨١/٢ فرمان رقم ٤٤٠ .

فيقول : " والأمير على خان يتعشق الروح العسكرية ، ويحب المغامرات والرياضة وارضاء لميله الغريزي هذا تطوع سنة ١٩٣٩م في الفرقة الأجنبية بالجيش الفرنسي برتبة ملازم ، وحارب في خط ماجينو عام ١٩٣٩م ، ثم عين مرافقا للجنرال (ويغان) ، ولما انتهت فرنسا انتقل الى الجيش البريطاني .

" وبعد احتلال سوريا ولبنان من قبل القوات البريطانية والفرنسية الحرة عمل (كضابط ارتباط) بين الجيشين ، ثم حارب في ليبيا بصفوف الجيش البريطاني وراح يتدوج في رتب الجيش حتى نال رتبة زعيم عام ١٩٤٥م ، ومنحه الجيش الأمريكي وساما للخدمات التي أداها كضابط اتصال ، وقد أدى خدماته هذه بكل امانة واخلاص " (١)

تلك بعض الخدمات المكشوفة التي قدمها أفراد اسرة أغاخان للاستعمار والمستور أكثر وأعظم وما زال الأغاخانيون يقدمون خدماتهم له في كل ملعة وازمة ، فاذا كان هذا موقفهم من المسلمين فما الموقف الذي اختاروه لأنفسهم من أسس الاسلام ، وتعاليمه السمحة عقيدة وتشريعا ؟ اليك طرفا من ذلك دون تعليق لعدم صلتها بالاسلام .

بعض الأسس الأغاخانية : =====

تنص المصادر الأغاخانية أن كلمة توحيدهم هي : " اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن أمير المؤمنين على الله " (٢) وتترجم الجملة الأخيرة من كلمة الشهادة : " بأنني اشهد أن عليا هو الله ، أو أن عليا من الله عز وجل " (٣) ويشرح المبشر البابواني كلمة الشهادة الاغاخانية بقوله :

" اشهد أنه لا معبود بحق سوى الله ، وأشهد أن محمدا رسوله ، وأشهد أن رئيس المتدينين

(١) تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٣٩٣ — ٣٩٤ .

(٢) شكشن مالا بال منك " كتاب المبتدئين " ص ٣ أحد الكتب المقررة للصف الأول في المدارس الاسماعيلية بالهند . واسماعيلى تعليمات ص ١ الكتاب الأول للمدارس الاسماعيلية فى باكستان ، وانظر المبشر الأغاخانى على بهائى بابوانى مارك درشيك (المرشد) ج ١ / ١ أحد الكتب المقررة في المدارس الدينية الاغاخانية الليلية في باكستان ، والهاخانيست كياهى (ماهى الاغاخانية) ص ٤ .

(٣) شكشن مالا ص ٤ للصف الأول .

عليها حل فيه نور الاله ، أى أن عليا من الله عز وجل " (١)

وما أن أغاخان هو الامام الآن ، فقد انتقلت اليه جميع أوصاف على بن ابي طالب رضى الله عنه — وهو منها براء — وقد استحق ان يستفتح قاسم على الاغاخانى كتابه بنقل اعتراف امامه أغاخان أن النزاريين يعبدونه لتمسحه بالامامة الروحية " الى اتصال مباشرة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤمنون بمليونا من المسلمين ، ويعترفون بامامتى الروحية ، ويدفعون لى الخراج ، ويعبدوننى لأن فى عروقى دم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم " (٢)

ويذكر الدكتور محمد كامل حسين ضمن ذكرياته مع اغاخان الثالث حول موضوع معبوديته فيقول : " فاستأذنته فى توجيه سؤال ربما أغضبه ، فلما وعدنى بعدم الغضب ، قلت له لقد أدعشتنى بثقافتك وعقليتك ، فكيف تسمح لاتباعك أن يدعوك لها ؟

" فضحك طويلا ، وعلت قهقهاته ، ودمعت عيناه من كثرة الضحك ، ثم قال : هل تريد الاجابة على هذا السؤال ، إن القوم فى الهند يعبدون البقرة ، أليس خيرا من البقرة " (٣) ومن مطلق الالهية والتمتع بحقوق الخالق على المخلوق أعلن اغاخان الثالث للجمع الاسماعيلى عن العفو عما ارتكبته ايديهم قبل الاجتماع به فقال : " ما ارتكبتم من الذنوب الى هذا اليوم قد غفرناها لكم ، وحذار حذار من اقتراف الذنوب فى المستقبل " (٤)

ويشهد هذا الاغاخان منارات الهداية من الصحابة عند تمديد نسخ القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه بتقديم الفاظ فى القرآن الكريم ، وتأخير أخرى ، وحذف جزء ، وازافة غيره اليه " وفى الواقع نزلت التوراة والانجيل والزبور والفرقان على أمم مختلفة ، فى أوقات متفرقة ، وان القرآن كان حقا ، غير أنه أحدث فيه تقديم وتأخير ، وحذف وازافة وابدال وتغيير فى عهد عثمان ، وإن لدينا خلاصات لجميع هذه الأحداث ، وإن سألتمونا عنها سنريك تلك الخلاصات " (٥)

(٢) مارك درشيك ج ١ / ٤٧ — ، وانظر المبشر الاغاخانى نصير الدين هنزى كنج سماعات يعنى سلسلة نورأمامت (خزينة السعادة) ص ٢٤ .

(٣) المرشد الحى الدائم . M . J . Qassim Ili / Ever Living Guide

(٤) طائفة الاسماعيلية ص ١٢٦ .

(٥) كلام امام مبین ج ١ / ٣٣٤ / ١ فرمان رقم ١٥٥ .

(٥) كلام امام مبین ج ١ / ٩٦ — ٩٧ فرمان رقم ٣٨ .

ويحمل النزارية لفظة الصلاة على معناها اللغوي ، ولا يعرفون لها معنى سوى الدعاء ،
لذا يجتمعون مرتين في جماعة خانة كل ٢٤ ساعة لثلاوة الدعاء ، ويستهل كتاب الدعاء الذي
يقرأه النزاریون في كل معابد تنزانيا اليوم باثبات صلاتين ، (دعاءين) في اليوم واللييلة ،
مستدلا بقوله عز وجل : " اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل . . . " (١) الآية ، ويحث
الامام في مقدمة الكتاب ابناءه الروحانيين على الحضور الى المعبد عند طلوع الشمس وعند غروبها
كل يوم . (٢)

يقول اغاخان الثالث عن أهمية الدعاء وما ينتج عنه أثر نفسي في الشخصية النزارية " اساس
الدين قراءة الدعاء في الوقت المحدد في جماعة خالة " وان لم تستطع الوصول اليها أيهنا
الاغاخاني لبعدها في الوقت المعين ، فاقرا الدعاء في الطريق سائرا ، وفي الدكان جالسا ،
وفي القطار مسافرا ، وانك ان أديت الأدعية حقها في وقتها تملك من الدين " (٣)

وما أن النزارية لا يعملون بالقرآن ، بل كتابهم وتشريمهم هو اغاخان نفسه فلا تستغرب
ان اخبرتك أن الاغاخانية لا تفرق بين شعبان ورمضان في الصوم ، بل تجد حياتهم لا تختلف
في هذا الشهر المبارك عن غيره ، والصوم الوحيد الذي يتعارفه الاغاخانية فيما بينهم هو
صوم الثامن من رجب كل سنة ، وكان يطلق عليه قديما ساتمي نوروجو " Satmy No Rojo "
ويستمر الاغاخاني صائما منذ فجر الثامن من رجب حتى العاشرة والنصف قبل الظهر منه ، فيذهب
الى جماعة خانة للافطار .

وفي باب النكاح لو تصفحت الدستور النزاری لشرق أفريقيا تجده مستعارا من القانون
الانجليزي الهندي برمته ، لا يلتفت الى الشرع الا في باب تحريم النكاح بالمحارم ، وما عدا

(١) هود : ١١٤ .

(٢) دعاء الامامية الاسماعيلية الاغاخانية ص ٤ .

(٣) دعاء الامامية ص ٣٦ وانظر كلام امام ميين ج ٢٤٠/١ فرمان رقم ١٠١ .

ذلك فالقانون والدستور متشابهان ، ويمكنك أن تطلق عليهما اصطلاح " صورة طبق الأصل " (١)
لذا يصطدم مع شرع الله في العديد من بشوده ، كإباحته الأنكحة التي يصح التعامل بها في الدول
التي يسكنها النزاریون ، " كل اسماعيلي أو اسماعيلية تزوج أو تزوجت ضمن قانون الدولة التي
جرت فيها حفلة الزواج يعتبر ذلك النكاح صحيحا وناقذا ما دام صحيحا وناقذا في نظر ذلك
القانون " ، (٢)

وينبئ على ذلك صحة نكاح الزوجة الوثنية والمشاركة بالنزاري ، كما يصح زواج النزارية بفسير
المسلم ما دام قانون البلد يبيح ذلك الزواج ،

وفي باب قطع العلاقات الزوجية سلب الدستور حق الطلاق من الزوج ، ووضع في يد المحكمة
المختصة بفض مثل هذه النزاعات وتشترط المادة ٢٧٩ أن التفريق بين الزوجين لا ينفذ الا بعد
مضي ستة أشهر من صحة النكاح (٣) ويجوز في نظر الدستور أن يبيت الرجل والمرأة بعد صدور
حكم التفريق بينهما تحت سقف واحد مدة ثلاثة أشهر (٤) كما أن الجمع بين المتفرقين - ارجاع -
الزوجة أو الزوج مشروط بإذن المحكمة ، بغض النظر عن عدد المرات التي وقع فيها التفريق
وبغض النظر عن المدة التي يصح فيها الارجاع دون عقد جديد ، أو بعقد جديد ، أو بنكاح
زوج آخر . (٥)

وهكذا نجد النزاریين لا يشتركون مع المسلمين أو مع الفاطميين المصريين في الأمور
المشهورة ، بل إن حياتهم شبيهة بحياة الأوربيين ، وثقافتهم هي الثقافة الأوربية ، ويمثلونها
بحذافيرها بين المسلمين باسم الاسلام .

(١) كموافقتي تحديد سن الزواج بستة عشر عاما للأنثى ، وثمانية عشر عاما للذكر . انظر
Thi Constitution of the Shia Imami Ismailis in Africa
P. ٢٩.

دستور الشيعة الامامية الاسماعيلية في أفريقيا ص ٢٨ المادة ٢٥٠

(٢) دستور الشيعة ص ٢٧ المادة ٢٣٢ .

(٣) " " ص ٣٠ .

(٤) " " ص ٣١ المادة ٢٨٥ .

(٥) " " ص ٣٢ المادة ٢٩٤ .

نشاطات الاغاخانية في باكستان :

من الحقائق المؤلمة أن اقتصاد باكستان في الأيدي الاغاخانية ، ففي أيديهم تجارة باكستان وصناعاتها المتعددة ، وحكم النظم التي كانت سائدة في باكستان لم يكن مفر من بروز هذه الحقيقة لأن المسلم لن يلقى الترحيب في المحافظ الاقتصادية الربوية ، فالنظام برمته يعين المتغرب ، ويمرقل ما وسعه متبع شرع الله ، وتلك محنة المسلمين في كل بلد استقل بعد استعمار ، أو وصاية مفروضة ، وتشكلت آخر سهام اغاخان التي أصابت المحزفي أبناء التوحيد في صورة " مؤسسة اغاخان " لمنطقة جترال الباكستانية .

وتستهدف المؤسسة عن طريق المال تحويل المسلمين الى الاسماعيلية النزارية ، وسلخهم من اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم الى قبول تبعية كريم اغاخان ، وطريقها في ذلك أن يدعو المسئولون عن المؤسسة اهل كل قرية الى الانضمام اليهم لتطوير منطقتهم اقتصاديا ، وينتخبون من كل قرية خمسين مندوبا أو أكثر ، ويفضلون أن يكون المندوب ذا صلة بالاسلام في الملن ، فيأخذون من كل من اختاروه خمسا وخمسين روية باكستانية كرسوم عضوية واشتراك في المؤسسة ، ثم يطلبون من المختارين أن يقدموا مشروعات اقتصادية لرفع مستوى الحياة لقريتهم ، ويقترضون لهذا الغرض ما بين ٢٠٠٠٠ روية الى ٣٠٠٠٠ روية ، وهكذا يشترون الدم بثمن بخس لتخلف المنطقة وعدم معرفة أهلها أمور شرع الله . (١)

ولا شك أن هذه الأعمال توطئة للخطوة المرتقبة ، وتهيئة لاستخلاص الأرض لصالح الاغاخانية في تلك المنطقة ، فحين يستحيل سداد الدين في أجله المحدد تتحول الأرض تلقائيا الى ملكية المؤسسة ، وذلك يتحقق جزء من الحلم الذي يتحدث عنه اغاخان أمام المسئولين عن النزارية في العالم " مقومات الدولة أمور ثلاث ، شعب وأرض ، ومال ، وانا نملك الشعب والمال ، فلنسع لكسب الأرض حتى نقيم دولتنا المستقلة "

والخبير بجغرافية جترال ومضائق خنجراب وياسين وجوس ونيال واشوكن ٠٠٠ الباكستانية يدرك الحصانات الفطرية ، وما هيأته القدرة الالهية من السدود الجبلية الشامخة ، والأنهر

(١) انظر تفاصيل هذه المؤسسة وأعمالها التطويرية والتنموية اغاخان فاوند يشن جترال (مؤسسة اغاخان جترال) ص ٤

الجارية ، والثلوج المتراكمة على قمم الجبال التي تتحاشاها الطائرات خشية تراكم الثلوج فى المحركات فى هذه المناطق .

وقد زرت المنطقة بمصاحبة مهندس يعمل فى تخطيط الطرق لربط هذه المناطق ببعضها ببعض ، فمن أيسر الطرق لقطع هذه المنطقة عن باكستان القاء صخرتين تسدان الطريق البرى الوحيد ، (شارع ريشم) الذى نحت فى الجبال بجوار مجرى نهر السند ونهر العباسى ، ويربط باكستان بالصين ، أو هدم جسر من الجسور المقامة على نهر السند أو نهر العباسى ، ويزداد الوضع خطورة حين ندرك ان منطقة "درة مضيق خنجراب" منطقة اغاخانية ، يشكل الاغاخانيون فيها الأغلبية المطلقة ، وتمد هذه الأغلبية الى منطقة الحدود المشتركة بين كل من باكستان وأفغانستان والصين والاتحاد السوفيتى وأقل نسبتهم فى هذه المناطق المشتركة ٧٢ ٪ ومن المناطق ما هى اغاخانية ١١٠ ٪ كمطقة عاصمتهم هنزة .

الفصل الثانى

}} الصوفية وأثر الفكر الغربى فيها {{

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ — طريقة صوفية الهند فى الدعوة الى الاسلام •
- ٢ — الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة •
- ٣ — علوم الصوفية وصلتها بالشرع •
- ٤ — حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى •
- ٥ — النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربى •

طريقة صوفية الهند في الدعوة الى الاسلام :

الصوفية هم العاكفون على العبادة ، المنقطعون الى الله ، المعرضون عن الدنيا وزينتها ، الزاهدون فيما يقبل عليه الجمهور ، من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، ولا يهم البحث من أمرهم هنا الا ما كان ذا صلة بالغرب ، وفكره المستعمر ، سلبا أو ايجابا ، ومعنى آخر الكشف عن معطيات الفكر الصوفى ، وما أمر به اتباعه تجاه المحتلين من مقاومة أو معاونة .

وحكم تغل الاسلام في الهند على الأيدى الصوفية ، أصبحوا العمدة في تعاليم الاسلام ، ومرجع المسلمين في أمور الدين ، ثم إن الناطقين بالشهادتين قبلوا دعوتهم بصد رحب ، اذ وجدوها تجدد نوازع نفوسهم - التى كادت ان تتلاشى وتلبى رغباتهم الباطنية ، فالأجير المحروم ، والمتظلم من ذى السلطة والأيس من حياة الذنوب كل هؤلاء وجدوا فى الدعوة الجديدة خير مأوى ينسيهم ما هم فيه ، يأخذ بأيدهم الى عالم غير عالمهم المشهود فالساعات التى يقضيها المريد " التابع " أو السالك مع شيخه تبعده عن هذا الكون ، وتنسيه همومه وآلامه .

أضف الى ذلك أن الهند أرض التصوف والتجرد ، من الملذات ومتطلبات النفس منذ القدم ، فالرهينة والانزواء فى المعابد ميزة تلك الوثنية التى يدين لها شعب الهند ، وان الهند وسي أقدم متصوف عرفه التاريخ حتى اليوم .

وما أن دخل الصوفية المسلمون هذه الأرض حتى وجدوا أنفسهم أمام اناس يفوقونهم فى المجاهدات والرياضات العسيرة ، فشقوا لأنفسهم سبيلا غير مسبوقة فى الدعوة الى الاسلام ، ويحدد عبد المجيد سالك طريقته فى الدعوة الى الاسلام فيقول : " انتشر الاسلام فى الهند بتبليغ الصوفية أكثر من أى طريق آخر ، وكان الصوفية يضمنون نصب أعينهم اىصال صوت الحق دون امتياز ، ولم يكونوا يفكرون فى تفسيق أحدا وتكفيره ولم يكونوا ينطقون بكلمة تسيء الى أحد ، وكانوا يعتبرون الشعب بمختلف نزعاته عيال الله ، ولم يكونوا يثيرون الاختلافات أو يبحثون عن مكن الضعف ، بل كانوا يقدمون المشترك المألوف لدى الجميع ، ويدعونهم الى التعاليم

الاسلامية أجمعين " (١)

ولم يقف تساهل بعض الصوفية في باب الدعوة الى هذا الحد ، بل تجاوزوه الى تنظيم حلقات الذكر المشتركة بين المسلمين والهندوس ، لذا نجد بين اتباع الصوفية ومن بايع على أيديهم أفراداً وثنيين ، يعبدون الواحد الأحد عند الشيخ ، والآلهة المتعددة عند الكهان (البندت) ويمدون من مريدى الصوفية رغم معتقداتهم الهندوسية .

الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة :

=====

وكان من المنطق أن يسلك بهم الملوك وأصحاب السلطة سواء كانوا وثنيين أو مسلمين مسلك الرفق والرافة ، فما دام الصوفى يصرف الناس عن السلطان ولا يئازع السلطة أهلها فليعمل ما يشاء ، وليقل ما يريد ، ويقدم الشيخ أبو الحسن الندوى شهادة التاريخ في الموضوع بقوله : " إن الملوك الذين لم يغفروا للعلماء جريمة قول الحق ، سلكوا بالصوفية في أغلب الأحوال مسلكاً رقيقاً ، وسمحوا لهم بآداء واجبهم الدينى ، ومزاولة نشاطهم الاسلامى " (٢)

ولم يتغير هذا المنهج الصوفى المتقبل لكل سلطة في أغلب الأحوال طوال أحقاب التاريخ ، فلا يهمه أن يتولى كرسى الحكم مسلم أو وثنى أو مسيحي أو يهودى ، ولا يبالى أن يلى السلطة أحد أبناء الهند ، أو دخیل متغرب ، ويحكى الشيخ الندوى موقف زاوية من تلك الزوايا ، ويفتخر بعدم حدوث اختلاف في منهجها بعد الاحتلال عما كانت عليه قبله فيقول : " قد احتل الانجليز الهند ، ولما تؤثر حضارتهم وفلسفة حياتهم في مجتمع البلاد ، فترى بقايا من الحياة الدينية الأولى ، ويحدثنا مؤرخ عن زاوية الشيخ غلام على الدهلوى (م ١٢٤٠ هـ) فيقول : " رأيت بعينى في هذه الزاوية رجالاً من الروم والشام وسفداد ومصر والحبشة ، قد بايعوا الشيخ ، وعدوا المثل بين يديه حصنة الدهر ، وسعادة العمر ، أما الوافدون من البلاد القريبة فكانوا كالجراد ، ولا يقل عدد المقيمين في هذه الزاوية عن خمسمائة رجل ، تقوم الزاوية بنفقاتهم " (٣)

(١) مسلم ثقافت ص ٢٣٦ .

(٢) المسلمون في الهند ص ١٤٧ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٥٦ .

وينقل الشيخ محمد اكرام عن مصدر موثوق مشهدا من مشاهد المتصوفة فى البلاط السلطانى قبل الاحتلال بقليل فيقول : " اذا حضر المشايخ " بيتر " عند السلطان ، وجرى الحديث عن تسلط الأعداء ، واحتلال البلاد ، فوضوا الأمور الى السماء ، وأخذوا فى بيان مسائل التصوف ، معددين حسنات العزلة ، مخوفين من اراقة الدماء وقتل العباد ، ثم يعرجون الى ذكر كراماتهم ، واستجابة من يدعون له ، فيمنون السلطان بجيوش الدعاء ، وان رفع اكفهم كفيلة بالنصر والفتح ، وأن الأعداء لن يتجهوا الى دولتك حتى يمزقهم الدعاء اربا اربا فيتكل على الدعاء ، ويترك اعداد العدة ، ويأخذ فى الراحة والاسترخاء ، فيقوى ساعد الأعداء ويقتطمون أطراف البلاد ، فتقبل جيوش الدعاء وتدبر السلطة ، ويضيع للمجد والسلطان " (١)

هكذا كان جل المتصوفة فى الهند قبيل الاحتلال وتلك مشاربهم فى تهيئة الاتباع للدفاع عن أرض الاسلام ، يؤثرون السلامة على المجابهة والعافية على القتال ، ولم يكن أمثال الشيخ أحمد بن عرفان . . . الا شاذا فى صفوف التصوف ، وبلغ الاهتمام بالتصوف غايتة عند المسلمين الهنود فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، حتى أصبح العامة يشاركون المتفقهين فى الاقرار بأن التصوف والاسلام متلازمان كتلازم الجنوب للشمال واليسار لليمين فلا يتصور وجود أحدهما الا بوجود الآخر ، وأن اعتناق هذا يوجب الخضوع لذاك ، وما زال الوضع على حاله عند سواد المسلمين فى تلك الديار حتى اليوم ، والمدركون لخطورة الوضع ، والمريدون لتنقية الاسلام من التصوف غير المشروع حفة من الناس ، يمكنك حصرهم بسهولة ويسر .

علوم الصوفية وصلتها بالشرع :

وما زال التصوف يتمتع بالأغلبية المطلقة بين الجماهير ، مع اختلاف طرقه وتعدد مسالكه ، ويعتبر الناس علومه أشرف العلوم وأعلاها منزلة ، ويطلقون عليها اسم " العلوم الباطنية " تمييزا لها عن علوم الشريعة الظاهرية . (٢) ويستوى فى طلبها خريج المدارس الديونديه والندوية والبريلوية ، ما غلبت عليه من شيخ طريقة من طرق التصوف ، يطلقون عليه اسم

(١) رود كوثر ص ٦٠٣ .

(٢) انظر المسلمون فى الهند ص ١١٦ ومراكز المسلمين ص ٢ .

الرسول عليهم الصلاة والسلام ، ودعا اليه الكتاب المجيد ، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا قطع المتخصص في تعاليم الشاه ولي الله " انه لا فرق بين النظريتين في النتيجة ، وإن الوضع لا يعد وكونهما تعبيرين لمسمى واحد ، فلا ينبغي توجيه نقد لطرف دون آخر أو تأييد هذه دون تلك " (١)

وان عدت الى نظرية " تصور الشيخ " تجدها تصرف أغلب لوازم العبادة من الخضوع والهيبة والوضوء واستقبال القبلة واخلاء الذهن من كل شيء . . . الى الشيخ دون الخالق عز وجل ، فالنظرية تجسد وجود معبود في العقل ، وخلق مثيلات اللات والعزى تعبد من دون الله من وراء ستار الباطن .

وان عدنا الى اذكار الصوفية ، وترانيمهم الخفية والجهرية ورقصهم وطربهم ومجاهداتهم والحنانهم الموسيقية وحفلاتهم السنوية على قبور المشائخ نجد هاركا من أركان الاسلام الصوفى مع أنها دخلت الى دينه من الامم التي جاورها عبر التاريخ ثم أصبحت جزءا من دينه ، لا يتم اسلام المرء عنده حتى يتحلّى بها . (٢)

حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزي :

ويصف صاحب " موج كوثر " الوضع السلبي الذي وصل اليه المسلمون كنتيجة منطقية لهذه المعتقدات ابان القرن الثالث عشر الهجرى فيقول : " كان القرن الثالث عشر أهم منعطف في حياة المسلمين الهنود ، ففيه تم اكتمال تحطيمهم سياسيا ، واحاط بهم الانحطاط الدينى احاطة السوار بالمعصم ، لقد تركوا الهندوسية ، غير أنهم لم يتخلوا عنها من الناحية المعنوية فان كانوا من قبل يسجدون للأصنام فقد أخذوا ينحنون للمشائخ والقبور الآن ، ويطلبون منهم قضاء حوائجهم ، فاحلوهم مكان البراهمة في العبادة ، ولم يعد الامثال لأحكام القرآن ، وسنة سيد الانام ، واتيان الأعمال الحسنة ضروريا للتربية الروحية ، بل أصبحت هذه الغاية تطلب عن

(١) غلام حسين جلمانى ، شاه ولي الله كى تعليم " تعليمات الشاه ولي الله " ص ١٣٦ .
ومن الناس من يرى تناقضا بين النظريتين كالدكتور برهان أحمد فى اطروحة الدكتوراة
انظر للتفصيل مجلة معارف ج ٢٢٣/٥

(٢) انظر للتفصيل مجلة برهان ج ١٣٩/١ ومسلم ثقافت ص ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٥١٥

طريق المراقبات وقراءة الاذكار والمخصوصة والتفات المرشد واهتمامه بأمر المسترشد .
 " وكانت التمايم والمعلقات فى الأعناق والأعضاء نافقة الاسواق ، فاذا ألم بالمرء مرض
 أو أراد الحصول على أهداف معينة ، سعى فى جلب أكبر قدر ممكن من هذه العينات ، —
 فيخط له اليوكيون (الكهان) الهندوس ومشائخ الصوفية (بير) خطوطا مبهمه ، وبذلك
 يمنعونه من الطرق الشرعية المطلوبة فى مثل تلك الاحداث " . (١)

تلك هى الصورة المجمله التى كان عليها التصوف عند دخول الانجليز ، زهد فى الدنيا
 وانصراف عن سنن الله الكونية ، واعتزال عن أمور الحياة ، فالدنيا فى نظر الصوفى أضحت
 دائرة عذاب ، والمرء يمثل فيها دور المسجون ، الذى صدر الحكم القضائى فى حقه ، وأمثلة
 الطرق للعودة الى مكانه الرفيع أن يترفع عما تحتاج اليه نفسه وتدعو اليه ضروريات الحياة ،
 فليشق على نفسه وجسمه بالرياضات والمجاهدات العصبية ، حتى تتحرر روحه من سلطنة
 الجسم والنفس .

النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح الفكر الغربى :

وهذه النظرة السلبية الى الحياة ينسى المسلم حقيقة وضعه على هذه الأرض ، وأنه
 خليفة الله فيها ، ويظن أنه القى به فى أحوال هذا العالم ، وأوساخه المادية ، وأن النجاة
 فى البعد عنها والهروب من احداثها ، فينظر الى الأمور نظرة مشدوه مسلوب القوى ، لا يعنيه
 الانجاء نفسه ، فلا تتحمل أعصابه أعباء التحضر والتمدن فضلا عن اقامة الخلافة الالهية فى الأرض
 وتنتج هذه النظرة السلبية الى الحياة فى القادة والشعب نتائج مفتتة ، يصل
 بأصحابها الى القنوط واليأس ، وعدم اصلاح هذه الحياة تجتمع أهمها فيما يلى :-

١ — تنتزع الرهبنة الصوفية خيار البشر من الامة ، وتشغلهم بالمجاهدات والرياضات وحمل
 المشقات عن أمور الحياة ، وتضنى قواهم فيما لا علاقة له بهذا المجتمع الأرضى على الاطلاق
 فتخلو الساحة للاشرار يفسدون ويمبثون وتؤول اليهم أمور الناس دون منازع ، فيوجهونها
 الى الشر دون الخير وإلى الفساد دون الصلاح .

ب - ينسلخ الصوفى من المسئولية الجماعية ، فلا يهتم الا بتربية نفسه ، ولا يزعجه الا نجاة ما بين جنبيه ، فكأنه لم يخلق الا للفردية المؤلمة ، لا يهمه من فساد المجتمع أو اصلاحه شئ ، ويحقق القولة المسيحية الشهيرة " دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله " ، وينسى أو يتناسى قولة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم " كلکم راع وكلکم مسئول عن رعيتہ " (١)

ج - تهين الصوفية نفوس العامة لتحل الظلم ، والصبر غير المشروع ، وتسلب منهم قسوة المقاومة والوقوف في وجه الطغيان والاستبداد ، فتصبح الامة لقمة سائغة للظلمة والمتجبريسن يخضعون لكل سلطة وحكم ، يرتبطون بالغيب ارتباط المتواكل وتارك الأسباب ، فلا يسمعون الى تحية الظلم ونصرة المظلوم ، وذلك هو السر الذى جعل الصوفية لا تصطدم بأصحاب السلطة عبر التاريخ .

د - يستولى اليأس والقنوط على الحياة ، وتتوقف عجلة التقدم والنمو البشريين ، وتجف منابع الابتكار ، وتتعدم الاكتشافات ، ويحبب الى الناس الفرار من التمدن والتسابق الى الأفضل والأعلى ، ومن ثم يفقد نظام السعى فى الأرض ، واكتشاف سنن الله الكونية فيها جدواه ، فيقل الانتاج وتصح الامة عالة على غيرها من الأمم إن شاءوا اعطوها ، وإن شاءوا منعوها . وهذه النظرة السلمية الى الحياة كانت خير عون للمستعمرين للاحتلال وسلب خيرات البلدان الاسلامية ، فالفرعون مثلهم كمثل من سبهم من الملوك لم ينشئوا الصوفية انشاء ، كما أنه ليس لهم فضل فى ايجادها ، وانما وجدوها قائمة على أسس تخدم النزعة الاستعمارية ، وتؤمن لهم مقاليد الحكم دون عناء ، ففدوها ، وأنفقوا على مشاهدتها وزواياها ، بعد أن فرضوا لها المرتبات فحققوا هدفين فى آن واحد : هدف الحفاظ على التقاليد الدينية الموروثة فسى نظر الناس ، وهدف صرف الانظار عن الاستعمار واستغلال البلاد .

لذا قضت المصلحة الأوربية ان يشجعوا الصوفية ماديا ومعنويا أينما وجدت ، ويسهلوا لها طرق انتزاع البشر ، لقتل الحيوية المسلمة المجاهدة ، فاعتنوا بمشائخها وقدموهم على أبرز رعايا مستعمراتهم ، وعلى الذين قضوا حياتهم فى المصالح الاستعمارية ، وفضلوهم على الحكام

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه ج ٢١٥/١ كتاب الجمعة باب الجمعة

المحليين في الابهة والاجلال . . .

كل ذلك التشجيع جاء ليظل شرع الله وأحكامه الجهادية متوارية عن الناس ، وليبقى المسلم منصرفا عن العمل بحقيقة دينه يطول ليله ، ويقصر نهاره ، ويشتغل عن الجد والكد ، ويصرف قواه فيما لا يمت الى هذه الحياة الأرضية بصلة ، فاجتهد المستعمرون عن طريق الصوفية أن يهجر المسلم هذا العالم ، ويتنازل عنه ، زهدا فيه ، وخوفا من خطره ، فحققت لهم طرق الصوفية المتنوعة كل ذلك بالمعزلة والانزواء ونزع خيار البشر .

الفصل الثالث

البريلوية وأثر الفكر الغربى فيها

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

- ١ - مؤسس البريلوية أحمد رضا خان .
- ٢ - تعاون البريلوية مع الاستعمار .
- ٣ - تفسير البريلوية المسلمين .
- ٤ - أهم الأسس للفرقة البريلوية .
- ٥ - تأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربى فى الامة .

مؤسس البريلوية أحمد رضا خان (١٢٧٢ هـ / ١٣٤٠ هـ)

=====

تجرع الانجليز مرارة القتال أثناء اشتباكهم مع حركة الجهاد السرحدية ، التي حمل لواءها الشهيد أحمد بن عرفان ، وأدركوا أن الاسلام يطبع اتباعه بطابع الشريعة والمقيدة ، وأن حركات المسلمين وسكناتهم في العسر واليسر تنطلق من مرتكز ما ينسب الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبحثوا عن أفراد يخدمونهم في تنفيذ السياسة الاستعمارية في بنى جلدتهم باسم الدين ، لأنه الطريق الوحيد لتحقيق أهدافهم في البلد الاسلامي من أقصاه الى أقصاه هذا وقد اختلفت طرق كسب هؤلاء الأفراد ، فمنهم من جاءهم فرارا من الفقر ، ومنهم من اتاهم لاكتساب الجاه ، والمكانة المرموقة في المجتمع الذي يعيش فيه ، ومنهم من بذلوا له المال حتى رضى بخدم مشهم .

ومن هؤلاء الذين خدموا الاستعمار عن حسن نية ، أو سوء قصد الشيخ أحمد رضا خان (١٨٦٥م - ١٩٢١م) زعيم الطائفة البريلوية ، ولفظ البريلوى يعنى الانتساب الى مدينة " بانس بريلى " في ولاية اترابرديش في وسط الهند مسقط رأس أحمد رضا خان ، ولا يهمننا في شأن دينه ودين من ينتسب اليه الا أمران : تعاونه المكشوف مع الاستعمار وتكفيره المسلمين الذين لا يستسلمون لبدعه وانحرافاتة عن شرع الله عز وجل تحقيقا لبدأ المستعمرين " فرق تسد "

تعاون البريلوية مع الاستعمار :
=====

أدلى أحمد رضا خان بدلوه في البحوث التي اثيرت حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام في الهند ، وهداه تفكيره الى تصنيف كتيب اسماه " اعلام الأعلام بأن هند وستان دار الاسلام وأتبعه بآخر باسم " أحكام الامارة والجهاد " وثلاثهما بـ " دوام المعيش في أن الأئمة من قریش " وجميعها تدور حول عدم فرضية الجهاد على المسلمين الهنود ، وأن الهند دار اسلام ، ولا جهاد في دار تنتسب الى الاسلام .

وبالعودة الى الكتيب الأول نجده مقسما الى قسمين : قسم بين فيه كاتبه أن الهند المغتصبة ما زالت دار اسلام ، لوجود الحرية الدينية في اداء الصلوات والصيام ٠٠٠ ، وخص القسم الأخير

بتفكير من يسعى في إعادة الهند الى أصحابها وطرد الدخلاء المسيحيين " إن الوهابيين (١) مرتدون ، يجوز استرقاق نسائهم ولا يجوز اعطاء الامان المؤبد لهم ، ولا تؤخذ منهم الجزية ، ولا تحل مناكرتهم (٢) ولا تؤكل ذبائحهم ، وإن الصلاة على ميتهم حرام ، وإن مخالطتهم ومجالستهم ومحادثتهم ومشاركتهم في أمورهم حرام شرعا ، قاتلهم الله أنى يؤفكون " (٣)

ويحسم النقاش في دوام العيش فيعلن بملء فيه أنه " لا جهاد ولا قتال على مسلمي الهند في ضوء الشريعة الاسلامية " (٤) ويرد على حركة الخلافة التي أوجدتها المسلمون كوسيلة ضغط على الانجليز لحفظ الخلافة العثمانية ، ورمز وحدة المسلمين : " إن التمتع بحماية الأتراك خداع محض ، وإنما المقصود الحقيقي من وراء حركة الخلافة تحرير الأراض الهندية دون شيء آخر " (٥)

وحين احتج العلماء على هذه الفتوى سافر البريلوي الى أرض الحرمين ، فنزل ضيفا على الشريف حسين بمكة - حرسها الله - الموالى للانجليز ، وشر له الخروج على العثمانيين بعد أن كفر الأتراك وأخرجهم من دائرة الاسلام ، وصنف كتابا بهذا الصدد أسماه " حجة داحرة " وخلص فيه الى القول : " أن الأتراك قد غلبهم الحوب ، الانجليز خالفوا الآية " لا تفسدوا في الأرض " فيجب قتالهم والخروج عليهم بحكم القرآن " (٦) واستوثق لفتوى من علماء البلاط الشريفى ومدرسى الحرمين .

وأعقب حركة الخلافة حركة المقاطعة التجارية ، التي استجاب لها جميع أفراد الشعب الهندي ، وتسبب عنها الكساد والفساد في البضائع المصنعة في بريطانيا ولم يجرؤ أحد على كسر هذا الطوق الا أحمد رضا بفتاوى " المحجة المؤتمنة في آية المتحنة " فاستفتحه بقوله " ان (١) المقصود من الوهابية عند الاطلاق في لسان هذه الطائفة المسلمون المخالفون لهم في جزئية من الجزئيات .

(٢) انظر قضية من قضايا فسخ النكاح ، في صورة مناظرة جرت بين البريلوية والديوبندية لمدة ثلاثة أيام . منظور أحمد سنبهلى الديوبندي ورحم الهى البريلوى صاعقه آسمانى بفرقة رضا خانى " الصاعقة السماوية على الفرقة الرضاخانية " حين عقد ديوبندى على بريلوية .

(٣) اعلام الاعلام بأن هندوستان دار الاسلام ج ١٩ - ٢٠ .

(٤) دوام العيش في أن الأئمة من قریش ص ٤٦ .

(٥) دوام العيش ص ٩٥ .

(٦) نور محمد ، بريلوى فتوى ص ٢١ .

المعاملة الدنيوية التي لا تضر الدين ليست ممنوعة مع أحد ، سوى المرتدين مثل الوهابية والديوندية وأمثالهم " ثم وصل الى الهدف فصرح " أن المقصود من هذه الحركة هو الحصول على الحرية من الانجليز لا غير " وقطع الشك باليقين حين قال : " إنه لاجهاد علينا مسلمي الهند بنصوص القرآن العظيم ، ومن يقل بوجهه فهو مخالف للمسلمين ، ويريد الاضرار بهم " . (١)

ويشرح المعروض الذي قدم في حفل وداع مايكل فرانسيس ادوارد حاكم البنجاب من قبل علماء البريلوية ما تكن صدورهم حيث يقول : " قبل كل شيء نهني معاليكم بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الضروس ، وقد انتهت بكل خير في حكم معاليكم الموقر ، وقد عادت الدولة البريطانية ذات البركات الالهية أكثر عظمة من ذي قبل ، كما صرح بذلك الملك المعظم : إن سيوف الدولة البريطانية ما دخلت غلودها حتى نال العالم الحرية والأمن ، وعم الخير والرفاهية بين الشعوب المستضعفة ... " ولا ننسى ذلك الفضل الذي منته به علينا حكومتكم الرشيدة ، حين أيد سفهاؤنا الأتراك ، وساندوهم فيما يبتغون ، كل ذلك أتى نتيجة عدم وعيهم واعطاء الأمور حقها من الفهم والادراك ومع ذلك فقد أكرمنا ملكنا المعظم بعدم انتهاك مقدساتنا الاسلامية ، وإن هذه الروح الفياضة جددت فينا حب الولاء والوفاء ...

" ونرجو من معاليكم بعد العودة الى بريطانيا أن تؤكدوا للملك أن وفاءنا وولائنا لن يتغير أبدا ، مهما قامت الإحن والثورات ، وانا على ثقة أن اتباعنا في الجيش سيكونون أوفياء لملكنا المعظم دوماً وأبداً ...

" وانا نأسف على أعمال أولئك الأعداء ، أعداء الوطن الذين نظموا الاضطرابات والتجمعات غير الشرعية ، وشوهوا وجه منطقة بنجاب الجميل ، ونعود فنؤكد لمعاليكم انا ننكر تلك الأعمال بشدة ، لأن كتابنا العظم يوصينا بالابتعاد عن ذلك " (٢)

ويسجل شاهد الانجليز فرانسيس رومنس شهادته في أحمد رضا خان فيقول :-

" إن البريلوي كان عمله حماية الحكومة الانجليزية ، فإنه أيد الحكومة في الحرب العالمية

(١) جميع هذه الأقوال وغيرها من الأقوال البريلوية المؤيدة للانجليز يمكنك مشاهدتها في مؤلف احسان الهى ظهير / البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٠ - ٤٤ .

(٢) مجلة جتان ص ١٢ عدد اكتوبر ١٩٦٦ م .

الأولى ، واستمر في هذه الحماية والتأييد للحكومة حتى أيام حركة الخلافة سنة ١٩٢١م ، وعقد المؤتمر في بريلي وجمع فيه العلماء الذين كانوا يخالفون ترك موالاة الحكومة ، والذين كان لهم أثر كبير في نفوس العامة المثقلين والدارسين المسلمين " (١)

ويصل باحث الفرق الباكستاني احسان الهى ظهير الى انه " لا يمكن لمنصف أن يعرض عن القول بأن كل وزن البريلوى والبريلوية وثقلهم كان في كفة المستعمر الغاصب ، ان لم يقلل بمحالتهم وجاسوسيتهم وعملهم على حسابهم (لحسابهم) ، لأنه أمر الناس بمقاطعة الجهاد والمجاهدين وترك مولاتهم ضد الاستعمار والمستعمرين ، بل خلاف ذلك أمر الناس بولايتهم ومولاتهم ، فالمسلمون يقاطعون ويخاذلون ، والنصارى المستعمرون يوالون ويناصرون " (٢)

ولا غرابة في صدور مثل هذه الأعمال والفتاوى من رجل أشرف على تعليمه وثقيفه المرزا غلام قادر - الابن البكر لغلالم مرتضى ، الشقيق الأكبر لغلالم أحمد زعيم القاديانية - منذ نعومة أظفاره . (٣)

تفسير البريلوية المسلمين :

=====

من الصعب أن نجد كتابا أو كتيباً أو فتوى ، أو خطاباً عاماً ، أو خطاباً خاصاً لأحمد رضا خان يخلو من تكفير واحد من المسلمين ، وتبعه في خطوته هذه جميع علماء البريلوية ، وما زالت تلك الآلة غير الواعية تصدر أحكام التكفير كل يوم ، وآخر انتاجها تكفير أئمة الحرمين ، وان كتب الفرق والتاريخ عاجزة عن ذكر جماعة تماثل البريلوية في باب التكفير ، فان كانت الخوارج كفرت مرتكب الكبيرة فان هؤلاء كفروا من لا يقيم المولد ، أو من لا يؤذن على القبر بعد دفن الميت فيه ...

(١) نقلاً عن البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٤ وانظر قاضى أفضل حق اقبال في مدوح علماء العلماء الذين مدحهم اقبال " ص ١٨ .

(٢) البريلوية عقائد وتاريخ ص ٤٤ .

(٣) انظر بدر الدين أحمد قادري سوانح أعلى حضرت " سيرة أحمد رضا خان " ص ١٥ والبريلوية ص ١٩ .

أهم الأسس البريلوية :

ولعل من المفيد ان أوجز الأسس التي يبنى عليها مذهب البريلوية ، ومن المدهش أن أغلب مسلمي شبه القارة الهندية على هذا المذهب ، ولا سيما الطبقات الكادحة ، اذ كان الجاهل فاشيا فيها ، لا يستطيع أحدهم نطق الشهاداتين نطقا صحيحا فضلا عن فهم أمور الصلاة والزكاة والصوم فاستغلهم البريلوية ، فزينوا لهم البدع والانحرافات ومثلهم علماء الطائفة بالنجاة يوم الحشر بتقديم النذور والهدايا وتعظيم قبور الأولياء ، كما أن جيرة الهندوس والاسماعيلية أثرت فيهم بحكم الجوار فقلدوا عباد البقر وأتوا طقوس الاسماعيلية في العديد من مناحي الحياة الشرعية .

من المعتقدات الأساسية عند البريلوية أن محمدا صلى الله عليه وسلم نور مجسم من نور الله ، لا بشرية فيه ، وقد سجلت بنان أحمد رضا خان عدة كتب وكتيبات في هذا الصدد أهمها : " صلاة الصفا في نور المصطفى " و " نفى الفى عن انار بنوره كل شى " يقول في مقدمة كتابه الأول بلغة الضاد " اللهم لك الحمد يا نور ، يا نور النور ، يا نور قبل كل نور ، ونور بعد كل نور ، يا من له النور ، وه النور ، ومنه النور ، واليه النور ، وهو النور ، صل وسلم وبارك على نورك المنير الذى خلقته من نورك ، و خلقت من نوره الخلق جميعا ، وعلى أشعة أنواره ، آله وأصحابه وأقماره أجمعين " (١)

وما أن محمداً مصدر الخلق عند أحمد رضا فنجدّه يعين بعض من خلق منه فيقول :

"إن محمداً ليس بعين الله ، ولا هو غير الله ، انه مظهر صفات الله ، محيي الأرواح ، منه خلق الجن والأنس ، ومنه ظهر العرش والكرسي ، ومنه خلق آدم وحواء " (٢)

واقراً بعد هذا التصور الدخيل على الاسلام في صاحب الرسالة الخاتمة ، قول الله عز وجل

" قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً " (٣) فهل بعد هذا مطمع في نفى البشرية عن

محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) صلاة الصفا في نور المصطفى ص ٣٣ المطبوعة مع مجموعة رسائل ج ١/٣٣.

٣٧/١ " " " " ٣٧ " " " " (٢)

(۳) سورة الكهف آية : ۱۱۰ .

وما أن محمدا صلى الله عليه وسلم جزء من الاله ، فلم يكن للبريلوية مندوحة أن يصفوه بما يختص به الخالق عز وجل فقالوا إنه يعلم الغيب ، ويعلم ما كان وما يكون في هذا الكون الواسع " وأن الله عز وجل منح صاحب القرآن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم علم جميع الموجودات ، وعلم ما كان وما يكون ، وعلم جميع ما في اللوح المحفوظ ، وإن اللوح المحفوظ باخبار السنة مسجل فيه كل كائن من البداية الى النهاية ، بل الى دخول أهل الدارين دورهم ومنازلهم ، فهو عبارة عما كان وما يكون " (١)

وما دام محمد صلى الله عليه وسلم نورا من نور الله ، فلا بد أنه يتصرف تصرف الخالق والمالك في هذا الكون ، فبه عند البريلوية يستعان ويستغاث ، لأنه الحاكم المطلق في المخلوقات والموجودات " إن النبي صلى الله عليه وسلم نائب مطلق عن الله عز وجل ، وإن العالم كله تحت تصرفه ، يفعل ما يشاء ، يعطي من يشاء ما يشاء ، يومنع ما يشاء عن يشاء ، فلا معقب لحكمه في العالمين ، ومن لم يجعله مالكا حرم من حلاوة السنة .

" إن الأرض وما عليها كله له ، والجنة وملوك السماوات في قبضته ، مفتاح الجنة والنار في يده ، تقسيم الأرزاق والأموال في تصرفه صلى الله عليه وسلم ، الدنيا والآخرة جزء من عطائه ، وإن الأحكام التشريعية مفوضة اليه ، يحرم ما يشاء على من يشاء ، ويحل لمن يشاء ما يشاء ، ويسقط أى فريضة عن يشاء " (٢)

ومن معتقداتهم " حاضر وناظر " العيان والمعينة ، ويعنى هذا المعتقد في عرف الشرع البريلوى " أن صاحب القوة القدسية يستطيع أن يرى العالم مثل رؤيته كفه من مكان وجوده ، ويستطيع سماع الأصوات القريبة والبعيدة ، كما أنه يطوف بالعالم في لمحة بصر ، فيغيث المضطرين ويجيب الداعين ، كل هذه التصرفات تصح جسما وروحا ، وهى ثابتة للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، بل ثابتة للأولياء والصالحين بنصوص الكتاب والسنة " (٣)

(١) أحمد رضا خان خالص الاعتقاد ص ٣٣ .

(٢) أمجد على الأعظم بهار شريعة (ربيع الشريعة) ج ١٦/١ .

(٣) أحمد يار جاء الحق وزهق الباطل ج ١٦٠/١ .

أما في باب العمل فنجد البريلوية يركزون على إقامة الموالد ، والبناء على القبور ، وعلى تجسيصها وتنويرها ووضع الستور والعمائم والثياب عليها ، وعلى التعييد عندها كل سنة ، وقراءة القرآن على الأموات وعلى قبورهم ، وتكليف أهل الميت بجلب الأطعمة إلى مشائخ البريلوية لمدة تتراوح بين ثلاثة أيام وأربعين يوما . . .

وأغرب ما نشاهد عند القوم هو جبر الأعمال الشرعية المتروكة كالصلاة والزكاة والصوم . . . بالأموال والأقوات بعد الوفاة ، ويسمون ذلك حيلة الاسقاط (اسقاط الواجبات) ويشرح طريقتهما أحمد يار فيقول : "مقدار الصدقة عن كل صلاة أو صوم متروك هو مقدار صدقة الفطر المعروفة ، فمثلا من مات تاركا صلوات سنة كاملة يتصدق عنه بالقدر السابق ، بيد أن اخراج مثل هذا المقدار لا يسع كل أحد ، ولا يستطيع كل انسان أن يتصدق بهذا القدر ، وأمثلة الطرق لذلك أن يأخذ ولي الميت مقدار صدقة شهر فيتصدق به على الفقراء ، ثم يرد الفقراء إلى الولي ما تملكوه ، وتكرر هذه العملية حتى تبلغ المدة المتروكة ، وهذا هو الاسقاط الجائر شرعا " (١)

تأثير الفكر البريلوي لصالح الفكر الغربي في الأمة :

وهكذا شجعوا الأتباع على ترك العمل ، وحرصوهم على عصيان أوامر الشرع حتى هان على عامة البريلوية ترك الصلاة والصوم . . . التي عليها مدار النجاة حسب تعاليم الشريعة السمحاء وبرزوا لافتات الكفر والتكفير أمام كل من خالفهم في هذه المبتدعات التي لم يأذن بها شرع الله . ومالا شك فيه أن الاستعمار لم ينشئ هذه الفرقة ، ولم يضع أسس هذه المبتدعات ، لتناقض فكر البريلوي والبريلوية مع فكره الملحد ، فلن ينشئ فكرا يفضي إلى الإشراف في تسيير أمور العالم مع إنكاره وجود الخالق عز وجل ، فالقول بإيجاد هذه الطائفة ، أو إيجاد أفكارها قول لا يعتمد على دليل ، أضف إلى ذلك أن أغلب أفكار البريلوية لها امتداد تاريخي في تلك البلاد ، قد يصل إلى عدة أحقاب فيما مضى من الزمن .

فإن كان الاستعمار لم ينشئ البريلوية فإنه قد استفل أفكارها لصالحه كل الاستغلال ،

(١) جاء الحق وزهق الباطل ج ١/ ٤٦٨ - ٤٦٩ وانظر تفاصيل هذه الحيلة والأعيان التي تجوز بها البريلوية عقائد وتاريخ ص ١٤٤ - ١٤٦ .

فوجهها لضرب العقيدة الصحيحة ، وخال بها بين المسلمين وبين ما يأمرهم به دين الله ،
وتلك خدمة لا تدانيها خدمة ، فتحققت آماله المعلقة التي كان يسعى اليها الغربيون منذ
الحروب الصليبية ، فحل غير شرع الله مما لا يتنافى مع المصالح الاستعمارية مكان شرع الله ،
وتجسدت آمالهم في صورة أمور ثلاثة ما زالت الامة تعاني آلامها ، ويتجرع المصلحون مرارتها
اليوم ، كتجرع اخوانهم الذين عاصروا الاستعمار بالأمس .

أ - تهوين أمر العلماء في نظر العامة ، والاستخفاف بهم ، لأنهم كفار لا يستحقون أى تقدير
أو احترام ، وذلك انقطعت الصلة بين العلماء الرعايين وعامة الناس ،

ب - فقدت القيادات المقتدرة - التي حملت السيوف في وجه الانجليز وفي وجه كل معتد
على شرع الله - مراكزها القيادية ، وحل محلها علماء البريلوية الموالين للفكر المستعمر في صورة
تشجيع الناس على عصيان أوامر الله وارتكاب منهياته .

ج - شغلوا الامة بابرار خلافات تبعد بهم عن قضيتهم الأم ، قضية طرد الدخلاء والفكر الدخيل ،
لذلك نجد الوثائق السرية البريطانية - التي فقدت جدواها الآن ، وأصبحت من معروضات
المتحف البريطاني تعلن : " أن الشيخ أحمد رضا خان كان يتقاضى خمسمائة روبية شهريا من
بريطانيا عن طريق أمير رامبور كعب على خان مقابل تكفيره علماء المسلمين الذي يقودون حركات
تحرير الهند " (١)

ويشغل البريلويون اليوم حكومة باكستان التي أعلنت تطبيق الشريعة الاسلامية في البلاد بقضية
دية المرأة ، ويريدون لها دية مساوية بدية الرجل تبعا للغرب في المساواة بين الانثى والذكر ،
وسبب ضجتهم هذه في الصحافة تأجل تنفيذ قانون القصاص والدية الاسلاميين ، وكان من المفروض
أن يأخذ طريق العمل مع قانون الشهادة الاسلامي في غرة صفر ١٤٠٥ هـ من هجرة المصطفى
صلى الله عليه وسلم .

الفصل الرابع

القرآنيون وتأثرهم بالفكر الغربي

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية

١ - السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين

أ - مفهوم النبوة •

ب - مفهوم الوحي وطريقته •

ج - شروط السيد لقبول السنة •

د - مفهوم الجهاد •

هـ - مفهوم الموالاة الشرعية •

٢ - القرآنيون وصلة فكرهم بالغرب •

٣ - أبرز الزعماء القرآنيين

٤ - نماذج من التفريب •

أ - حركة التدين (الارتداد)

ب - توريث غير المسلم من المسلم •

ج - حرية التصرف في المال عند الوفاة •

د - أحكام القرآن في التركة مؤقتة •

هـ - قواعد الحجب مجحفة •

و - نظام القرآن الاقتصادي (الاشتراكية في الأموال)

ز - نزع التأبيد من أحكام الاسلام •

السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين والقاديانيين :

قبل الكلام عن الفرقتين — القرآنية والقاديانية — ينبغي التعرف على أفكار السيد أحمد خان في أمور خمسة (النبوة ، الوحي ، السنة ، الجهاد ، المولاة الشرعية) اذ أنها الأسس المعتمدة في فكرهاتين الفرقتين . (١)

١ — مفهوم النبوة :

ينكر السيد أحمد خان أن تكون النبوة منحة الهية ، أو اختيارا ربانيا خاصا ، ويخطئ العلماء الذين فهموها على هذا المنوال فيقول : " لقد فهم العلماء المتقدمون النبوة كمنصب من المناصب يعطيه الله لمن يشاء ، أو ينتخب أفرادا لحملها ، كالملوك الذين ينتخبون الوزراء ويختارون عمال الدولة ، ، ، ، غير أنى لا أفهم النبوة على هذا الوضع ، بل النبوة أمر فطرى — والنبي نبي ولو كان فى بطن أمه ، يولد نبيا ، ويموت نبيا — توجد تلك الملكة فى الأنبياء بمقتضى فطرتهم كوجود أى ملكة انسانية أخرى ، فمن يوجد فيه تلك الملكة يكون نبيا ، ومن يكون نبيا يوجد فيه تلك الملكة كبقية الملكات البشرية التى تتصل بتركيب الانسان وأعضائه من القلب والعقل .

" ملكة النبوة هذه شبيهة فى صلتها بصلة أعضاء الجسم بعضها ببعض ، فمن ثم لا اختصاص فيها كعدم اختصاص الوف الصلات والملكات الكامنة فى النفس البشرية ، فقد يكون الانسان بمقتضى فطرته مالا لقوة فى فسن من الفنون ، ويعتبر فيه اماما ونبيا ، كالحداد فهو امام ونبي فى فنه ، والشاعر فهو امام ونبي فى فنه " (٢)

وهذا الزعم أتفه من ان يرد عليه ، ويكفيها فى كشف زيفه قوله تعالى فى منح النبوة لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : " فلما آتاها نودى يا موسى ، انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى " (٣)

(١) وجمع هذه الأمور هنا لا يعنى سوى اعطاء صورة واضحة عن الرجل ، وتجزئتها بين فصلين يفوت المقصود .

(٢) مقالات ج ١٣/٦٦-٦٧ . واعتبر السيد أحمد خان ايدىسن وستيل الانجليزيين من

الأنبياء على هذا الأساس . انظر مقالات ج ١٣/١٩ ، ٢٩ .

(٣) سورة طه آية : ١١-١٢-١٣ .

٢ — مفهوم الوحي وطريقته : =====

يمنتع عند السيد أحمد خان وجود ملك ينزل بالوحي من السماء الى الأرض ، بل الوحي عنده شبه بالاتصالات اللاسلكية المعروفة لدينا اليوم ، يكتسب النبي الايحاءات الربانية المنعكسة على قلبه ، فيسمع ويرى بملكة النبوة الداخلية امورا لا وجود لها في خارج كيانه ، نتيجة اتجاه جميع قواه الى المرئيات والمسموعات الداخلية ، فتترأى له صورة ما في قلبه متمثلة في الخارج فيخبر عنها بالوحي والالهام ، واليك رأيه بنصه : " لا توجد واسطة بين الله والنبي لا يصل الى الوحي الا هذه الملكة ، وهي التي يقال عنها الناموس الأكبر ، وفي لسان الشرع جبريل . " فقلب النبي هو المرأة التي تتراءى له فيها التجليات الربانية ، وذلك هو الرسول الذي يجلب الرسالة الالهية ، وتلك المضة المجسدة هي التي تخرج منها الأصوات الالهية ، وهي ذاتها الأذن التي تسمع تلك النبرات غير الصوتية ، ومن ذلك القلب يخرج الوحي كخروج الماء من النافورة ، وعليه ينزل ، ويرى صاحبه صورة الوحي فيه ، فيخبر عنها بالايحاء والالهام ، دون أن يكلمه أحد ، يتكلم عن نفسه ، ويقول عن نفسه ، وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى .

" وهذه الحوادث والأمور الواردة على القلب فطرة بشرية ، لا يتخلف قانونها ابدا ، ويسمع النبي كلامه النفس بأذنيه الخارجيتين ، كأن شخصا يخاطبه من الخارج ، ويرى بعينيه الخارجيتين ، كأن شخصا يقف أمامه ، ومع فارق التشبيه نثبت أن الالوف منا من رأى حالات فاقدى العقل يسمعون أصواتا دون متكلم ، ويرون أشخاصا في الخارج مع انفرادهم عن البشر ، وتلك كلها أوهام من أوهامهم ، لارتكاز كل قواهم واتجاهها الى شيء معين " (١)

ومفهوم السيد هذا للوحي وطريقته مختلف عن المفهوم الذي أورده الشرع ، واتفقت عليه سائر الأمة الاسلامية ، ويكاد أن يتحد بالتحليل النفس عند العلماء لبعض الحالات المرضية ومرد ذلك أنه تكفل بشرح الاسلام في ضوء ما يقبله الغرب ، وتقره علومهم التجريبية ، ومادام الوحي غير معترف به في المعامل الغربية فليكن شبيها بحالة من الحالات النفسية المعترف بها لدى الغرب .

٣ — شروط السيد لقبول السنة : =====

يشترط السيد أحمد خان لقبول السنة شروطا ثلاثة :

- ١ — أن يكون الحديث المروى قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالجزم واليقين .
- ٢ — أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوى هي الكلمات النبوية بمعينها .
- ٣ — ألا يكون للكلمات الواردة في الحديث معان سوى ما ذكرها الشراح ، فإن تخلف أحد هذه الشروط الثلاثة لا يصح عنده نسبة القول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسبه حديث من أحاد يثبه .^(١)

وهذه الشروط لا تتوفر الا في المتواتر اللفظى دون سائر السنة الصحيحة المتواترة تواترا معنويا ، أو السنة الأحادية التي عليها مدار الأحكام الشرعية عند المسلمين .
ومنا على موقفه هذا جعل الأحكام الواردة عن طريق السنة بوجه عام أحكاما لا يجب على المسلمين اتباعها ، ولا يلزمهم العمل بمقتضاها " وأن ما استنبط العلماء من نصوصها الحالية من الأحكام إنما هي أحكام اجتهادية ، لا نصية فيها ولا حتمية ، لا احتمال ألا يكون ذلك مقصودا عليه الصلاة والسلام .^(٢)

٤ — مفهوم الجهاد : =====

ابان السيد مفهوم الجهاد الاسلامى فقال : " لا يبيح الاسلام الفساد والفدر والثورة ، تجاه من منح الأمن والسلام ، سواء كان معطى الأمن مسلما أو كافرا ، بل يرشد الى طاعته والاعتراف له بالايادى البيضاء ، ويوجب ايفاء العهد المبرمة بينه وبين المسلمين ، ولا يسمح لأحد بالحرب أو باراقة الدماء للسلطة أو فتح بلاد لم تدخل بعد فى الاسلام . ولا يرتضى ايصال صوت الحق بمهاجمة الناس والتغلب عليهم .

" ولم يعط حق رفع السيف الا فى صورتين :

- ١ — عندما يهاجم الكفار المسلمين لعدائهم للاسلام والرغبة فى ازالته من الوجود — لا لمرض التملك (الاستعمار) لأن الحروب التي تقع للتملك سواء كانت بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين الكفار فإنها حروب دنيوية لاصلة لها بالدين .

(٢) انظر مقالات ج ١ / ٦٩ .

(١) انظر مقالات ج ١ / ٣٣ ، ٤٠ .

ب- عندما يسلب الأ من من أموال المسلمين وأرواحهم ، ويظلمون لكونهم مسلمين وينتمون من اداء الواجبات الدينية ، وفي هذه الحالة أيضا لا يسمح الاسلام لاتباعه المظلومين المقربين بالحكومية علانية أوضنا لدولة ما رفع السيف في وجهها ، بل طلب منهم تحمل الظلم أو الهجرة من أراضى هذه الدولة . ومن عدا هؤلاء من المستقلين أو غير المحكومين من رعايا دولة أخرى - له رفع السيف لانقاذ المسلمين الذين يتحملون الظلم لاتسامهم بالاسلام ، أو لاعادة الحرية الدينية المسلمة أو الأمن المفقود ، ولكن متى دخلت شائبة التملك ، أو غرض دنيوى آخر في تلك الحرب فان الاسلام لا يسمح ينسبها اليه (١)

ويفسر قوله تعالى : " وقالوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " (٢) بقوله " من الخطأ أن يفهم من هذه الجملة قتال المسلم لاعلاء دين الله حتى لا يبق دين سواه ، لأن ذلك أمر غير معقول كما أنه لم يقع من السلف فيما مضى ، ولن يقع فيما يأتى ، بل معناه الظاهر البين أن القتال يحدد برفع العوائق التى يقيسها الكفار فى وجه اقامة دين الله ، وتخليصه منها حتى يقيه المسلم ويمثل له دون ايداء " (٣)

ووجهة نظر السيد هذه حول الجهاد الاسلامي مرفوضة بمسيرة الجهاد طوال الاحقاب الماضية فقد جاهد المسلمون منذ فجر الاسلام لابلاغ دين الله الى الناس ، أضف اليه انهم قاتلوا لرفع الظلم عن المسلمين ، وغير المسلمين ، ولم يستسخ مفهوم السيد للجهاد الا من ربط مصلحته بالاستعمار ، أو من أراد مخادعة نفسه عن الشعور بالاثم الذى سيلحقه لقعوده عن الجهاد المفروض عليه لاسترداد بلاد المسلمين ، وذلك هما السببان الرئيسيان لتوجيه الجهاد وتفسيره بهذه الوجهة المنحرفة .

٥ - مفهوم الموالاة الشرعية :
=====

قلما نجد بحثا شرعيا أو اجتماعيا للسيد أحمد خان الا وتتخلله جمل تحت المسلمين على التعامل السلمى ، والاستسلام لحكم الانجليز ، ولا يجد غضاة فى تحصيل النصوص ما لا تحتله فمثلا يقول فى شرح الاثر الذى أورده فى مقالاته " إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان السلطان

ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم ٠٠٠ الحديث ، فقد ورد لفظ السلطان في هذا الحديث دون قيد أو وصف لذا يجب عليه سواء كان مسلما أو يهوديا أو مسيحيا أو عابدا نزار أن يعامل الرعية كما ورد بيانه في الحديث .

" ولنعد الآن الى التفكير في وضع المسلمين الذين استأمنتهم الحكومة الانجليزية في الهند وتسمى لاقامة العدل بينهم حتى المستطاع ، ووضعت للفصل بينهم قوانين مفصلة ، حتى إن المرء يعرف نتيجة فعله قبل وقوع الفعل ، أضف اليه أنها منحتم الحرية الدينية ، وتكفلت بحفظ أموالهم وأرواحهم — ما عدا حرية البغى والشر — لذا يجب على المسلمين وفق هذا الحديث شكر الحكومة الانجليزية ، وما أنهم رعاياها يجب عليهم الامتناع عن البغى والفساد واثارة الفتن قولا وعملا .

" وكتب السنة تروى العديد من الأحاديث التي حث فيها النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على طاعة امرائهم ، سواء ظلموهم أو عدلوا بينهم ، وتلك الأحاديث لا تقيد الأمير بقيد ، ولا تشترط فيه وصفا معينا ، فيتعين أن الحاكم أو الأمير يصح أن يكون من حملة أى دين ، وعلى المسلمين امتثال أوامره طبقا لهذه الأحاديث ، ومن ثم يجب على جميع المسلمين الهنود الذين يستظلون بظل الحكومة الانجليزية طاعتها ، بصورة تكشف عن الانتماء والمشاركة المعيشية " (١) وشرح الآيات التي تنهى عن اتخاذ اليهود والنصارى وأعداء الله وأعداء المسلمين أولياء فيقول : " ويجب أن نفهم بالنسبة لهذه الآيات أن الموالاة عموما ليست ممنوعة ، وإنما الموالاة الممنوعة هي ما كانت دينا وشرعا ، وهي أن تحب المرء لدينه الذي اختاره ، وتعتقد أنه دين صحيح وحق ، فمثل هذه الموالاة محرمة شرعا ، وأما ما عداها فلا منع عنها " (٢)

وختم السيد كتابه " احكام طعام أهل الكتاب " بالموالاة التامة للانجليز فكتب باللغة العربية يقول : " الآن نختم هذه الرسالة على بيان أمر يليق بيانه في هذا المقام ، فاعلم أن بعض علمائنا رحمة الله عليه قد منع من تعظيم الكافر من سبقة الاسلام وغيرها ، كما هو عادة أهل ديارنا ، واستدلوا على منعه بما هو مذكور في " التهذيب " أن كل فعل فيه توقير الذمي فهو حرام كالقيام والسلام والمصافحة والمعانقة ، لأن الجزية عليهم للاهانة ، وبالسلم توقيرهم ، وفيه نظر على وجوه

" الأول : انه لا يوافقها الأدلة الشرعية ، لأن الله تعالى قال : " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم " (١) وقال الله تعالى : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " (٢)

" الثانى : إن الرواية المذكورة فى التهذيب " ليس يلائم حالنا ، ومن سكن ديارنا ، لأن المشركين أو النصارى فى ديارنا ليسوا بأهل ذمتنا ، بل نحن معاشر المسلمين فى رعييتهم ، وفى جوارهم ، وتسكن فى امانهم ، ونعمر فى ديارهم ، وهم احسنوا الينا بوجوه كثيرة ، يحكمون علينا بالعدل على ما يمكنهم ، ثم لا يمنعون اداء الفرائض كالصلاة والصيام ، وهم يحكمون علينا فى القضايا التى تتعلق بالمذهب خاصة كالنكاح والطلاق والميراث وغيره على ما هو مأثور فى شريعتنا ، فكيف لا نؤثرهم على أنفسنا ونختارهم "

" وما روى فى التهذيب عن منع السلام والمصافحة والمعانقة فهو متعلق بأهل الذمة ، كما هو مصرح فيه ، لا بالحكام والسلاطان ، فعلى أن نتفكر فى حالة يكون أهل الاسلام محكومين ، وغيرهم عليهم حاكما ، فما كان طريق معاشر المسلمين فعلى أن نعمل بذلك الطريق ، وتلك الحالة وجدت فى ثلاثة أقران : الأول كان بنو اسرائيل عبيدا لفرعون ، وهو عليهم سلطان قاهر ، والثانى كان المسلمون بمكة قبل الهجرة ، والثالث هاجر المسلمون بأرض الحبشة ، فكان هؤلاء اطاعوا من كان له سلطنة عليهم ما استطاعوا "

" فعلى أن نفعل ذلك اتباعا لهؤلاء ولا نفع فى المهالك " (٣)

هذا وقد تمخضت عن أفكار السيد السابقة ، وغيرها فرقتان بين المسلمين حتى اليوم — وما زال فكره يتسع لظهور فرق حديثة تتبنى انحرافات فى العديد من مناحى الحياة ، أو تنفرد بفكرة معينة ظلت جزءا مهما من فكره العام — تحمل الأولى رسالته فى تفسير الاسلام على النظريات

(١) السجدة ٣٣-٣٥ . (٢) الفرقان : ٦٣ .

(٣) مقالات ج ١ / ٣٧٨ - ٣٨١ .

الغربية والأسس المادية ، ومبدؤها الأساسي انكار السنة جملة وتفصيلا ، وتأويل القرآن تأويلا يطابق هوى الغربيين وآرائهم وأذواقهم ، ويسمون بالقرآنيين ، نظرا لرفضهم السنة ، واكتفائهم بالقرآن لتشكيل الحياة الاسلامية .

والثانية هي القاد يانية وافترى زعيمها على الله بنسخ الجهاد خدمة للاستعمار وساداته الأوربيين واليك الحديث عن الفرقتين بايجاز .

القرآنيون وصلوة فكرهم بالغرب :

قبل الحديث عن منكرى السنة يجدر التنويه أن بحث الما جستير الذي تقدمت به لنيل الدرجة العلمية جاء تحت عنوان " فرقة أهل القرآن بباكستان ، وموقف الاسلام منها " وقد فصلت الحديث هناك عن هذه الفرقة ، وعن الأسس التي تقوم عليها ، وعن امثالهم للتشريعات الاسلامية في ضوء انكار السنة ، مع مناقشة شبهاتهم حول ثانی مصادر التشريع في الاسلام
واما هنا فساكتفى بمرض أبرز جوانب التأثير ونتائجه المباشرة ، وما استجد من الأحداث على ساحة هؤلاء .

تقول دائرة المعارف الاسلامية الأردية " لقد تغلب العقل على النقل في الآونة المعاصرة فأخرج الى حيز الوجود اناسا أنكروا حجية السنة ، فمنهم من نادى بسلب حق التشريع من المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من فسر الرسول بالقرآن ، ومنهم من جعل أحكام النبی صلى الله عليه وسلم حينية خاصة " لعصره ولعن خاطبهم " ، ومنهم من أقربحق التشريع له غير أنه رد السنة لأن روايتها غير ثابتة ولهذه الطائفة اعتماد كلي على المستشرقين في ترديد الشبهات الواردة على السنة النبوية " . (١)

ومن المؤكد أن فكرة انكار السنة أو انكار حجتها كلها ليست وليدة الهند ذاتها ، سواء سلمنا أن السيد أحمد خان اختلق الشبهات لنزع الثقة عن ثانی مصادر التشريع في الاسلام بعد عودته من أوروبا ، أو اعتنق القرآنيون الفكرة نتيجة غزو تنصيري ، مركز بيد أن الدراسات تشير الى تعاون العاملين في تعميق هذا الاتجاه الهدام ، فمثلا يرى محمد علي قصوري : " إن

الحكومة المستعمرة لها يد في الفرقتين ، القاديانية ، والقرآنية ، وإن المشروع الانجليزى فى تلك الآونة اتخذ نوعا جديدا من المناورات المناوئة للإسلام ، فضمت صفوفه السياسية كثيرا من القساوسة المنصرين ، مما مكّنها من اصطياذ بعض الشخصيات الإسلامية ، وإيقاعها فى شبكة التحريف ضد الإسلام .

” كما انضم الى هؤلاء بعض من يريد الدنيا ، فحرضتهم السلطات الانجليزية على أن يقدموا بأعمال تبعد الثقة عن النفوس تجاه الحديث الشريف ، ويستغلوا الضمائر المنافقة من المسلمين وكان على رأس هؤلاء جميعا عبدالله جكرالوى ، وقد اختاره المسيحيون لاداء هذه المهمة ، ورفع صوته بانكار السنة كلها ، وأخذ يدعو الى هذا المشروع الهدام ، فأخذت كتب التأييد والرسائل تصل اليه من دعاة المسيحية ، وتعدّه بالمساعدات المالية وتشكره على هذا المجهود الجبار .

” وقد عرفنا كل ذلك من قبل أحد أصدقائنا الصادقين ، الذى كان يقوم بدور الترجمة لهذه الرسائل ، لعدم معرفة عبدالله باللغة الانجليزية . ولو بذلنا قليلا من الجهد لامكنا الحصول عليها ” (١)

ومن هنا نصل الى أن فكرة انكار السنة أو انكار حجيتها كلها فكرة غريبة ، نقلها دعاة التنصير أو السيد أحمد خان ومن يماثله من الغرب الى الهند ، وتبناها القرآنيون واحدا تلو الآخر ، ويمكنك أن تتصور غموض مكانة السنة فى الإسلام آنذاك — لكثافة الشبهات الغربية التى نسجت حولها — مما كتبه الدكتور محمد اقبال شاعر الإسلام الذى لم ينج من نتائج ذلك الاعصار الغربى المدمر تجاه السنة التشريعية : ” والطريقة التى يتبعها النبى هى أن يعلم أمته طريقة معينة ويتخذ منها نواة البناء وشريعة عالمية ، وهو فى هذه الحالة يؤكد المبادئ التى تنهض عليها الحياة الاجتماعية للبشر جميعا ، ويطبقها على حالات واقعية ...

” واحكام الشريعة الناتجة عن هذا التطبيق — كلاحكام الخاصة بمقومات الجرائم — هى احكام يمكن أن يقال أنها تخص هذه الأمة ، ولما كانت هذه الأحكام ليست مقصودة لذاتها فلا يمكن أن تفرض بحرفيتها على الأجيال المقبلة ، ولعل هذا هو السبب فى أن أبا حنيفة ... لم يكد يعتمد على هذه الأحاديث . (٢)

(١) مجلة الاعتصام اللاهوتية الأسبوعية ص ٦٥ — ٦٦ العدد الخاص بحجية السنة فبراير ١٩٥٦م
(٢) تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ص ١٩٢ .

أبرز الزعماء القرآنيين : =====

وتتبع الخطوط المتشعبة لهذه الفرقة يوصلنا الى أن فكرة الاعتماد على القرآن دون السنة في الاسلام بدأت تغزو الهند منذ نهاية القرن التاسع عشر على أثر تعميم الأفكار التي ثبتها حركة السيد أحمد خان ، غير أن مفعولها الأكيد انصب على بنجاب بأواسط الهند الموحدة ، فبدأ غلام بنى الشهير بعبد الله جكر الوى (١٨٢٥م - ١٩١٢م) نشاطه الهدام بانكار السنة أو انكار حجيتها جمعاً ، متخذاً من مسجد " جينيان " بـلاهور مقراً لحركته تلك .

وشارك محب الحق العظيم آبادى عبد الله فى بث الشبهات حول السنة لدى البهاريين فى شرقى الهند ، كما انضم اليهما فى العقد الثانى من القرن العشرين الخواجة أحمد الدين (١٨٦١م - ١٩٣٣م) متخذاً مدينة أمرتسر مقراً لبث أفكاره (١) .

ويمكننى القول فى ضوء الدراسة التى قمت بها فى بحث الماجستير أن الخواجة يعتبر أول الخلفاء والوريث البكر لفكر السيد أحمد خان عند هذه الطائفة ، فى ابتكار جسر العبور للأفكار الغربية على أسس السيد المادية ، ومرد ذلك أن الرجل كان نابغة فى علم الاقتصاد والجغرافيا والفلك والرياضيات والتاريخ والمنطق ، فحاول ايجاد التوافق بين نظريات الغرب حول هذه العلوم وبين حقائق الاسلام (٢) .

وخلف الحافظ محمد اسلم الجراجورى (١٨٨٠م - ١٩٥٥م) الخواجة أحمد الدين فى حمل راية نقد السنة وهدم العلوم التى بنيت عليها كالفقه وعلم الرجال ، وأهم نقطة فى فكر هذا الداعية المنكر الحجية السنة هو صبغ المبادئ الاسلامية بالأفكار الاشتراكية ، كتحويل ملكية الأرض من الأفراد الى الدولة ، واختراع منصب " مركز الملة " ليحل محل مجلس التشريع الحاكم عند الاشتراكيين ، ومن هنا فسر كلمة الشهادة المكونة من النفى والاثبات على المبادئ الروسية فقال : " إن الملة الروسية جددت العمل الاسلامى الذى وجد فى العهود الاسلامية السابقة بل أجود منه ، إذ أطاحت بالرأسماليين وملاك الأرض ، وأصحاب الامارات الصغيرة ، وهذا معنى (لا) من كلمة " لا اله الا الله " وهى أول لبنة فى الاسلام ،

(١) ولمزيد من المعلومات عن هذه الشخصيات / راجع بحث الماجستير ص ٢٤٣ .

(٢) انظر محمد حسين عرشى قرآن - قرآن تك " من القرآن الى القرآن " ص ١٦ .

وأن عملها هذا هو عين الامتثال لمبدأ الشهادتين " (١)

وتتلمذ غلام أحمد برويز (١٩٠٣م - ١٩٨٥م) (٢) على الحافظ محمد أسلم ، فورث منه مخلفات الخواجة ومختلقات الحافظ ، ويشير داعية الاسلام الشيخ المودودي الى خطورة الغلام فيقول : " ما أن حل القرن الثالث عشر الهجرى حتى دبت الحياة فى هذه الفتنة ٠٠٠ فكانت ولادتها فى العراق (٣) ، وترعرعت فى الهند وإن بدايتها فى هذه البلاد تعود الى السيد أحمد خان ، ومولوى " شيخ " جراغ على (٤) ، ثم كان فارسها المقدام عبد الله جكرالوى ، ثم استلم الراية مولوى أحمد الدين الأرتسرى ، ثم تقدم بها مولانا أسلم الجراجهورى وأخيرا تولى رياستها غلام أحمد برويز الذى وصل بها الى ساحل الضلال " . (٥)

نماذج من التفريب :

هذا وقد أحدث الغاء السنة من الدين تطابقا بين فكر الغرب الملحد ، وفكر هؤلاء المنحرفين فى أمور كثيرة أهمها :-

أ - حريسة التدين " الارتداد "

أول ما يتغيبه الغرب من الزم نفسه بنشر التفريب بين المسلمين أن يطالب بالحرية المقدية وأن يكون المسلم مختارا فى تغيير عقيدته ، إن شاء استمسك بها ، وإن شاء غيرهما الى المسيحية أو الهندوسية ٠٠٠ أو نفى الأديان جميعا ، من غير أن يجد رادعا يحول دون تحقيق

(١) نوادر ص ١١٥ .

(٢) توفى فى ١٩٨٥/٢/٢٤م .

(٣) والصواب فى مصر ، لأن التاريخ الثقافى المراقى خلو من مثل هذه الأفكار ، أما مصر فنعم فقد كادت أن تها هى الهند أو تسبقها ، وأول الداعيين الى هذه الفكرة علانية فيها هو الطيب محمد توفيق صدقى فكتب عدة مقالات تحت عنوان الاسلام هو القرآن وحده " انظر مقالاته فى مجلة المنار المصرية - العدد التاسع والثانى عشر من عامها التاسع ١٩٠٦ ، ٢٤ ١٣ هـ .

(٤) أحد أعضاء حركة السيد أحمد خان البارزين ، وتعتبر كتاباته حول الجهاد والشرق وتعدد الزوجات أكثر جرأة من كتابات السيد نفسه .

(٥) سنت كى آئينى حيشيت (مكانة السنة التشريعية) ص ١٦ .

تلك النزعة ، وتبرع الخواجة أحمد الدين بهذه المطالبة في تفسيره فقال : " لا وجود لكتاب الهامى فى عالم الانسان أصدر حكمه بقوله " لا اكراه فى الدين " (١) " وما أنت عليهم بجبار " (٢) " لست عليهم بمسيطر " (٣) الا القرآن ، وقد جاءت تعليماته لمحو الالتزام بديانة ما ، فقدم الدلائل والبراهين المقنعة لهذا الاتجاه " (٤)

ب : توريث غير المسلم من المسلم :

نظام الارث وقسمة التركات فى الاسلام واضح لا لبس فيه ، ويندر وجود الاختلاف بين مسائله الكثيرة المتنوعة ، غير أن المنكرين للسنة تعرضوا لنقد بعض مسائله المجمع عليها ، حتى تواتى الوجهة الخريبة من ذلك :

توريث غير المسلم من المسلم • يقول الخواجة : " اختلاف الدين بين الوارث والمورث لا يمنع من الميراث ، لأن القرآن اباح نكاح الكتابيات ، فالمسيحية تحت عصمة المسلم تعتبر زوجة ، والزوجة ترث بنص القرآن ، ولو كان اختلاف الدين مانعا من الميراث لما جاز أن تصبح الكتابيات امهات وزوجات للمسلمين " (١)

وعند غريلة هذا الزعم تجده سلاحا ذا حدين ، يخدم حركات التنصير من جهة ، ويقضى على سلاح العلماء الشرعى الذى كثيرا ما سل فى وجه من تسول له نفسه الارتداد عن شرع الله من جهة أخرى ، وأقل ما يقال فى رده أن حل الزواج بالكتابيات لا يستلزم احقيتها فى الارث ، والالأنطبق عليها سائر أحكام الاسلام ، فتعامل معاملة المسلمات ، ثم إن الذى يثبت هو صحة التوارث بسين الزوجة الكتابية من زوجها المسلم ، وتلك حالة ضيقة محدودة من حالات الميراث ، فكيف يصح أن يستنبط منها قضية " اختلاف الدين لا يمنع من الميراث " سواء كان المخالف كتابيا أو غيره ، زوجة أو غير زوجة ، وعمدة المنع قول النبى صلى الله عليه وسلم " لا يرث المسلم الكافر ، ولا يرث الكافر المسلم " . (٢)

ج — حرية التصرف فى المال عند الوفاة :

شملت نظم الاسلام اقامة التوازن فى حياة الانسان فردا أو جماعة ، طوال مدة بقاءه على هذه الأرض ، من ذلك اشتغالها على تلك الأسس المقسمة لتركة المسلم بعد وفاته ، واعطاؤه حرية

(١) معجزة القرآن در بيان ميراث مسلمانان (معجزة القرآن فى بيان توارث المسلمين) ص ١٧ .

(٢) الحديث رواه البخارى فى صحيحه ج ٨ / ١١ — كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم

الكافر ، ولا الكافر المسلم ، ومسلم فى صحيحه ج ٥ / ٥٩ — والدارى ج ٢ / ٣٧٠

كتاب الفرائض باب فى ميراث أهل الشرك وأهل الاسلام •

التصرف في جزء من ماله قبيل الوفاة ، يوصى به لمن يراه أهلاً ممن لا يرث من تركته ، حفظاً
للاموال ، وصيانة لحقوق الورثة ، غير أن القرآنيين يرون تبعاً للنظرية الغربية أن الإنسان
حر في تصرف ماله حيثما يحلوه ، فله أن يقسم تركته بالوصية إن شاء ، كما له أن يوصى بها
كلها لمن شاء ، يقول السيد أحمد خان " الوصية غير مقيدة في القرآن ، فيجب أن تنفذ كما
أوصى بها ، حتى لو استغرقت المال كله ، ولا اعتبار لقول قائل أيا كان " (١)

ويقول الخواجة " والأمر العجيب أن الشخص لو وهب لأحد أبنائه ما يملكه في حياته
صحت هبته ، ولا ذنب عليه ، ولكن وصيته الواهبة كل ماله لأحد لا تنفذ بعد وفاته ؟ " (٢)
ويقول برويز : " يجب على كل مسلم بروح القرآن أن يوصى أن ترك مالا ، وتأتي أهمية
هذه الوصية وتأكيدها من تكرارها مرتين في آية واحدة ، دون أن يخبر عنها أنها تصح في كذا
لا فيما يعلوه ، ودون أن يعين أنها تجوز لفلان دون فلان ، بل كل شخص مختار في وصية تركته ...
ويجب أن تحتوي على جميع ما يتصل بالتركة ، ولكنه إن صادف أن المتوفى لم تتح له فرصة
للايضاء ، أو بقي مال بعد وصيته ، ففي هاتين الحالتين تقسم التركة حسب ما عينه القرآن " (٣)
وللمسلم المقر بالكتاب والسنة أن يفهم هو لا بقول النبي صلى الله عليه وسلم " ألا إن الله
قد أعطى كل ذي حق حقه فلا يجوز وصية لوارث " (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي
وقاص حين مرض في مكة وعاده النبي صلى الله عليه وسلم فيه : " يرحم الله ابن عfra قلست
يا رسول الله أوصى بمالي كله ، قال : لا : قلت فالشطر ، قال : لا ، قلت الثلث : قال فالثلث
والثلث كثير ، إنك أن تدع ورثتك أغنياً خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس " (٥)

د — أحكام القرآن في التركة مؤقتة :
=====

لحمل الاسلام على النظرية الاشتراكية في الأموال يرى برويز أنه " عندما يصل نظام
القرآن الاقتصادي الى غايته لن تبقى هنالك أملاك في التركة ، فلذا كانت الأحكام الواردة في

(١) مقالات ج ١ / ١٧٩ . (٢) معجزة القرآن ص ٧ .

(٣) تبويب القرآن ج ٣ / ١٣٩٠ ، وانظر الحافظ محمد أسلم نكات قرآن ص ١٨ وبعد الله

جكر الوى تفسير القرآن بآيات الفرقان ص ٣١٥ .

(٤) الحديث أخرجه الدارمي في سننه ج ٤ / ٤١٩ كتاب الوصايا باب الوصية للوارث .

(٥) الحديث أخرجه البخاري ج ٣ / ١٨٦ كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياً خير

من أن يتكفوا الناس .

التركة والوصية أحكاما انتقالية لا يسرى حكمها الا في الفترة التي تتصل بها قبل وصول ذلك النظام الى كماله وغايته " (١)

هـ — قواعد الحجب مجففة : =====

حمل المنكرون للسنة حملة ضارية على قواعد الحجب ، ومنع الميراث عن وارث ما ، لقيام سبب أو أكثر يمنعه من الارث ، كوجود من هو أقرب منه الى الميت ، وجماع قولهم في ذلك أن قواعد الحجب ومنع الميراث مخالفة لفطرة البشر ، بل إنها تورث القطيعة ، وقد تؤدي الى القتل واهتم هؤلاء بمسألة توريث الحفيد مع وجود عمه اهتماما بالغا ، حتى استصدروا من حكومة باكستان تقينا اعترفت له فيه بأحقية الارث تحت شعار المطف المزيّف (٢) ، فأصبح الحفيد منذ ذلك اليوم وارثا نصيب أبيه من تركه جده (٣) مع وجود سبب المنع في نظر الاسلام ، وذلك نقضوا أوثق عرى الميراث تحت شعار الشفقة والرحمة ، وتقديم العقل على النقل تبعا لمنهج السيد في تفسير الاسلام ، مع أن شرع الله لم يوصد أبواب الارث في وجه هذا اليتيم ، بل إن الوصية الشرعية في الثلث وما دونه هو الحل الأمثل لأمثال هؤلاء ، وفي مثل هذه الظروف .

و — نظام القرآن الاقتصادي " الاشتراكية في الأموال " : =====

أفحم برويز نظرية " اشتراكية الأموال " الغربية في القرآن ، وأسماها " نظام القرآن الاقتصادي " ويتحدث عنها في الموضع المناسب وغير المناسب ، ويخضع آيات الكتاب حتى تسوغ تلك النظرية " الأساس في وسائل الانتاج هو الأرض والقيام بمهمة ايتاء الزكاة الى الشعب من أوليات فرائض المملكة الاسلامية ، ولا يسع هذه الدولة القيام بهذا الواجب الا بنقل

(١) تبويب القرآن ج ٣ / ١٣٨٦

(٢) وجرى التعديل ١٩٤٩م حيث نص على اعطاء الحفيد حصة أبيه من الأراضي الزراعية ، وفي

عام ١٩٥٣م ضمت اليه الحفيدة / انظر تعديل النصين عند الاستاذ تنزيل الرحمن في مجموعة قوانين اسلام ج ٥ / ١٩٨٠ ويرى صاحب هذه المجموعة لحل هذه القضية " أن يجبر الورثة على تقسيم التركة على يد المحكمة ، ولها أن تأخذ ثلث التركة وتعطيه لمن لا يرث من الورثة ، على أن الميت (الجد) قد أوصى بذلك ، مالم يكن الميت قد أوصى الوصية في حق هؤلاء لتشاحن أو بغضاء أو نحو ذلك " . مجموعة قوانين اسلام ج ٥ / ١٩٨١ .

(٣) انظر الحافظ محمد اسلم محجوب لارث ص ٣ و ٢٥ وإدارة بلاغ القرآن عائلي قوانين / (الأحوال الشخصية) ص ١٦ وغلام أحمد برويز قرآني فيصل (الأحكام القرآنية) ج ١١١ / ١١٢

هذه الوسيلة الانتاجية من الأيدى الفردية الى الأيدى الجماعية ، فتحول ملكية الأرض الى الدولة وتتصرف فيه بما تراه مناسبا لتغطية متطلبات المحتاجين ٠٠٠٠ ، وفى ظل نظام الاسلام لا يمكن ترك فضول الأموال فى أيدى أصحابها ، ولا نتصور الملكية الفردية ممن يستظل تحت ظل هذا النظام بل تعم الأرض والأموال والمصانع والتجارة ، وتوضع تحت تصرف الملكية المشتركة حتى تتمكن الدولة من تلبية حاجيات الشعب " (١)

ز - نزع التأييد من أحكام الاسلام :

وأخر نزع غرسها هؤلاء المنكرون أن هياؤا أفرادا بين الصف الاسلامى مهمتهم نزع التأييد عن التشريعات الاسلامية الثابتة ، ودفعها الى عجلة التغيير والتحويل ، كتشريعات القانون ، يقرها مجلس وينسخها آخر تلبية لرغبات الشعب .

وهرز هذا الجانب عند القرآنيين المحدثين فى صور أهمها :

١ - فى الطلاق :

حيث يرى عمر أحمد العثمانى انه " لا يستثنى من قوله عز وجل " ومولتهن أحسـو بردهن ٠٠٠ " (٢) الا المستطلقات " المخالعات " فلا يصح منهن العودة الى أزواجهن السابقين حتى ينكحن زوجا آخر ، واما من عداهن من المطلقات الرجعيات والبائعات والمبتوتات والمغلطات فيصح لأزواجهن أن يرجعوهن دون أن ينكحن زوجا آخر ، شريطة أن يتوقع من رجوعهن الاصلاح فى المجتمع الاسلامى النبوى " (٣)

٢ - فى الرجم :

وأقرب النتائج منالا لهذا الاتجاه هو ما حكمت به المحكمة الاسلامية الكبرى أخيرا بتاريخ ١٩٨١/٣/٣١م تجاه عقوبة الرجم الاسلامية ، فقد فسرها أغلب قضاة المحكمة بأنها عقوبة تعزيرية ، لا صلة لها بالحد (٤) ولا زالت هذه الحرية التفسيرية للتشريعات الاسلامية مستساغة

(١) قرآنى قوانين ص ١٥٩ . (٢) البقرة آية : ٢٢٨ . (٣) فقه القرآن ج ٢/٢٧٣ . (٤) انظر المحكمة الشرعية الكبرى بباكستان ، رجم ص ١١٤ .

لدى أغلب القضاة في المحاكم حتى اليوم .

٣ - في قطع السارق :

.....

وأخر حد اسلامي تعرض للتحويل وعدم الثبات هو حد قطع السارق ، وأوله المستغربين بأن ما ذكره القرآن هو أقصى عقوبة لتلك الجريمة ، وأن المجتمع المسلم في حل من وضع عقوبة لهذه الجريمة . (١)

٤ - ومنهم من يرى وجوب فصل التشريعات الدينية عن التشريعات القانونية ، ويحذ أعادة النظر في النكاح المدني " نكاح المحاكم دون شهود أو أولياء " وفي طلاق المحاكم ، ودمج الزكاة في ضريبة الدخل ، وحل التأمين بكل صوره ، والموافقة على جميع قوانين الشركات الأوربية لأن العصر قد اختلف وأثبت أشياء لا وجود لها في الاسلام ، فيتمين مراعاة ذلك . (٢)

ويكفرك تصور غموض الاسلام ومبادئه الخالدة عند هؤلاء^{آنذاك} ما كتبه الشاعر محمد اقبال " والرأى عندي هو أن ما ينادى به الجيل الحاضر من احرار الفكر في الاسلام من تفسير أصول المبادئ التشريعية تفسيراً جديداً على ضوء تجاربهم ، وعلى هدى ما تغلب على حياة العصر من أحوال متغيرة هو رأى له ما يسوقه كل التسويغ " (٣) وقد رجع محمد اقبال عن هذا الرأى ، ودافع عن الرأى دائماً متشبهاً ، ودواؤيته المتعددة التي نظرها بعد هذا الرأى لتجد له بطلاناً .

(١) انظر مجلة صدق جديد ٨ / ١٩ عدد ٢٢ أغسطس ١٩٦٩ م .

(٢) انظر آصف على فيض هندوستان مین مذہب اسلام برنظر ثانی کی ضرورت " حاجۃ الہند الی اعادۃ النظر فی الاسلام " ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) تجديد التفكير الديني ص ١٩٣ ويرى الرأى ذاته صاحب هندوستان مین مذہب ...

الفصل الخامس

}} القاد يانية واخلاصها للفكر الغربى {{

ويشتمل

على النقاط الرئيسية التالية :

- ١ — فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام .
- ٢ — غلام أحمد القاد يانى ودعاواه .
- ٣ — الهدف الرئيسى من دعاوى الغلام .
- ٤ — موقف القاد يانية من الجهاد بعد موت الغلام .
- ٥ — الغلام ودعاء النبوة .
- ٦ — تفسير القاد يانية لـ " خاتم النبين " .
- ٧ — وحى الغلام .
- ٨ — ما تختلف فيه القاد يانية عن الاسلام .

فتوى العلما حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام :

كثيرا ما يتحدث الناس عن القاد يانية ، وعن زعيمها المتبئ ، وعن مناهضتها لمقيدة ختم النبوة ، ونسخ الجهاد ، . . . لخدمة الاستعمار ، وكثيرا ما جرت المناقشات في هذه الموضوعات على الساحات العامة والخاصة ، ولكن قلما نجد تحليلا ، أو ربط مسبب بسبب يوضح تلك الخطوط التي خنقت الاستعمار ، وضيق عليه سهل الاستغلال . . . حتى اضطر الى ايجاد نبوة تساند غلبته وسيطرته ، وتهدي غضب أهل الهند على السادة البيض .
لوعدنا الى الوراء قليلا ، وحاولنا تتبع الأحداث والعراقل التي وضعت في طريق الانجليز لمنعهم من الاستيلاء على الهند ، نجد اغلبها جائحة للقاعدة الاسلاميَّة المعلنية في النفي العام - الجهاد ومقاتلة الكفار - فبالاجماع لأنه من اغاثة الملهوف والمظلوم " (١) لذا يقول القرطبي :
" اذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلولة بالمعقر ، فاذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا ، شبابا وشيوخا . . . ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو مكثر ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة . . . وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج اليهم . . . ولا خلاف في هذا " (٢)

فلم تكن حرب بلاس وكسر وحروب حيدر علي وابنه تيبو سلطان وحركة السيد أحمد الشهيد الجهادية وانتفاضة ١٨٥٧م الا حلقات من تلك السلسلة الحاضرة ، التي أقامها المسلمون لمنع تحويل الهند من دار الاسلام الى دار الحرب .

وبالقضاء على الانتفاضة الهندية خيل الى الانجليز أن الهند وقعت فريسة في شباكهم ، لن تملك حولا ولا قوة لطردهم أبدا ، غير أنهم سرعان ما شاهدوا نهوض حركة الجهاد من جديد تقلق مضاجعهم ، وتهدد مستقبلهم في تلك البلاد ، ومن غير المستبعد أن تقوى الحركة بانضمام المجاهدين الفارين من المحاكمة أو من رغبوا في معاودة الجهاد عقب الهزيمة ، وذاك هو

(١) انظر محمد بن محمود البابر في العناية على الهداية ج ٥ / ٤٤٠

(٢) الجامع لاحكام القرآن ج ٨ / ١٥٢

سر كثرة القوة المجاهدة التي اعترف الانجليز بنشاطها وحيوتها في هذه الفترة ، ووصفوها بأنها أقوى وأصلب عودا من عهد مؤسس الحركة . (١)

وبالكشف عن خطوط التموين ، ومراكز التدريب الجهادية في المناطق الخاضعة للانجليز عام ١٨٦٩م اختفت الحركة في العلن ودخلت في دور السرية والاختفاء بعد أن حوكم كل من حامت حوله شبهة الجهاد أو اعانة المجاهدين ٠٠٠ ، واجتهد الانجليز أثر ذلك في جمع فتاوى العلماء ، ونشرها بين المسلمين خوفا من حركة جهادية أخرى ، وكتابات العلماء والفتاوى التي وجهوها الى الأمة في هذه الفترة أغلبها يمنع الجهاد ، ويوعز الى المسلمين بالخضوع والاستكانة ٠٠٠ ، ومرد ذلك قوة اليد الحديدية الخانقة والمشانق المتدلية من الأشجار على مفترق الطرق .

وان عدت الى الفتاوى وجدت أن محورها يدور حول وضع الهند السياسي ، وهل هي دار حرب يجب حمل السلاح على كل مستطيع لاستردادها ؟ أو أنها ما تزال دار اسلام لبقاء بعض الأحكام الاسلامية منفذة فيها على أيدي الحكام الجدد .

ونكاد نعدم فتوى تمنع الجهاد قبل الانتفاضة ، بل كانت فتوى الشاه عبد العزيز - التي صرحت ان الأجزاء المحتلة من الهند دار حرب - هي الأساس الذي يفتى في ضوئه كل مفت وعالم (٢) ولكن الوضع اختلف بعد المحاکمتين (١٨٥٧م - ١٨٦٩م) واستشهاد أغلب العلماء البارزين على أرض المعركة أو على جبل المشنقة ، ولم يحدث تغيير في الفتوى الا بعد القضاء على مخيم المجاهدين ، وعلى أثره أصبح المنع عن الجهاد هو الشغل الشاغل للمفتين والعلماء يستوى فيه من اعتبر الهند دار حرب ، ومن لم يعتبرها كذلك ، ولم يشذ عنهم الا من حمل السلاح في يده ، وجالد الانجليز بسيفه وسنانه .

تقول فتوى الحجاز المكية شبه الاجماعية في الاجابة على الاستفتاء الهندي ما نصه :
” ما قول علماء الاسلام في الهند التي حكامها مسيحيون ، لا يتدخلون في آراء الفرائض الدينية كالصلوات اليومية والعيدين ٠٠٠ ، غير أنهم يبيحون لأنفسهم ترك بعض أحكام الاسلام ،

(١) انظر هماري هندوستانى مسلمان ص ٤٥ و ٤٩ .

(٢) انظر باغى هندوستان ص ٢٥٨ .

كتوريث المرتد المنتصر ٥٠٠٠ ، أهى دار اسلام أم لا ؟

” وأجاب على الاستفتاء مفتى الحنفية الشيخ جمال بن عبدالله قائلا : ما دام بعض أحكام الاسلام سارى المفعول فالهند دار اسلام . ونصت اجابة مفتى الشافعية أحمد بن زيني ولهم على أن جريان بعض الخصائص الاسلامية كقيل باعتبار الهند دار اسلام . وأجاب مفتى المالكية الشيخ حسن بن ابراهيم بقوله : لقد ذكر فى شرح الدسوقي أن دار الاسلام لا تتحول الى دار الحرب بمجرد غلبة الكفار عليها ، بل تصبح كذلك اذا توقف العمل بجميع أحكام الاسلام ” (١)

وقدم الاستفتاء الى علماء مدينة لكهنو فى الصورة السابقة بعد اضافة الجمل التالية : ان المسلمين لا يملكون القوة الكافية من العتاد والسلاح لمقاومة الحكام المسيحيين ، وان ^{قائلاً} قوتل هؤلاء فالهزيمة متيقنة فى الكفة الاسلامية ، وفى ذلك ذهاب عز الاسلام ، فأجاب على الاستفتاء كل من المفتى محمد على ، وعبدالحى ، وفيض الله ، ومحمد نعيم ، ورحمة الله ، وقطب الدين ، وأسعد الله اللكهنويين ، والمفتى لطف الله ، وغلام على الرامبوريين قائلين : ” فى هذا الموضع فى الهند — يتمتع المسلمون بالامان ، ولا يجب الجهاد فى موضع يأمن فيه المسلمون ، بل يلزم للقتال فقد الأمان وسلب الحرية ، ولا وجود لمثل ذلك فى الهند ، أضف الى ذلك ان من لزوم الجهاد أن يغلب على الظن غلبة الاسلام ، ورفع لوائه ، وان لم يكن الوضع كذلك فلا جهاد ولا قتال ” (٢)

وأوصى أعضاء مجمع علماء مدينة كلكتة وأعضاء الهيئة التدريسية بالكلية المحمدية الكلكتية فى مؤتمرهم فى تلك المدينة بأن الهند ما تزال دار اسلام ، وأن الجهاد حرام على أرضها ، ولا يصح القيام به ، لأن الشريعة لا تسمح بالقتال فى دار الاسلام ، وهذا الأمر أوضح من أن يستدل عليه ، فلو عزم ضال ، أو فاقد وعى على الجهاد ضد حكام الهند الانجليز اعتبرت حربه حرب بفسى وفساد ، وثورة ضد حكومة شرعية ، لا يجيزها الفقه الاسلامى ، ولو افترضنا وجود مثل هذه الحرب فإن المطلوب شرعا من المسلمين هو تأييد حكامهم للقضاء على البغاة ” (٣)

(١) انظر همار هندوستانى مسلمان ص ٣١١ — ٣١٢ .

(٢) همار هندوستانى ص ٣١٤ وقد أرخت الامضاءات بـ ١٢٨٦/٤/١٧ — ١٨٧٠/٧/١٧م

(٣) ” ص ٣١٦ و ١٨١ — وطبعوا توصياتهم فى كتيب أسموه جلسات مؤتمر المجمع المسلم المنعقد فى ١٨٧٠/١١/٢٣م ويمكنك رؤية ملخصها عند السيد نواب صديق حسن خان فى ” ترجمان وهابية ” ص ٩٥ .

ويلخص هنتر كتيب الشيعة الذى شمل أفكارهم حول الجهاد فى هذه الفترة فيقول : -
ركز الكتيب على الايمان بالأئمة الاثنى عشر . . . وخلص الى القول ان الثورة أو الحرب أو أى
جهد بشرى ، يعتبر غير ذى جدوى فى الآونة الحالية ، وإن الدعوة الى الجهاد أو القيام به
دون وجود الامام معصية لله عز وجل ، وإن كل من لم يوافق أصحاب الكتيب على رأيهم فهو
مبتدع ومحدث فى دين الله عز وجل " . (١)

ويروى الشيخ نواب صديق حسن خان المحدث جواب الشيخ محمد حسين بتالوى أحد أبرز
علماء أهل الحديث - السلفيون - فى الموضوع فيقول : " فى عام ١٨٧٥م أجاب الشيخ
محمد حسين بتالوى على سؤال فحواه هل يصح رفع السلاح بموجب الشرع فى وجه الانجليز أو لا ؟
فأجاب بأن الجهاد ورفع السلاح فى وجه الدولة التى رفعت شعار حرية الدين لا يجوز شرعا . . .
وأن من فعل ذلك فهو باغ يجب عقابه . . . ثم أرسل الشيخ فتواه الى أطراف الهند فوافقته
العلماء على ذلك منوهين أن الجهاد مخالف للسنة والايمان . . . وأن الموحدين لا يصح منهم
رفع السلاح فى وجه الدولة ، ومن أتى شيئا من ذلك خالف المعتقدات الايمانية " (٢)
ويسم السيد نواب صديق حسن خان الحركة الجهادية والمتمثلين بفرضية الجهاد " بأنهم لا
يفهمون من الاسلام الا قشوره . . . وأن ما ادعوه من الجهاد لم يكن يعدو الفتنة قط ، ولن
يؤيدهم فى ذلك ذو عقل سليم أو بصيرة نافذة . . . وإن العلماء مختلفون فى شأن الهند
أهى دار حرب أم دار اسلام ؟ فأغلبية الأحناف تحكم باسلامها ، فإن كانت الهند كذلك فما
الجهاد . . . بل عقد النية عليه فى مثل هذه الحالة أن هو الا كبيرة من الكبائر ، والذين
نسبوا الهند الى دار الحرب كأهل دهلئ فهؤلاء لا يجيزون الحرب أيضا مالم يسلب الأمان ،
ويهاجر المجاهد الى خارج الهند .

" والحاصل أن البقاء فى دار الحرب واقامة الجهاد على الحكام فيها لا يجوز عند المسلمين
سلفا وخلفا " (٣) .

(١) همارى هند وستانى ج ١٧٢ و ١٧٧ .

(٢) ترجمان وهابية ص ١٢٠ ومؤلف البنالوى الاقتصاد فى مسائل الجهاد " الذى ألفه
عام ١٢٩٢ هـ فيه المنع عن الجهاد ونسخ أحكامه انظر المجاهد محمد جعفر تهبانيسرى
" حيات سيد أحمد شهيد " ص ٢٥ .

(٣) ترجمان وهابية ص ٢٨ - ٢٩ وقد أفرد السيد مؤلفه " موائد الموائد لمنع الجهاد
وتحريم رفع السلاح فى وجه الانجليز / انظر ترجمان وهابية ص ٩٦ .

ولو تتبعنا كتابات العلماء في هذه الحقبة نجدها تتسم بالاستسلام والاعتذار والفكاك من تهمة الجهاد قولا وعملا ، سواء كانوا أفرادا مستقلين ، أو زعماء جماعات اسلامية ، ولعل قول السيد نواب صديق حسن خان " وانه لا يوجد من أهل الحديث من أقام الحرب على الدولة في هذه البلاد " (١) و " إن المسلمين الهنود لا يكون أى عداء للحكام الانجليز ، سواء اتهمهم الأعداء بالوهابية أولا ؟ " (٢) خير عرض لذلك الواقع .

ويعلق هنتر على هذه الفتاوى ، وما تحدثها من آثار سلبية في الأمة ، مقدرا مكانة العلماء فيمن يقودونهم فيقول : " ومن حسن الحظ أن الفتاوى التي أفتى بها المفتون أتت لصالح المحافظة على الأمن ، وتوطيد أركانه ، وطاعة الدولة والايفاء بمعهودها ، فلو أتت لصالح الثورة لكنا مهدين باخطار حالكة مهلكة ، وإنها ذات الفتاوى التي أحدثت الثورة ضد الملك أكبر المنفولى ، وزلزلت كرسية ، فلم يثر جنود البنغال الا على أساس الفتوى ، وما أجمل هذه اللحظات حيث نرى ان المنطقة التي أفتت بالثورة على أكبر انجبت هي ذاتها عالما أفتى بتحريم الثورة ، وايدنا كل التأييد " (٣)

وان عدت الى النصوص الفقهية التي بحثت موضوع دار الحرب ودار الاسلام تجد الهند في ضوءها دار حرب لا محالة ، لأن الدار تنسب الى الاسلام أو الكفر بغلبة الأحكام ، فالدار التي يغلب عليها حكم الاسلام تكون دار اسلام ، والدار التي يغلب عليها حكم الكفر تكون دار كفر (٤) ومن هنا كانت الهند دار اسلام في نظر العلماء حين احتل الكفار المراهته اجزاء من الهند قبل الانجليز في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، لأن أحكام الاسلام ظلت على منصة الحكم ولم يختلف وضع القضاة والمفتين عن العهد السابق ، بل الكفار أنفسهم حكموا بالشرع ، وعاقبوا بمقوماته . (٥)

غير أن تغلب المسيحيين كان مختلفا عن المهود السابقة ، ففي عهدهم أضحت الغلبة

(١) ترجمان وهابية ص ٤٠ .

(٢) " " ص ٧ .

(٣) همارت هند وستاني ص ١٧٢ .

(٤) انظر السرخسي شمس الأئمة المبسوط ج ١١٤/١٠ والقاضي أبا يعلى الحنبلى

المعتمد في أصول الدين ص ٢٧٦ .

من نصيب غير الاسلام ، وقد أدرك هنتر هذه الحقيقة دون جمهور العلماء فنص على : " أن الشروط التي وضعها أبو حنيفة ، ومن جاء بعده من السلف في تحويل البلد من دار الاسلام الى دار الكفر تنطبق على الهند ، وإنها في ضوء تلك المصادر الفقهية القديمة هي دار حرب لا دار اسلام ، بينما كتيب علماء كلكتة يصرح بعدم انطباق تلك الشروط رغم استيلاء الكفار وذهاب دولة الاسلام ، ومغلوية أحكامه " . (١)

غلام أحمد القادياني ودعاواه :

تلك هي الخلفية التاريخية والاجتماعية للأمة الاسلامية ، التي ظهر فيها أمثال غلام أحمد بن غلام مرتضى (١٨٣٥م - ١٩٠٨م) زعيم القاديانية ، ولو تتبعنا حياة الغلام وتطور مراحلها المختلفة نجدها تتسلسل كالتالي :-

١ - ظهر الغلام على شاشة المجتمع المسلم عام ١٨٨٠م ، كداع يبلغ دعوة الاسلام ، ويقف سدا منيعا أمام كل الضربات التي تهدف الى النيل من دينه ، وتمتد هذه الفترة الى نهاية سبتمبر عام ١٨٨٨م ، وإن كنت لا تعدم فيها للغلام أقوالا وادعاءات يصعب على المسلم تجاوزها دون نقاش كادعائه في مارس ١٨٨٢م بأنه ملهم ومأمور من الله عز وجل .

٢ - وفي ديسمبر عام ١٨٨٨م أعاد الادعاءين - ملهم ومأمور من الله - وبدأ بأخذ البعثة من اتبعه ، وفي أواخر عام ١٨٩٠م زعم - بناء على الهام - أن عيسى بن مريم لم يمت على الصليب ، كما أنه لم يرفع الى السماء بل أنزله الحواريون من الصليب مجروحا ثم شفى وهاجر الى كشمير ، ومات بها موة طبيعية ، وفي أوائل عام ١٨٩١م ادعى أنه المسيح الموعود ، والمهدى المنتظر " ظلت في غفلة منذ اثني عشر عاما عن ان الله جعلني في البراهين " (٢) المسيح الموعود ، غير أنى تشبثت بعقيدة عودة المسيح الرسمية (الاسلامية)

(١) همارج هندوستانى ص ١٨٦ .

(٢) أول مؤلف للغلام يتكون من أربعة أجزاء بدأ بتصنيفه عام ١٨٨٠م .

ومعد مضي المدة السابقة كشفت لي تلك الحقيقة ، وأخذت الالهامات تتواتر في أنى المسيح الموعود " وفسر عقيدة عودة المسيح بأنه يعنى أن شخصا كيمسى بن مريم في الصفات والاخلاق الحميدة سيولد في هذه الامة ، وان ذلك المهد قد انجز بوجود غلام أحمد ، فإنه كيمسى والمسيح الموعود .

٣ - وفي عام ١٩٠٠ م أخذ خواص اتباعه يدعونه بالنبي ، ويمثلون لأقواله كإمتثال المسلمين للقرآن والسنة ، وفي ٧ أغسطس من السنة نفسها صرح الخطيب عبد الكريم في خطبة الجمعة التي استمع اليها الغلام بقوله " ما لم تجعلوا المسيح الموعود حكما بينكم ، ولم تؤمنوا به كإيمان الصحابة بمحمد صلى الله عليه وسلم تصبحون كغير الأحمديين " (١) الذين يفرقون بين رسل الله " ووثق الغلام ذلك المفهوم فقال : " ذلك ما أدين الله به " ومعد بضعة أشهر أعلن الغلام نبوته وزعم أنه مرسل من الله ، ولم يعد يقيد الفاظه ، ولا يؤول في معناها كما كان يفعل في السابق كتقييد النبوة والرسالة بالناقص والجزئى . (٢)

٤ - وفي عام ١٩٠٤ م ادعى الغلام في محاضرة عامة بمدينة " سيالكوت " انه " كرشن " الهند والهنود عباد البقر من ويلات الاستعمار وتقلبات العالم وزعم أنه الهم " ولقد كتبنا مجدك في كيتا " (٣) انك " كرشن " الذى يدفع السيئات ويجلب الخيرات " (٤)

الهدف الرئيسى من دعاوى الغلام :

تلك هى التقلبات والدعاوى الغلامية البارزة ، وبالمودة الى مراجعتها وانعام النظر فى مراميها نجد أن صاحبها تقنع بها لخدمة هدف معين ، وهو تحويل القلوب الهندية من

(١) نسبة الى غلام أحمد القاديانى .

(٢) انظر تطورات هذه الأحداث بمصادرها الوافية المعتمدة فى مؤلف نشرته الحكومة

الباكستانية باسم " بهورت " تحقيقا تى عدالت فسادات پنجاب عام ١٩٥٣ م "تقرير

المحكمة عن اضطرابات البنجاب ١٩٥٣ م ص ٨ - ٩ ، ومجلة ريو يواف ريلجنز القاديانية

ص ٣٤٦ و ٣٤٨ عدد سبتمبر ١٩٠٢ م ، والمودودى قاديانى مسئلة ص ٩١ - ٩٥ .

(٣) كتاب الهندوس المقدس .

(٤) راجع الالهام بأكمله فى ريو يواف ريلجنز ص ٤٠٥ عدد نوفمبر ١٩٠٤ م .

التشاحن والبغضاء تجاة الانجليز الى الوثام والحب ، وصرفها من حمل السلاح والجهاد الى العيش بالمحكومة والاستسلام .

وحدد الغلام بداية هذه الخدمة في عام ١٩٠٢م فقال : " منذ عشرين عاما (أى منذ عام ١٨٨٢م) تجدنى مشغولا فى تأليف الكتب ونشرها بالفارسية والعربية والأردية والانجليزية ، ذكرت فيها المرة تلو المرة أن فريضة الاسلام على المسلمين التى يأثم تاركها عند الله أن يكونوا أوفياء لهذه الدولة ، ويضحوا من أجلها خير تضحية ، وأن يسلموا من سويداء قلوبهم عقيدة المهدي السفاك ، وما يشبهها من المعتقدات غير الملائمة ، التى لا يستطيع أحد اثباتها من القرآن " (١)

وكثيرا ما ربط القاديانى وأتباعه دعوى المهديية . . . بانكار الجهاد ، فها هو يقول : " وانى مؤمن أنه كلما ازداد اتباعى سينقص اتباع من يعتقد بالجهاد ، لأن الايمان بمهديتى ومسيحيتى انكار للقتال والجهاد " (٢) ويقول اتباعه " وليس من الصحة بمكان أن أصحاب هذه الفرقة (القاديانيين) اناس مغفلين ويتساوى مع المسلمين البله بل من يتوهم ذلك فهو مخطئ " دون ريب . . . ومن المسائل مسألة الجهاد التى ما زال المسلمون يعتقدون بها ، وأنهم يؤمنون بمجيئ المهدي السفاك الذى سيقا تل جميع الفرق . . . غير أن امامنا يعلمنا ان الجهاد والقتال حرام . . . ومن شروط البيعة عنده أن المايح يجب عليه أن يقبح تلك الأمور ويعدّها من كبائر الذنوب والآثام . " (٣)

وتتبع الاحداث يظهر أن الغلام أراد من كل تلك الدعاوى الجمع بين أمرين ، وضرب عصفورين بحجر واحد ، تثبيط الهمم واغمد السيوف المجاهدة فى منطقة سرحد ، وتهيئة القلوب الأفغانية لتقبل الاحتلال البريطانى لأرضيها ، لذا نجد أن دعاة القاديانى النشيطين لم يكلفوا بتبليغ الدعوة الا فى المناطق المشتعلة ، أو التى تجاور الهند المحتلة من الشمال ، ولم يستسغ شعبها الخضوع والاستسلام ، فما اعدام عبداللطيف صاحب زاده ، وملا عبدالحليم جهار آسيانى ، ومالانور على القاديانيين فى أفغانستان الا حلقة من تلك السلسلة الطويلة .

يقول المزارا بشير الدين محمود أحمد بن غلام أحمد الخليفة الثانى للزعامة القاديانية عن قتل

(١) غلام أحمد ترياق القلوب ص ٣٠٧ . (٢) غلام أحمد تبليغ رسالت ج ١٧ / ٧ .

صاحب زاده ما نصه " صدقة وجد كتاب في احدى المكتبات ٠٠٠ صنفه مهندس ايطالى ، شغل منصبا حساسا في حكومة أفغانستان ، وقد سجل ببثانه أن استشهاد صاحب زاده جاء نتيجة تعليمه العلنى ضد الجهاد ، وقد خشيت أفغانستان أن شعبها بهذه التعاليم سيفقد شعور الحرية فيتغلب عليهم الانجليز ، وإن هذا الاستشهاد بهذه الرواية يوصلنا الى أن الشهيد لومكث ساكتا ، ولم ينطق بكلمة تسمى الى الجهاد لما شمرت حكومة الأفغان بضرورة الخلاص منه " (١)

وظل الغلام طوال حياته وفي جميع مراحلها المتنوعة مشغولا ينسخ الجهاد السرحدى ، ففي حفلة تتويج ايدورد قيصر أشار الى " أن مؤلفاته لم تعط التأثير المطلوب فى المسلمين فلم تبرز النتائج المرجوة ، وأن سرحد لم تزل مشتعلة ، وفي تضحية علمائنا وجهودهم المتوالية تكمن النتائج المظلمة ٠٠٠ ، ففي مقدورهم أن يثبتوا من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة أن رفع السيف فى وجه الدولة حرام لا يصح العمل به " (٢)

لذا تمنى مسئول مدينة بشاور الانجليزى نشر التعاليم القاديانية فى منطقة الحدود ، وخاطب الغلام بقوله " عندما أعيد النظر فى تعاليم الاسلام ، أرى أن ما يشرح به الخواجة (الغلام) تلك التعاليم هو عين ما يهدف اليه الاسلام ٠٠٠ ، وإنى سأفرح أكثر حين أرى كتيك وفتواك عن عدم الحاجة الى الجهاد ينتشران فى منطقة الحدود الشمالية " (٣)

وقبيل الوفاة بسنة نرى القاديانى ينشر ملصقات حائطية تتنوع فى عباراتها وتتحد فى مفاهيمها من كون الجهاد قد نسخ ، وأن أهل سرحد لا يؤمنون الا بالمهدى السفاك ، رغم ما بذلنا من المساعى والجهود . (٤)

والذى أرى أن محور ادعاءات القاديانى المختلفة لم تعد نسخ الجهاد ، وثور روح الخضوع

(١) جريدة الفضل القاديانية ، خطبة الجمعة لمحمود عدد ٦ أغسطس ١٩٣٥ م ، وبالمقارنة

بين تاريخ الاعدام وتنبؤ القاديانى بمقتل حواربيه يظهر أن الخبر وصله قبل غيره ، فألقى

محاضرة عامة وتنبأ فيها بذلك النبأ / انظر ريوآف ريلجنز ص ٣٢٤ عدد سبتمبر ١٩٠٤

(٢) ريوآف ريلجنز ص ٢٠ عدد يناير ١٩٠٣ .

(٣) " " " ص ٩٨ عدد مارس ١٩٠٤ .

(٤) " " " " ص ٢٣٨ " يونيو ١٩٠٧ .

بين الصف المسلم ، فلو اطمأن الغلام الى وجود تلك الروح في الفترة التي كان يتقنع فيها بالدفاع عن الاسلام لما اعتبها دعوى المسيح والمهدى المنتظر ، وان الأخيرتين لو حققتا ما أوقف الغلام حياته من أجله لما تجرأ على فض ختم النبوة ، ولما ادعى الرسالة الالهية ، وان انحرافات الرجل سواء كانت عقدية أو تشريعية كلها تسلسلت في الظهور كنتيجة انتقال من دعوى الى أخرى واحتكاك مستمر بينه وبين المخالفين له في خدمة الاستعمار واطفاء شعلة الجهاد .

فحين خيب القول والتبليغ والكلمة المكتومة الغلام في اخماد جذوة الجهاد استغل الرجل عقيدة المهدى المنتظر الاسلامية ، وحاول من خلالها اضافة الشرعية على ذلك الزعم ، ولما أيس من تحقيق مطمحه من تلك العقيدة ارتقى سلم النبوة والرسالة ، فالغلام لم يحدد لحياته هدفا سوى ما ذكرت ، وما عدا ذلك جاء تبعا وناقلة لا أساسا ومتبوعا ، بصرف النظر عن أن التابع كان أهم وأخطر ، ومغض النظر عن أن الذين انضموا الى نحلته أو الذين تولوا الزعامة بعده جعلوا التابع هو الأصل ، والمتبوع وهدف حياة الغلام هو الفرع ، فالمسلكان هذا وذاك في صورتيهما السابقة واللاحقة يخدمان افساد الدين ، طالما لا يؤمن اتباعهما بحقائق القرآن وما آمنت به امة الاسلام .

موقف القاديانية من الجهاد بعد موت الغلام :

وان حاولت تتبع موقف القاديانية في مساعي استقلال الهند بعد موت الغلام تجده موقفا سلبيا ، فقد ظلت قيادة القاديانيين تتبع خطى غلامها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، فحين كانت حركة الرسائل الحريية في أوجها غضب الخليفة بشير الدين محموسود على اتباعه الذين لأن جانبهم لتبنى نظرية استقلال الهند الاسلامية ، كالخواجه كمال الدين القاديانى وأمثاله ولم يسترح ضميره حتى كتب حلقات متتابعة في صحيفة " الفضل " تردع الخواجة وأمثاله ولم يصف الجوالا بعد تدخل حاكم الهند شخصا ، وعقد مصالحة بين الطرفين . (١)

الغلام وادعاء النبوة :

ودعوى نسخ الجهاد هذه جرت الغلام الى ادعاءات أخرجه وأخرجت اتباعه من دائرة

الاسلام باتفاق المسلمين من ذلك :

١ — ادعاء النبوة والرسالة الالهية ، وهو أعظم دعاويه على الاطلاق ، يقول الغلام قبل وفاته بثلاثة أشهر ما نصه " وإني أدعى أنى رسول ونبى " (١) ويعلن فى الخطاب الذى أرسله قبيل وفاته بثلاثة أيام الى صحيفة " أخبار عام " اللاهورية ، ونشرته الصحيفة يوم وفاته فى ٢٦ مايو ١٩٠٨م بأنى نبى بالحكم الالهى ، وإن ابیت ذلك اثمت فكيف يصح منى انكار التسمية الالهية لى بالنهى ، وإنى سأظل عليها حتى أرحل عن هذه الدار العاجلة " (٢)

تفسير القاديانية لـ " خاتم النبیین " :

وفسر الغلام كلمة " خاتم النبیین " الواردة فى قوله تعالى " ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبیین " (٣) بقوله " الختم المحمدى هو المعيار الصحيح لنبوة البشر وإن الورقة اذا ختمت أصبحت وثيقة وسندا ، ولن تكون أى نبوة حقة حتى تصدق بالختم المحمدى " (٤)

وفسر اتباع الغلام " خاتم النبیین " فقالوا : " الخاتم هو الختم ، فالنهى محمد اذن هو الختم فكيف يكون ختماً إن لم يكن فى امته نبوة من نوع ما ؟ وعلى أى شئ يوضع ذلك الختم إن لم يكن فى الأمة نبى ؟ " (٥) " وأنا لا ننكر كون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبیین ، ولكن معنى الختم يختلف عندنا عن معنى الختم عند سواد أمة " احسان " (٦) وان تفسيرهم له ينافى عظمة الرسالة المحمدية ويحرم امة محمد من نعمة النبوة ، بل معناه ان محمداً ختم للأنبياء وسيكون النبى الآن وما بعد الآن هو الذى يصادق على نبوته محمد صلى الله عليه وسلم وانا نفهمه خاتم النبیین بهذا المفهوم " (٧)

(١) صحيفة بدر القاديانية عدد ٥ مارس ١٩٠٨م .

(٢) ريويتاف ريلجنز ص ١١٠ العدد الثالث المجلد الرابع عشر .

(٣) الأحزاب آية : ٤٠ . (٤) قاديانى مسئلة ص ١٢ .

(٥) صحيفة الفضل ص ٣ عدد ٢٢ مايو ١٩٢٢م .

(٦) مجلة اسلامية جعلت صفحاتها وقفا لمن يرد على القاديانى واتباعه .

(٧) الفضل ص ٢ عدد ٢٢ سبتمبر ١٩٣٩م .

ويقول التقرير السرى الذى صدر من القاديان عام ١٩٣٢م بعنوان " أحمد رجل الساعة ونبى آخر الزمان " انتهزنا تلك الفرصة لنحمل الى العالم البشارات السعيدة ، بأن نبى هذه الأيام المباركة تنبأ بمجيئه الأنبياء العظماء ، وكان ظهوره فى تمام الوقت المناسب فى شخصية حضرة مرزا غلام أحمد القاديانى " (١)

اذن باب النبوة مفتوح عند السيد أحمد خان وعند القاديانية ، يلجئه من يجد من نفسه قدرة على ذلك ، لذا ادعى جراح دين ابان حياة المتنبئ عام ١٩٠٢م الرسالة ، وزعم أنه رسول الى أهل جمون وكشمير ، أنزل عليه الكتاب باسم (دعوى رسالت) وطلب التصديق من المسيح الكذوب ، فجاء الرد فى صورة الهام يوعده مدعى الرسالة بالهلاك وكان " جراح قبل هذه الفرية من اتباع الغلام يشاركه فى أفراحه وأحزانه . " (٢)

وحى الغلام :

جمع وحى القاديانى فى كتاب سمي " تذكرة " سجل على صدرها " مجموعة الهامات وكشوفات ورؤيا " اشتملت على بضع مئات من الصفحات ، وتصفحك بضع صفحات منها يظهر لك ان ما أوحى - على حد زعمه - الى الغلام يجمع بين العربية الركيكة (٣) والأردية غير المنضبطة بالقواعد والأصول (٤) والانجليزية القصيرة الجمل ، - المكتسومة بالأحرف الأردية (العربية) فى السابق (٥) المعدلة الى الاحرف اللاتينية الآن - والبنجابية المتداخلة بين الجمل للتظرف (٦) ، والفارسية (٧) ، وتلك لغات خمس اشتمل عليها خليط التذكرة . ويدرك قارئ التذكرة بعد قراءة بضع صفحات ان أغلب محتوياتها مستور من القرآن الكريم ، أو سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو اشعار العرب وأمثالها المشهورة :- " وأما بنعمة ربك فحدث " (٨) " رب اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره " (٩) " إن المنايا لا تطيش سهامها " (١٠)

- (١) ص ١ مطبوع على ستنسل اطلعت عليه فى القسم المحظور من مكتبة رموة .
- (٢) انظر تفاصيل هذه الرسالة والالهامات الرادعة فى ريبو آف ريلجنز ص ١٦٥ عدد مايو ١٩٠٦ .
- (٣) انظر كمثال لذلك ، تذكرة ص ٢ - (٤) انظر كمثال لذلك تذكرة ص ٤٢ .
- (٥) انظر ص ١١٥ لان الغلام لم يكن يعرف الانجليزية كما صرح بذلك فى التذكرة ص ٥٥ . (٦) انظر كمثال لذلك تذكرة ص ٩ . (٧) انظر كمثال لذلك تذكرة ص ٣٨ .
- (٨) تذكرة ص ٤٦٥ . (٩) تذكرة ص ٧٩٠ . (١٠) تذكرة ص ٥٦٥ .

وبعد تصفح التذكرة يستنتج المرء أن الهامات الغلام وكشوفاته رؤى منامية ، لم يأت إليه الوحي لحظة طوال حياته ، أضف الى ذلك أن باب الوحي والالهام واتصال متبع الغلام بالملكوت العلوى مفتوح أمام كل القاديانيين ، وقد روت مجلة " أحمدية كزت " القاديانية الكندية وحي الخليفة مرزا ناصر أحمد فنسبت إليه قوله : " لقد أوحى الى أن غلبة الاسلام ووصوله الى الآفاق سيكون اشمل من الخلافتين السابقتين " (١) وقوله " بشرى لكم " (٢) كما كان وحي : " ياد اود انا جعلناك خليفة فى الأرض " (٣) مشتركا بين كل من الغلام وفضل عمر والمرزا ناصر أحمد .

ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام :
=====

وأخطر ما الهم الغلام طوال حياته كلها هو : " أن من لم يتبعك ، ولم يدخل فى بيعتك بل خالفك فهو عاص ، لله ولرسوله ، أو انه من أهل النار " (٤) ونسب إليه ابنه وثانى خلفائه قوله : " من الخطأ ان نقول ان اختلافنا مع مخالفينا ينحصر فى وفاة المسيح وفى عدة مسائل أخرى ، بل انا نختلف معهم فى ذات الله وفى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى القرآن وفى الصلاة ، والصوم والحج والزكاة ، والحاصل انه (أى الغلام) ذكر لنا بالتفصيل اننا نختلف معهم فى كل شىء " (٥)

ومن هذا المنطق لا تصح صلاة القاديانى مأموما خلف امام غير قاديانى ولا يصح لاتباع الغلام أن يصلوا صلاة الجنازة على من لا يؤمن بنبيهم حتى ولو كان المتوفى طفلا ، ويجب عليهم وفق التعاليم الغلامية ألا يزوجوا بناتهم الا من يعتقد معتقدهم ، وحاصل القول ان اتباع الغلام يجب عليهم أن يعاملوا المسلمين مثل معاملة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للنصارى أبان حياته . (٦)

(١) ص ١ عدد أغسطس ١٩٨٠م (٢) أحمدية كزت ص ٦ عدد يونيو ١٩٨١م

(٣) انظر أحمدية كزت ص ٦ عدد يونيو ١٩٨١م

(٤) تذكرة ص ٣٣٦ وتاريخ هذا الالهام هو عام ١٨٩٩م

(٥) الفضل ص ٤ عدد ٣٠ يوليو ١٩٣١م

(٦) انظر ما تختلف به القاديانية عن الاسلام فى الأمور التشريعية ، قاديانى مسئلة ص ١٦-٢٠

وأخيرا يادى الفكر الغربى على هذه الطائفة أن نقلتها من الهند الى أغلب بلدان العالم ،
واعانتها فى نشر دعوتها بين سكان المستعمرات البريطانية ، ويرتكز نشاطها الحالى فى دول جنوب
غرب أفريقيا المطلة على المحيط الأطلسى ، ولا سيما فى غامبيا وغانا وزائير وسيراليون وساحل
العاج ، اذ تكاد أن تستولى فى هذه الدول على رافدى التعليم والصحة .

كلمة أخيرة

لم أقصد من وراء هذه الدراسة ، وهذا العرض الواقعى الأسود بعث روح اليأس
والقنوط فى نفوس المسلمين ، كما لا أرمى الى القول بأن ما وصلت اليه حالهم لا يمكن التغلب
عليها ، ولكنى أردت كشف النقاب عن الحقائق والوقائع لتتعرف من خلالها على العلل التى
تنتاب المسلمين ، والمشكلات التى تواجههم فى اقامة الحياة الاسلامية ، فالمستقبل للاسلام
وللمسلمين .

فلا ينبغى أن يتسرب الينا روح اليأس رغم كل الأوضاع السابقة ، لأن وسائل علاجها والتغلب
عليها ليست من الأمور المستعصية ، وانما قد يستغرق العلاج فترة طويلة من الزمن ، وقد
لا يكتمل النجاح المرجو فى جيل أو جيلين .

والمؤشرات الدالة على العودة الى الاسلام آخذة فى التكاثر يوما بعد آخر ، ولا يسمنى
حصرها ، وانما اكتفى بذكر بعض منها كدليل على عودة المسلمين الى دينهم القويم .

١ — فى باب نشر المسيحية وتنصير المسلمين إن كانت الدولتان المسلمتان — باكستان
ومنجلاديش — قد غضا طرفهما عن دعاة التنصير وعن نشاطاتهم فان من لا سلطة
له من المسلمين أخذ يقاومهم ويزاحمهم فى أعمالهم كل حسب استطاعته ، فالعالم بالنصح
والارشاد ، والجمعيات والمنظمات بجمع التبرعات وارسالها الى المناشط المنكوبة ، أو المصابة
بالكوارث الطبيعية ، ولا أكشف عن سرا اذا قلت إن " جمعية هداية الأمة " فى بنجلاديش
التي لا يعرف عن أعمالها المختصون فضلا عن غيرهم — تعمل فى مقاومة التنصير منذ عام ١٩٥٤م

وان مقاومتها لا تعد شيئا اذا قارناها بمقاومة الأمة بكل قطاعاتها وطاقاتها المتاحة ، فخطر التنصير لم يعد له وجود اذا قارناه بعهد الاستعمار وفرض المسيحية بقوة الحديد .

بـ وفي التعليم نجد العديد من الظواهر لصالح العودة الى الاسلام ، منها :-

١ - يتم فتح العديد من المدارس العربية (الدرس النظامي) كل سنة مع عدم وجود دخل ثابت ، وموارد مالية معينة ، وانما تجمع المدارس نفقاتها من عامة المسلمين ، وما يتبرع به أهل الخير منهم ، فازدياد مثل هذه المدارس سنويا مبشر خير ، وللحكومة العسكرية الحالية في الدولتين يد في تشجيع هذا الرافد من التعليم ، حيث اعترفتا بشهادته ، وساوتاها بدرجة علمية من درجاتها المعترفة ، ومدت يد العون الى بعض هذه المدارس ، وذلك بمنحها منحا مالية مقطوعة وحمل رواتب بعض المدرسين العاملين فيها .

٢ - تعمل العديد من المنظمات الاسلامية الطلابية في الدعوة الى الاسلام في الزايف العصرى من التعليم ، أشهرها الجمعية الاسلامية للطلاب (اسلامى جمعيت طلبة ، اسلامى جهاتسرو شبير) والجمعية الاسلامية للطالبات (اسلامى جمعيت طالبات) ومنظمة الطلاب الاسلامية (جمعيت طلباء اسلام) وهيئة الطلبة الاسلامية (انجمن طلبة اسلام)

ج - كثر الضغط على الفرق المنحرفة عن الاسلام ، بالأوامر الرسمية حيناً ، وعامة المسلمين أحياناً اخرى ، كعدم السماح للقاديانيين بنشر معتقداتهم ، أو الدعوة اليها ، أو تسمية معابدهم بالمساجد داخل الأرض الباكستانية ، وكتخصص بعض العلماء في الرد على هذه الفرق خطابة وتأليفاً ، كالشيخ عبد الستار التونسوى حفظه الله ومن يسلك مسلكه في الشيعة الاثنى عشرية ، والشيخ عبيد الله وعبدالرحيم الجتراليين والطبيب نزار على بنجوانى فى النزارية الاغاخانية ، ويفوق الأخير على الشيخين فى أنه ينتمى الى اسرة عريقة فى الاغاخانية ، وقضى شطرا من حياته فيها ، ويتمتع فى المنتمين اليها بمكانة عالية ، لذا كان تخليه عنها الى الاسلام بمثابة ضربة قاصمة للمجتمع الاغاخانى فى مدينة كراتشى ، وقد تمكن من اخراج بضع مئات من الاغاخانية وتوجيههم الى الاسلام من جديد .

د - تعمل كثير من الجماعات والهيئات لنشر الاسلام بين عامة الشعب ، بالموعظة والكلمة المكتوبة ، أقواها أثرا في المثقفين والموظفين الجماعة الاسلامية (جماعت اسلامي) وفي الطبقة العاملة والأميين جمعية علماء الهند (جمعيت علماء هند) التي يطلق على فرعها الباكستاني اسم (جمعيت علماء اسلام) وهناك العشرات من الادارات الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية كلها تدعو الى الاسلام ، ويرتكز نشاطها في فرع من فروعها .

هـ - اثبتت نتائج الاستفتاء الذي أجري في ١٩ / ديسمبر / ١٩٨٤م في باكستان أن العودة الى الاسلام . وتأييد الجنرال محمد ضياء الحق في أعماله الاسلامية هو ما يطمح فيه الشعب ، حيث جاء ٩٧٫٧١% من الأصوات لصالح تطبيق الاسلام ، وقد أدلى ٦٢٫١٦% ممن يستحقون التصويت بأصواتهم في هذا الاستفتاء ، رغم الحاح الأحزاب السياسية كلها على الشعب بمقاطعة الاستفتاء ما عدا الجماعة الاسلامية " . (١)

و- أعلنت الحكومة الباكستانية في الآونة الأخيرة أنها عازمة على تنقية الاقتصاد الباكستاني من الربا ، وأنذرت البنوك بانها معاملاتها الربوية قبل نهاية شهر يونيو ١٩٨٥م نسأل الله للمستولين ولعامة الشعب التوفيق والثبات والعودة الصادقة الى الاسلام عقيدة وتشريعا .

(١) انظر تفاصيل هذا الاستفتاء ونتائجه التفصيلية ، صحيفة جنك اليومية ص ١ عدد

﴿الخاتمة﴾

وفى الختام أود أن أذكر أهم النتائج التى توصلت اليها فى هذا البحث .

أولاً :- أغلب أرض الهند فتحت بالدعوة الى الاسلام ، دون الحرب والقتال ، والفضل بعد الله فى ذلك يعود الى الصوفية ، الذين تفانوا فى نشر الدعوة الاسلامية ، وثبتت أقدامها فى أرض الهند .

ثانياً :- إن الاسلام ظل رائد المسلمين حكما ومحكومين فى الدول التى حكمت الهند قبل الدولة المغولية ، وأن المظاهر المنحرفة عن شرع الله قليلة ، اذا قارناها بنظام الاسلام الشامل الذى ساد حياتهم الفردية والاجتماعية .

ثالثاً :- أعز الفترات الاسلامية فى الهند وأكملها وقوفاً عند أحكام الاسلام هى فترة حكم فيروز تغلق وفترة حكم اورنگ زيب عالمكير رحمهما الله .

رابعاً :- أظلم الفترات وأتعسها للاسلام هى فترة حكم الملك أكبر المغولى .

خامساً :- شركة الهند الشرقية لم تستول على الهند ^{بالأعلى} اشلاء المجاهدين ، وإن -
الدعاية كانت أخطر سلاح به المستعمرون فى العامة ، لفصل التلاحم المقدى بينهم وبين
المجاهدين .

سادساً :- ما زال التبشير فى الدولتين المسلمتين - باكستان ومنجلاديش - يتمتع بحرية
الحركة ، يفسد على المسلمين دينهم وعقيدتهم ، ومن أهم أسباب نجاحه فقر المنطقة وحاجة
المسلمين الى لقمة العيش ومواساة الأيتام .

سابعاً :- فى باب التربية والتعليم نجد المنهجين - الدينى المصرى - قاصرين عن
تلبية أسس الاسلام التعليمية .

ثامناً :- ما تزال الحياة الاجتماعية فى أغلب شعبها تتطلع الى الفكر الغربى ، وتعتبره
القدوة فى حل مشاكلها المتنوعة .

تاسعا : " القانون وما يسود الحياة القضائية محتاجان الى تنقية شاملة ، والى وقفة صارمة ، لا تتأثر بالمواصف الغربية ، ولا تهاب تلك الاكدا س القضائية المصانة ، كما ان تنفيذ الحدود غير كاف لتحويل القضاء من القانون الوضعى الى شرع الله عز وجل .

عاشرا : الفرق المنحرفة عن الاسلام ما تزال تؤيد الوضع القائم على التغريب والفكك من مسئوليات الاسلام ، وتسعى الى ابقاءه أطول فترة ممكنة .

الحادى عشر : مبشرات العودة الى الاسلام آخذة فى الأزد يار يوما بعد آخر ، ولا أرى ذلك اليوم بعيدا حين يمثل المسلمون بشرع الله فى كل شعب الحياة .

وفى ختام هذا البحث المتواضع لا أستطيع أن أزعم أنى اتيت بما عجز عنه غيرى ، ووصلت بالموضوع الى درجة الكمال ، فكم رائد فكر يكتب بحثا اليوم ثم يراجعه غدا فاذا هو يقترح تقديم هذا ويستحسن تأخير ذاك ، وإنه لو أضاف كذا لكان أجمل ، ولو حذف كذا لكان أسلم .

وفاية القول : انى بذلت جهدا ، وقضيت فترة امتدت الى ثلاث سنوات موضعة أشهر ، حاولت فيها اخراج الموضوع على أحسن صورة ، فإن وفقت فهو ما قصدت ، وإن كان غير ذلك فمضائى فى قوله عز وجل : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... " الآية ، والله أسأل أن يجعل على خالصا لوجهه الكريم .

المصادر والمراجع

- ١ القرآن الكريم
- ٢ أبجد العلوم الوشى المرقوم فى بيان أحوال العلوم / السيد صديق بن حسن القنوجى
دار الكتب العلمية / بيروت
- ٣ أحسن البيان فى تنبيه الفرق والأديان (عبد الشكور ميواتى / طبع كيتل برنتنك
ورك دهللى
- ٤ أحكام القرآن لـ أبى بكر الجصاص / مطبعة عبد الرحمن القاهرة / نشر دار المصحف.
- ٥ أحمد رجل الساعة ونبى آخر الزمان / تقرير سرى للقاد يانيين / مسحوب على سثسسل
عام ١٩٣٢م
- ٦ اذا هبت ريح الايمان لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى / مؤسسة الرسالة ١٣٩٤
- ٧ أردو دائرة معارف اسلامية لـ نخبة من العلماء والمفكرين / طبع مطبعة بلجساب
يونيو رستي ١٩٦٦م
- ٨ ارواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل / محمد ناصر الدين الألبانى / الطبعة
الخامسة ١٩٨٢م نشر المكتب الاسلامى / بيروت
- ٩ اسلام اور عورت (الاسلام والمرأة) / لـ مظهر الدين الصديقى / طبع سودليتهمو
بريس دهللى ١٩٦٥م
- ١٠ اسلام باكستان مين (الاسلام فى باكستان) لـ الاستاذ محمد عثمان / طبع
جديد بريس لاهور ١٩٦٩م
- ١١ اسلاميات لـ لمقاطعة بنجاب ١٩٨٢م
- ١٢ اسماعيلي تعليمات / المدارس الاسماعيلية الاغاخانية فى باكستان / نشر اسماعيلية
ايسوسى ايشن كراتشى باكستان
- ١٣ الاصابة فى تمييز الصحابة لأحمد بن حجر العسقلانى / الطبعة الأولى ١٣٢٨ /
مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر
- ١٤ أصول شرع اسلام لـ دنشا فريد / طبع معظم برنتسز / لاهور / ١٩٧٩م
- ١٥ أعلام الاسماعيلية لـ مصطفى غالب / منشورات دار اليقظة العربية / بيروت / ١٩٦٤م
- ١٦ إعلم أعلام بأن هندوستان دار الاسلام لـ أحمد رضا خان / مطبعة البريلى / الهند .
- ١٧ أغاخان فاوندیشن جنرال (مؤسسة أغاخان فى جنرال) / لـ نخبة من العلماء ..

- ۱۸ آغا خانیت کیاہی (ماہی الاغانیہ) لـ مؤلف مجهول / نشر دار القلم بشاور /
 پاکستان
 ۱۹ اقبال کی مدوح علماء لـ القاضي افضل حق قریشی / نشر المكتبة المحمودية لاهور
 ۱۹۷۷م
 ۲۰ اندیاسندے سکول یونین (اتحاد مدارس التبشیر فی الہند) / لـ السیدہ ای۔
 اینت / طبع مشن پریس الہ آباد
 ۲۱ الانسان بين المادية والاسلام / لـ محمد قطب / الطبعة الرابعة بیروت ۱۹۶۵م .
 ۲۲ انگریزوں کی لسانی بالیسی (سیاست الانجلیز اللغویہ) / لـ السید مصطفی علی
 بریلوی / انجمن پریس / کراتشی ۱۹۷۰م
 ۲۳ الأمن والعلی لـ أحمد رضا خان / طبع دار التبلیغ / لاهور ^{فجیت اشرف انڈونی ترجمت}
 ۲۴ اُورنگ زیب خطوط کی آئینے میں (اُورنگ زیب فی ضوء مذكراته) لـ شمس بریلوی /
 طبع مشہور آفست کراتشی ۱۹۷۰م
 ۲۵ اُورنگ زیب عالمگیر برائیک نظر (نظریۃ فی اُورنگ زیب) لـ شبلی نعمانی / طبع
 مشہور آفست پریس / کراتشی / ۱۹۴۹م
 ۲۶ آئین اسلام جمہوریۃ پاکستان (دستور جمہوریۃ پاکستان الاسلامیہ) لـ علی محمد
 شاہین / نشر مکتبہ فریدی کراتشی / ۱۹۷۵م
 ۲۷ آئینۃ تثلیث (مرآۃ التثلیث) / لـ مولانا کوثر نیازی / شیخ غلام علی ایند سٹیز
 لاهور الطبعة الرابعة
 ۲۸ باد شاہ نامہ / لـ عبدالحمید لاهوری / طبع ایشیاتک سوسائٹی کلکتہ بنغال /
 ۱۸۶۷م - ۱۸۷۲م
 ۲۹ باغی ہندوستان " الہند النائرة " / لـ محمد فضل حق / طبع اردود دائجست
 برنٹرز / لاهور / الطبعة الثانية / ۱۹۷۴م
 ۳۰ پاکستان میں مسیحیت (التصیر فی پاکستان) / لـ الاستاذ محمد نادر رضا
 الصدیقی / المطبعة العربية / لاهور / ۱۳۹۹ھ
 ۳۱ پاکستانی مسلمانوں کی رسوم ورواج (عادات المسلمین الباکستانیین وتقالیدہم) /
 لـ شاہد حسین الرزاقی / طبع دین محمد پریس / لاهور / ۱۹۶۵م
 ۳۲ بداية المجتہد / لـ ابن رشد / دار المعرفة بیروت / الطبعة الخامسة ۱۹۸۱م .
 ۳۳ البداية والنهاية / للحافظ ابن کثیر / مکتبۃ المعارف / بیروت / الطبعة الثالثة ۱۹۷۸
 ۳۴ بردة (الحجاب) / لـ الأديب عبدالحلیم شرر / مطبعة الجامعة ملیة دہلی .

- ۳۵ بر صغیر باک و ہند میں اسلامی نظام عدل کستری / لہ استاد محمد عبد الحفیظ
الصدیقی (نظام القضاء الاسلامی فی الہند) / طبع نورارت پریس راولپنڈی ۱۹۶۹
- ۳۶ بریلوی فتویٰ / لہ نور محمد / نشر أنجمن ارشاد المسلمین / لاہور / ۱۳۹۹ھ / ۰۰
- ۳۷ البریلویہ / عقائد و تاریخ / لہ احسان الہی ظہیر / طبع مطابع الرشید بالمدينة
المنورة ۱۴۰۳ھ
- ۳۸ بنات الصلیب / لہ قمر الدین أحمد / انجمن پریس / کراتشی
- ۳۹ بنجاب کی عورت (المرأة البنجابیة) / لہ ارشد أحمد / نشر ظفر سنز برنترز لاہور
۱۹۷۶م
- ۴۰ بہار شریعت (ربیع الشریعة) / لہ أمجد علی الأعظمی / نشر مكتبة اشاعة الاسلام
دہلی
- ۴۱ تاریخ ابن خلدون / لعبد الرحمن بن خلدون / نشر دار الكتاب اللبنانی ۱۹۵۷م ..
- ۴۲ تاریخ احرار / لہ أفضل حق / أشرف پریس لاہور ۱۹۶۸م
- ۴۳ تاریخ ادبیات مسلمانان باک و ہند (تاریخ أدب المسلمین فی پاکستان والہند)
لہ / ممتاز منکلوری / مطبعة جامعة بنجاب / لاہور ۱۹۷۱-۱۹۷۲م
- ۴۴ تاریخ الاسلام سیاسی والدینی والثقافی والاجتماعی / لہ دکتور / حسن ابراہیم حسن
مکتبة النهضة المصرية : الطبعة السابعة / ۱۹۶۵م
- ۴۵ تاریخ بشارت الہند و پاکستان / (تاریخ التبشیر فی الہند و پاکستان) / لہ المبشر
خورشید عالم / نشر بنجاب ریلجنز بک سوسائٹی ۱۹۴۹م
- ۴۶ تاریخ التعلیم ایست اندیا کمپنی کی عہد میں (تاریخ التعلیم فی عہد شركة الهند
الشرقية) / لہ میجر دی باسو / طبع ایجوکیشنل پریس / کراتشی / ۱۹۷۶م ..
- ۴۷ تاریخ تعلیم و تربیت اسلامیہ (تاریخ التعلیم والتربية) لہ لأحمد شلبی / ترجمة /
محمد حسین خان زبیری / ادارة ثقافة اسلامية / لاہور ۱۹۶۳م
- ۴۸ تاریخ تعلیم ہند (تاریخ التعلیم فی الہند) / لہ نور اللہ وج ب نائک / ترجمة /
مسعود الحق / مطبعة أحمد برادر برنترز کراتشی الطبعة الثانية ۱۹۸۱م
- ۴۹ تاریخ الدعوة الاسلامیہ فی الہند / لمسعود عالم الندوی / نشر وتوزيع دار العربية ..
- ۵۰ تاریخ الدعوة الاسماعیلیہ / لہ مصطفى غالب / دار الاندلس للطباعة والنشر بیروت /
الطبعة الثانية ۱۹۶۵م
- ۵۱ تاریخ دیونند / لہ محبوب رضوی / الطبعة الثانية ۱۹۷۲م ازاد پریس دیونند / الہند
- ۵۲ تاریخ سندھ / اعجاز الحق قدوسی / کاروان پریس / لاہور / الطبعة الثانية ۱۹۸۰م

- ٥٣ تاريخ الشعوب الاسلامية / لكارل بروكلمان / دار العلم للملايين / الطبعة السابعة
١٩٧٧م
- ٥٤ تاريخ العالم / لجون — أ — هامرتن اشرفت على الترجمة ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم / نشر مكتبة النهضة المصرية
- ٥٥ تاريخ العرب العام امبراطورية العرب حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية للمستشرق ل — أ — سيديو / ترجمة عادل زعيتر / عيسى البابى الحلبي الطبعة الثانية ١٩٦٩م
- ٥٦ تاريخ فاطمين مصر / ل — الاستاذ زاهد على البهرى / مطبعة ايجو كيشنل بريس / كراتشى / الطبعة الثانية / ١٩٦٣ — ١٩٧٥م
- ٥٧ تاريخ فيروز شاهى / ل — ضياء الدين برنى / ترجمة الدكتور السيد معين الحق طبع ش — م — شفيق ١٩٦٩م
- ٥٨ تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ل — الدكتور أحمد محمود الساداتى / المطبعة النموذجية / نشر مكتبة الجييزات
- ٥٩ التبشير والاستعمار / ل — مصطفى خالد وعرف فروح / الطبعة الرابعة ١٩٧٠م
- ٦٠ تبليغ رسالت / ل — غلام أحمد القاديانى / فاروق بريس قاديان ١٩٢٢م
- ٦١ تبليغى جماعت كاتاريخى جائزة (استعراض تاريخى لجماعة التبليغ) / ل — محمد أيوب قادري / طبع انجمن بريس كراتشى ١٣٩١ هـ
- ٦٢ تبويب القرآن / ل — غلام أحمد برويز / على برنتك / لاهور ١٩٧٧م
- ٦٣ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام / الشاعر محمد اقبال / ترجمة عباس محمود ومراجعة عبدالعزيز المراغى والدكتور مهدى عالم / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٥٥م
- ٦٤ تحريك باكستان اورخواتين (دور النساء فى انشاء دولة باكستان) / ل — نور الصباح بيكم / على برنتك بريس / لاهور / ١٩٧٠م
- ٦٥ تذكرة / ل — غلام أحمد القاديانى / طبع ضياء الاسلام بريس ربوه باكستان / الطبعة الرابعة
- ٦٦ تراجم علماء حديث هند / ل — أبى يحيى امام خان نوشهروى / طبع جيد برقى بريسست دهلى ١٩٣٨م
- ٦٧ ترجمان وهابيه / ل — السيد صديق حسن خان / ثنائى برقى بريس أمرتسر ١٩٣٠م
- ٦٨ ترياق القلوب / ل — غلام أحمد القاديانى / مطبعة ضياء الاسلام قاديان ١٩٠٢م
- ٦٩ التشريع الجنائى الاسلامى مقارنا بالقانون الوضعى / ل — عبد القادر عودة / دار التراث القاهرة / الطبعة الثالثة ١٩٧٧م

- ٧٠ تعليمات / لـ أبى الأعلى المودودى / مطبعة الله والا برنترز / لاهور / الطبعة
السابعة ١٩٨٢م
- ٧١ تعليمى تجاويز برتبصرة (التعليق على المقترحات التعليمية) / لـ نخبة من علماء
الشرعة والمفكرين المحدثين / طبع مشهور آفست كراتشى / نشر المكتبة العربية
نيوتاون
- ٧٢ تفسير بيان للناس / لـ الخواجة أحمد الدين / امرتسر / الهند
- ٧٣ تفسير الجن والجان على ما فى القرآن / لـ السيد أحمد خان / مطبعة اسلامية
سيتم / لاهور
- ٧٤ تفسير القرآن بآيات الفرقان / لـ عبد الله جكر الوى / مطبعة بنجاب سيالكوت ١٨٩٩
- ٧٥ تفسير القرآن العظيم / لـ أبى الفداء اسماعيل بن كثير / طبع دار احياء الكتب
العربية نشر عيسى البابى الحلبي
- ٧٦ التفسير الكبير لـ فخر الدين الرازى / المطبعة البهية المصرية ميدان
الأزهر ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م
- ٧٧ تفهيم القرآن / لـ أبى الأعلى المودودى / طبع مطبعة اردو دائجست / الطبعة
العاشرة ١٩٨٠م
- ٧٨ تمدن هند (التمدن الهندي) / لـ الدكتور لي بان الفرنسى / ترجمة سيد على
بلكرامى / مطبعة شمس الأنوار ١٩١٣م
- ٧٩ تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك / لـ جلال الدين السيوطى / طبع مكتبة
ومطبعة المشهد الحسينى / القاهرة / ١٣٥٣ هـ
- ٨٠ تهذيب اسلامى (الحضارة الاسلامية) / لـ محمد ^{مارماد} هيد بيوك المسلم الانجليزى /
ترجمة الشيخ عطاء الله / طبع تعمير برنتك بريس راولبندى / الطبعة الثالثة ١٩٦٥م
- ٨١ تأويل الأحاديث / لـ شاه ولى الله تحقيق / غلام مصطفى الأعظمى / مطبعة
الحيدرى / حيدرآباد / السند ١٩٦٦م
- ٨٢ الثقافة الاسلامية فى الهند / لـ عبد الحى الحسنى / مطبوعات المجمع العلمى دمشق
١٩٥٨م
- ٨٣ الجامع لأحكام القرآن / لـ محمد بن أحمد الانصارى القرطبى / دار احياء التراث
بيروت
- ٨٤ جامع البيان عن تأويل آى القرآن / لـ محمد بن جرير الطبرى / عيسى الحلبي / الطبعة
الثالثة ١٩٦٨م
- ٨٥ جاهلية القرن العشرين / لـ محمد قطب / دار الشروق / طبعة ١٩٧٥م

مسائل لیسید اور اسلام

- ۱۰۵ دواہم مسائل قتل مرتد غلام اور لونڈیان / (مسألتان مهمتان قتل المرتد والارتقاء)
لـ غلام أحمد برویز / الطبعة الثانية ۱۹۶۷م
.....
- ۱۰۶ الدول الاسلامیة / لستانلی لین بول مع اضافات بارتولد وخیل ادهم التركي ترجمة
محمد صبحی فرزات / مطبعة الفلاح دمشق / ۱۹۷۴م
.....
- ۱۰۷ دین حق کی تحقیق (البحث عن الدين الحق) / لـ المبشر سکندرہ ارفنج / مشن
پریس الہ آباد ۱۹۰۵م
.....
- ۱۰۸ دیوندے بریلی تک (من دیوند الی بریلی) لـ أبی الأوصاف الرومی / نشر
ادارة اسلامیات لاہور / ۱۹۸۰م
.....
- ۱۰۹ رپورت تحقیقاتی عدالت فسادات پنجاب ۱۹۵۳م / (تقرير المحكمة عن اضطرابات
پنجاب ۱۹۵۳م) / لـ مقاطعة پنجاب
.....
- ۱۱۰ رپورت مجموعی (التقرير الشامل) عن الأعوام (۱۸۶۰-۱۸۶۱) (۱۸۶۱-۱۸۶۲)
(۱۸۶۵، ۱۸۶۷) / الحكومة البريطانية / طبع ہوب پریس / لاہور
.....
- ۱۱۱ رجال السند والهند الى القرن السابع / لـ القاضي أبی المعالی أظہر المبارکفوری
المطبعة الحجازیة / بومبائی / ۱۹۵۸م
.....
- ۱۱۲ رجم / لـ المحكمة الشرعیة الكبرى بپاکستان / طبع اومنی برنٹرز لاہور ۱۹۸۱م
.....
- ۱۱۳ رحلة ابن بطوطة / لـ محمد بن ابراهيم المعروف بابن بطوطة / دار بیروت للطباعة
والنشر ۱۹۸۰م
.....
- ۱۱۴ رسائل ومسائل / لـ أبی الأعلى المودودی / طبع شفیق برنٹرز / لاہور / الطبعة
السابعة
.....
- ۱۱۵ رسمی بردی کی نقصانات اور اسلامی بردے کی نشانات (مضار الحجاب التقليدي
وسیماء الحجاب الاسلامی) / لـ بیرزادہ شمس الدین / مطبعة کوا برتیو لاہور
۱۹۵۵م
.....
- ۱۱۶ روح المعانی / لـ محمود الألوسی / ادارة الطباعة المنيرية / لبنان
.....
- ۱۱۷ روداد برده (محضر الحجاب) / لـ السید برکات أحمد طبع کلیم پریس کراتشی ۱۹۵۱م
.....
.....
- ۱۱۸ رود کوثر (نہر کوثر) / لـ الدكتور شیخ محمد اکرم /
.....
.....
- ۱۱۹ سرسید اور اصلاح معاشرہ (سر سید أحمد خان واصلاحاته الاجتماعية) / لـ شاهد
حسین الرزاقی / دین محمدی پریس / لاہور / ۱۹۶۳م
.....
- ۱۲۰ سرسید کی کہانی انکی اپنی زبانی (حکایت السید الشفیعہ لحياته) / روایة
الطاف حسین حالی / تألیف ضیاء الدین / طبعة لاہور
.....

- ۱۲۱ سفينة الأولياء / لـ داراشكواه ترجمة محمد على لطفى / مشهور بريس كراتشى / الطبعة الخامسة ۱۹۷۵م.....
- ۱۲۲ سلاطين دہلی کی مذہبی رجحانات (المیول الدینیة عند سلاطین دہلی) / لـ خلیق أحمد نظامی / الجمعية بريس دہلی / ۱۹۵۸م.....
- ۱۲۳ سلاطین ہند کی علم پروری (احتفاء سلاطین الہند بالتعلیم) / لـ محمد حفیظ اللہ طبع برقی آرٹ بريس بئنتہ / الہند / الطبعة الرابعة / ۱۹۵۶م.....
- ۱۲۴ سلك الجواهر فی أحوال البواهر / لـ محمد نجم الفنى / مطبعة العلوم واخبار ہز أعظم مراد آباد ۱۹۱۴م.....
- ۱۲۵ سنت کی آئینی حیثیت (مکانتہ السنۃ التشريعیۃ) / لـ أبی الأعلى المودودی / مطبعة نور عالم لاہور / الطبعة الرابعة / ۱۹۷۷م.....
- ۱۲۶ سنن ابن ماجہ / لـ محمد بن یزید القزوينی / تحقیق محمد فؤاد عبدالباقی / دار احیاء التراث العربی ۱۹۷۵م.....
- ۱۲۷ سنن أبی داود / لـ سلیمان بن أشعث الأزدی / طبعة الحلبي ۱۹۵۲م.....
- ۱۲۸ سنن الترمذی / لـ محمد بن عیسی الترمذی / دار الفكر.....
- ۱۲۹ سنن الدارمی / لـ عبد اللہ بن عبد الرحمن باعثناء محمد أحمد دھان / نشر دار احیاء السنۃ النبویۃ / القاهرة.....
- ۱۳۱ سنن النسائی / لـ أحمد بن شعيب النسائی / المكتبة العلمية / بیروت.....
- ۱۳۱ شاہ ولی اللہ کی تعلیم (تعلیمات الشاہ ولی اللہ) / لـ غلام حسین جلبانسی / طبع سندھ یونیورسٹی بريس ۱۹۶۳م.....
- ۱۳۲ شاہ ولی اللہ کی سیاسی مکتوبات (رسائل الشاہ ولی اللہ السیاسیۃ) / جمع وترتیب خلیق أحمد نظامی / طبع کاسموبرنٹرز / لاہور ۱۹۷۸م.....
- ۱۳۳ شبہات حول الاسلام / لـ محمد قطب / مطابع الشروق / بیروت / نشر دار الشروق الطبعة السادسة.....
- ۱۳۴ شرح قانون شہادت (قانون الاثبات) / ترجمة م اشرف بیک / طبع ونشر مكتبة م محمد سلیمان / لاہور.....
- ۱۳۵ شرح النووی علی صحیح مسلم / لـ الامام النووی / المطبعة المصرية ومکتبتها.....
- ۱۳۶ شریعت اسلام اور خاندانی منصوبہ بندی (تنظیم النسل فی ضوء الشریعة الاسلامیۃ) لـ الاستاذ أبی الشہاب رفیع الدین / طبع سبرآرت بريس / کراتشى / ۱۹۶۷م.....
- ۱۳۷ شکشن مالا بال منکے (کتاب المبتدیین) / لـ المدارس الاسماعیلیۃ الاغاخانیۃ بالہند / نشر اسماعیلیۃ ایسوسی ایشن برائی ہند / بمبائی.....

- ۱۳۸ صاعقة آسمانی برفرقة رضا خانى (الصاعقة السماوية على الفرقة المرضاخانية) / —
منظور أحمد سنهلى الديوندى ورحم الهى البريلوى
- ۱۳۹ صحيح البخارى / — محمد بن اسماعيل / مطبعة دار الطباعة العامة استانبول ...
- ۱۴۰ صحيح مسلم / — مسلم بن الحجاج القشيري / نشر مكتبة الجمهورية العربية / القاهرة
- ۱۴۱ صلاة الصفا فى نور المصطفى ضمن مجموعة رسائل / — أحمد رضا خان / طبعة كراتشى
- ۱۴۲ ضوء نور الحق المبين / — داع البهرة طاهر سيف الدين / طبع برتش انديا
جهايه خانه بومباي ۱۹۱۹م
- ۱۴۳ طاهرة كى نام خطوط كامجموعة (مجموعة رسائل باسم طاهره) — غلام أحمد برويز
مطبعة أشرف لاهور / ۱۹۷۲م
- ۱۴۴ طائفة الاسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها / — الدكتور محمد كامل حسين
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / ۱۹۵۹م
- ۱۴۵ طبقات نورية درأحوال نوربخشيه / — محمد بن ملا / ترجمة محمد سليمان كيلانى
طبع أشرف بريس لاهور
- ۱۴۶ العالم الاسلامى / لعمرضا كحالة / المطبعة الهاشمية / الطبعة الثانية / دمشق
۱۳۷۷ هـ / ۱۹۵۸م
- ۱۴۷ عاالى قوانين برتبصرة (التعليق على قوانين الأحوال الشخصية) / — مفتى محمد
شفيع / طبع سعيدى قرآن محل كراتشى
- ۱۴۸ عرب أور هند كى تعلقات (صلة الهند بالعرب) / للسيد سليمان الندوى / طبع
سندھ آفست برنترز كراتشى ۱۹۷۶م
- ۱۴۹ عظمت رفته (المجد الضائع) — ضياء الدين أحمد برنى / طبع نشاط بريس /
كراتشى ۱۹۶۱م
- ۱۵۰ عقد الجواهر فى أحوال البواهر / — السيد أبى ظفر الندوى / طبع جاويد بريس كراچى
- ۱۵۱ علماء حق أوران كى مجاهدانه كارنامى (العلماء الريانيون وأعمالهم البطولية) /
— محمد ميان / نشر مكتبة شيخ الاسلام برحيم يارخان باكستان
- ۱۵۲ علم حديث مين باك و هند كا حصه (سهم الهند وباكستان فى خدمة السنة) / —
الدكتور محمد اسحاق / ترجمة شاهد حسين الرزاقى / طبع حمايت اسلام بريس لاهور
۱۹۷۷م
- ۱۵۳ على برادران (الأخوان العليان محمد على ، شوكت على) — السيد رئيس أحمد
الجعفرى / اشرف بريس لاهور / ۱۹۶۳م
- ۱۵۴ الفارة على العالم الاسلامى / — ا — ل — شاتليه تعريب محى الدين الخطيب ،
ومساعد اليافى / المكتبة السلفية ومطبعتها / القاهرة الطبعة الرابعة ۱۳۹۸ هـ

- ۱۵۵ فتاویٰ عزیز / لہ شاہ عبدالعزیز / ترجمہ عبدالواجد نولوی / ترتیب و تبویب الحاج محمد زکی ایجوکیشنل پریس کراتشی ۱۳۹۶ھ
 ۱۵۶ فتح الباری / لہ احمد بن علی بن حجر / المطبعة السلفية / القاهرة / ۱۳۸۰ھ
 ۱۵۷ فتح القدير / لہ محمد بن علی الشوکانی / مطبعة الحلبي / الطبعة الثانية ۱۳۸۳ھ
 ۱۵۸ فتوح البلدان / لأبي الحسن البلاذري / مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان / دار الكتب العلمية / بيروت / ۱۹۷۸م
 ۱۵۹ فقہاء ہند / لہ محمد اسحاق بہتی / الحمرا آرٹ بزنٹر / لاہور ۱۹۷۹م
 ۱۶۰ الفقه على المذاهب الأربعة / لہ عبدالرحمن الجزیری / دار احیاء التراث / الطبعة الثالثة
 ۱۶۱ فقه القرآن / لہ عمر أحمد بن ظفر أحمد العثماني / طبع فضلی ایند سنز کراتشی ۱۹۸۰م - ۱۹۸۲م
 ۱۶۲ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي / لہ الاستاذ محمد البهي / نشر مكتبة وهبة الطبعة الثامنة ۱۹۷۵م
 ۱۶۳ فی تحقیق ما للہند من مقولة مقبولة فی العقل أو مرذولة / لہ محمد بن أحمد البيروني / دائرة المعارف العثمانية / دکن / الہند / ۱۹۵۸م
 ۱۶۴ فی ظلال القرآن / لہ سید قطب / دار الشروق الطبعة السابعة ۱۳۹۸ھ
 ۱۶۵ قادیانی مسئلہ / لہ ابي الأعلى المودودي / مطبعة اميرنت لاہور / الطبعة العاشرة ۱۹۸۲م
 ۱۶۶ قرآن سی قرآن تک " من القرآن الى القرآن " / لہ محمد حسین عرشی / مطبعة نامی / لاہور / ۱۹۷۵م
 ۱۶۷ قرآن کریم اور مروجہ اسلام (القرآن والاسلام المعاصر) / لہ کریم بخش سکھانی / نوید برنتنک پریس کراتشی ۱۹۸۰م
 ۱۶۸ قرآنی فیصلی (الأحکام القرآنية) / لہ غلام أحمد برویز / مطبعة أشرف لاہور / الطبعة الثالثة ۱۹۷۳م
 ۱۶۹ قرآنی قوانین / لہ غلام أحمد برویز / مطبعة علمی برنتنک لاہور / ۱۹۷۸م
 ۱۷۰ قصة الحضارة / لہ ول ديورانت / ترجمة زک نجيب محمود / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة / الطبعة الثانية ۱۹۵۷م
 ۱۷۱ قوانین اسلامی کی نفاذ کا مسئلہ قرآن اور سنت کی روشنی میں (تنفيذ القوانين الاسلامية في ضوء الكتاب والسنة) / لہ السيد يعقوب شاه / طبع دين محمدی پریس / لاہور ۱۹۷۱م

- ۱۷۲ قومی اسپلی مین اسلام کامعركة (المعركة الاسلامیة فی البرلمان) / لـ مولانا
عبدالحق شیخ الحدیث / نشر مؤرخ المصنفین / الطبقة الثالثة
۱۷۳ کالابان (منہی جہرا نرمان) / لـ محمد جعفر تہانیسری / تقدیم محمد آیوب قادری
طبع اسود اُفت بريس فيصل آباد ۱۹۷۷م پاکستان
۱۷۴ الکامل فی التاریخ / لـ علی بن أبی الکریم المعروف بابن الأثیر / دار الکتاب
العربی / بیروت / الطبعة الثانية ۱۹۶۷م
۱۷۵ کجرات کی تمدنی تاریخ / لـ السيد أبی الظفر الندوی / مطبعة معارف أعظم
کره / الهند / ۱۹۶۲م
۱۷۶ کزیترم مالک محروسه (تقویم المستعمرة البريطانية) / لـ مهدی علی خان /
مطبعة ابراهيم اکره / الهند ۱۹۰۸م
۱۷۷ کلام امام مبین / لـ سلطان محمد شاه علی (أغاخان الثالث) / نشر اسماعیلیة
ایسوسی ایشن بومبائی / الهند
۱۷۸ کلیساوی تواریخ (تاریخ الکنائس) / لـ رینفرد / طبع تائمز بريس لاہور ۱۹۵۸م
۱۷۹ کج سعادت یعنی سلسلہ نورامامت (خزینة السعادة) / لـ المبشر نصیر الدین
هنزی الأغاخانی / عباس لیتھوپريس / کراتشی / ۱۹۵۷م
۱۸۰ کستوتشن آف لا (تاریخ القانون) / لـ السيد أمير شاه / مطبعة مصطفى لاہور
۱۹۷۹م
۱۸۱ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / لـ أبی الحسن علی الحسنی الندوی /
مطابع علی بن علی الدوحة الطبعة العاشرة / ۱۳۹۴ هـ
۱۸۲ مارک درشیکا (المرشد) / لـ المبشر علی بهائی بابوانی الأغاخانی / نشر اسماعیلیة
ایسوسی ایشن بومبائی / الهند
۱۸۳ البسوط / لـ السرخسی / مطبعة السعادة / مصر / ۱۳۲۴ هـ
۱۸۴ مجموعة اسلامي تعزیری قوانین (مجموعة قوانین تنفيذ الحدود) / نشر محمد سلیمان
قریشی / لاہور
۱۸۵ مجموعة تعزیرات پاکستان (قانون العقوبات پاکستانی) / ترجمة ایم اشرف بیك
طبع غفور سنز برنٹرز / لاہور
۱۸۶ مجموعة التوحید الرسالة الثانية عشرة / لـ شیخ الاسلام ابن تیمیة ۵ وشیخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب / دار الفكر / القاهرة / ۱۹۷۸م
۱۸۷ مجموعة ضابطہ فوجداری / حبیب اللہ خان / نشر م محمد سلیمان قریشی لاہور
۱۸۸ مجموعة قوانین اسلام / لـ الاستاذ تنزیل الرحمن / جدید اردو تائب بريس لاہور ۱۹۶۵

- ١٨٩ محبوب الارث / لـ الحافظ محمد أسلم / فيض عام عليكره ١٣٤٢ هـ
 ١٩٠ محمد ن ايجوكيشنل كانفرس (مؤتمر التعليم المحدث) / مجموعة من المحاضرين
 نشر جامعة عليكره / طبع مفيد عام آكره ١٨٩٢ م
 ١٩١ مختصر دراسة التاريخ / لـ أرنولد تويني / ترجمة فؤاد محمد شيل مراجعة محمد
 شفيق غريال ، وأحمد عزت / لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤ م
 ١٩٢ مدارج السالكين بين اياك نعبد و اياك نستعين / لـ ابن القيم الجوزية / مطبعة
 السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ
 ١٩٣ مذاهب الاسلام / لـ محمد نجم الغنى / طبعة لاهور / ١٩٠٤ م
 ١٩٤ مذهب اسماعيلية قرآن وحديث كى روشني مين / (المذهب الاسماعيلي فى ضوء
 الكتاب والسنة) / لـ الشيخ عبيد الله الجترالى / نشر دار العلوم سرحد يشاور ١٩٨١ م
 ١٩٥ مذهب اورياطنى تعليم / لـ محمد سعيد الدهلوى / كيلانى اليكترك پريس لاهور
 ١٩٦ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند / لـ عبد الحليم الندوى /
 مطبعة نوري / مدراس ١٣ الهند
 ١٩٧ المرأة بين الفقه والقانون / لـ مصطفى السباعى / طابعة / بيروت / المكتب
 الاسلامى ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م
 ١٩٨ المسالك والممالك / لـ عبيد الله بن عبد الله ابن خزيمة / نشر مكتبة المثنى / بغداد
 ١٩٩ مسلمانان هند كى حيات سياسى (الحياة السياسية عند المسلمين الهنود) لـ مرزا
 محمد / برقى پريس دهلى / ١٩٣٤ م
 ٢٠٠ مسلمانون كاروشن مستقبل (مستقبل المسلمين المضى) / لـ السيد طفيل أحمد /
 طبع بدر رشيد برنترز / لاهور
 ٢٠١ مسلم ثقافت هندوستان مين (الثقافة الاسلامية فى الهند) / لـ عبد المجيد سالك
 دين محمد پريس / لاهور
 ٢٠٢ مسلم عائلى قوانين (قوانين الأحوال الشخصية الاسلامية) / طبع محبوب برنتنك —
 كارپوريشن / لاهور
 ٢٠٣ المسلمون فى الهند / لـ أبى الحسن على الحسنى الندوى / مطبعة ندوة العلماء
 لكهنؤ ١٣٩٦ هـ
 ٢٠٤ مسند الامام أحمد / لـ أحمد بن حنبل / دار الفكر / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٨
 ٢٠٥ مطالعة باكرستان / لـ الصف التاسع والعاشر للعام الدراسى ١٩٨٢ م
 ٢٠٦ معالم تاريخ الانسانية / لـ هـ — ج ، ولز ترجمة عبد العزيز توفيق / لجنة التأليف
 والترجمة والنشر / الطبعة الثالثة / ١٩٧٢ م

- ٢٠٧ المعتمد فى أصول الدين / لـ القاضى أبى يعلى الخنبلى / تحقيق الدكتور وديع زيدان / دار الشروق / بيروت
 ٢٠٨ معجزة القرآن در بيان ميراث مسلمانان (معجزة القرآن فى بيان توارث المسلمين) لـ الخواجة أحمد الدين / مطبعة اسلامية سيتيم / لاهور
 ٢٠٩ مغربى فلسفة تعليم كاتنقيدى مطالعة (نظرة فحصى فى فلسفة التعليم الغربية) لـ الاستاذ السيد محمد سليم / شركة برز / لاهور / ١٩٨١م
 ٢١٠ مغلوية سلطنت أورمسيحيات (التبشير والدولة المغولية) / لـ بركة الله القسيس / پنجاب آرت پريس / لاهور ١٩٧٠م
 ٢١١ مقالات سرسيد أحمد خان / لـ سر سيد أحمد خان / جمع وترتيب محمد اسماعيل / زرین آرت / لاهور ١٩٦٢م
 ٢١٢ مقالات کارسان / لـ کارسان دتاسى الفرنسى / ترجمة الدكتور يوسف حسين خان والاستاذ عزيز أحمد والدكتور اختر حسين / انجمن پريس کراتشى ١٩٦٤م - وديال برنتك پريس دهلى ١٩٤٣م
 ٢١٣ مقدمة مفتاح كنوز السنة / لـ السيد رشيد رضا / طبعة ١٣٥٣هـ / القاهرة
 ٢١٤ مكاتيب / لأبى الأعلى المودودى / جيلانى برنتك پريس / لاهور ١٩٧٢م
 ٢١٥ ملفوظات (الأقوال) / لـ الشيخ محمد الياس / ترتيب محمد منظور عصمانى تنوير برقى پريس لكهنوالطبعة السادسة
 ٢١٦ الممالك الاسلامية / لـ لين بول
 ٢١٧ مستخبات التواريخ / لـ عبد القادر ملك شاه البدايوى / كلكته ١٨٦٨م
 ٢١٨-٢١٩ منتخب اللباب / لـ محمد هاشم المعروف بـ خافى خان / طبع ايشياتك سوسائتى كلكته / الهند ١٨٦٩م
 ٢٢٠ موج كوثر / لـ الدكتور شيخ محمد اكرام / مطبعة فالكن پريس / لاهور / الطبعة العاشرة ١٩٧٩م
 ٢٢١ موسوعة تاريخ العالم / لـ وليام لانجر وتمت الترجمة تحت اشراف الدكتور محمد مصطفى زياده / مكتبة النهضة / القاهرة / ١٩٦٢م
 ٢٢٢ مولانا مفتى محمود حيات وخدمات (مفتى محمود حيات وخدماته) / لـ نعيم آس / طبع جاويد رياض برنترز / لاهور
 ٢٢٣ ميزان الحق / لـ المبشر فندر / المطبعة التبشيرية الأمريكية ١٨٦١م الهند
 ٢٢٤ ميكالى كانظرية تعليم / لـ اللورد ميكالى / ترجمة عبد الحميد الصديقى / طبع ايجو كيشنل پريس کراتشى ١٩٦٥م

مرحان

- ٢٢٥ ميلاخدا شناس (كحل معرفة الاله) / لـ محمد قاسم نانوتوى / فهرسة حسين أحمد نجيب / طبع مشهور بريس / كراتشى ١٩٧٧م
 ٢٢٦ نزهة الخواطر ومهجة المسامع والنواظر / لـ عبدالحى الحسنى / مطبعة مجلس ادارة المعارف العثمانية / حيدرآباد / الهند / ١٣٧٨ هـ
 ٢٢٧ نشأة باكستان / لشريف الدين بيرزاده / ترجمة / عادل صلاحى / الطبعة الأولى جدة ١٩٦٩م
 ٢٢٨ نظام تعليم كى اسلامى تشكيل جديد (الصورة الحديثة لنظام التعليم الاسلامى) / لـ البروفيسور خورشيد أحمد / شركة برنتنك بريس / لاهور / الطبعة الثالثة ١٩٨٢م
 ٢٢٩ نظام الصوم عند الفاطميين / جمع وترتيب / محمد حسن الأعظمى / نشر فى عهد أيوب خان
 ٢٣٠ نظرة عابرة حول التعليم الاسلامى فى باكستان / لـ محمد تقى عثمانى / قرشى بريس ناظم آباد / كراتشى / ١٣٩٩ هـ
 ٢٣١ نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور / لـ أبى الأعلى المودودى مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٩٦٩م
 ٢٣٢ نفس الفى عن انار بنوره كل شىء ضمن مجموعة رسائل / لـ أحمد رضا خان / نكات قرآن / لـ الحافظ محمد أسلم الجراجبورى / يونين برنتنك دهللى ١٩٥٢
 ٢٣٤ نوادر / لـ حافظ محمد أسلم الجراجبورى / يونين برنتنك دهللى ١٩٥١م ..
 ٢٣٥ نور مبين جبل الله المتين / لـ على محمد جان جنارا
 ٢٣٦ همارے اسماعيلى مذهب كى حقيقت اور اس كا نظام (مذهبنا الاسماعيلى حقيقته ونظامه) / لـ الاستاذ زاهد على البهرى / نامى بريس / حيدرآباد / دكن / الهند ١٩٥٤م
 ٢٣٧ همارے هندوستانى مسلمان / لـ ولس - وليم - هنتر / ترجمة صادق حسين / نشر اقبال اكيد مى لاهور / الطبعة الثانية / ١٩٥٥م
 ٢٣٨ الهند خلال العصور / لـ أحمد بن ابراهيم البشيشى
 ٢٣٩ الهند شعبها وأرضها / لـ مانورا موداك / ترجمة محمد عبدالفتاح / ومراجعة الدكتور عز الدين / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٦٤م
 ٢٤٠ الهند فى العهد الاسلامى / لـ السيد عبدالحى الحسنى / مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدرآباد / دكن / الهند / ١٣٩٢ هـ
 ٢٤١ الهند القديمة حضارتها وديانتها / لـ محمد اسماعيل لندوى / طبع دار الشعب ١٩٧٠م

.....	١٨	ريو آف ريلجنز
.....	١٩	صدق جديد
.....	٢٠	الفتح
.....	٢١	الفضل
.....	٢٢	مجلة الأزهر
.....	٢٣	المحور
.....	٢٤	معارف
.....	٢٥	مجلة المنار
.....	٢٦	المنبر
.....	٢٧	منشور محمدى
.....	٢٨	نوائى وقت
.....		

ملاحظة : من المصادر ما اشرت اليها فى اماكنها من الرسالة •

المصادر الانجليزية

- (1) The Civil & Military Gazette. (Pakistan.)

جريدة الجازيت المدنية والعسكرية .

- (2) The Constitution of the Shia Imami Ismaili in Africa. Printed at East African Printers Ltd. Nairobi.

دستور الشيعة الامامية الاسماعيلية في افريقيا .

- (3) The Daily D A W N. (Pakistan.)

جريدة الصبح .

- (4) In the Land of Sindhi and Blochi. Alvin Van Miltenbury Rt. Rev Rotti Press Karachi. 1947.

في ارض السندى والبلوچى لـ الكونون .

- (5) Report Enquiry Committee on Christian Missionary Activities. Govt. of Madhya Pradesh India. 1956.

تقرير لجنة التحقيق عن نشاطات المسيحيين لـ حكومة مدهية برديش الهندية .

- (6) Secondary Stage English Book One. Printed at Sind Offset Printers Karachi. 1982.

كتاب اللغة الانجليزية الاولى للمرحلة الثانوية .

- (7) A short History of Muslim Rule in India . Ishwari Prasad . Indian Press Allahabad.

مختصر تاريخ الهند في العهد الاسلامي لـ ايشوري براساد .

- (8) Ever Living Guide . Qassim Ili . M . J . Din Muhammadi Press Karachi .

المشرد الحى الدائم لـ قاسم على م . ج .

- (9) History of India from the Earliest Time to the Present Day . Dunbar. G. H . London . 1936 .

تاريخ الهند بين الماضى والحاضر لـ دنبرج . ه .

- (10) Religious Policy of Mughul Emperors / Shre Ram Sharma . Oriental Publisher. Lahore . 1975 .

سياسة المنول الدينية لـ سري رام شرما .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	٢
	كلمة الشكر	
١ - ز	المقدمة	
٥٢ - ١	* الباب الأول (المجتمع المسلم في الهند قبل الفكر الغربي)	
٢٦ - ١	- الفصل الأول : المجتمع المسلم قبل قيام الدولة المغولية	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
١	دخول الاسلام الى الهند	١
١	الهند في الخلافة الراشدة	٢
٣	فتح السند في العهد الأموي	٣
٥	جهاد الفزنويين في فتح الهند	٤
٧	مظاهر المسلمين المميّزة حتى نهاية الدولة الفزنوية ..	٥
٩	المظاهر المميّزة لعهد الفوريين والماليك	٦
١٦	مميزات عهد الخليجيين وبنى تغلق	٧
٢٠	فيروز تغلق وعهده الميمون	٨
٢١	مميزات عهد الامارات المستقلة	٩
٢٧ - ٤٢	- الفصل الثاني (المجتمع المسلم في عهد المغول) ..	
	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
٢٨	سياسة المغول في الحكم	١
٢٩	الملك أكبر ونتائج انحرافه	٢
٣٠	مرسوم العصمة وآثاره	٣
٣٢	التنصير وموقف أكبر منه	٤
٣٤	مقاومة انحراف أكبر ونتائجها	٥
٣٥	مميزات عهد جهانكير وشاهجهان	٦

رقم الصفحة	الموضوع	٤
٣٧	أورنك زيب ومميزات عهده الميمون	٧
٣٩	" " في نظر أعدائه	٨
٥٢-٤٣	— الفصل الثالث (المجتمع المسلم في عهد شركة الهند الشرقية ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : — ...	
٤٤	مميزات المجتمع المسلم بعد عهد اورنك زيب ...	١
٤٦	موقف المسلمين من شركة الهند الشرقية	٢
٤٦	أ — الموقف الرسمي	
٤٧	ب — الموقف الشعبي (حركة الشيددين الجهادية انتفاضة ١٨٥٧م وآثارها في المسلمين ...	
٥١	محور اتجاهات النواب البريطانيين في حكم الهند	٣
١٢٣٥-٥٣	* الباب الثاني (أثر الفكر الغربي في حياة المسلمين)	
٨٠-٥٣	الفصل الأول : أثر النشاط التنصيري في الأفكار والمقائد ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :	
٥٤	التنصير في عهد المغول	١
٥٥	التنصير أثناء الحكم الانجليزى المباشر	٢
٥٦	طرق نشر المسيحية قبل الاستقلال (الجامعات ، دور الأيتام ، الكتاب ، التعليم ، المناظرة ، — التطبيب ، الاعانة المالية ...)	٣
٦٩	السبل الحديثة لبث الانجيل (التوظيف ، المشافى دور الأيتام ، معاهد التعليم ، الصحافة ...)	٤
٧٤	الطرق المعاصرة لنشر المسيحية	٥
٧٩	أسباب نجاح التنصير في المنطقة	٦

رقم الصفحة	الموضوع	٢
	١ - الفصل الثانى (أثر الفكر الغربى فى مجال التربية والتعليم	
١٣١-٨١	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :-	
٨٢	موقف الدول الاسلاميه فى الهند من التعليم	١
٨٦	الدرس النظامى	٢
٨٧	طرق القضاء على الدرس النظامى	٣
٩١	دار العلوم ديوندى ومنهجها التربوى والتعليمى	٤
٩٦	" " ندوة العلماء ومنهجها التعليمى	٥
١٠٠	بداية التعليم العصرى	٦
١٠٢	توصية اللورد ميكالى التعليمية	٧
١٠٤	موقف السيد أحمد خان من التعليم	٨
١٠٨	أهداف التعليم عند الانجليز	٩
١١١	محاولات اصلاحية فى التربية والتعليم	١٠
١١٢	دور المعاهد التنصيرية فى العملية التربوية والتعليمية	١١
١١٥	التعليم بعد الاستقلال	١٢
١١٨	نظرة فحص فى المنهجين (الدينى والعصرى)	١٣
١٢٥	بعض مميزات التعليم الاسلامى	١٤
	٢ - الفصل الثالث (أثر الفكر الغربى فى مجال القضايا الاجتماعية)	
١٣٢-١٣٧	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :-	
١٣٥	تعليم المرأة	١
١٤٣	الحجاب	٢
١٤٩	عمل المرأة	٣
	٣ زواج المرأة (جهيز ، زواج المسلمة بغير المسلم ، زواج من هودون البلوغ ، النكاح بالقرآن ، تعدد الزواج ، الطلاق ، تحديد النسل)	٤
١٥٤		

رقم الصفحة	الموضوع	٢
١٧١	القوامة	٥
١٧٢	دية المرأة	٦
١٧٣	ارث المرأة	٧
١٧٤	سفر المرأة بدون محرم	٨
١٧٥	شرب المسكرات	٩
١٧٧	الاقتصاد ووسائل الاعلام	١٠
١٧٨-١٣٣٥	- الفصل الرابع (أثر الفكر الغربي في مجال النظم التشريعية)	
	ويشتمل على :-	
١٧٩	قضاء المسلمين في الهند قبل الحكم الانجليزي	١
	اتفاقية بكسر وخيانة شركة الهند الشرقية في تنفيذ بنودها المتصلة بالقضاء	٢
١٨٠	بداية التحريف في القضاء وآثاره الوخيمة	٣
١٨٤	فتوى السيد رشيد رضا حول القوانين الوضعية	٤
١٨٦	مناقشة الفتوى في ضوء الكتاب والسنة وأقوال علماء الاسلام جهود العلماء في وضع دستور اسلامي لدولة باكستان	٥
١٩١	ارث المرأة	٦
١٩٣	قانون العقوبات الباكستاني ومحتوياته	٧
١٩٥	بادرة خير في اصلاح القانون	٨
١٩٧	الجوانب التشريعية الحديثة في القانون وموقف الشريعة منها	٩
١٩٥	نماذج مقارنة من الجرائم والعقوبات بين القانون والشريعة	١٠
١٩٦	أ - جريمة القتل	
٢٠٢	ب - جريمة الزنا	
٢٠٧	ج - الجرائم المتعلقة بالأموال / السرقة /	
٢١١	د - الاستحصال بالجبر	
٢١٤	هـ - الجرائم المتعلقة بالأحوال / الزنا	

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٢٤٦	البهرة والريا	٧
٢٤٦	تقويم البهرة وأثره في صوم رمضان والحج	٨
٢٤٧	البهرة والتعليم	٩
	مرتكزات الأغاخانية المعاصرة (حسن بن حسن الموتى	١٠
٢٤٩	صدر الدين	
٢٥٣	التعاون العسكري بين جيش أغاخان وشركة الهند الشرقية	١١
٢٥٥	دور الانجليز في دعم امامة أغاخان	١٢
٢٥٧	موقف أغاخان من حرب البلقان والحرب العظمى الأولى	١٣
	ولى عهد الامامة على خان وقتاله في صفوف الغربيين في	١٤
٢٥٧	الحرب العظمى الثانية	
٢٥٨	بعض الأسس الأغاخانية	١٥
٢٦٢	نشاطات الأغاخانية في باكستان	١٦
٢٧٢-٢٦٤	الفصل الثانى (الصوفية وأثر الفكر الغربى فيها) ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية	
٢٦٥	طريقة صوفية الهند فى الدعوة الى الاسلام	١
٢٦٦	الصوفية وعدم تصادمها بالسلطة	٢
٢٦٧	علوم الصوفية وصلتها بالشرع	٣
٢٦٩	حال الهند المتصوفة عند الاحتلال الانجليزى ...	٤
	النظرة السلبية الصوفية الى الحياة ونتائجها لصالح	٥
٢٧٠	الفكر الغربى	
٢٨١-٢٧٣	— الفصل الثالث (البريلوية وأثر الفكر الغربى فيها) ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية :	
٢٧٤	مؤسس البريلوية أحمد رضا خان	١
٢٧٤	تعاون البريلوية مع الاستعمار	٢
٢٧٧	تكفير البريلوية المسلمين	٣
٢٧٨	أهم الأسس للمفرقة البريلوية	٤
٢٨٠	تأثير الفكر البريلوى لصالح الفكر الغربى فى الامة ..	٥

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٢٩٨—٢٨٢	— الفصل الرابع (القرآنيون وتأثرهم بالفكر الغربي) ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : — السيد أحمد خان وأثر أفكاره في القرآنيين	١
٢٨٩—٢٨٣	والقاديانيين	
٢٨٣	أ — مفهوم النبوة	
٢٨٤	ب — مفهوم الوحي وطريقته	
٢٨٥	ج — شروط السيد لقبول السنة	
٢٨٥	د — مفهوم الجهاد	
٢٨٦	هـ — مفهوم المولاة الشرعية	
٢٩٧—٢٨٩	القرآنيون وصلة فكرهم بالغرب	٢
٢٩١	أبرز الزعماء القرآنيين	٣
٢٩٧—٢٩٢	نماذج من التفريب	٤
٢٩٢	أ — حرية الدين (الارتداد)	
٢٩٤	ب — توريث غير المسلم من المسلم	
٢٩٤	ج — حرية التصرف في المال عند الوفاة	
٢٩٥	د — أحكام القرآن في التركة مؤقتة	
٢٩٦	هـ — قواعد الحجب مجحفة	
٢٩٦	و — نظام القرآن الاقتصادي (الاشتراكية في الأموال)	
٢٩٨—٢٩٧	ز — نزع التأبيد من أحكام الاسلام	
٢٩٧	١ — في الطلاق	
٢٩٨	٢ — في الرجم	
٢٩٨	٣ — في قطع السارق	
	— الفصل الخامس (القاديانية واخلاصها للفكر الغربي)	
٣١٣—٢٩٩	ويشتمل على النقاط الرئيسية التالية : — فتوى العلماء حول تعيين دار الحرب من دار الاسلام	١
٣٠٠		

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٣٠٥	غلام أحمد القادياني ودعاواه	٢
٣٠٦	الهدف الرئيسى من دعاوى الغلام	٣
٣٠٩	موقف القاديانية من الجهاد بعدموت الغلام	٤
٣٠٩	الغلام وادعاء النبوة	٥
٣١٠	تفسير القاديانية لـ " خاتم النبيين " ..	٦
٣١١	وحى الغلام	٧
٣١٢	ما تختلف فيه القاديانية عن الاسلام	٨
٣١٣	كلمة أخيرة	
٣١٦	الخاتمة ونتائج الدراسة	
٣١٨	المصادر والمراجع	
٣٤٢-٣٣٥	الفهرس	

٣١١	الخاتمة ونتائج الدراسة	
٣١٢	المصادر والمراجع	
٣٤٢-٣٣٥	الفهرس	

الصفحة	السطر	الخطأ	الاصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الاصواب
د	٣	واذ	واذا	١٢٢	٧	علاقتها	علاقتها
هـ	٩	البريطانيين	البريطانيون	١٢٢	١٠	بالسنة	بالنسبة
ز	١١	الفصل	الفصول	١٢٢	١٥	الاختصار	الاختصار
١٢	٩	بضع	بضعة	١٢٦	٧	تحدثية	تحدثيه
١٥	٢١	اذ	اذ	١٢٧	١٠	ظلالها	ظلالها
١٤	٨	للكسب	للكسب	١٢٧	١٣	خطرهم	فطرهم
١٥	١٤	فقال ا	فقال ان	١٢٨	٢	عن	على
٢١	١٥	عاش	عاش	١٢٩	١٣	مستقبلها	مستقبلها العلمي
٢٢	١٥	منفسا	منفسا	١٣١	١٠	الثاني	التالي
٢٣	١٩	اسحابه	اسحابه	١٣٣	١٦	ما	بما
٢٤	١٥	الطبيه	الطبيه	١٣٣	١٨	يطبعه	يطبعهم
٣٢	٥	انها	انها	١٣٤	٥	للمقبلين	للمقبلين
٣٣	٨	اذر	اذر	١٣٤	١٨	جاهدك	جاهدك
٣٧	١٣	الذاهب	الذهب	١٣٦	١١	شارع	شارع
٣٨	١٥	الافتاء	الافتاء (٤)	١٣٨	٢٢	النش	النش
٣٨	١٧	سيرهم (٤)	سيرهم	١٣٩	١	المتهمين	المتهمين
٣٨	٧	للحصول	الحصول	١٣٩	١٧	١٩٨٢	١٨٨٢
٣٩	١٦	نظر	نظر	١٤١	٢٤	ص ١	ص ٤
٤١	٣	المباد	في نظرية	١٤٣	٢	تعلتها بها	تعلتها به
٤١	٦	ثاني	ثانية	١٤٣	١٧	الحجاب (٢)	حجاب (٢)
٤٤	١٤	غزوة	غزوة	١٤٤	١٠	اليوم (٢)	اليوم (٣)
٤٥	٩	الهندوس	الهندوس بكامل	١٤٥	٧	الحجاب	الحجاب
٤٥	١٨	الشؤون	الشؤون	١٤٥	٩	لا	لا
٤٦	٢٦	انظر وليس وليم هنتو هماري	انظر وليس وليم هنتو هماري	١٤٥	١٢	فيعلق	فيعلق
٤٧	٢	جمع	جمع	١٥٤	١٢	واتوا	واتوا
٤٧	٤	لنذر	لنذر	١٥٦	٢٤	(٢)	(٢)
٤٧	٤	العلمية	العلمية	١٥٩	١٣	يمنعون	يمنعون
٤٧	١٩	احدا	احدا	١٦٠	٦	هذه	هذه
٤٨	١٣	الشيخ	الشيخ	١٦٠	١٣	البنغال	البنغال
٤٩	٧	الزواج	الزواج	١٦٣	١٨	الأخرى	الأخرى
٥٧	٩	وزاد	وزاد	١٦٥	١٣	التفت	التفت
٥٨	٢١	وركن	وركن	١٦٨	٥	تخصصها	تخصصها
٦٣	٣	الطبيب	الطبيب	١٦٨	٢٢	(١)	(١)
٦٥	٣	بنيت	بنيت	١٦٩	١٢	ولست	ولست
٦٥	١٦	هذه	هذه	١٦٩	١٩	مثابة	مثابة
٦٧	٢١	الحالي	الحالي	١٧٠	٥	البلايين	البلايين
٧٢	١٥	٢٩٥٩	٢٩٥٩	١٧٠	١٩	مقاطاة او	مقاطاة او
٧٤	١٣	الدولة	الدولة	١٧١	١٤	العقيدة	العقيدة
٧٦	١١	منها	منها	١٧٣	٤	بنصيب	بنصيب
٧٨	٤	السنوات	السنوات	١٧٣	٥	تقفوا	تقفوا
٨٣	٢٠	صف	صف	١٧٧	٥	خسارة	خسارة
٩٣	١٥	فنا (٢)	فنا (٢)	١٧٧	٢٣	من	من
٩٣	١٦	معيينة	معيينة	١٨٠	٧	يقرون	يقرون
٩٦	١٤	النور قضيق	النور قضيق	١٨١	٢	تنفيذ	تنفيذ
٩٧	١٦	ليست	ليست	١٨٣	٨	الايان	الايان
٩٧	٢١	تأمين	تأمين	١٨٥	٢	نحوه	نحوه
٩٧	٢٣	المكنة	المكنة	١٨٥	٦	يقتد	يقتد
٩٨	١٣	المسلمين	المسلمين	١٨٥	١٢	العقود	العقود
١٠٠	٣	غيرها	غيرها	١٨٥	١٤	فعلم ما	فعلم ما
١٠١	٢١	نحوها في الاعم الاغلب	نحوها في الاعم الاغلب	١٨٩	٥	شرع الله كله	شرع الله كله
١٠٣	١٩	المقرات	المقرات	١٨٩	١٥	الكافرين	الكافرين
١٠٥	٤	جزء	جزء	١٨٩	٥	التفكير	التفكير
١٠٥	١٣	عدد	عدد	١٩٤	٣	ثلاثة	ثلاثة
١٠٧	٩	اخطط	اخطط	١٩٤	٢٥	(١)	(١)
١٠٧	١١	علاقتها	علاقتها	١٩٩	٥	تصبوا	تصبوا
١٠٨	١٠	صادقة ا نذاك	صادقة ا نذاك	٢٠١	٧	(١)	(١)
١١٠	٢٢	قربيت ج ١ / ٢٢٥	قربيت ج ١ / ٢٢٥	٢٠١	٢١	(x)	(x)
١١٣	٩	ويبدو	ويبدو	٢٠٤	١٩	الخاصة	الخاصة
١١٥	٤	افراد	افراد	٢٠٥	١٤	النظرية	النظرية
١١٨	١٩	اعترف	اعترف	٢٠٩	٣	القصة	القصة
١١٨	٢١	هذا	هذا	٢٠٩	١٨	(٤)	(٣)
١١٩	١٤	سوى	سوى	٢١٠	٢٣	الهامش ٤٣٢١	١٥٤ ٣٥٢٥
١١٩	٩	توقف	توقف	٢١١	٦	تتمينا	تتمينا
١٢٠	٢٢	يحد فان	يحد فان			يتبع	يتبع

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢١١	٨	تعيينها	تعيينها
٢٢١	٩	حقوقا	حقوقا
٢٢٥	١٣	يقوموا	يقوموا
٢٢٥	٢١	دوام	دوام
٢٢٦	١٣	التثبت	التثبت
٢٢٦	٢	التذكير	التذكير
٢٢٧	١٤	ثبت	ثبت
٢٢٨	١٣	المسلك	المسلك
٢٣٠	٣	مرة	مرة
٢٣٠	١٥	مراقبتنا	مراقبتنا
٢٣١	١٣	مرتكبيها	مرتكبيها
٢٣١	٢٣	سيعترض	سيعترض
٢٣٣	١٥	عصر	عصر
٢٣٩	٥	لتشجيع	لتشجيع
٢٣٩	١٥	١٢٧٢	١٢٧٢
٢٣٩	٢١	ظلت	ظلت
٢٤٤	١٦	الطبية	الطبية
٢٤٦	٢١	الجواهر	الجواهر
٢٤٦	١٩	تقسيم	تقسيم
٢٤٧	٢١	التعليم	التعليم
٢٤٨	٢١	(١)	(١)
٢٤٩	٩	هما	هما
٢٥٠	١٨	القيام	القيام
٢٥٠	٢٢	١٢٩	١٢٩
٢٥٠	٢٢	٢٥٤ - ٢٥٥	٢٥٤ - ٢٥٥
٢٥٠	٢٢	١٧٦ - ١٧٧	١٧٦ - ١٧٧
٢٥٠	٧	تعدد	تعدد
٢٥٧	٢١	ضد	ضد
٢٦١	١٦	المشهود	المشهود
٢٦٣	٣	صاحبة	صاحبة
٢٦٥	١٨	الرياضيات	الرياضيات
٢٦٧	١٠	يؤثرون	يؤثرون
٢٦٨	٩	مصادفا	مصادفا
٢٦٨	١٥	مختلفة	مختلفة
٢٦٨	١٦	حرفوا	حرفوا
٢٦٨	١٧	المنتسبين	المنتسبين
٢٧٠	١٧	يصل	يصل
٢٧٥	١	بتفكير	بتفكير
٢٧٥	١٣	لفتوا	لفتوا
٢٧٦	١٢	اكد لنا	اكد لنا
٢٧٧	١	استمرت	استمرت
٢٧٨	٢١	نفس	نفس
٢٧٩	١٠	يومئذ	يومئذ
٢٨١	١٤	الذي	الذي

٢٥٤ - ٢٥٥
١٧٦ - ١٧٧

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٢٨٢	١٤	حركة	حركة
٢٨٣	١٣	ملكه	ملكه
٢٨٤	١٢	بتكلم عن	بتكلم عن
٢٨٦	٢	لا ثباته	لا ثباته
٢٨٦	١٧	ذلك	ذلك
٢٩٠	٥	يقوموا	يقوموا
٢٩١	٣	ثبتها	ثبتها
٢٩١	١٧	الحجية	الحجية
٢٩٢	٢٠	الطيب	الطيب
٢٩٣	٢٨	٢٦	٢٦
٣٠١	٩	آراء	آراء
٣٠٢	٩	قتل	قتل
٣٠٣	٢٣	البنالوي	البنالوي
٣٠٤	٦٢	(٥) أنظر هماري	(٥) أنظر هماري
٣٠٥	١٨	ظلت	ظلت
٣٠٦	٢	بانه يعنى	بانه يعنى
٣٠٦	١٢	كرشن	كرشن
٣٠٧	١٢	بساوى	بساوى
٣٠٧	١٩	لا راضيها	لا راضيها
٣٠٨	٧	نسخ	نسخ
٣١٠	١٤	النبيين	النبيين
٣١٥	١١	تنمية	تنمية
٣١٦	١١	للاسلام	للاسلام
٣١٩	١٥	باكستان	باكستان
٣٢١	١٤	الا ستعمار	الا ستعمار
٣٢٦	١٢	بخشية	بخشية
٣٢٨	٧	تاريخ	تاريخ
٣٣٥	١٤	الخليجيين	الخليجيين
٣٣٦	١٠	السيدتين	السيدتين
٣٣٧	٢٢	الزواج	الزواج
٣٣٧	٢٢	ملا حظة : من الا خطأ ما تركناها لا دراكك	ملا حظة : من الا خطأ ما تركناها لا دراكك
٣٣٧	٢٢	لها بسهولة ويسر كنقط التاء	لها بسهولة ويسر كنقط التاء
٣٣٧	٢٢	المربوطة ونقطتى (شئى) وما	المربوطة ونقطتى (شئى) وما
٣٣٧	٢٢	شابه ذلك	شابه ذلك